غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الثاني والأربعون

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

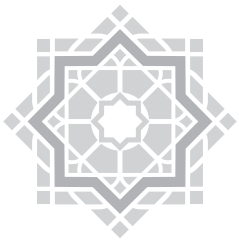
غير مرخصة للطباعة

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي



المِحْوَرُ الرَّابِعُ
الفَتَاوَى

٨٨ فتاوى معاصرة

الجزء الثاني

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة



نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحور الرابع

الفتـاوى

٨٨

فتاوى معاصرة

الجـزء الثـانـي

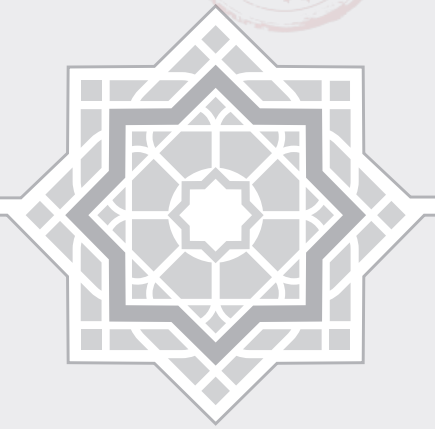
الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



في العقائد والغيبيات

الإلهيات



QaradawiBooks.com

أسماء الله توقيفيَّة أم غير توقيفيَّة؟

س: هل أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيَّة أم غير توقيفيَّة؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

اختلفَ الناسُ في أسماء الله تعالى وصفاته؛ هل هي توقيفيَّة أم لا؟

فالمشهورُ من مذهب أهل السُّنَّة: أنَّ أسماء الله وصفاته توقيفيَّة.

وقال المعتزلة والكرَّامية والقاضي أبو بكر الباقلَّاني من أهل السُّنَّة: إذا دلَّ العقل على أنَّ معنى اللفظ ثابت في حقِّ الله جاز إطلاقه على الله، سواء ورد التوقيفُ به أو لم يرد.

وتوقَّف إمام الحرمين بين القولين، وتابعَه الآمديُّ فقال: «ليسَ القولُ بالمنع مع عدم ورود المنع منه، أَوْلى من القول بالجواز مع عدم ورود التجويز؛ إذ المنع والتجويز حُكمان، وليس إثباتُ أحدهما مع

QaradawiBooks.com

عدم دليله أَوْلى من الآخر، بل الحقُّ في ذلك الوقف، وهو أنَّا لا نحكمُ بجواز ولا مَنْع»[١].

وتوسَّط الإمامُ الغزاليُّ فقال: الأسماء توقيفيَّة دون الصفات[٢]، وقال الإمام الرَّازي: وهذا هو المختار[٣].

كذا نقل الخلافَ جماعةٌ من أهل العِلم[٤]، لكن قول الباقلاني والمعتزلة ليس على إطلاقه، وبيانُه على ما ذكر العلامةُ السعد التَّفتازاني من أنَّه «لا خلاف في جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري تعالى إذا ورد إذْنُ الشَّرع، وعدم جوازه إذا ورد مَنعُه، وإنَّما الخلاف فيما لم يَرِدْ به إذْنٌ ولا منعٌ، وكان هو موصوفًا بمعناه، ولم يكنْ إطلاقُه مُوهمًا ما يستحيل في حقِّه؛ فعندنا لا يجوز، وعند المعتزلة: يجوز، وإليه مال القاضي أبو بكر منَّا، وتوقَّف إمامُ الحرمَيْن، وفَصَّلَ الإمام الغزالي...»[٥].

فهنا حالاتٌ ثلاث، وهي:

الحالة الأولى: إذا ورد إذنُ الشَّرع بإطلاق الاسم أو الصفة:

وعبارةُ التَّفْتَازاني تُفيدُ أنَّه لا خِلافَ في جواز إطلاقها على الله تعالى،

(١) أبكار الأفكار للآمدي (٥٠١/٢)، تحقيق د. أحمد محمد المهدي نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي صـ ١٧٣، تحقيق بسام الجابي، نشر الجفان والجابي بقبرص، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) لوامع البيِّنات صـ ١٨، تحقيق السيد محمد بدر الدين، ط١، نشر المطبعة الشرفية، مصر، ١٣٢٣هـ.

(٤) منهم الرازي كما في المصدر السابق، وتابعَه عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٢٣/١١)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٥) شرح المقاصد (١٧١/٢)، نشر دار المعارف النعمانية بباكستان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ونحوُه في شرح المواقف للإيجي (٣١٣/٣)، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

لكنْ قيّده الحافظ ابن حجر بعدم إيهام النقص، وجعلَ ذلك محلَّ اتفاق، فقال: «اتَّفقوا على أنَّه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصًا، ولو ورد ذلك نصًّا، فلا يقال: ماهد، ولا زارع، ولا فالق، ولا نحو ذلك، وإنْ ثبت في قوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤]، ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] ونحوها، ولا يقال له: ماكر، ولا: بنَّاء، وإن ورد: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [الذاريات: ٤٧]»[(١)].

وقد ذكر التَّفْتَازاني هذا الإيراد، وأجاب عنه، فقال: «فإن قيل: قد وجدنا من الأوصاف ما يمتنعُ إطلاقُها معَ ورود الشَّرع بها، كالماكر والمُستَهزئ والمُنزِل والمُنشِئ والحارث والزارع والرامي! قلنا: لا يكفي في صِحَّةِ الإجراء على الإطلاق مجرّدُ وقوعِها في الكتاب والسُّنَّة بحَسَب اقتِضاءِ المقام وسياقِ الكلام، بل يجبُ ألَّا يخلو عن نوع تعظيم ورعاية أدب»[(٢)].

وسبقه إليه الإمامُ الغزاليُّ حيثُ قال: «قد يُمنَعُ من إطلاق لفظ، فإذا قُرِنَ به قرينةٌ جوَّزناه، فلا يجوز أن يُقالَ لله ﷻ: يا زارع، يا حارث. ويجوز أن يُقال: مَن وطئ فأَمْنَى، فليس هو الحارث، وإنَّما الله تعالى وتقدّس هو الحارث. ومَن بثَّ البذرَ، فليس هو الزارع، إنَّما الله هو الزارع. ومَن رمى فليس هو الرامي، وإنَّما الله هو الرامي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. ولا نقولُ لله ﷻ: يا مُذِلُّ، ونقول: يا مُعِزُّ يا مُذِلُّ، فإنَّه إذا جُمِعَ بينهما كان وَصْفَ المدح؛ إذ يدلُّ على أنَّ طرفَي الأمور بيَدَيْه»[(٣)].

(١) فتح الباري لابن حجر (٢٢٣/١١).
(٢) شرح المقاصد للتفتازاني (١٧١/٢).
(٣) المقصد الأسنى صـ ١٧٥.

QaradawiBooks.com

قلت: ومما نذكره، ومما كنَّا ندعو به مع إخواننا، ما كتبه الأستاذ حسن البنا رَحِمَهُ اللَّهُ، في أيام الحرب على الإنجليز من دعاء قنوت النوازل: اللهمَّ رب العالمين، وأمان الخائفين، ومذلَّ المتكبرين، وقاصم الجبارين، تقبل دعاءنا، وأجب نداءنا، وأنلنا حقنا، وردَّ علينا حريتنا واستقلالنا. وقد قبله علماء الأزهر وعلماء العالم الإسلامي.

وقال الرَّازي: «إنَّ وردَ التَّوقيفُ به أطلقناه في حقِّ الله تعالى بعَيْن ذلك اللفظ، فأمَّا سائر الألفاظ المشتقَّة منه فلا يجوز إطلاقُها في حقِّ الله تعالى، فنقول: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]. ونقول: ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ولا يُقال البتَّة: يا ماكر، يا خادع، يا مُستَهزئ»[1].

الحالة الثانية: إذا ورد منعُ الشَّرع من إطلاق الاسم أو الصفة:

ولا خِلافَ حينئذٍ في عدم جواز إطلاقها على الله تعالى.

الحالة الثالثة: إذا لم يرد إذنُ الشَّرع ولا منعُه:

وحينئذٍ يُنظَر: هل يصحُّ وصفُ الله تعالى بمعناه؟ فإنْ لم يصحَّ لم يَجُزْ باتفاق، وإن صحَّ فيُنظَر: هل إطلاقُه على الله تعالى يُوهِمُ نقصًا، فإن أوهَمَ لم يَجُز أيضًا، وإن لم يُوهِم فهو محلُّ الخِلاف.

والذي يدلُّ عليه كلامُ جماعةٍ من الأئمَّة المُحقِّقين من المُتكلِّمين والمُفسِّرين وغيرهم: أنّ اشتراطَ التوقيف معناه: اشتراط أصل ورود اللفظ، فيجوزُ حينئذٍ الاشتقاقُ منه، بشرط أن يكونَ المُشتقُّ لا يُوهِمُ معنى فيه نقص، سواء في ذلك الاسم أو الصفة.

(١) لوامع البيِّنات صـ ٢٠، ٢١.

QaradawiBooks.com

وفَهْمُ اشتراط التوقيف بهذا المعنى يحلُّ إشكالًا كبيرًا، وهو أنَّ الأُمَّة على اختِلافِ أجيالها قد أطلقت بعض الأسماء، وتداولتها في كلامها ودعائها من غير نكير، ولا يستقيمُ ذلك إلَّا على حَمْل التوقيف على هذا المعنى، فقد سمَّوا: عبد الباقي، وعبد الستّار، وعبد المحسن، وعبد المعطي، وعبد المعبود، وعبد المقصود، وعبد الموجود، وغير ذلك.

قال العلَّامة المُفسِّر الألوسي: «المختارُ عندي عَدَمُ توقُّف إطلاق الأسماء المُشتقّةِ الراجعة إلى نوع من الصفاتِ النفسيَّة والفعليَّة ـ وكذا الصفات السَّلبيَّة ـ عليه تعالى على التوقيف الخاصِّ، بل يصحُّ الإطلاقُ بدونه، لكنْ بعدَ التَّحرِّي التامِّ وبَذْلِ الوُسْع فيما هو نصٌّ في التعظيم، والتحفُّظِ إلى الغاية عمَّا يُوهِمُ أدنى نقص، معاذ الله تعالى في حقِّه سبحانه! لأنَّا مأذونون بتعظيم الله تبارك وتعالى بالأقوال والأفعال، ولم يُحَدَّ لنا حَدٌّ فيه، فمتى كان في الإطلاق تعظيمٌ له ﷻ كان مأذونًا به، والتكليفُ منوطٌ بالوُسْع، لا يُكلِّفُ اللهُ نفسًا إلَّا وُسْعَها، فبعدَ بَذْلِ الوُسْع في التعظيم يرتفعُ الحرج»[1].

وهو كلامٌ سديد، ينطبقُ على أحد معنيَي «التوقيف»، فلا يكونُ فيه خروجٌ عن مذهب أهل السُّنَّة في اشتراطه، والله أعلم.

الاختلاف في إثبات الأسماء والصِّفات بالحديث الضعيف والقياس:

يتفرَّع على مذهب جمهور العلماء من أهل السُّنَّة والجماعة في كون أسماء الله وصفاته توقيفيَّة ـ على أيِّ معنى فسَّرْنا التوقيف ـ جوازُ إثبات الأسماء والصفات بدليل من الكتاب أو السُّنَّة الصحيحة أو الإجماع، بلا خِلافٍ بينهم في ذلك.

(١) روح المعاني للألوسي (١٢٣/٩، ١٢٤)، نشر إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

QaradawiBooks.com

وإنَّما الخِلاف في إثباتها بالحديث الضعيف أو القياس، فالجمهورُ على منع الإثبات بهما، قال الألوسيُّ والباجوريُّ ـ نقلًا عن العلَّامة إبراهيم اللَّقَاني ـ: «مَحَلُّ ذلك إن قلنا: إنَّ المسألة من العِلْميَّات[1]، أمَّا إنْ قُلنا: إنَّها من العَمَليات؛ فالسُّنَّةُ الضعيفةُ كالحسنة، إلَّا الواهية جدًّا[2]، والقياسُ كالإجماع. وأطلقَ بعضُهم المنعَ في القياس، وهو الظاهر، لاحتمال إيهام أحدِ المُترادِفَينِ دون الآخر»[3].

والصحيحُ أنَّ التسميةَ من باب العَمَليَّات وأفعال اللِّسان، كما قال العلَّامةُ التَّفْتَازاني، والقياسُ جارٍ في العَمَليات، لكنّه يُنافي التوقيف فيُمنَع، أمَّا الحديثُ الضعيف، فالأصلُ في العَمَليات ألَّا يُؤخَذَ فيها بالضعيف إلَّا بقرينة.

فإذا ورد الاسمُ في حديث ضعيف، نظرنا: فإنْ كان أصلُ اشتِقاقِه واردًا في الكتاب أو السُّنَّة الصَّحيحة؛ كان هذا قرينةً للعمل به عند بعض مَنْ يشترطُ التَّوقيف الصريح، وإن لم يكن؛ لم يقوَ الحديثُ الضعيفُ وحدَه على إثبات هذا الاسم، والله أعلم.

وعلى هذا، يهونُ الاختِلافُ بين الفريقين وتقلُّ مساحتُه، فمَن يكتفي بورود أصل الاشتقاق يعتمدُ عليه في إثبات هذا الاسم، ومَن لا يكتفي

---

(١) أي: من فروع العِلميات، أي: فروع العقائد، مثلها تثبت بخبر الآحاد الصحيح.

(٢) ولفظُ الباجوري: فالسُّنَّة الضعيفة كافية في ذلك، لأنهم قالوا: الحديث الضعيف يُعمَلُ به في فضائل الأعمال. انظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد للباجوري صـ ١٥٤، نشر دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي (١١٤/٥) ـ والمنقول لفظه، ولم يُصرِّح بالنقل عن اللّقَاني ـ تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، وانظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد صـ ١٤٥، وقد صرَّح بالنقل عن اللّقَاني.

QaradawiBooks.com

به قد يراه قرينةً تُقوِّي الأخذ بما ورد في الحديث الضعيف من الاسم الوارد صراحة.

ولعلَّ هذا هو السَّبَبُ في اعتماد جماعةٍ من أهل العِلم لِمَا وقع في بعض رواياتِ حديث أبي هُرَيْرة رضيَ الله عنه من سَرْدِ الأسماء، مع ضعف إسنادها، وممّن اعتمدها الزجَّاج في «تفسير أسماء الله الحسنى»، وابن خُزَيمة، والخطَّابي في «شأن الدعاء»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والقُشَيري في «شرح أسماء الله الحسنى»، والغزالي في «المقصد الأسنى»، والرازي في «لوامع البيِّنات».

قال البيهقي في الكلام على الرواية الَّتي وقع فيها سَرْدُ الأسماء تفصيلًا: «تفرَّد بهذه الرواية عبدُ العزيز بنُ الحصين بن الترجمان، وهو ضعيفُ الحديث عند أهل النقل، ضعَّفه يحيى بنُ مَعِين، ومحمدُ بنُ إسماعيل البخاريُّ، ويحتمل أن يكونَ التفسيرُ وقعَ من بعض الرواة (يعني: أنَّ ذِكْرَ الأسماءِ مُدرَجًا في الرواية) وكذلك في حديث الوليد بن مسلم، ولهذا الاحتمال ترك البخاريُّ ومُسلِمٌ إخراجَ حديث الوليد في «الصحيح»، وهذه الأسامي كلُّها في كتاب الله تعالى وفي سائر أحاديث رسول الله نصًّا أو دلالة» انتهى. وهو ظاهرُ الدلالة على ما قدَّمتُ.

على أنَّه لا يَبعُدُ أن يُقال: إنَّ الأسماء الواردة في هذه الرواية الضعيفة قد تلقَّاها العلماء بالقبول، وقد ألمح إلى هذا المعنى مع تردُّد فيه العلامةُ الآلوسيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حيثُ قال في سياق جواب له عن شبهةٍ أوردَها: «اللهمَّ إلَّا أن يُقال: حصل الإجماعُ على ما في حديث التِّرْمِذيِّ دونَ ما في حديث غيره المُخالِف له، لكنْ لم أقف على مَن حكى ذلك»[1].

(١) روح المعاني (١٢٤/٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نعم، لم يقع الإجماعُ على ما ورد فيه دون مـا ورد في غيره، لكنّ أكثـرَ ما ورد فيه من الأسـماء لهـا وورود صريح في الكتاب أو السُّـنَّة الصحيحة، وما لم يرد صريحًا، وإنَّما له أصلُ اشتقاق فيهما غالبُه مُجمَعٌ عليه، كما يظهرُ من مُراجعة كلام الإمام القرطبي في هذه الأسماء[١].

فإن لم يُسـلَّم الإجماعُ فيها أو في بعضها، فلا أقلَّ من أن يكونَ لها شـهرةً وافرةً بين أهل الفنِّ، ومثلُها كافٍ في إثبات التلقِّي بالقبول، بل توارُد الأئمَّة الَّذين صنَّفوا في شـرح الأسماء الحسـنى عليها كافٍ في إثباته؛ لأنَّهم أصحابُ القول الفَصْل في ذلك.

وهذا ما ألمح إليه الإمام القرطبيُّ فيما ذكره تعقيبًا على كلام القاضي أبي بكر ابن العربي في اسـمه تعالى «الحنَّان»، حيثُ قال القاضي: هذا الاسم لم يرد به قرآن، ولا حديث صحيح، وإنَّما جاء من طريق لا يُعوَّل عليه، غيـر أنَّ جماعة من النَّـاس قبلوه وتأوَّلوه، وكثـر إيراده في كتب التأويل والوعظ. فقال القرطبيُّ: قلتُ: ما ذكره كافٍ في دخوله في جملة الأسماء، وذلك يدلُّ على صحَّةِ الحديثِ فيه»[٢].

(١) انظر كلام الإمـام القرطبي عن الضارِّ النافع، والخافض الرافع، والمُعِـزُّ والمُذِلّ، والمُقدِّم المُؤخِّر، والمُبدئ المُعيد، والعَدْل، والمُقسِط، والباعث، والجامع، وغيرها، في الأسنى في شرح أسماء الله الحسـنى (٣٥٢/١، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٦، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٧٤، ٤٧٨)، نشر دار الصحابة، طنطا، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) الأسنى للقرطبي (٢٦٥/١).

QaradawiBooks.com

حول القضاء والقدر

س: هل كلُّ ما يحدُث للإنسان في الدنيا مكتوب عليه من الأزل: الموت والرزق، والنجاح والفشل، والسعادة والشقاء في الدنيا، وإن كان من أهل الجنَّة أو أهل النَّار، فما قيمة سعي الإنسان إذن؟ وهل للأطباء أن ينقذوا إنسانًا من الموت في حادثة من الحوادث؟ وهل للاجتهاد والعمل المتواصل، أو حسن إدارة التجارة أو الزراعة علاقة بزيادة الرزق، أم أن الرزق محدد مقدر عملنا أم تكاسلنا؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذا السؤال سؤال قديم معروف، ويبدو أنَّه مهما طال الزمن سيظل يَخْطِر على الأفئدة، ويدور على الألسنة.

ولا داعي للحيرة في شأنه، فإنَّ الإسلام قد شفى في جوابه وكفى.

(أ) أمَّا أن كلَّ ما في الكون مكتوبٌ مسجَّل، فهذا معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة، ولا شكَّ فيه، وإن كنَّا لا نعلم كيفية الكتابة، وماهيَّة الكتاب، وكلُّ الَّذي نعلمه أنَّ الله تعالى قد أبدع هذا الكون بأرضه وسمائه،

QaradawiBooks.com

وجماداته وأحيائه، على وَفْقِ تقديرٍ أزليٍّ عنده، وأنَّه أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كلِّ شيءٍ عددًا، وأنَّ كلَّ ما يحدُث في هذا الكون العريض يحدُث وَفْق علمه وإرادته، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

(ب) هذا العلم المستوعِب، والإحصاء الدقيق، والتَّسجيل الشامل للأشياء والأحداث قبل وقوعها لا ينافي الاجتهاد في العمل واتخاذ الأسباب.

فإنَّ الله كما كتب المسبَّبات كتب الأسباب، وكما قدر النتائج، قدر المقدِّمات فهو لا يكتب للطالب النجاح فحسْب، بحيث يصل إلى هذه النتيجة بأي وسيلة، ولكنْ يكتب له النجاح بوسائله من جدٍّ وحرصٍ وانتباهٍ ووعيٍ وصبرٍ وجَلَدٍ إلى آخر هذه الأسباب. فهذا مقدَّر مكتوب، وهذا مقدَّر مكتوب.

إنَّ الأخذ بالأسباب لا ينافي القدر، بل هو من القدر أيضًا.

ولهذا حين سئل ﷺ عن الأدوية والأسباب الَّتي يُتقَى بها المكروه، هل ترد من قدر الله شيئًا، كان جوابه الفاصل: «**هي من قدر الله**»[1].

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والتِّرْمِذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.

QaradawiBooks.com

ولما انتشر الوباء في بلاد الشام: قرَّر عمرُ بمشورة الصحابة العدول عن دخولها، والرجوع بمن معه من المسلمين. فقيل له: أتفرُّ من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيتَ لو كان لك إبلٌ هبطتْ واديًا لـه عَدْوَتان: إحداهما مُخْصِبة، والأخرى مُجْدِبة، أليس إن رعيتَ المُخْصبة رعيتَها بقَدَر الله، وإن رعيتَ المجدبة رعيتَها بقدَر الله[1]؟!

(جـ) على أنَّ القدر أمر مُغَيَّب مستور عنَّا، نحن لا نعرف أنَّ الشيء مقدَّر إلَّا بعد وقوعه، أمَّا قبل الوقوع فنحن مأمورون أنْ نتَّبع السُّنَن الكونيَّة، والتوجيهات الشرعيَّة لنحرز الخير لديننا ودنيانا.

إنَّما الغيبُ كتابٌ صانَهُ عن عُيونِ الخَلْقِ ربُّ العالمينْ
ليسَ يبدُو مِنهُ للناسِ سوَى صفحةُ الحاضرِ حينًا بعدَ حِينْ[2]

وسنن الله في كونه وشرعه تحتِّم علينا الأخذ بالأسباب، كما فعل ذلك أقوى النَّاس إيمانًا بالله وقضائه وقدره، وهو رسول الله ﷺ، فقد أخذ الحذر، وأعد الجيوش، وبعث الطلائع والعيون، وظاهر بين درعين، ولبس المغفر على رأسه، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة، وهاجر هو بنفسه، واتخذ أسباب الحِيطة في هجرته. أعد الرواحل الَّتي يمتطيها، والدليل الَّذي يصحبه، وغيَّر الطريق، واختبأ في الغار، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوت سنة، ولم ينتظر أن

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٢٩)، ومسلم في السلام (٢٢١٩).

(٢) البيتان للعقاد مترجمان عن الشاعر الإنجليزي بوب، انظر: ديوان من الدواوين صـ ١١١، نشر دار المحرِّر الأدبي للنشر والتوزيع.

QaradawiBooks.com

ينزل عليه الرزق من السماء، وقال للذي سأله أيعقل ناقته أم يتركها ويتوكل: «**اعقلها وتوكَّل**»[١]، وقال: «**فِرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد**»[٢]، و«**لا يُوردَنَّ مُمْرضٌ على مُصِحٍّ**»[٣]. أي لا يخلط صاحب الإبل المريضة إبله بالإبل السليمة اتقاءَ العدوى.

(د) الإيمان بالقدر إذن لا ينافي العمل والسعي والجد، في جلب ما نحب، واتقاء ما نكره، وليس لمتراخٍ أو كسلانَ أن يُلقي على القدر كلَّ أوزاره وأثقاله، وأخطائه وخطاياه، فهذا دليل العجز والهرب من المسؤولية، ورحم الله د. محمَّد إقبال إذ قال: «المسلم الضعيف يحتجُّ بقضاء الله وقدره، أمَّا المسلم القويُّ فهو يعتقد أنَّه قضاء الله الَّذي لا يُرَدُّ، وقدره الَّذي لا يغلب». وهكذا كان المسلمون الأوَّلون يعتقدون.

في معارك الفتح الإسلامي دخل المغيرة بن شُعبة على قائد من قوَّاد الرُّوم فقال له: من أنتم؟ قال: نحن قدرُ الله، ابتلاكم اللهُ بنا، فلو كنتم في سحابة لصَعِدْنا إليكم، أو لهبطتم إلينا!

ولا ينبغي أن يلجأ الإنسان إلى الاعتذار بالقدر إلَّا حينما يبذل وُسعه، ويفرغ جهده وطاقته، وبعد ذلك يقول: هذا قضاء الله.

قضى النَّبيُّ ﷺ بين رجلين، فقال المقضيُّ عليه لما أدبر: حسْبي الله ونعم الوكيل، فغضب النَّبيُّ ﷺ، ورأى ظاهر هذه الكلمة إيمانًا، وباطنها

---

(١) رواه التِّرْمِذيّ في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٩٠/٨)، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٢٢)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الطب (٥٧٠٧)، عن أبي هريرة.

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٧٠، ٥٧٧١)، ومسلم في السلام (٢٢٢١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

عجزًا، فقال: «**إنَّ الله يلوم على العجْز، ولكنْ عليك بالكَيْس، فإذا غلبك أمرٌ فقل: حسْبي الله**»(١).

(هـ) إنَّ من ثمرة الإيمان بالقضاء والقدر ـ حينما يبذل الإنسان كلَّ ما تحت يده، ويرتقب ما في يد الله ـ أنْ يَهَبَه المضاء في موقف البأس، والعزيمة في مجال الكفاح، والشجاعة ساعة الخطر، والصبر عند الصدمة، والرضا بالكسب الحلال عند تفاوت الحظوظ الدنيوية.

إنَّه سيقول عند الكفاح: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وسيقول عند المعركة: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وسيقول عند المصيبة: قدر الله وما شاء فعل.

وسيقول للسُّلطان الجائر: إنَّك لن تُقدِّم أجلي، ولن تحرمني رزقًا هو لي.

إنَّ عقيدة القدر إذا فُهِمت على وجهها الصحيح تستطيع أن تخلق من أُمَّتنا أُمَّة مجاهدةً صامدةً، جديرة بأنْ تقود زمام التاريخ.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٩٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لضعف بقية، وجهالة سيف. وأبو داود في الأقضية (٣٦٢٧)، عن عوف بن مالك الأشجعي.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

العدالة الإلهيَّة والتفاضل في الأرزاق

س: أعرض عليكم مشكلة حدثت لي منذ أيام. فقد وسوس الشَّيطان في نفسي، وصار يعرض في أفكاري صورًا شتَّى تدور حول الشَّكِّ في العدالة الإلهية، وتساءلت: لماذا يغني الله بعض النَّاس ويفقر بعضهم الآخر؟ ممَّا جعلني أتردَّد في ضلال وحيرة، وتركت الصلاة، وأخيرًا أفقت إلى نفسي، وعذَّبني ضميري. ولا زلت في ألم نفسي وريب، خلَّفته تلك الوساوس والأفكار.

فما حيلتي لاسترداد الثقة واليقين، وطرد همزات الشيطان اللعين؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

المؤمن قد تعرض له وساوس، وقد تهجس في نفسه هواجس، ولكنَّه إذا كان صاحبَ إيمانٍ ويقين، وكان موفَّقًا من الله ﷻ، سرعان ما تزول تلك الوساوس وتختفي هذه الهواجس، ويعود إليه منطق الإيمان، ونور العقيدة القويمة والاطمئنان.

نسخة مجانية

هذا الشابُّ، حين عرضت له تلك الوساوس، بناها على خطأيْن كبيرين:

الأول: هو اعتقاده أنَّ الغنى الماديَّ هو كلُّ شـــيء أو أعظم شيء في هذه الحياة، وأن العــدل يقتضي أن يســوي الله بين النَّــاس، في الفقر والغنى، وفي المال والثروة، وهذا هو الخطأ الأول.

وليعلمْ ذلك الأخُ أن المال ليس هو كلَّ شــيء في هذه الحياة، كلَّا، فكم من الأغنياء يعوزهم الذكاء، أو تعوزهم الحكمة، أو تعوزهم الصحة والعافية، أو تعوزهم الأســرة الهنيئة، أو يعوزهم الولد، وإذا كان عندهم الولد يعوزهم الولد البارُّ، والزوجة الصالحة. يعوزهم أشياء كثيرة.

كثير من الأغنياء أصحاب الملايين، يشتهون أن يأكلوا كما يأكل فقير لا يملــك إلَّا دريهمات معــدودة، قد حــرَّم عليهم الأطبــاء أن يأكلوا الدهنيات أو الســكريات، أو غير ذلك، وعنــده الخزائن تموج بالذهب والفضة. ماذا يصنع بهذه الخزائن؟ وهب أنه كان صحيحًا، هل يملك أن يأكل أكثر من ملء بطنه؟ وما البطن؟ وما المعدة؟ شبر في شبر، أو أقل.

هبْ أنَّ الإنســان عنده كنزٍ من النُّضار ـ الذهب الخالص ـ فهل يأكل الإنسان النُّضار؟ وهل يأخذه معه إلى القبر؟ كلَّا، إنَّ المال وسيلة للإنسان.

الذي يملك منه الكثيــر، يزيد على غيره أنه حمل مســؤولية أكبر، وسيكون حسابه يوم القيامة أعظم، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشــعراء: ٨٨، ٨٩] يوم لا تزول قدماه حتَّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شــبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به[1]؟

(١) رواه التِّرْمِذيّ في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٧٤٣٤)، والبيهقي في المدخل (٤٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

QaradawiBooks.com

ليس مِلك المال ـ إذن ـ هو كلَّ شيء، قد يملك الإنسان أشياءَ أخرى كثيرة غير المال، وهي أغلى منه وأثمن، والإنسان المتعجِّل المتسرِّع السطحي ينسى النعم الَّتي أنعم الله بها عليه، لو عد الإنسان ما يملك لأعياه ذلك وما استطاع أن يحصيه: نعمة البصر، كم تقدرها؟ لو قيل لك: خذ كذا ألفًا أو مليونًا وتفقد بصرك، هل ترضى؟!

والسمع، والشم، والذوق، والأنامل، والأسنان، والأجهزة الَّتي في داخل جسمك، فضلًا عن الذكاء والنطق، والقدرة على التعبير، والعمل والتصرُّف، وغير ذلك.

لو حَسَب الإنسان هذه الأشياء والنِّعم الَّتي يملكها في جسمه وحده وأمكنه تقديرها وإحصاؤها لبلغت مئات الملايين.

والحقيقة أنَّ تلك النعم لا تُقدَّر ولا تُحصى، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولكنَّ النظر في المادة وحدها هو الَّذي يجعل الإنسان يخطئ الخطأ الكبير، فتنتابه الوساوس والهواجس المؤلمة.

ثم هل يعتقد هذا الأخ السائل أن الحكمة في التسوية بين الناس؟ هل الحكمة أن يكون النَّاس سواء؟!

لا والله، ليست هذه هي الحكمة.

ليس من الحكمة في شيء أن يستوي النَّاس كلهم.

إنَّما الحكمة في هذا التباين، ليظهر الابتلاء، ويتحقَّق الامتحان. ليتميز من يشكر ممَّن يكفر، ومن يجزع ممَّن يصبر، ومن يعمل صالحًا ممَّن يعمل غير ذلك.

QaradawiBooks.com

هذه هي البوتقة الَّتي تصهر فيها نفس الإنسان. هذه هي الحياة؛ ميدان للجهاد وللكفاح.

لو شاء الله لخلق النَّاس أجسادًا بلا طعام. لا تحتاج إلى أكل ولا شرب، ولا تحتاج إلى المال، ولكن الله ركَّب في الإنسان الغرائز والدوافع، فجعله يحتاج إلى الطعام والشراب، والتناسل والاجتماع، وغير ذلك، فسبحان الله الَّذي خلق الإنسان على هذه الكيفية، ولو كان النَّاس كلهم سواسية، لما كان للحياة طعم، ولا كانت لها حكمة. من أجل أن يعرف الصبر لا بدَّ أن يكون هناك ما يصبر عليه، ولكي يعرف الإيثار والإحسان لا بدَّ أن يكون هناك من يحسن إليه.

فهذه الفضائل الإنسانية لا يمكن أن تظهر إلَّا إذا كان هناك تفاوت وتفاضل في الحياة.

لو كانت الحياة كلها ضياء ونهارًا، لما كان هذا الليل الَّذي يسكن النَّاس فيه، وقد جعله الله لباسًا.

لا بدَّ من النور والظلمة، لا بدَّ من الليل والنهار. لا بدَّ من ذلك كلِّه.

والخطأ الثاني الَّذي أخطأه الأخ، هو تصوُّره حكمة الله خطأً، وتصوُّره عدل الله خطأ.

تصوَّر العدل والحكمة على حسَب عقله القاصر.

هل نستطيع نحن البشر أن نحدِّد لله مفهوم الحكمة؟ وأن تكون حكمته تعالى على أهوائنا، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

QaradawiBooks.com

كلُّ واحد يظــنُّ أنَّ الحكمة ينبغي أن توافق هــواه، ولو حدث ذلك بالفعل، لما تأتَّى للحياة أن تستقيم.

فالشــابُّ الَّذي يدخل على عَروســه في ليلته الأولى يقول: يا ربِّ، أطل هذا الليل!

بينما المريض يستغيث ويدعو قائلًا: يا ربِّ، متى يطلُع الصباح؟!

فلمن يستجيب الله فيهما؟! إنَّ الله ﷻ ليس على هوى هذا ولا على هوى ذاك! إنَّما له حكمة، قد نعرفها وقد لا نعرفها.

وكــم لله مــن سِــرٍّ خَـفِـيٍّ يَدِقُّ خفاه عــن فهْــمِ الذَّكيِّ[1]!

أضرب مثلًا لهذا الشابِّ:

حكَــوْا أنَّ رجلًا وابنه كانا تحت نخلة في بســتان، فــأراد الولد أن يجادل أباه، فقال له: يا أبتِ، انظر هذا التفاوت الَّذي نراه، أين الحكمة الَّتي تقول لي عنها؟ وأنَّ الله حكيم عليم؟ انظر إلى هذه النبتة الصغيرة، نبتة البطيخ، تثمر ثمرة كبيرة جدًّا، بينما هذه النَّخلة على طولها وعظمها، فإنَّ ثمرتها صغيرة، ولا نســبة بينها وبين البطيخــة؛ وكان المفروض أو المعقول أن تكون ثمــرة النَّخلة في عظم البطيخة، لتتناســب مع حجم الشجرة، بينما تكون ثمرة نبات البِطِّيخ في حجم التَّمرة.

فقال له: يا بُنيَّ، لعلَّ لله حكمة لا نعرفُها.

ثم استلقى الفتى على ظهره ليستريح، واستلقى أبوه إلى جواره. وما إن أغفت عين الفتى قليلًا، حتَّى سقطت من أعلى النَّخلة تمرة، فأصابت

(١) ينسب إلى الإمام علي بن أبي طالب، كما في الديوان المنسوب إليه صـ ١٥٤، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وجهه وآلمته، وصاح من أثر ذلك. فقال له أبوه: ماذا بك؟ قال: تمرة من فوق النَّخلة أصابتني قال: يا بُنَيَّ، احمَد الله أنَّها لم تكن بطِّيخة!

هذا مثل لبيان حكمة الله ﷻ، وأنَّ الإنسان قاصرٌ وعاجز دون إدراك هذه الحكمة والإحاطة بها كلِّها. وما عليه إلَّا أن يقول كما قالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] أو يقول ما قال أولو الألباب الَّذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا، وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلْق السماوات والأرض: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

على هذا الشابِّ الَّذي راوده الشكُّ، وفعل ما فعل يومًا ما: أن يستغفر الله، ويتوب إليه، ويجدِّد إيمانه وثقته بالله، ويعود إلى الصلاة، ويتَّصل بأهل العلم والدين، لعلَّ الله يتقبَّله، ويجعله من الشباب الصالحين. والله وليُّ التوفيق.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

حكم قول: بفضل الله ثمَّ جهود المخلصين

س: شهدت حفلًا كبيرًا حضره جِلَّة من العلماء والباحثين والمفكِّرين وافتتح الحفل بالقرآن الكريم، ثمَّ بعدد من الكلمات الَّتي تُقال في مثل هذه الأحفال والمؤتمرات.

والذي لفت نظري ونظر الكثيرين من الحاضرين أنَّ أحد المتكلِّمين وهو عالمٌ وأديبٌ مرموق، جاء في كلمته عبارة كثيرًا ما تتكرر على ألسنة الخطباء، وأقلام الكتاب، وهي: أنَّ النجاح الَّذي تحقَّق للمؤسسة إنَّما تمَّ بفضل الله تعالى، وجهود العاملين المخلصين وبذلهم ونشاطهم، إلخ.

وهنا قام عالم كبير معقِّبًا على كلمة العالم السابق؛ بأن هذا التعبير «بفضل الله وجهود العاملين» إلخ، لا يجوز؛ لأنَّه ينافي إخلاص التوحيد لله تعالى، ويوهم إشراك الآخرين معه وتسويتهم به ﷻ، وأنَّ الواجب دفع هذا الإيهام بأن يقال: بفضل الله تعالى، ثمَّ بجهود العاملين المخلصين.

وانتهى الحفل ولم يعقِّب أحدٌ على التعقيب، ولكن تساءل الكثيرون عن مدى الخطأ في مثل العبارة المنتقدة، وعن مدى الوجوب والإلزام في العبارة المقترحة، وهل هناك دليل على لزوم مثل ذلك؟

QaradawiBooks.com

نرجو البيان والإيضاح المصحوب بالدليل الشرعي، داعين لكم بالصحة، ودوام التوفيق في خدمة الإسلام ونفع المسلمين.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

العقيدة هي جوهر الإسلام، والإيمان بالله تعالى هو جوهر العقيدة، والتوحيد هو جوهر الإيمان، والتوحيد يعني إفراد الله سبحانه بالعبادة والاستعانة، فلا يُعبد غيره، ولا يُستعان إلَّا به، وهو الَّذي يتجلى في مناجاة المسلم لربه في كلِّ صلواته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

والتوحيد هو المحرِّر الحقيقي للبشر من العبوديَّة لكلِّ ما سوى الله تعالى، فهو يُحرِّرهم من العبوديَّة للطبيعة، ومن العبوديَّة للأشياء، ومن العبوديَّة للأشخاص، ومن العبوديَّة للأوهام، ومن العبوديَّة للأهواء، ومنها هوى الإنسان نفسه، وبهذا يحيا الإنسان سيدًا في الكون، عبدًا لله وحده.

والأديان السماوية كلَّها تدعو النَّاس إلى التوحيد، وكلُّ رسول من عند الله، كان أوَّل ما يوجِه إلى قومه هذا النداء: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠، ٦١، ٨٤].

ثم جاء الإسلام ليؤكِّد ما جاءت به الرسالات السابقة من التوحيد وتنقيته ممَّا علق به من خرافات الوثنيَّة، وتحريفات الغلاة والمفرِّطين، وكانت رسالته إلى أهل الكتاب دعوة قويَّة إلى هذا التوحيد النقيِّ الناصع

غير مرخصة للطباعة

تمثله الآية الكريمة الَّتي ختم بها النَّبيُّ رسائله إلى قيصرَ والنجاشيِّ والمقوقس وغيرهم من أمراء النَّصارى، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد حرص النَّبيُّ ﷺ على تثبيت دعائم التوحيد في المجتمع المسلم، حتَّى إنَّ المسلم يستقبل الحياة في أوَّل لحظة بكلمة التوحيد، ويودِّعها في آخر لحظة بكلمة التوحيد، حيث علمنا أن نؤذِّن في أذن الطفل حين يولد لنسمعه «لا إله إلَّا الله»[١]، وأن نلقِّن المحتضر على فراش الموت كلمة «لا إله إلَّا الله»[٢]، فهذه الكلمة أوَّل ما يسمعه وآخرُ ما يسمعه.

كما حرص الرسول الكريم على حماية حِمى التوحيد من أي شائبة تشوبه، حتَّى لا يتسرب إلى عقيدة المسلمين ما تسرب إلى أهل الكتاب من قبلهم، حتَّى انتهوا إلى ما انتهوا إليه، من «التشبيه والتجسيم» الَّذي يقول به اليهود، و«التثليث» الَّذي يقول به النَّصارى، وحتى لا يقعوا فيما وقعت فيه الأمم القديمة، مثل قومِ نوحٍ الَّذين وضعوا صورًا لصالحيهم يتذكَّرونهم بها، فما زالوا يعظِّمونها، ويزيدون في تعظيمها، حتَّى انتهى بهم المطاف إلى عبادتها.

وهذا ما جعل النَّبيَّ ﷺ يقاوم أي مظهر من مظاهر الغُلوِّ في شخصه؛ فإنَّ الغلوَّ أوسع أبواب الشرك.

---

(١) إشارة إلى الحديث: أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة. رواه أحمد (٢٣٨٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٥١٠٥)، والتِّرْمِذي في الأضاحي (١٥١٤) وقال: حسن صحيح. وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل (١١٧٣)، عن أبي رافع.

(٢) رواه مسلم في الجنائز (٩١٦)، وأحمد (١٠٩٩٣)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

ومن ذلك: الألفاظ الموهِمة للتقديس أو المُشعرة بالمساواة مع الله تعالى، وهذا يُعرف بدلالة الحال ودلالة المقال معًا.

ولهذا حين قال رجل في خطابه للنبيِّ ﷺ: ما شاء الله وشئتَ يا رسولَ الله، أنكر عليه ذلك بشدَّة وقال: «**أجعلتني مع الله عِدْلًا؟** ـ وفي لفظ: ندًّا ـ **لا، بل ما شاء الله وحدَه**»[(١)]. وفي الحديث الآخر: «**لا تقولوا: ما شاء الله، وشاء فلان، ولكنْ قولوا: ما شاء الله، ثمَّ شاء فلان**»[(٢)].

وحديث ثالث: أنَّ حبرًا من أهل الكتاب جاء إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنَّكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئتَ. فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: ما شاء الله ثمَّ شئتَ**»[(٣)].

فدلَّت هذه الأحاديث وما في معناها على ضرورة التحرُّز من الألفاظ الموهِمة للشرك، وإن لم يقصد قائلها إليه.

ولكنَّ السؤال المهمُّ هنا:

أهذا واجب في جميع الألفاظ والعبارات؛ بحيث لا يجوز العطف بالواو على فعل أو أمر أسند إلى الله تعالى، أم هذا التشديد خاص ببعض الألفاظ والعبارات الَّتي لها إيحاء خاص مثل لفظ «المشيئة»، ومثله لفظ «التوكُّل»، كأنْ يقول: توكَّلت على الله وعلى فلان.. وأمثالهما؟

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الأيمان والنذور (٣٧٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٦٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٧)، عن حذيفة بن اليمان.

(٣) رواه النسائي (٣٧٧٣)، والحاكم (٢٩٧/٤)، كلاهما في الأيمان والنذور، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، عن قتيلة بنت صيفي.

QaradawiBooks.com

إنَّ الَّذي يقرأ القرآن الكريم ويجول فيه متدبِّرًا، يجد أنَّ الكتاب العزيز استعمل تعبيرات مشابهة للتعبير الَّذي اعتُرض عليه «بفضل الله وجهود المخلصين»، وذلك في مناسبات متعددة.

ومن ذلك:

أ ـ قوله تعالى: يخاطب رسوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. ولم يقل سبحانه: هو الَّذي أيدك بنصره، ثمَّ بالمؤمنين.

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، ولم يقل: أن اشكر لي، ثمَّ لوالديك.

جـ ـ قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٣٥]، ولم يقل: ثمَّ عند الَّذين آمنوا.

د ـ قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ولم يقل: ثمَّ رسوله ثمَّ المؤمنون.

هـ ـ ومثلها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]. وما كان من هذا القبيل، وهو كثير.

و ـ قوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ [النساء: ٧٥]. ولم يقل: ثمَّ المستضعفين.

ز ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، ولم يقلْ هنا: ما آتاهم الله ثمَّ رسوله، وسيؤتينا الله من فضله ثمَّ رسوله.

QaradawiBooks.com

ح ـ قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]. ولم يقلْ: والله ثمَّ رسوله.

هذه النماذج المتعددة وما شابهها في القرآن الكريم، تدلُّنا بوضوح على أنَّ استخدام حرف «ثمَّ» في العطف بدل «الواو» ـ في مثل الموقف الَّذي كان بسببه السؤال والاستفسار ـ ليس بواجب ولا لازم دائمًا، وأنَّ استعمال «الواو» ليس منكرًا ولا ممنوعًا في كلِّ حال.

إنَّما يُمنع في حالات معيَّنة تُوهم التسوية في الصورة بين الله وخلقه، كما في حالات نسبة المشيئة إلى الله ﷻ، فعطف مشيئة العبد المخلوق على مشيئة الله الخالق، في سياق واحد بالواو، الَّتي تفيد مطلق الجمع، ينفر منه حس الإنسان الموحِّد، وهو ما أنكره النَّبيُّ ﷺ، حين قال له من قال: ما شاء الله وشئت! قائلًا: «**أجعلتني لله عِدلًا**» أو «**ندًّا؟**».

وهو ما أنكره بعض الأحبار على المسلمين، وأقرَّه عليه النَّبيُّ ﷺ.

ويشبه ذلك ما يقوله بعض النَّاس، باسم الله واسم فلان، باسم الله واسم الوطن.

ونحوه أو قريب منه ما يقال: لوجه الله ووجه فلان.

فالذي ينبغي هنا هو الاحتياط، سدًّا للذريعة، وحماية لجناب التوحيد، وبعدًا عن مظنَّة الغلوِّ والتقديس، فإنَّما هلك من كان قبلنا بالغلوِّ في الدين. وبالله التوفيق.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

هل يعذب الله بعض النَّاس بغير ذنب؟

س: كنتُ أقرأ في كتاب الإمام العلامة الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رضي الله عنه «قواعد الأحكام في إصلاح الأنام» وهو كتاب بديع ورائع، مليء بالفوائد العلمية، والنظرات الشرعيَّة الصائبة، الَّتي تقنع العقول، وتشرح الصدور.

ولكن استوقفني فيه أنَّه يُجَوِّز على الله تبارك وتعالى أن يعذِّب المطيعين الصالحين من عباده، كما يجوز له أن يثيب العصاة منهم، ولا اعتراض عليه في شيء من ذلك، فهو يتصرف في ملكه كيف يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا اعتراض على مشيئته، فهو يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد!

ويحسن بي أن أذكر عبارته بنصِّها حتَّى لا أفتات عليه. قال رحمه الله: ولا استبعاد في تعذيب من لم يذنب ولم يخالف، على ما سنذكره في إيلام المجانين والبهائم والصبيان، إن شاء الله تعالى.

وكما روي في الحديث الصحيح: «**إنَّ الله عز وجل ينشئ في النَّار أقوامًا**»[1] (يعني: يخلقهم ليُعذَّبوا في النَّار، ولم يرتكبوا ذنبًا).

(١) يقصد الحديث الذي رواه البخاري: «وإنَّه ينشئ للنار من يشاء، فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد؟». رواه البخاري في التوحيد (٧٤٤٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قال: «وكذلك لا استبعاد في إثابة من لم يُطع، ففي الحديث: «**إنَّ الله ﷻ ينشئ في الجنَّة أقوامًا**»[١] (يعني: يخلقهم ليثيبهم بفضله، وإن لم يعبدوه ولم يعملوا صالحًا من قبل).

وكذلك الحكم في الحُور العين، وكذلك الحكم في أطفال المسلمين.

وليس بدعًا من إحسانه المبتدأ من غير عمل، فإنَّه قد أحسن إلى الملائكة المقربين، وإلى النبيِّين والمرسلين، وكذلك أحسن إلى الفجَّار والأبرار في هذه الدار، وكذلك إلى الحيوانات من الوحوش والبهائم والأنعام. وقد يكلِّف بالطاعة ولا يثيب عليها، كما كلَّف الملائكة المقرَّبين، ولا اعتراض على ربِّ العالمين الَّذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ومن اعترض زاد شقاؤه، واشتد بلاؤه، وعظم عناؤه.

ويجاب على اعتراضه: أنَّ الربوبيَّة ليست مقيدة بمصالح العبوديَّة، ولا حجر للعباد على ربِّهم حتَّى لا يفعل إلَّا ما يصلحهم، بل القدرة الأزليَّة مطلقة لا تتقيَّد، بما يصلح العباد، ولا بما يعمر البلاد، ولا بما يوجب الرشاد.

وقد شاهدنا ما يُبتلى به من لا ذنب له ولا تكليف عليه، كالصبيان والمجانين والبهائم، من الآلام والأوصاب، والجوع والظمأ، والغرق والحرق.

مع أنَّا نعلم أنَّ الربَّ لا ينتفع بذلك ولا يتضرَّر بفقده، وكذلك لا ينتفع المبتلى بذلك، بل ينتفع بفقده»[٢].

فما قولكم في هذا الكلام من هذا العالم الكبير؟ وهل توافق على هذا القول، وما يترتَّب عليه من وصف ربِّنا العليم الحكيم البرِّ الرحيم ذي

---

(١) منها ما رواه أنس، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «لا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا». رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤٨).

(٢) هذه الفقرات منقولة من قواعد الأحكام (٧٤/٢، ٧٥)، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجلال والإكرام، الَّذي لا يخاف أحد عنده ظلمًا ولا هضمًا بأنَّه يعذِّب أناسًا بالنَّار وهم لم يعصوه، أو يخالفوه، أو يقترفوا في حقِّه تعالى ذنبًا؟!

أرجو أن أقرأ جوابكم بما يشفي الصدر في هذه القضية، الَّتي تتعلَّق بصفات ربنا تبارك وتعالى، المتصف عندنا بكل كمال، المنزه عن كلِّ نقص.

نفع الله بكم وأمدَّكم برُوح من عنده.

(س. ع. ك)

طالب ماليزي بالدراسات العليا بالأزهر

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فأنا من أشدِّ المعجبين بالإمام الأصوليِّ الفقيه الكبير المجتهد عزِّ الدين ابن عبد السلام، الملقَّب بسلطان العلماء، سواء من ناحية سعة علمه وعمق فكره، وغوصه على مقاصد الشَّرع، ومصالح الخلق، وهو ما تمثل في كتابه العميق القيم (القواعد الكبرى) أو (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، أم بسلوكه ومواقفه العمليَّة من سلاطين زمانه من المماليك، حتَّى إنَّه أصر على بيعهم، وإدخال ثمنهم في بيت المال، حتَّى لقبه من لقبه باسم (بائع الملوك)!.

ومع هذا أخالفه في نظرته في هذه القضية؛ إذ لا عصمة لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ: المؤيَّد بالوحي، وكل عالم يُؤخذ من كلامه ويُترك، فقد غلبت على الإمام هنا عقيدته الأشعرية الَّتي لم يستطع أن يتحرر منها

QaradawiBooks.com

تمامًا، كما تحرر كثيرًا من مذهبيَّته الفقهيَّة، فهو في الفروع إمام مستقل بلغ درجة الاجتهاد المطلق، وإن انتسب إلى مذهب الشافعي، أمَّا في أصول الدين؛ فهو ملتزم إلى حدٍّ كبير بالأصول الأشعرية.

والأشعرية في هذه القضية ـ قضية مراعاة الله ﷻ للحكمة ومقتضى العدل، واللجوء إلى التعليل لأفعاله سبحانه في هذا العالم، بما فيه خير العباد ومصلحتهم ـ يُعتبرون من أضعف المدارس الإسلاميَّة، بحيث يكادون يقتربون من المدرسة الجبريَّة.

الأشعرية يُجَوِّزون على الله تعالى: أن يُعذِّب المطيع، ويثيب العاصي؛ لأنَّه خالق الخلق، ومالك الملك، فهو يتصرَّف في ملكه كما يشاء.

وقد ردُّوا على المعتزلة الَّذين قالوا: يجب على الله فعل الصلاح والأصلح لعباده ـ لأنَّ هذا هو مقتضى الحكمة والجود والرحمة ـ بما يشاهد في الكون من وقوع الآلام للأطفال والمجانين والبهائم، فهم يتعذَّبون، ولا ذنب عليهم؛ لأنَّها مخلوقات غير مكلَّفة.

وفي «متن الجوهرة» وهي المنظومة الَّتي كانت مقرَّرة علينا في «المرحلة الثانوية الأزهرية» حفظنا:

ألم يَرَوْا إيلامَه الأطفالَا ومثلها، فحاذرِ الْمُحالَا[1]

ولقد اعتمد الإمام عزُّ الدين ابن عبد السلام في التدليل على دعواه، على مثال إيلام الأطفال والمجانين، وما يلقونه من الأمراض والأوجاع دون ذنب منهم.

(١) انظر: الشرح الجديد لجوهرة التوحيد لمحمد أحمد العدوي صـ ٨٣، نشر شركة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٩٤٧م.

QaradawiBooks.com

والذي أراه هنا ما ذكره الإمام المحقِّق ابـــن القيِّم في كتابه: «مفتاح دار السعادة» بأنَّ هذه الآلام وتوابعها وأسبابها من لوازم النشأة الإنسانية الَّتي لـــم يخلق «الإنســـان» منفكًّا عنهـــا، فهي كالحرِّ والبـــرد، والجوع والعطش، والتعب والنصب، والهـــم والغم، والعجز والضعف؛ فإن هذه الآلام هي من لوازم النشأة الإنســـانية، الَّتي لا ينفكُّ عنها الإنسان، فلو تجرد عنها لم يكن إنسانًا، بل مَلَكًا أو خلقًا آخر.

قال: وليست آلام الأطفال بأصعب من آلام البالغين بيقين، لكن لمَّا صار لهم عادة سهل موقُعها عندهم، وكم بين ما يقاسيه الطفل وما يعانيه البالغ العاقل، وكلُّ ذلك من مقتضى الإنسانية وموجب الخِلقة[1] اهـ.

وما ذكره العلامة ابن عبد الســـلام من الحديث الصحيح الَّذي فيه أنَّ الله يخلق للنار أقوامًا يملؤها بهم، ومقتضاه أنَّه يعذِّبهم بلا ذنوب اقترفوها، يقصد بهذا الحديث الَّذي أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه، عن أبي هُرَيْـــرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**اختصمت الجنَّـــة والنَّار إلى ربِّهما**». وفيه: «**وإنَّه ينشئ للنَّار من يشاء، فيُلقون فيها، فتقول: هل من مزيد؟**»[2].

فقد اختلف المحدِّثون والشُّـــراح في هذا الحديث وما أثاره من إشـــكال! وكيف يخلق الله أناسًـــا لمجرَّد أن يعذِّبهـــم، وهو الحَكَم العدل، وهو أرحم الراحمين؟! وقـــد أعلن القرآن في مواضع كثيرة: أنَّ أهل النَّـــار إنَّما عُوقبـــوا بما كســـبت أيديهـــم، ولا يظلم ربُّك أحدًا. قال تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٨]،

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (٢٧٤/١، ٢٧٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣١.

QaradawiBooks.com

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩]، ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٥٢]، ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]، ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٥]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» عند شرحه للحديث بهذه الزيادة: «**وإنَّه ينشئ للنَّار من يشاء**». عن المهلَّب قال: في هذه الزيادة حجَّة لأهل السُّنَّة في قولهم: إنَّ لله أن يعذب من لم يكلِّفه لعبادته في الدنيا؛ لأنَّ كلَّ شيء ملكه، فلو عذبهم لكان غير ظالم[١]! انتهى.

قال الحافظ: وأهل السُّنَّة إنَّما تمسَّكوا في ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠] وغير ذلك.

قال: وهو عندهم من جهة الجواز (أيْ العقلي) أمَّا الوقوع، ففيه نظر، وليس في الحديث حجَّة، للاختلاف في لفظه، ولقبوله التأويل، وقد قال جماعة من الأئمَّة: إنَّ هذا الموضع مقلوب.

وجزم ابن القيِّم بأنَّه غلط، واحتجَّ بأنَّ الله تعالى أخبر بأن جهنَّم تمتلئ من إبليس وأتباعه.

وكذا أنكر الرواية شيخنا البُلْقَيني واحتجَّ بقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. ثمَّ قال: وحمله على أحجار تلقى في النَّار أقرب من حمله على ذي رُوح يعذَّب بغير ذنب[٢] انتهى.

---

(١) فتح الباري (٤٣٧/١٣)، كتاب التوحيد شرح حديث (٧٤٤٩).

(٢) انظر: المرجع السابق (٤٣٧/١٣).

QaradawiBooks.com

قال الحافظ: ويمكن التزام أن يكونوا من ذوي الأرواح ولا يُعذَّبون، كما في الخزنة[١] (يعني خزنة النَّار كمالك وغيره).

قال: ويحتمل أن يُراد بالإنشاء: ابتداء إدخال الكفَّار النَّار، وعبر عن ابتداء الإدخال بالإنشاء فهو إنشاء الإدخال، لا الإنشاء بمعنى ابتداء الخلق[٢] اهـ.

وما ذكره الحافظ عن ابن القيِّم، يعني: ما ذكره في كتابه: «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» بأنَّ ما وقع في هذا الحديث من صحيح البخاري غلط من بعض الرواة، انقلب عليهم لفظه، والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده، فإنَّ الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه، فإنه لا يعذب إلَّا من قامت عليه حجته وكذَّب رسله[٣].

يُشير ابن القيِّم إلى قوله تعالى ردًّا على إبليس: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤، ٨٥]. وفي موضع آخر: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

وما أخبر به الله تعالى في كتابه لا بدَّ أن يتحقَّق؛ لأنَّه سبحانه يستحيل عليه الكذب؛ لأنَّه نقص لا يليق بكماله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

فكيف إذا كان هذا الإخبار بصيغة القسم، كما تدل عليه اللام والنون المؤكدة ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: فتح الباري (٤٣٧/١٣).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم صـ ٣٩٤، نشر مطبعة المدني، القاهرة.

QaradawiBooks.com

الحساب للنَّاسِ جميعًا

س: هناك سؤال يدور في ذهني: هل يجوز لنا نحن البشر التفكير في كلِّ ما يعِنُّ لنا، أو فيما يمسُّ ديننا ممَّا هو دون الذات الإلهية؟ فإذا كان الجواب بنعم، فهناك سؤال آخر، وهو هل يجوز لنا أن نفكِّر في كيف يسأل الشخص الَّذي يموت ويحرق وينثر رماده في البر والبحر، كيف يكون سؤال القبر وهو ليس له قبر؟ وهل مثل هذا السؤال لا يجوز؛ لأنَّه يؤدي بصاحبه إلى الشرك أو الشك؟ وهل المسلمون فقط هم الَّذين يُحاسَبون في الآخرة، وأمَّا الكافرون فلا يُحاسَبون وسوف يدخلون النَّار بلا حساب؟ وفي الختام، أستغفر الله من كلمة أقولها وربَّما تهوي بي في قعر جهنَّمَ.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أولًا: أجيب عن الجزء الأخير من هذه التساؤلات فأقول: لا، ليس المسلمون وحدهم هم الَّذي يُحاسبون ويُسألون، السؤال والحساب للنَّاسِ جميعًا، الله تعالى يقول وهو يتحدَّث عن المشركين: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، وقال الله تعالى:

غير مرخصة للطباعة

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]. وهذا خطاب للجميع، ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦].

ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحساب، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦]. وهو اليوم الَّذي تُحاسب فيه كلُّ نفس بما كسبت، وتُجازى فيه بما عملت، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «**لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة، حتَّى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»[1].

فالحساب والسؤال يكون يوم القيامة، ويكون للجميع، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، حتَّى الرسل يُسألون، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩]. الله تعالى سيسأل الرسل، وسيسأل الأمم الَّتي أرسل إليهم الرسل، حتَّى سيدنا عيسى يُسأل يوم القيامة، الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٨].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٠.

QaradawiBooks.com

فالسؤال يكون للنَّاسِ عامة، إلَّا طائفة من المسلمين، سيدخلون الجنَّة بغير حساب، وهم السبعون ألفًا الَّذين ذكرهم النَّبيُّ ﷺ في حديث ابن عبَّاس المتَّفَق عليه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضت عليَّ الأممُ، فجعل النَّبيُّ والنبيَّان يمرُّون معهم الرهط، والنبيُّ ليس معه أحد، حتَّى رُفع لي سَوَادٌ عظيم، قلتُ: ما هذا؟ أُمَّتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سوادٌ يملأ الأفق، ثمَّ قيل لي: انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء! فإذا سوادٌ قد ملأ الأفق، قيل: هذه أُمَّتك، ويدخل الجنَّة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب**». ثمَّ دخل ولم يبيِّن لهم، فأفاض القوم، وقالوا: نحن الَّذين آمنا بالله واتَّبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الَّذين وُلِدوا في الإسلام، فإنَّا وُلِدْنا في الجاهليَّة، فبلغ النَّبيَّ ﷺ فخرج، فقال: «**هم الَّذين لا يَسْتَرْقُون، ولا يتطيَّرون، ولا يكتوُون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون**». فقال عكَّاشة بن مِحْصَن: أمِنْهم أنا يا رسولَ الله؟ قال: «**نعم**». فقام آخر فقال: أمِنْهم أنا؟ قال: «**سبقك بها عُكَّاشة**»[1].

الكفَّار سيدخلون النَّار فلِمَ يحاسبون؟

قد يقال: الكفَّار سيدخلون النَّار، فلِمَ يُحاسبون؟ أقول: النَّار دَرَكات، فهناك الدَّرْك الأسفل الَّذي فيه المنافقون، كما قال القرآن: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]. وهناك الَّذين كفروا فقط، كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]. وهناك الَّذين كفروا

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٠٥)، ومسلم في الإيمان (٢١٨)، عن عمران بن حصين.

QaradawiBooks.com

وظلموا، والذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ۞ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٧ ـ ١٦٩].

هل يستوي كفر فرعون وآل فرعون بكفر الَّذين استخفَّهم فرعون فأطاعوه؟ لا يستوون، يقول تعالى عن آل فرعون: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. كيف يُدخلهم أشدَّ العذاب؟ بعد أن يحاسبهم ويقرِّرهم بذنوبهم، فتنشر يومئذٍ الدواوين، وتُنصب الموازين، كلٌّ منهم يعرف ما له وما عليه، وكلٌّ في كتابٍ مبين، الله تعالى يقول: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤]. كلُّ النَّاس يُحاسَبُون ويُسْألون، وليس المسلمون وحدَهم هم الَّذين يُسألون.

﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. النَّاس كلُّهم سيُحاسَبون، إلَّا من استثناهم الحديث، وهم قلَّة.

الكفَّار يُحاسبون لأجل أنْ تقوم عليهم الحجة، وقد ورد في بعض الآثار أنَّ العبد يقول يوم القيامة: «**أيْ ربّ، أليس وعدتني ألَّا تظلمَني؟ قال: بلى. قال: فإنِّي لا أقبل عليَّ شاهدًا إلَّا من نفسي**». قال: «**فيقول تبارك وتعالى: أوَليس كفى بي شهيدًا وبالملائكة الكرام الكاتبين شهودًا؟**» قال: «**فيردِّد هذا الكلام مرارًا**». قال: «**فيُختم على فيه، وتتكلَّمُ أركانه بما كان يعمل، فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسُحقًا، عنكنَّ كنتُ أجادل.**

QaradawiBooks.com

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]»[(١)].

كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. وكما قال تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢٣].

هذا يكون عند الحساب والسؤال، فالجوارح تشهد، والشخص يحاول أن يرد عن نفسه ولو بالكذب، فتنطق الأعضاء، حتَّى جلوده تشهد عليه، فالحساب للجميع حتَّى للكفَّار، لتُقام عليهم الحُجَّة، وليعرف مقدارَه من الكُفْر، ومقدار عصيانه، ليتحدَّد بعد ذلك مقدار عذابه، ولذلك يقول الله تعالى عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فهناك عذابٌ شديد، وهناك أشدُّ العذاب.

هدَّد الله سبحانه الَّذين طلبوا من سيدنا عيسى المائدة، فقال تعالى: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]، بعدما طلبتم المائدة وجاءتكم من السماء، تكفرون بعد ذلك!

فأنواع العذاب تتفاوت، كما أنَّ درجات النعيم تتفاوت.

---

(١) رواه البزار (٧٤٧٦)، والحاكم في الأهوال (٦٠١/٤) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، عن أنس.

QaradawiBooks.com

أمور الغيب فوق إدراك العقل:

ولا مانع من النِّقاش، إذا كان المقصود منه الوصول إلى الحقيقة، وليس المقصود التعنُّت أو الإحراج، أو اللَّدَد والمراء، والانتصار للنَّفْس، وإثبات القدرة على الجدال، كما يفعل بعض النَّاس.

وأحبُّ أنْ أنبِّه إلى أنَّ هناك أشياء فوق إدراك العقل البشري، لا يجوز لنا أن نفكِّر فيها أو نتناقش حولها؛ لأنَّها فوق إدراك العقل البشري، كما قال ابن عبَّاس: «**تفكَّرُوا في آلاء الله، ولا تتفكَّروا في الله**»[1]. هذا الإله العظيم، ليس في استطاعة العقل البشرى إدراك كنهه، ولا معرفة حقيقته، كيف وقد عجز عن معرفة كنه ذاته، وعن كنه النفس، وحقيقة الحياة، وكثير من حقائق الكون المادية، من كهربية ومغناطيسية وغيرها؟ وما عرف إلَّا آثارها، فكيف يطمع في معرفة ذات الله العلي الكبير؟ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٢ ـ ١٠٣].

فكما أنَّ لنا مدى معيَّنًا في البصر، وكذا لا يستطيع الإنسان أن يخترق الجدار ليرى ما وراءه، وكذلك السمع يسمع إلى حدودٍ معيَّنة، فالعقل أيضًا له حدود لا ينبغي أن نتجاوزها، لنبحث في أمور الغيبيَّات،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٩)، وقال عقبه: هذا إسناد فيه نظر. عن ابن عمر. ورواه أبو الشيخ في العظمة (٢)، وابن بطة في الإبانة (١٠٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦٦/٦)، عن ابن عباس. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٢٦١/١): أسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح. وحسَّنه الألباني في الصحيحة بمجموع الطرق (١٧٨٨)، وفي صحيح الجامع الصغير (٢٩٧٥، ٢٩٧٦) ومعنى الحديث صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

الَّتي لا يجدي البحث فيها. فلنوفِّر الطاقــة العقلية للبحث فيما يجدي، هذا هو الأولى بنا في هذه القضايا، وقد عاقب عمر رجلًا جعل كلَّ همِّه أن يســأل عن المتشــابهات، الَّتي لا يتعلق بها حكم عملــي، وقد يثير الجري وراءها مراء وجــدالًا، لا طائل تحته، إلَّا إضاعة الأوقات، وبلبلة الأفكار، وإيغار الصدور.

السؤال لمعرفة أمر دينه:

أمَّا إن كانت النيَّة من السؤال أن يعرف المسلمُ أمرَ دِينه، ويصل إلى الاطمئنان في القلب، فلا حرج في ذلك، كما سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما قصَّ ذلك علينا القرآن الكريم، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]. قال: أنا مؤمن، ولكن أريد أن أنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، أريد أن أرى الأشياء الَّتي أنا موقن بها أراها عيانًا، فأنتقــل من درجة إلى درجة أعلى، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقــرة: ٢٦٠]. فهناك أشــياء يجب أن يعرف الإنسان فيها الحقَّ من الباطل، فلا حرج في ذلك.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تفاؤل المؤمن برحمة الله

س: المطلوب من المسلم أن يتفاءل بالخير، ويرجو رحمة الله دائمًا، وهذا هو شأن الإنسان المسلم، يتفاءل بدخول الجنَّة وليس بدخول النَّار، فمتى نتفاءل برحمة الله؟

ابنتكم

ضحى السليطي

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

صحيح أنَّ المسلم مطالب بالتفاؤل دائمًا، يرجو رحمة الله، ويُحسن الظنَّ بالله ﷻ، ولكن بحيث لا يغلب عليه الرجاء حتَّى يصل إلى درجة الأمن من مكر الله، فالله تعالى يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فلا بدَّ مع الرجاء من خوف، كما يذكر أنَّ الله غفور رحيم، يذكر أنَّ عذابه هو العذاب أليم، كما قال الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال:

QaradawiBooks.com

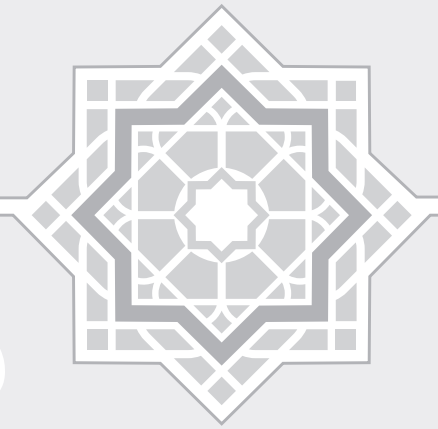
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]. فلا بدَّ أن يوازن المسلم بين الرجاء والخوف، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣].

فالمطلوب من المسلم دائمًا أن يوازن بين الرجاء والخوف، لا يغلب عليه الرجاء حتَّى يأمن مكر الله، ولا يغلب عليه الخوف حتَّى ييئس من رَوْح الله، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾، رغم أنَّهم أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي، لكن الله تعالى لم يحرمهم شرف النسبة إليه، وقال: يا عبادي.

هذا كله يجعلنا نقف في المنزلة الوسط، لا يغلب علينا الخوف، ولا يغلب علينا الرجاء، نجمع بين الخوف والرجاء، كما قال الله في مدح قوم: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]. ويقول ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. يخاف من الآخرة، ويرجو رحمة ربه، هكذا يجب أن يكون المسلم بين الحذر والتفاؤل، وبين الخوف والرجاء دائمًا.

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



النبوَّات



غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإسلام قبل بعثة محمَّد ﷺ

س: هل كان هناك إسلام قبل بعثة محمَّد ﷺ؟

وما معنى الآية الكريمة: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]. وهل ذلك الإسلام هو مثل إسلامنا الحالي، أم يختلف عنه؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الإسلام هو أن تُسلم وجهك وقلبك لله ﷻ، أي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين.

وهذا المعنى قد بعث الله به الأنبياء جميعًا، وأنزل به الكتب كافة، الإسلام بهذا المعنى توحيد الله سبحانه، وإفراده جل شأنه بالعبادة، فهو دين الأنبياء جميعًا، لا دين غيره، وكل ما عداه من أديان، فهو ليس من السماء، ولم ينزل الله به كتابًا، ولا بعث به نبيًّا، أو أرسل رسولًا.

QaradawiBooks.com

دين الأنبياء هو الإسلام بهذا المعنى ولهذا يقول الله تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فكلُّ الأنبياء جاؤوا بأصل هذه الدعوة: عبادة الله، واجتناب الطاغوت.

ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

فلا دين عند الله غيره.

ويقول: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] ومن هنا نجد نوحًا عليه السلام شيخ المرسلين يقول لقومه: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وإبراهيم يقول: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١، ١٣٢].

وموسى يقوله لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

والحواريون أصحاب عيسى يقولون: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وسحرة فرعون حين آمنوا قالوا: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وسليمان حيث بعث لبلقيس قال لها بعد البسملة: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

QaradawiBooks.com

فالإسلام دين الأنبياء جميعًا، فكلُّهم دعوا إلى الإسلام، واعترفوا بالإسلام. والإسلام الَّذي بعث الله به محمدًا ﷺ هو خاتمة هذه الأديان. جاء ليكملها ويتممها، ويصحح ما حدث فيها من انحراف أو زيادات أو شوائب. يخلصها ويكملها كما قال عليه الصَّلاة والسلام: «**إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق**»[1]. فهو بُعث متمِّمًا ومصدِّقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها جميعًا ومصححًا لها.

فهذا هو دين الأنبياء جميعًا. ومن العجب أن يُقال عن إبراهيم عليه السلام إنه يهودي أو نصراني: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ [آل عمران: ٦٧].

إنَّه صاحب الملَّة الحنيفيَّة السمْحة. وإبراهيم عليه السلام هو الَّذي سمَّانا مسلمين. فلهذا لا ينسب لأية ديانة ذات عنوان خاص؛ ذلك لأن الله عز وجل ما شاء أن يطلق على هذا الدين إلَّا الإسلام، هذا الاسم للدين السماوي الأصلي، الَّذي أنزله الله لهداية عباده، وأرسل به رسله.

ولم يسمه الله ولا المسلمون باسم «المحمدية» مثلًا كما هو شأن «المسيحية» المنسوبة إلى المسيح عليه السلام، فهو الدين الإسلامي العام الَّذي اشترك فيه الأنبياء جميعًا: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ**﴾ [الشورى: ١٣].

---

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فالإسلام إذن هو مجموع العقائد وأمهات الأخلاق والفضائل الَّتي جاء بها الأنبياء جميعًا، وأصول المحرمات الَّتي نهى عنها الأنبياء جميعًا.

ثم هناك أشياء اختلفت فيها الديانات، وهي التشريعات الفرعية التفصيلية الَّتي تعالج حياة النَّاس. فهذه اختلفت باختلاف الأعصار والأزمان والبيئات والأجيال، كما قال الله تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ولهذا كان في بعض الشرائع أشياءُ محرَّمة تُحِلُّها شرائع أخرى، كما جاء مثل ذلك عن المسيح عليه السلام. حيث يقول القرآن عن المسيح: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠] وجاءت شريعة الإسلام هي الناسخة للشرائع جميعًا، وأبقت منها ما يصلح، وأزالت ما حرف وأتمَّت ما نقص، وشرعت الشريعة العامَّة الخالدة، الصالحة المُصلحة لكلِّ زمانٍ ومكان.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

كفر من طعن في نسب إسحاق عليه السلام

س: نشرت جريدة الوطن القطريَّة في عددها الصادر ١٨ مايو ٢٠٠٨م قصيدة بعنوان: بين إسماعيل وإسحاق. تطاول فيها كاتبها على نبيِّ الله الكريم إسحاق، وأمِّه السيدة سارة، وطعن في نسب إسحاق، ونسبه إلى الجبَّار الَّذي أراد أن يغلب إبراهيم على سارة، وأجرى هذا الكلام على لسان نبيّ الله إسماعيل، معتبرًا ذلك نوعًا من الطعن في اليهود.

وقد بدا لي أن أرفع الأمر لفضيلتكم، لبيان قول الحق في ذلك، جعلكم الله ذخرًا للإسلام والمسلمين، وأمدَّ اللهُ في عمركم على طاعته.

ابنكم

محمد بن سالم الداعية

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ الله سبحانه وتعالى اختار أنبياءه ورسله من صفوته من خلقه، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]،

QaradawiBooks.com

فهو أعلم حيث يضع رسالته، ومَن يصلح لها من عباده، ومَن هو مأمون عليها. وقد أوجب لهم ـ إجمالًا ـ كلَّ كمال بشري.

والمسلم مأمور أن يؤمن برسل الله جميعًا، كما هو مأمور بالإيمان بسيدنا محمَّد، يقول تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ويقول ﷻ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ويقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

وحذَّر الله تعالى من الكفر بالأنبياء أو بأحدهم، وعدَّ ذلك من الضلال والكفر المبين: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وحذَّر تعالى من معاداة الرسل، وبيَّن مصير المستهزئين بالأنبياء فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقال عن المستهزئين بالرسل: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١].

﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦ ـ ٨].

ومن هنا فمثل هذا الكلام الَّذي ذكره الشاعر خطأ، بل خطيئة في حقِّ ثلاثة من رسل الله تعالى: خليل الرحمن إبراهيم، وابنيه الذبيح إسماعيل، وإسحاق عليهم صلوات الله وسلامه.

QaradawiBooks.com

وإذا كان الله تعالى قد رهَّب من رمي المؤمنات بالفاحشة زُورًا وبهتانًا، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٥]، فكيف باتِّهام زوج نبيِّ الله إبراهيم وأمِّ نبيِّ الله إسحاق، السيدة سارة رضي الله عنها؟، وقد ذكرها الله بالثناء في كتابه في سورة هود.

فقد نفى الشاعر نسب إسحاق عليه السلام إلى أبيه إبراهيم، وزعم أنَّ أباه هو الجبَّار الَّذي دخل عليه إبراهيم، وأراد أن يغلبه على زوجته سارة، وهو ما نفاه الحديث الصحيح الَّذي رواه البخاري، ونجَّى الله سارة بمعجزة لإبراهيم، وكرامة لسارة[1].

وهذا الَّذي زعمه الشاعر لم يقل به أحد من العالمين قبله، وهو كفر بأنبياء الله تعالى، وطعن في أنسابهم، وهو يخالف صريح آيات كثيرة من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦].

وفي سورة هود: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۞ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٥٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣٧١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

عَجِيبٌ ۞ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۞ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧١ ـ ٧٤]، وقد ذكرت هذه الآيات قصة ولادة إسحاق عليه السلام بالتفصيل، وعدَّت ذلك من المعجزات.

وفي سورة مريم: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩].

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ۞ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١ ـ ٧٣].

وفي سورة العنكبوت: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وفي سورة الصافات: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ١١٢، ١١٣].

وفي سورة ص: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۞ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۞ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥ ـ ٤٨].

والذي يظهر لي: أنَّ الشاعر أراد أن يخاطب اليهود بالذمِّ، فخاطبهم في شخص نبيِّ الله إسحاق، فوقع ـ من حيث يدري أو لا يدري ـ في الطعن في إبراهيم وإسماعيل وإسحاق جميعًا. وإذا كان اليهود يزعمون

QaradawiBooks.com

أنَّهم أبناء إسحاق ويعقوب، وأتباع موسى عليهم السلام، فلا يدفعنا الطعن في اليهود، إلى الطعن في أنبيائهم، فقد قال الرسول الكريم مخاطبًا اليهود في المدينة: «**نحن أولى بموسى منكم**»(١).

والذي أراه: أن تُطلب التوبة والرجوع والاعتذار من هذا الشاعر الَّذي كتب ما كتب، وأن يعرَّف بخطيئته الَّتي وقع فيها، فإن فعل فبها ونعمت، ويعزَّر مع ذلك ويؤدَّب لخطئه الفاحش.

وإن أبى التوبة فقد صدق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

على أنَّ الاعتذار لا يجب على الشاعر وحده، وإنَّما يجب على الجريدة الَّتي نشرت ما نشرت من غير مراجعةٍ أو تعقيبٍ حتَّى الآن.

والله من رواء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠)، كلاهما في الصوم، عن ابن عباس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة رقمية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

أوهام النَّاس حول الخَضِر عليه السلام

س: من هو الخَضِر؟ وهل هو نبيٌّ أو وليٌّ؟ وهل هو حيٌّ إلى اليوم كما يقول كثير من النَّاس، وأنَّ بعض الصالحين قد رآه أو اجتمع به؟ وإذا كان حيًّا فأين يقيم؟ ولماذا لا يظهر ويفيد النَّاس بعلمه وخاصة في هذا الزمان؟ أرجو البيان الشافي.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الخضر، هو العبد الصالح الَّذي ذكره الله تعالى في سورة الكهف؛ حيث رافقه سيدنا موسى عليه السلام وتعلم منه.

اشترط عليه أن يصبر، فأجابه إلى ذلك، فقال له: وكيف تصبر على ما لم تُحط به خبرًا، وظل معه، وهو عبد آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمًا، ومشى معه في الطريق، ورآه قد خرق السفينة فقال: أخرقتها لتغرق أهلها؟ إلى آخر ما ذكره الله عنه في سورة الكهف[1].

(١) والقصة كاملة في سورة الكهف الآيات (٦٠ ـ ٨٢).

QaradawiBooks.com

وكان موسى يتعجَّب من فعله، حتَّى فسَّر له أسباب هذه الأمور وقال له في آخر الكلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] يعني ما فعلت ذلك عن أمري، وإنَّما عن أمر الله تعالى.

بعض النَّاس يقولون عن الخضر: إنَّه عاش بعد موسى إلى زمن عيسى، ثمَّ زمن محمَّد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وإنَّه حَيٌّ الآن، وسيعيش إلى يوم القيامة. وتنسج حوله القصص والروايات والأساطير، بأنَّه قابل فلانًا، وألبس فلانًا خِرقة، وأعطى فلانًا عهدًا. إلى آخر ما يقصون وينسجون من أقاويل، ما أنزل الله بها من سلطان.

ليس هناك دليل قطُّ على أنَّ الخضر حيٌّ أو موجود ـ كما يزعم الزاعمون ـ بل على العكس، هناك أدلة من القرآن والسُّنَّة، والمعقول وإجماع المحقِّقين من الأُمَّة، على أنَّ الخضر ليس حيًّا.

وأكتفي بأنْ أنقل فقرات من كتاب «المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف» للمحقِّق ابن القيِّم[1].

يذكر في هذا الكتاب رَحِمَهُ اللَّهُ ضوابط للحديث الموضوع الَّذي لا يُقبل في الدين، ومنها: «الأحاديث الَّتي يُذكر فيها الخَضِر وحياته، وكلُّها كذب، ولا يصحُّ في حياته حديث واحد. فحديث أنَّ رسول الله ﷺ كان في المسجد، فسمع كلامًا من ورائه، فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر. وحديث: «**يلتقي الخضر وإلياس كلَّ عام**»، وحديث: «**يجتمع بعرفة جبريل وميكائيل والخَضِر**».

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم صـ ٦٧ وما بعدها، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتبة المطبوعات، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وسئل إبراهيمُ الحربيُّ عن تعمير الخَضِر وأنَّه باقٍ، فقل: ما ألقى هذا بين النَّاس إلَّا شيطان. وسُئل الإمام البخاري عن الخضر وإلياس هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا؟ وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يبقى على رأس مائة سنة ممَّن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**»(١). وسُئل عن ذلك كثير غيرهما من الأئمَّة فقالوا مستدلِّين بالقرآن: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وسُئل عنه شيخ السلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: «لو كان الخضر حيًّا لوجب عليه أن يأتي النَّبيّ ﷺ، ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه، وقد قال النَّبيُّ ﷺ يوم بدر: «**اللهمَّ إن تَهْلِك هذه العصابة لا تُعبدُ في الأرض**»(٢). وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخَضِر حينئذ؟

فالقرآن والسُّنَّة وكلام المحقِّقين من علماء الأُمَّة ينفي حياة الخضر كما يقولون.

القرآن يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

فالخضر إن كان بشرًا فلن يكون خالدًا، حيث ينفي ذلك القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة؛ فإنَّه لو كان موجودًا لجاء إلى النَّبيّ ﷺ، فقد قال عليه الصَّلاة والسلام: «**والله لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلَّا أن يتَّبعَني**»(٣).

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١١٦)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٧)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٣)، وأحمد (٢٠٨)، عن عمر.

(٣) رواه أحمد (١٥١٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في المقدمة (٤٤٩)، وأبو يعلى (٢١٣٥)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٣٤/١٣): رجاله موثقون إلا أن في مجالد ضَعْفًا. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

فإن كان الخَضِر نبيًّا، فليس هو بأفضل من موسى، وإن كان وليًّا فليس أفضل من أبي بكر.

وما الحكمة في أن يبقى طوال هذه المدة ـ كما يزعم الزاعمون ـ في الفلوات والقِفار والجبال؟ ما الفائدة من هذا؟ ليس هناك فائدة شرعيَّة ولا عقليَّة من وراء هذا. إنَّما يميل النَّاس دائمًا إلى الغرائب والعجائب، والقصص والأساطير، ويصورونها تصويرًا من عند أنفسهم ومن صنع خيالهم، ثمَّ يضفون عليها ثوبًا دينيًّا، ويروج هذا بين بعض السُّذج، ويزعمون هذا من دينهم، ولكن ليس هذا من الدين في شيء. والحكايات الَّتي تُحكى عن الخضر إنَّما هي مخترعات ما أنزل الله بها من سلطان.

أمَّا السؤال حول: هل هو نبيٌّ أو ولي؟ فالعلماء قد اختلفوا في ذلك، ولعل الأظهر أنَّه نبي، كما يبدو من الآية الكريمة الَّتي تلوناها من سورة الكهف: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فهي دليلٌ على أنَّه فعل ذلك عن أمر الله، ومن وحيه، لا من عند نفسه. فالأرجح أنَّه نبيٌّ وليس مجرَّد وليٍّ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

لُثغة سيدنا موسى عليه السلام

س: رسالتي إلى حضرتكم من أجل أخذ رأيكم في موضوع أو رواية تُروَى عن سيدنا موسى عليه السلام، ذلك أنَّه قيل: إنَّ موسى عليه السلام أُصيب في صِغره بلُثْغة في لسانه من جرَّاءِ جمرةٍ ملتهبة وضعها على لسانه. فقد أراد فرعون اختبار عقل موسى؛ حين أخذ بلحيته وهو صغير، وهَمَّ بقتله، وخافت عليه آسية امرأة فرعون وقالت: إنَّه طفل لا يعي، فاختبرْه بوضع تمرة وجمرة بين يديه. ففعل، فهم الطفل بأخذ التمرة، ولكن الله صرفه لأخذ الجمرة. فأصابته لُثغة بسببها.

في حقيقة الأمر لم أستطعْ تصوُّر الكيفيَّة الَّتي تمَّت بها الحادثة. ولكن بحسَب رأيكم: أيمكننا أن نقول عن هذه الرواية صحيحة؟ أو ما هو مصدرها؟

ذلك أنَّ تصوُّري قد قادني إلى أنَّ يد موسى قد تحترق قبل أن يحترق لسانه ويُصاب بلُثغة فيه، وهذا هو التصور المنطقي حسب رأيي.

فأرجو أن توضِّحوا لنا إن كانت هذه الحادثة روايتها صحيحة، فما هو تمامها وما تفسيرها؟.

وإن كانت غير ذلك، فلِمَ يستند إلى روايتها بعض الكتَّاب وبعض الوعَّاظ، دون الإشارة إلى توضيح أكثر عن روايتها وصحَّتها؟!.

QaradawiBooks.com

نرجو أن يكون ظنُّكم فينا حسنًا، ووفَّقكم الله لما فيه خير هذه الأُمَّة وصلاحها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذه القصَّة الَّتي سأل عنها الأخ الكريم، وهي أنَّ فرعون وضع أمام موسى في طفولته تمرة وجمرة، فألهمه الله أن يأخذ الجمرة، ووضعها على لسانه، فأصيب لسانه بما سبب له لُثغة، وهي الَّتي جعلته يسأل الله أن يرسل معه أخاه هارون؛ لأنَّه أفصح منه لسانًا، وهي الَّتي جعلت فرعون يقول عن موسى: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

وجعلت موسى يدعو ربه فيقول في دعائه: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٧، ٢٨].

هذه القصَّة مذكورة للأسف في بعض كتب التفسير، وهي ممَّا يعده المسلمون من باب «الإسرائيليَّات» الَّتي دخلت في قصص الأنبياء في القرآن، وشاعت بين عوامِّ المسلمين، لما فيها من غرائب.

وكثير من هذه الإسرائيليَّات لا يُوجد له أصل، حتَّى في كتب أهل الكتاب المعروفة، فيبدو أنَّها من خرافات العوامِّ الَّتي شاعت بينهم، وتناقلوها شفاهًا، فلما أسلم منهم من أسلم، نقلوها إلى المسلمين،

QaradawiBooks.com

فتقبَّلها الأكثرون، بناء على أنَّها مجـرَّد حكايات لا تدخل في الأحكام، ولا يترتَّب عليها حلال ولا حرام.

ولا يسـتبعد أن تكون من تخيُّلات أو اختراعات بعض المسلمين، والواقع أنَّ هذه القصَّة وأمثالهـا ليس لها أي قيمة دينيَّة ولا علميَّة عندنا نحن المسـلمين. فقصص من قبلنا من الأنبياء وأتباعهـم هي من أنباء الغيب الَّتي لا نعلمها، ولا نعلم حقيقتهـا، إلَّا بوحي من الله تعالى في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

وليس عندنا عن هذه القصَّة كتابٌ ولا سُنَّة.

وهي منافية للتصوُّر المنطقيِّ السـليم، لما ذكر الأخ في رسالته؛ إذ كيف يحمل الطفل الجمرة إلى فمه ولم تصب يده؟ وإنَّ من المشاهد أنَّ الطفل إذا لسع لسعة خفيفة من مصباح أو نحوه قرَّب يده منه، يبتعد كليًّا عن النَّار ومصدرها.

وكيف تصل الجمرة إلى اللسان ولا تصاب الشفتان مثل اللِّسان؟

إنَّها قصة ظاهرة الانتحـال والصنعة، ولا حرج علينا أن نرفضها، بل هو الواجب علينا باسم العلم، وباسم الدين.

ونأسـف لوجودها في بعض كتبنا، شأنها شأن الكثير من الحكايات والأساطير الَّتي سُمِّيت «الإسـرائيليَّات» وقد حُشيت بها بطون الكتب، وهي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من الشَّرع برهان.

وبالله تعالى التوفيق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المعجزات النبويَّة بين الغلاة والمقصِّرين

س: كنَّا في مجلسٍ نتحدَّث عن النَّبيِّ ﷺ وعن معجزاته، بمناسبة مولده عليه الصَّلاة والسلام، وما حَدَث قبيل المولد وعنده من آيات كونيَّة، تحكيها كتب قصة «المولد» الَّتي تقرأ عادة في كثير من البلاد، كلما أهل شهر ربيع الأول.

ولكن أحد الحاضرين أنكر وقوع هذه الخوارق، وأنكر أيضًا كلَّ ما يُذكر على الألسنة، أو في بعض الكتب، من المعجزات الحسيَّة المادية للنبي ﷺ، مثل: بيض الحمام على فم الغار في الهجرة، ونسج العنكبوت، ومثل تكليم الغزالة له[1]، وحنين الجذع إليه، وغير ذلك ممَّا اشتهر بين جماهير المسلمين، وتناقلوه.

وكانت حُجَّة هذا الأخ أنَّ للنبيِّ ﷺ معجزةً واحدة تحدَّى بها، هي القرآن الكريم، وهي معجزة عقليَّة متميِّزة عن معجزات الرسل السابقين.

نرجو بيان رأيكم في هذا الأمر، مؤيدًا بالأدلة، ليَهْلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة.

ودمتم للإسلام والمسلمين.

---

(١) قال الإمام ابن حجر العسقلاني: وأما تسليم الغزالة فلم نجد له إسنادًا لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف. فتح الباري (٥٩٢/٦).

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذا الكلام الَّذي يحكيه الأخ السائل عن أحد الحاضرين في مجلسه، بعضُه حقٌّ، وبعضه باطل، فليس كلُّ ما يشيع بين النَّاس من المعجزات الحسيَّة للنبيِّ ﷺ صحيحًا ثابتًا، وليس كلُّها أيضًا باطلًا. والصحة والبطلان في هذه الأمور، لا يرجع فيها إلى مجرد الرأي أو الهوى والعواطف، وإنَّما يرجع إلى الأسانيد.

والنَّاس في هذه القضية ـ قضية المعجزات المحمديَّة الماديَّة ـ أصناف ثلاثة:

فالصنف الأول: يبالغ في الإثبات، وسنده في ذلك ما حوته الكتب، أيًّا كانت هذه الكتب: سواء كانت للمتقدِّمين أو المتأخِّرين، وسواء كانت تُعنَى بتمحيص الروايات أم لا تُعنى، وسواء وافق ذلك الأصول أم خالفها، وسواء قبله المحقِّقون من العلماء أم رفضوه.

المهمُّ أن يُروى ذلك في كتاب، وإن لم يعرف صاحبه، أو يذكر في قصيدة من قصائد المدائح النبويَّة، أو في قصة «مولد» الَّتي يُتلى بعضها في شهر ربيع الأول من كلِّ عام، أو نحو ذلك.

وهذه عقلية عاميَّة لا تستحق أن تُناقش، فالكتب فيها الغثُّ والسمين، والمقبول والمردود، والصحيح والمختلق الموضوع.

وقد ابتليتْ ثقافتنا الدينيَّة بهؤلاء المؤلفين الَّذين يتتبعون

QaradawiBooks.com

«الغرائب» ويحشون «بها بطون الكتب، وإن خالفت صحيح المنقول، وصريح المعقول.

وبعض المؤلِّفين، لا يُعنَى بصحَّة ما يروي من هذه الأمور، على أساس أنَّها لا يترتب عليها حكم شرعي، من تحليل أو تحريم أو غير ذلك. ولهذا إذا رووا في الحلال والحرام تشدَّدوا في الأسانيد، ونقدوا الرواة، ومحَّصوا المرويات. فأمَّا إذا رووا في الفضائل والترغيب والترهيب. ومثلها المعجزات ونحوها، تساهلوا وتسامحوا.

ومؤلفون آخرون، كانوا يذكرون الروايات بأسانيدها: فلان، عن فلان، عن فلان؛ ولكنهم لا يذكرون قيمة هذه الأسانيد: أهي صحيحة أم غير صحيحة؟ وما قيمة رواتها: أهم ثقات مقبولون أم ضعاف مجروحون، أم كذابون مردودون؟ معتمدين على أنَّهم إذا ذكروا السند فقد أبرؤوا أنفسهم من التبعة، وخلوا من العهدة.

غير أنَّ هذا كان صالحًا وكافيًا بالنسبة للعلماء في العصور الأولى، أمَّا في العصور المتأخرة ـ وفي عصرنا خاصَّة ـ فلم يعد يعني ذكر السند شيئًا. وأصبح النَّاس يعتمدون على النقل من الكتب، دون أي نظر إلى السند.

وهذا هو موقف جمهرة الكتاب والمؤلفين في عصرنا، حين ينقلون من تاريخ الطبري، أو طبقات ابن سعد أو غيرها.

والصنف المقابل: يبالغ في النفي والإنكار للمعجزات والآيات الحسية الكونيَّة. وعمدته في ذلك: أنَّ معجزة محمَّد ﷺ هي القرآن الكريم. وهو الَّذي وقع به التحدي: أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله.

QaradawiBooks.com

ولما طلب المشركون من الرسول بعض الآيات الكونيَّة تصديقًا له، نزلت آيات القرآن تحمل الرفض القاطع لإجابة طلباتهم. كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۞ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۞ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

وفي موضع آخر، ذكر المانع من إرسال الآيات الكونيَّة الَّتي يقترحونها فقال: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ [الإسراء: ٥٩].

وفي سورة أخرى، رد على طلب الآيات بأن القرآن وحده كافٍ كلَّ الكفاية ليكون آية لمحمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقد اقتضت الحكمة الإلهيَّة أن تكون معجزة محمَّد ﷺ معجزة عقلية أدبية، لا حسية مادية، وذلك لتكون أليق بالبشرية بعد أن تجاوزت مراحل طفولتها، ولتكون أليق بطبيعة الرسالة الخاتمة الخالدة. فالمعجزات الحسية تنتهي بمجرد وقوعها. أمَّا العقليَّة فتبقى.

وقد أيَّد ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ما من الأنبياء من نبيٍّ إلَّا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنَّما كان الَّذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[1].

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨١)، ومسلم في الإيمان (١٥٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ويبدو لي أن ممَّا دفع هذا الصنف إلى هذا الموقف أمرين:

الأول: افتتان النَّاس في عصرنا بالعلـوم الكونيَّة، القائمة على ثبات الأسباب، ولزوم تأثيرها في مسـبباتها، حتَّى ظن بعض النَّاس أنه لزوم عقلي لا يتخلف في حـال، فالنار لا بدَّ أن تحرق، والسـكين لا بدَّ أن تقطع، والجمـاد لا يمكن أن ينقلب إلى حيـوان، والميت لا يمكن أن يرجع إلى الحياة، إلخ.

الثاني: غلوُّ الصنف الأول في إثبات الخوارق، بالحق والباطل، إلى حدٍّ يكاد يلغي قانون الأسباب والسـنن، الَّتي أقام الله عليها هذا العالم. وكثيرًا ما يقاوم الغلو بغلو مثله.

وهنا يظهر الرأي الوسـط بين المبالغين في الإثبات، والمغالين في الإنكار. وهو الرأي الَّذي أرجحه وأتبناه.

وخلاصة هذا الرأي:

١ ـ أنَّ القرآن الكريم هو الآية الكبرى، والمعجزة الأولى، لرسولنا محمَّد ﷺ، وهو الَّـذي تحدّى به العرب خاصَّـة، والخلْق عامَّة، وبه تميَّزت نبـوة محمَّد على غيرهـا من النبوات السـابقة، فالدليل على صدق نبوته هـو نفس موضوع رسـالته. وهو كتابـه المعجز بهدايته وبعلومه، وبإعجـازه اللفظيِّ والمعنـويِّ، وبإتيانـه بالغيب: ماضيه، وحاضره، ومستقبله.

٢ ـ أنَّ الله تعالى أكرم خاتم رسـله بآيـات كونيَّة جمة، وخوارق حسـية عديدة، ولكن لم يقصد بها التحدي، أعني إقامة الحجة بها على صدق نبوته ورسالته. بل كانت تكريمًا من الله له. أو رحمة منه تعالى بـه، وتأييدًا له، وعناية بـه وبمن آمن معه في الشـدائد. فلم

QaradawiBooks.com

تحدُثْ هذه الخوارق استجابة لطلب الكافرين، بل رحمة وكرامة من الله لرسوله والمؤمنين. وذلك مثل «الإسراء» الَّذي ثبت بصريح القرآن، والمعراج الَّذي أشار إليه القرآن، وجاءت به الأحاديث الصحيحة، ونزول الملائكة تثبيتًا ونصرة للذين آمنوا في غزوة بدر، وإنزال الأمطار لإسقائهم فيها وتطهيرهم، وتثبيت أقدامهم، على حين لم يصب المشركين من ذلك شيء وهم بالقرب منهم. وحماية الله لرسوله وصاحبه في الغار يوم الهجرة، رغم وصول المشركين إليه، حتَّى لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآهما. وغير ذلك ممَّا هو ثابت بنص القرآن الكريم.

ومثل ذلك إشباع العدد الكثير من الطعام القليل في غزوة الأحزاب، وفي غزوة تبوك.

٣ ـ إنَّنا لا نثبت من هذا النوع من الخوارق إلَّا ما نطق به القرآن، أو جاءت به السُّنَّة الصحيحة الثابتة. وما عدا ذلك ممَّا انتفخت به بطون الكتب، فلا نقبله، ولا نعبأ به.

فمن الصحيح الثابت:

(أ) ما رواه جماعة من الصحابة من حنين الجذع الَّذي كان يخطب عليه ﷺ أوَّل الأمر، فلما صُنع له المنبر، وقام عليه للخطبة، سمع للجذع صوتًا كحنين الناقة إلى ولدها. فأتاه النَّبيُّ ﷺ، فوضع يده عليه فسكت[1].

(١) منها: ما رواه البخاري في المناقب (٣٥٨٣)، عن ابن عمر. وما رواه البخاري في المناقب (٣٥٨٥)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

قال العلَّامة تاج الدين السُّبْكي: حنين الجذع متواتر[١]؛ لأنَّه ورد عن جماعة من الصحابة، إلى نحو العشرين، من طرق صحيحة كثيرة تفيد القطع بوقوعه. وكذلك قال القاضي عِيَاض في الشفاء: إنَّه متواتر[٢].

(ب) ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن والمسانيد عن جماعة من الصحابة، من إفاضة الماء بغير الطرق المعتادة، وذلك في غزواته وأسفاره ﷺ، مثل غزوة الحُدَيْبية، وغزوة تبوك وغيرهما.

روى الشيخان عن أنس: أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأصحابه كانوا بالزوراء، فدعا بقدح فيه ماء، فوضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، وأطراف أصابعه، فتوضأ أصحابه به جميعًا[٣].

وروى البخاري عن البراء بن عازب أنَّهم كانوا مع النَّبيِّ ﷺ يوم الحديبية أربع عشرة مائة (أي ١٤٠٠)، وأنَّهم نزحوا بئر الحديبية فلم يتركوا فيها قطرة، فبلغ ذلك النَّبيّ ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثمَّ دعا بإناء من ماء، فتوضأ، ثمَّ تمضمض ودعا، ثمَّ صبه فيها. قال: فتركناها غير بعيد، ثمَّ إنَّها أَصْدَرَتْنا (سقتنا وروتنا) ما شئنا نحن وركابنا[٤].

---

(١) نقله القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤٦/٦)، نشر المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣هـ.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٥٨١/١)، نشر دار الفيحاء، عمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٦٩)، ومسلم في الفضائل (٢٢٧٩).

(٤) رواه البخاري في المغازي (٤١٥٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والأحاديث في إجراء الماء له ﷺ كثيرة مستفيضة، ومروية بأصح الطرق.

(جـ) ما حفلت به كتب السُّنَّة من استجابة الله تعالى لدعاء النَّبيّ ﷺ في مواضع يصعب حصرها، مثل دعائه بإنزال المطر[١]. ودعائه يوم بدر بالنصر[٢]، ودعائه لابن عبَّاس بالفقه في الدين[٣]، ودعائه لأنس بكثرة الولد، وطول العمر[٤]، ودعائه على بعض من آذاه[٥]، إلخ.

(د) ما صحَّ من الإنباء بمغيَّبات وقتٍ، كما أخبر بها ﷺ، بعضها في حياته، وبعضها بعد وفاته، مثل فتح بلاد اليمن وبُصرى وفارس[٦]، وقوله

(١) منها الحديث المتفق عليه: أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ... فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة، قال: فثار سحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر... رواه البخاري في الجمعة (١٠٣٣)، ومسلم في الاستسقاء (٨٩٧)، عن أنس.

(٢) إشارة إلى حديث: لما كان يوم بدر... فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني». وقد سبق تخريجه صـ ٥٩.

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٧).

(٤) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٧٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٨٠)، عن أم سليم.

(٥) منها حديث: كان لهب بن أبي لهب يسبُّ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبك». فخرج في قافلة يريد الشام فنزل منزلًا... فجاء الأسد فانتزعه فذهب به. رواه الحاكم في التفسير (٥٣٩/٢)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، وحسَّنه ابن حجر في فتح الباري (٣٩/٤)، عن أبي عقرب البكري الكناني.

(٦) إشارة إلى ما رواه أحمد (١٨٦٩٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لضعف ميمون أبي عبد الله. والنسائي في الكبرى في السير (٨٨٥٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٣٨): رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات. وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٣٩٧/٧)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أمرنا رسول الله ﷺ، بحفر الخندق قال: وعرض لنا صخرة. فأخذ المعول فقال: «باسم الله». فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله =

QaradawiBooks.com

لعمَّار: «**تقتُلك الفئةُ الباغية**»[١]. وقوله عن الحسن: «**إنَّ ابني هذا سيِّد، وسيصلح اللهُ به بين فئتين من المسلمين**»[٢]، إلخ. ومثل إخباره بفتح القسطنطينية[٣]، وغيرها.

٤ ـ أمَّا ما لم يصحَّ من الخوارق والآيات، فلا نثبته، ولا نقيم له وزنًا، وإن شاع ذكره بين النَّاس.

ونكتفي هنا بما اشتهر من أنَّ النَّبيَّ ﷺ حين اختفى في الغار عند الهجرة من المدينة، جاءت حمامتان فباضتا على فم الغار، كما أنَّ شجرة نبتت ونمت فغطت مدخل الغار. فهذا ما لم يجئ به حديث صحيح، ولا حسن، ولا ضعيف.

أمَّا نسج العنكبوت على الغار، فقد جاءت به رواية حسنها بعض العلماء، وضعفها آخرون. وظاهر القرآن يدلّ على أن الله تعالى أيد رسوله يوم الهجرة بجنود غير مرئية كما قال تعالى: ﴿**وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

= إنِّي لأبصر قصورها الحُمْر من مكاني هذا». ثم قال: «باسم الله». وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا». ثم قال: «باسم الله». وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن».

(١) رواه البخاري في الصلاة (٤٤٧)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٦٢٩)، عن أبي بكرة.

(٣) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

والعنكبـــوت والحمام جنود مرئية ولا شـــك، والنصـــر بجنود غير مشـــاهدة ولا محســـة أدل على القهر الإلهـــي والعجز البشـــري. وإنَّما اشـــتهرت هذه الخوارق بين جمهور المسلمين بســـبب المدائح النبويَّة، للمتأخِّرين وبخاصة قصيدة «البردة» للبوصيري الَّتي يقول فيها[1]:

ظنُّوا الحمام، وظنُّوا العنكبوت على خيـــر البريَّة لم تنســـجْ ولم تَحُمِ
وقايـــةُ اللهِ أغنـــت عـــن مُضاعفةٍ من الدروعِ وعن عـــالٍ من الأُطُمِ

فهذا هو موقفنـــا من الخـــوارق والمعجزات النبويَّة المنســـوبة إلى النَّبيّ ﷺ.

وبالله التوفيق.

(١) البردة مع شرح الباجوري صـ ٥١، نشر مكتبة الصفا، درب الأتراك، القاهرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

هل النَّبيّ ﷺ أوَّل خلق الله؟

س: هل صحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ أوَّل خَلْق الله؟ وأنه خُلق من نور؟ نرجو رأيكم مؤيَّدًا بالأدلة من الكتاب والسنة.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

المعروف أنَّ الأحاديث الَّتي جاءت تعلن أنَّ أوَّل ما خلق كذا أو كذا، إلخ لم يصح منها حديث واحد، كما قرَّر علماء السُّنَّة. ولذلك نجد بعضها يناقض بعضًا، فحديث يقول: «**إنَّ أوَّل ما خلق الله القلم**»، وحديث ثانٍ: «**أول ما خلق الله العقل**».

وشاع بين العامَّة ممَّا يُتلى عليهم من قصص الموالد المعروفة أنَّ الله قبض قبضة من نوره، وقال لها: كوني محمدًا، فكانت أوَّل ما خلق الله، ومنها خلق السماوات والأرض، إلخ. ومن هذا شاع قولهم: الصَّلاة والسلام عليك يا أوَّلَ خلق الله! حتَّى ألصقها بعضهم بالأذان الشرعي كأنَّها جزء منه.

وهذا كلام لم يصح به نقل، ولا يقره عقل، ولا ينتصر له دين، ولا تنهض به دنيا.

نسخة خاصة

فأوليته عليه السلام لخلق الله لم تثبت، ولو ثبتت ما كان لها أثر في أفضليته عليه الصَّلاة والسلام ومكانه عند الله، وحينما مدحه الله تعالى في كتابه مدحه بمناط الفضل الحقيقي فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والثابت بالتواتر أنَّ نبينا عليه الصَّلاة والسلام هو محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمي القرشي، المولود من أبويه: عبد الله بن عبد المطلب، وآمنة بنت وهب، بمكة في عام الفيل، وُلد كما يولد البشر، ونشأ كما ينشأ البشر، وبُعث كما يبعث من قبله أنبياء ومرسلون، فلم يكن بدعًا من الرسل، وعاش ما عاش ثمَّ قبضه الله إليه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وسيُسأل يوم القيامة كما يُسأل المرسلون:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

ولقد أكدَّ القرآن بشرية محمَّد عليه السلام في غير موضع، وأمره الله أن يبلغ ذلك للنَّاسِ في أكثر من سورة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، فهو بشر مثل سائر النَّاس، لا يمتاز إلَّا بالوحي والرسالة.

وأكد النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسلام معنى بشريته وعبوديته لله، وحذَّر من اتباع سنن من قبلنا من أهل الأديان في التقديس والإطراء: «**لا تُطروني كما أطرت النَّصارى عيسى ابن مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[1].

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإذا كان النَّبيّ العظيم بشرًا كالبشر، فليس مخلوقًا من نور، ولا من ذهب، وإنَّما خُلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب.

هذا من حيث المادة الَّتي خُلق منها محمَّد عليه الصَّلاة والسلام.

أمَّا من حيث رسالته وهدايته، فهو نور من الله، وسراج وهاج. أعلن ذلك القرآن، فقال يخاطبه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال يخاطب أهل الكتاب: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [المائدة: ١٥]، فالنور في الآية هو رسول الله، كما أنَّ القرآن الَّذي أنزل عليه نور. قال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [التغابن: ٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء: ١٧٤]، وقد حدد الله وظيفته بقوله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

وقد كان دعاؤه عليه السلام: «**اللهمَّ اجعل لي في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي لحمي نورًا، وفي عظمي نورًا، وفي شعري نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا...**» الحديث[1].

فهو نبيُّ النُّور ورسول الهداية. جعلنا الله من المهتدين بنوره، المتبعين لسنته، آمين.

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٦)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٣)، عن ابن عباس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجديد الَّذي جاء به محمَّد ﷺ
رد على بابا الفاتيكان

س: تذكرون فضيلتكم التطاول الَّذي صدر من بابا الفاتيكان ضد الإسلام ونبي الإسلام، وقد أشار البابا إلى حوار دار بين إمبراطور بيزنطي وعالم (أو متعلِّم) مسلم جاء فيه: أخبرني: ما الجديد الَّذي جاء به محمَّد غير الأشياء الشرِّيرة وغير الإنسانية، مثل أمره بنشر دينه ـ الَّذي يدعو إليه ـ بحدِّ السيف؟

وقد كان لعلماء الأُمَّة عامة، ولكم خاصة: وقفة قوية تؤجرون عليها عند الله تعالى يوم القيامة، في مواجهة هذا البُهتان. ولكنِّي أودُّ من فضيلتكم أن تردوا لنا كتابة على هذا الهراء، الَّذي لا يساوي المداد الَّذي كتب به، مبينين الجديد الَّذي جاء به محمَّد ممَّا ليس عند اليهود والنَّصارى. لِتهْلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة.

سائلين الله تعالى لكم طول العمر، وحسن الخاتمة.

(أ. ع. ك)
من جامعة الشارقة

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

فقد ذكر البابا في محاضرته أن الإمبراطور البيزنطي سأل محاوره العالم (أو المتعلم) المسلم: «أخبرني ما الجديد الَّذي جاء به محمَّد غير الأشياء الشرِّيرة وغير الإنسانية، مثل أمره بنشر دينه ـ الَّذي يدعو إليه ـ بحدِّ السيف؟».

ولم يخبرنا البابا في كلمته: ماذا أجاب به هذا العالم (أو المتعلم) الفارسي المسلم؟ فلا شكَّ أنَّه ردَّ على محاوره، وإلا كان حوارًا من جانب واحد!

وقد سكت البابا نفسه عن هذا التساؤل، والسكوت في هذه الحال تسليم وإقرار ومُوافقة على ما تضمنه السؤال القبيح.

يؤكِّد هذا: أنَّ البابا قد اقتبس هذا الكلام على لسان القيصر البيزنطي ـ وهو مسيحي أرثوذكسي، مخالف لدين البابا، بل هو في نظره كافر؛ ليستشهد به على الفكرة المخبوءة في رأسه، وهي: أنَّ الجهاد في الإسلام ـ أو الحرب المقدسة كما يقول ـ يحمل معنى العنف في التعامل مع الآخرين؛ وهو ما تخالف فيه النصرانيَّة الإسلام، فهي ترفض العنف بإطلاق، ولا ترى أن تُقابل السيئة بمثلها، ولا توافق مَن يقول: الشرُّ بالشرِّ يُحسم، والبادئ أظلم! بل يقول إنجيلها: «مَن ضربك على خدك الأيمن فأَدِرْ له خدك الأيسر، ومَن سخَّرك لتسير معه ميلا فسِرْ معه ميلين»[1]!

أمَّا الإسلام، فقد قال لأتباعه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٩٠]،

(١) انظر: إنجيل متَّى الفقرات (٣٨/٥، ٤٣)، وإنجيل لوقا (٢٩/٦، ٣٠).

QaradawiBooks.com

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

وإذا لم يردَّ البابا على سؤال القيصر، فنحن نتطوَّع بالردِّ عليه، ونقول له: يا سيادة القيصر أو الإمبراطور، أحسب أنَّه لا يخفى عليك ما جاء به الإسلام من جديد، في كلِّ المجالات، الَّتي اشتملت عليها الرسالة الإسلاميَّة العامَّة الخالدة الشاملة.

١ ـ في مجال العقائد:

جاء بالجديد في مجال العقيدة في كلِّ أقسامها ونواحيها:

في مجال الألوهية: جاء بالتوحيد الخالص، فلا يُشارك اللهَ أحدٌ في ربوبيته ولا في أُلوهيته، كما جاء بالتنزيه المحض، فلا يُشبَّه الله بأحد من خلقه، كما فعلت اليهوديَّة، ولا يُشبَّه المخلوق بالخالق، كما فعلت النصرانيَّة. وحسبك سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وفي مجال النبوات: جاء بمبدأ عِصمة الأنبياء من الذنوب، ولا سيما الكبائر، الَّتي تنسبها إليهم أسفار التوراة، فهذا يسكر، وهذا يزني، وهذا يطمع في امرأة جاره، ويحتال عليه حتَّى يُقتل في المعركة، ويحظى بزوجته من بعده!

وفي مجال الغيبيات والآخرة: جاء بمبدأ العدل الإلهي، الَّذي لا يخاف عنده أحد ظُلمًا ولا هضمًا، والذي لا يظلم أحدًا مثقال ذرة: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبهذا أبطل الشـفاعة الشِّـركية الَّتي اعتمد عليها الوثنيُّون؛ في أن أصنامهم أو آلهتهم المزعومة تَشـفع لهم عند الله، ولا يملك الله أن يردَّ شـفاعتها، وقد انتقلت فكرة الشـفاعة هذه إلى أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى، الَّذين زعموا أنَّهم تشـفع لهم أحبارهم ورُهبانهم؛ فأبطل الله هذه الشفاعة الشركيَّة بصفة مُطلقة، وأثبت شـفاعة أخرى، ولكنَّه قيَّدها بقيدين:

الأول: أنَّه لا يشـفع أحد إلَّا بـإذن الله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

والثاني: أنَّه لا شفاعة لغير أهل التوحيد، فأما المشركون فلا شفاعة لهم، قال تعالـى في شـأن الملائكـة: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ولا يرتضي الله أهل الشـرك أبدًا، وقال عن المشركين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثـر: ٤٨]، وقال عنهم: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

٢ ـ في مجال العبادات والشعائر:

وجاء بالجديد في مجال العبادات: في الصـلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

- **الصلاة:**

أما الصلاة: فهي في الإسـلام فريضة عظيمة، وهي عمود الإسلام، والركن الثاني من أركانه بعد الشهادتين. الإسلام وحده هو الدين الَّذي يجعل المسلم على موعد مع ربِّه خمس مرات في كلِّ يوم، لا يوجد دين

QaradawiBooks.com

يربط الإنسان بربه هذا الربط، يجعله ينتشل نفسه من لُجَّة الحياة؛ إذا غرق في أعمالها ومشاغلها، ليقف بين يدي مولاه.

عندما تزول الشمس عن كَبِد السماء، بعد الزوال يناديه المنادي: الله أكبر، الله أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح، فينتزع نفسه من الدنيا، ويأتي ليؤدِّي صلاة الظهر، وبعد أن يصير ظلُّ كلِّ شيء مثله، يؤدِّي صلاة العصر، وبعد أن يغرب قرص الشمس يؤدِّي صلاة المغرب، وبعد أن يغيب الشفق الأحمر يؤدِّي صلاة العشاء، وبعد أن ينبلج الفجر يؤدِّي صلاة الفجر، «**خمس صلوات كتبهنَّ الله على العباد في اليوم والليلة**»(١).

كما جاء بنوافل تطوُّعية كثيرة لا تُعرف في أديان أخرى، مثل: صلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الكُسوف والخُسوف، وغيرها من الصلوات الَّتي تُؤدَّى في جماعة.

هذا غير السنن الرواتب، وغير النوافل الَّتي فتح الله بابها، لمَن يحبُّ الاستزادة من الخير، «**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ويده الَّتي يبطش بها، ورجله الَّتي يمشي بها، ولئن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأُعيذنَّه**»(٢).

كما فتح الباب لصلوات فردية، مثل: صلاة الضحى، وقيام الليل.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٦٩٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. أبو داود (١٤٢٠)، والنسائي (٤٦١)، كلاهما في الصلاة، وابن حبان في الصلاة (١٧٣٢)، وصححه ابن عبد البر في التمهيد (٢٨٨/٢٣)، والنووي في المجموع (٢٠/٤)، وابن الملقن في البدر المنير (٣٨٩/٥).

(٢) رواه البخاري في الرقائق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومن أعظم الصلوات الجماعية الَّتي جاء بها: صلاة التراويح في رمضان من كلِّ عام، وهي صلاة طويلة يحرص المسلمون عليها، ويتقرَّبون إلى الله بأدائها، وخصوصًا في الحرمين الشريفين.

كما جاء بصلاة الجمعة الأُسبوعية، الَّتي يجتمع فيها النَّاس في المساجد، ويسمعون الموعظة.

الصَّلاة في الإسلام ليست كالصَّلاة عند المسيحيِّين أو اليهود، الصَّلاة عند المسيحيِّين دعاء وابتهال، أمَّا الصَّلاة في الإسلام، فهي قيام وقعود، وركوع وسجود، وتلاوة وتسبيح، وتكبير وتهليل وتشهُّد، يعمل فيها اللسان ذاكرًا مسبِّحًا، ويعمل فيها الجسم متحرِّكًا قائمًا قاعدًا، ويعمل فيها القلب مخلصًا خاشعًا، ويعمل فيها العقل متدبِّرًا متأمِّلًا.

هذه الصَّلاة الَّتي جمعت كلَّ أنواع التعظيم لله ﷻ، ولها شروط ليست عند أي دين من الأديان: ألَّا تقوم للصلاة إلَّا متطهِّرًا: طاهر الثوب، طاهر البدن، طاهر المكان، طاهرًا من الحَدَث الأكبر إذا أصابتك جنابة، ومن الحَدَث الأصغر إذا انتقض وضوؤك، تقوم متطهِّرًا متوضِّئًا تقف بين يدي الله، آخذًا زينتك، ساترًا عورتك، متجرِّدًا بقلبك لله، مستقبلًا الكعبة، مراعيًا الوقت، حتَّى لا تكون من ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥].

• الزكاة:

وأما الزكاة: فقد تميَّزت عن الصدقات في الأديان الأخرى بجُملة مزايا:

أولًا: إنَّ الزكاة الإسلاميَّة لم تكن مُجرَّد عمل طيِّب من أعمال البر، بل هي رُكن أساسي من أركان الإسلام، يُوصم بالفسق مَن منعها،

QaradawiBooks.com

ويُحكم بالكفر على مَن أنكر وجوبها، فليست إحسانًا اختياريًّا، وإنَّما هي فريضة تتمتَّع بأعلى درجات الإلزام الخُلُقي والشرعي.

ثانيًا: إنَّها في نظر الإسلام حقٌّ للفقراء في أموال الأغنياء، وهو حقٌّ قرَّره مالك المال الحقيقي وهو الله تعالى، فليس فيها معنى من معاني التفضُّل والامتنان من الغني على الفقير.

ثالثًا: إنَّها ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤]. قدَّر الشَّرع الإسلامي نُصبه ومقاديره، وحدوده وشروطه، ووقت وطريقة أدائه.

رابعًا: هذا الحقُّ لم يُوكل لضمائر الأفراد وحدها، وإنَّما حُمِّلت الدولة المسلمة مسؤولية جبايتها بالعدل، وتوزيعها بالحقِّ. فهي ضريبة تُؤخذ وليست تبرُّعًا يُمنح.

خامسًا: إنَّ من حقِّ الدولة أن تؤدِّب ـ بما تراه من العقوبات المناسبة ـ كلَّ مَن يمتنع من أداء هذه الفريضة.

سادسًا: إنَّ أيَّ فئة ذات شوكة تتمرَّد على أداء هذه الفريضة؛ فإن من حقِّ إمام المسلمين ـ بل من واجبه ـ أن يُقاتلهم ويُعلن عليهم الحرب، حتَّى يؤدُّوا حقَّ الله وحقَّ الفقراء في أموالهم.

سابعًا: إنَّ الفرد المسلم مطالَب بأداء هذه الفريضة العظيمة، وإقامة هذا الركن الأساسي في الإسلام، وإن فرَّطت الدولة في المُطالبة بها، أو تقاعس المجتمع عن رعايتها. وعليه ديانة أن يعرف من أحكام الزكاة ما يُمكِّنه من أدائها على الوجه المشروع المطلوب.

ثامنًا: إنَّ حصيلة الزكاة لم تُترك لأهواء الحكام، ولا لتسلُّط رجال الكهنوت ـ كما كان الحال في اليهوديَّة ـ ولا لمطامع الطامعين من غير

QaradawiBooks.com

المُستحقِّين، تُنفقها كيف تشاء، بل حدَّد الإسلام مصارفها ومُستحقيها، فقد عرَف البشر من تجاربهم أن المهم ليس هو جباية المال، إنَّما المهمُّ هو أين يُصرف؟

تاسعًا: إنَّ هذه الزكاة لم تكن مُجرَّد معونة وقتية، بل كان هدفها القضاء على الفقر، وإغناء الفقراء إغناءً دائمًا؛ لأنَّها فريضة دوريَّة مُنتظمة دائمة الموارد.

عاشرًا: إنَّ الزكاة ـ بالنظر إلى مصارفها الَّتي حدَّدها القرآن وفصَّلتها السُّنة ـ قد عملت لتحقيق عدَّة أهداف رُوحية وأخلاقية واجتماعية وسياسية. فهي أوسع مدى، وأبعد أهدافًا من الزكاة في الأديان الأخرى[1].

- **الصيام:**

وأمَّا الصيام: فقد جاء الإسلام بالجديد الَّذي يجعل صيام المسلمين مُتميِّزًا عن الصيام المعروف عند النَّصارى، فالصيام الإسلامي حرمان كامل من كلِّ ما يُشبع شهوتي البطن والفرج، ولو من حلال، طلبًا لمرضاة الله تعالى. كما قال الله تعالى في الحديث القدسي عن الصيام: «**يَدَع طعامه من أجلي، ويَدَع شرابه من أجلي، ويَدَع زوجته من أجلي، ويَدَع لذَّته من أجلي، فالصيامُ لي وأنا أجزي به**»[2].

---

(١) انظر كتابنا: فقه الزكاة (١٠٢/١)، فروق أساسية بين الزكاة في الإسلام والزكاة في الأديان الأخرى، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٢) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، وقال الأعظمي: إسناده صحيح. عن أبي هريرة. وأصل الحديث مُتَّفق عليه: «الصوم لي وأنا أجزي به، يَدَع شهوته وطعامه من أجلي». رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الصيام في النَّصرانيَّة عن كلِّ ذي رُوح، ولكنَّه يأكل من الأغذية النباتية، ما يُشبع بطنه، ويُلبِّي شهوته.

ولا يعرف صيام النَّصارى الصيام عن الشهوة الجنسية، فلا يحلُّ للمسلم الصائم أن يُجامع امرأته إلَّا في الليل.

وهذا الصيام مفروض في كلِّ سنة لمدَّة شهر كامل، وهو شهر مُعيَّن معروف، هو شهر رمضان، الَّذي يدور في الفصول الأربعة كلها، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفرضية الصيام ثابتة بالقرآن المؤكَّد بالسُّنة، والإجماع، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ولا يوجد نصٌّ في التوراة ولا في الأناجيل، يُفيد فرضية الصيام على اليهود والنَّصارى.

ولهذا الصيام أحكام أجملها القرآن، وفصَّلتها السنة، وقنَّنها الفقه، تقوم على اليُسر ورفع الحرج، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وينتهي صيام رمضان بصدقة مفروضة على كلِّ مسلم، يقدر على أدائها، وهي صدقة الفطر، الَّتي فرضها رسول الإسلام، إسعافًا للفقراء والمساكين في يوم العيد، يطوف المُوسرون عليهم ليُعطوها لهم، ولا يُكلفوهم بأن يطوفوا هم عليهم، بل يُغنوهم عن السؤال في هذا اليوم، الَّذي يجب أن يشترك فيه الجميع في مسرَّة العيد.

وبهذا ارتبط عيد الفطر بفريضة الصيام، ويبدأ بصلاة مخصوصة هي صلاة العيد، يجتمع فيها أهل البلد أو القرية في صعيد واحد، في صورة مهرجان إسلامي، يُهلِّلون ويُكبرون، يبدؤون يومهم بطاعة الله سبحانه وعبادته.

QaradawiBooks.com

• **الحج:**

وفي عبادة الحج، وهي الرُّكن الخامس من أركان الإسلام، تتميَّز هذه العبادة عن مثيلاتها في الأديان الأخرى.

فهي أولًا: فريضة ورُكن يُؤدِّيه كلُّ مَن استطاع إليه سبيلًا، في العمر مرَّة، وبعدها يكون تطوُّعًا منه.

وهي ثانيًا: عبادة بدنية ومالية، فإذا كانت الصَّلاة والصيام عبادة بدنية، والزكاة عبادة مالية، فإن الحجَّ جمع بين الأمرين، فهو عبادة بدنية ومالية، يُتعب المسلم فيه بدنه، ويُعاني المشقَّات في سفره، وفي أداء مناسكه، وفي إقامته في مِنى وعرفات ومزدلفة وغيرها. وفي الطواف والسعي، ومع ذلك عليه أن يبذل ماله، في نفقات السفر إلى مكة، والإقامة فيها حتَّى يعود.

وهي ثالثًا: تعتمد على الحركة الجماعية للحجيج؛ لأنَّ مناسك الحجِّ موقوتة بأيام مُحدَّدة، فالتحرُّك إلى مِنى في يوم التروية (الثامن من ذي الحجَّة)، والوقوف بعرفة يوم التاسع، والنفير من عرفة إلى مزدَلِفة بعد غروب يوم التاسع، أي ليلة العاشر، ورمي جمرة العقبة وطواف الإفاضة يوم العاشر، ورمي الجمرات يومي الحادي عشر والثاني عشر لمَن تعجَّل.

وكل هذه الأعمال تُؤدَّى في تحرُّك جماعي، يُعتبر عند المسلمين ضربًا من العبادة لله، وسببًا في التقرُّب إليه. ويعتبر الحجُّ تدريبًا للمسلم على السلم، فلا يقتل صيدًا، ولا يقطع شجرًا، وتدريبًا على المساواة، فالناس جميعًا يلبسون ثيابًا بيضاء بسيطة متواضعة، لا تفرِّق فيها بين غني وفقير، ولا بين سوقة وأمير.

QaradawiBooks.com

ويُعتبر الحج إذا كانت نفقته من حلال، وأُدِّي بإتقان وإخلاص: ميلادًا جديدًا للمسلم، يرجع معه إلى بلده إنسانًا آخر، كما صحَّ في الحديث: «**مَن حجَّ ولم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيومَ ولدته أمُّه**»(١).

وفي يوم العاشر من ذي الحجة: يقع عيد الأضحى، وهو العيد الثاني للمسلمين، وهو مُرتبط بعبادة الحجِّ، ولذا يسمَّى يوم العاشر: يوم الحجِّ الأكبر.

هذا الحجُّ بشعائره وأركانه وشروطه وآدابه: من الجديد الَّذي جاء به محمَّد عليه الصَّلاة والسلام، وليس من الأشياء الشرِّيرة وغير الإنسانية الَّتي زعمها الإمبراطور البيزنطي!

٣ ـ الجديد في الأخلاق:

وجاء بالجديد في مجال الأخلاق، لقد جاء الإسلام بمجموعة من الفضائل الأخلاقية، أسَّسها على فلسفة ربانية عميقة، تتميَّز بجملة من الخصائص.

أخلاق معلَّلة مفهومة:

لم تكن الأخلاق في الإسلام كما جاءت في اليهوديَّة والنصرانيَّة، تحكُّمية غير معلَّلة ولا مفهومة (افعل كذا)، مجرَّدًا من أيِّ تفسير أو تعليل، لكن القرآن إذا أمر أمرًا علَّله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]،

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، أطهر لهم، وأنمى لهم، وأرقى لهم.

يُعلِّل القرآن أوامره الأخلاقية، فهي أخلاق مفهومة، ليست أخلاقًا تحكُّمية.

أخلاق وسطية متوازنة:

وهي أخلاق وسطية متوازنة، تجمع بين الدنيا والآخرة، بين العقل والقلب، وبين الرُّوحية والمادية، بين الحقِّ وبين الواجب، بين ما للإنسان وما على الإنسان، فإذا كان الإنسان المثالي في المسيحية: هو الراهب الَّذي يتجرَّد عن الحياة، ويعتزل الدنيا، ويعتزل النساء، ولا يتزوج، ولا يعمل للحياة. فإنَّ الإنسان المثالي في الإسلام هو الَّذي يجمع بين الحسنتين: الدنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، في يوم الجمعة يسعى المسلم إلى ذكر الله ويَذَر البيع، فمن الممكن أن يكون في بيع قبل الصلاة، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، فيمكنه أن يعمل قبل الصلاة، ويعمل بعد الصلاة.

العمل في الإسلام عبادة، والعمل في الإسلام جهاد، ولذلك تبدو الأخلاقية الإسلاميَّة هي الأخلاقية الوسطية، ليس هناك إنسان يظلُّ يعبد الله دائمًا، يصوم النهار ويقوم الليل. حينما شكا بعض الصحابة أنه يشعر بأنَّه نافق في حياته؛ لأنَّه يكون على حال عند رسول الله، وعلى حال آخر إذا ذهب إلى بيته، وداعب زوجته ولاعب أولاده،

QaradawiBooks.com

فقال له، وكان اسمه حنظلة: «**يا حنظلة، لو دُمتم على الحال الَّتي تكونون فيها عندي؛ لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكنْ يا حنظلةُ ساعةً وساعة**»[١].

لا يطلب الإسلام من الإنسان المسلم أن يظلَّ عابدًا باكيًا خائفًا طَوال حياته، ولكن ساعة وساعة، هذا هو الإسلام.

جاء الإسلام بالتوازن الأخلاقي، فإذا كانت اليهوديَّة قالت: السنُّ بالسنِّ، والعين بالعين، والأنف بالأنف. والمسيح قال: مَن ضربك على خدِّك الأيمن فأَدِر له خدَّك الأيسر[٢]. فإنَّ الإسلام لم يأمر بما أمر به المسيح أمرًا عامًّا؛ لأن هذا قد يصلح لمجموعة صغيرة منتقاة، لكن لا يصلح أمرًا عالميًّا وتوجيهًا عالميًّا لكل البشر، ولكنَّه رغَّب فيه، باعتباره فضلًا وإحسانًا، الإسلام جاء بالعدل، وجاء بالفضل: مرتبة العدل: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾، ومرتبة الفضل: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

عليك أن تقوم بالعدل وهذا الواجب، ولك أن تقوم بالفضل والإحسان وتعفو: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

أخلاق واقعية:

الأخلاق في الإسلام أخلاق وسطية، وأخلاق واقعية، تراعي حالة الإنسان لا تريد من الإنسان أن يكون ملاكًا مطهَّرًا، يمكن للإنسان أن يقع في الخطيئة، ولا عجب أن يقع الإنسان في الخطيئة، أبوه آدم أخطأ،

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، وأحمد (١٧٦٠٩)، عن حنظلة الأسيدي.
(٢) سبق تخريجه صـ ٧٨.

QaradawiBooks.com

ولكن الله فتح له بـــاب التوبة: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، الله تعالى ذكر الأُمَّة المصطفاة فقال: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، من الأُمَّة مَن يظلم نفسه، ويقصِّر في بعض الواجبات، ويقع في بعض المحرمـــات، ولكن هذا لا يغلق باب التوبة عنـــه، بـــاب الله مفتـــوح: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٤ ـ الجديد في التشريع:

أمَّا الجديد في التشريع فحدِّث ولا حرج.

فمن المعروف أنَّ المسيحية ليس فيها تشريع، إلَّا ما جاءت به في شأن الطلاق، وتحريمه؛ إلَّا لعِلَّة الزِّنَى، وقد كفر المســـيحيون بهذا التشـــريع، وأجازوا الطلاق لأتفه الأسباب، ولم يلتزموا بتعاليم دينهم في ذلك.

وأمَّا ما جاءت به اليهوديَّة من التشـــريعات، فيغلـــب عليها «القومية الإسرائيلية»، فهو ليس تشريعًا إنسانيًّا عالميًّا، بل هو تشريع لشعب معيَّن.

وهذا بخلاف التشريع الإســـلامي، الَّذي جاء تشريعًا عالميًّا إنسانيًّا، فقد أعلن القـــرآن الكريم منذ العهد المكـــي أنه جاء: ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، كما أنه: ﴿ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]، وقال للرسول محمد: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولهذا دخل الإســـلام بلاد الحضـــارات: فارس، والـــروم، والعراق، والشام، ومصر، وشـــمال إفريقيا، والهند، وحكم هذه البلاد، فما ضاق تشريعه يوما بواقعة، بل عالج كلَّ المشكلات برُوح سمحة، وعقل مرن،

QaradawiBooks.com

في ضوء أصـــول دينه، ومقاصد شـــريعته، فكان مـــن وراء ذلك: الخير والعدل، والأمن والاستقرار.

لقد كانت الأصول النظرية الَّتي جاء بها التشريع وافية بكلِّ ما يحتاج إليه البشـــر، في مجال الفرد وحاجاته، ومجال الأسرة ومطالبها، ومجال المجتمع ومقوماته، ومجال الأُمَّة ورسالتها، ومجال العلاقات الإنسانية في السلم والحرب.

وكانـــت هذه الأصـــول تتميَّز بخصائـــص لا تتوافر لغيرهـــا: غايتها الربانية، ونزعتها الإنســـانية، ووِجهتها الأخلاقيـــة، وعلاجاتها الواقعية، ورؤيتها العالمية، ومراعاتها للمصالح البشـــرية المتنوِّعة، ومرونتها في مواجهة المشكلات، بما يلائم الزمان والمكان والعُرف والحال، ويراعي لكلِّ حالة ظروفها، ويعطيها حقَّهـــا وحكمها، مع الحرص على الموازنة بين النصوص الجزئية في الواقعة، والمقاصد الكلية للشـــريعة، ورعاية القواعد الفقهيَّة الَّتي تحكم منطق الفقيه حين ينظر في النصوص، وحين تَرِد عليه الوقائع.

مثل قواعد: الأمور بمقاصدهـــا ـ العادة مُحكَّمة ـ لا ضرر ولا ضرار ـ المشقَّة تجلب التيسير ـ الضرورات تبيح المحظورات. ـ الحاجة تُنزَّل منزلة الضرورة ـ الضرر يُزال ـ الضرر لا يُـــزال بضرر مثله أو أكبر منه ـ يُتحمَّل الضرر الخاص لدفع الضرر العـــام ـ يُتحمَّل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى ـ يُرتكب أخفُّ الضررين ـ يُفوَّت أدنى المصلحتين.

ولقد خدمت هذا التشـــريع عقول كبيرة على مرِّ العصور، وتكوَّنت مدارس ومذاهب شتَّى في فقه هذا التشريع، تملك ثروة هائلة من «الفقه» المؤسَّس على «أصول» معروفة، والمســـتنِد إلى أدلَّة من النقل والعقل،

QaradawiBooks.com

نوَّهت بقيمته المؤتمرات العالمية للقانـــون، الَّتي انعقدت في أوربا في القرن الماضي، في لاهاي، وفي باريس.

وقُدِّمت مئات الرســائل للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه في الجامعات الإسلاميَّة المتعدِّدة في أنحاء العالم، وفي الجامعات غير الإســلاميَّة أيضًــا: في كليَّــات الحقوق (القانــون) والتجــارة والإدارة والاقتصــاد وغيرها، كلها تُجلِّي جانبًا أو أكثر من جوانب هذا التشــريع العظيم.

ولقد سبق هذا التشــريع الَّذي مضى عليه أكثر من أربعة عشر قرنًا: التشــريعات المعاصرة في تبنِّي نظريات المســاواة والحريــة والعدل، ومحاربة الظلم والفساد والطغيان. وكل النظريات الَّتي يفخر بها القانون الحديث كان للمســلمين الســبق فيها، وإن اختلفــت المصطلحات أو الصياغات، مثل نظرية «التعسُّف في اســتعمال الحقِّ»، ونظرية «تحمُّل التبعة»، ونظرية «الظروف المخفِّفة»، وغيرها.

هل جاء محمَّد بأشياء شريرة ولا إنسانية؟

كان في كلمات القيصر البيزنطي الأرثوذكســي، الَّــذي جعل البابا كلامه عمدة فيما تحدَّث به عن الإســلام في محاضرتــه: أنَّ محمدًا لم يجئ بشيء جديد، إلَّا الأشياء الشريرة واللاإنسانية، مثل أمره بنشر دينه الَّذي جاء به بحدِّ السيف!

فليت شعري: ما الأشياء الشريرة الَّتي جاء بها محمد؟ وهو أعظم من دعا إلى الخير، وفعل الخير، ونية الخير، والتعاون على الخير، والدعوة إلى الخير، والإنفاق في سبيل الخير، والجهاد في سبيل الخير.

QaradawiBooks.com

وهو أشـــهر من قاوم الشـــرَّ والفســـاد والجريمة، والظلـــم والرذيلة والاحتكار، والربا وكنز المال، والسَّرف والترف، والاستبداد والطغيان، وقهر الضعفاء، وأكل حقِّ الفقراء، وأجر العمال، وحقوق المستضعفين: اليتامى والمساكين وابن السبيل.

وهو أظهر من دعـــا إلى بـــرِّ الوالدين ـ ولو كانا مشـــركين ـ وصلة الأرحام، وإيتـــاء ذي القربى، والإحســـان إلى الجيران، وإكـــرام اليتيم والأرملة، والحضِّ على طعام المسكين.

كما دعا إلى تكريم الإنسان من حيث هو إنسان، ورعاية فطرته الَّتي فُطر النَّاس عليها، وعدم مصادرة غرائزه، بل التسامي بها وتهذيبها بحيث تقف عند المُثُـــل العليا، الَّتي تســـمَّى: حدود الله، وتهتـــدي بهدى الله، والمحافظة على كرامة وحرية الإنسان، الَّذي جعله الله في الأرض خليفة، وسخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نِعَمه ظاهرة وباطنة، فلا يجوز أن يسوقه حاكم بالعصا كما تُساق الحمير، ولا يجوز أن يُهضم حقُّه، أو يُهمل أمره، أو تداس كرامته، أو تدنس حرماته، بل يجب أن يُحمى دينُه ودمه، وعرضه وماله، وأن يُرعى حق الضعيف، حتَّى أنه أجاز القتال من أجل إنقاذ المستضعفين.

وإنِّي لأسائل الإمبراطور ومَن وافق على كلامه: أين أمر محمَّد بنشر دينه بالســـيف؟ هذا هو القرآن أمامنا كاملًا غير منقـــوص، لم تضِع منه كلمة واحدة، يضمُّ أكثر من ستة آلاف آية، فأين من هذه الآيات ما يأمر بنشر الدين بالسيف؟.

وجدنا الآيـــات الَّتي ترفـــض أن يدخل النَّاس الديـــن تحت بريق السيف، أو أي لون من ألوان الإكراه. ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

QaradawiBooks.com

ليس في القــرآن إلَّا الدعوة بالحكمة والموعظة الحســنة، والجدال بالتي هي أحسن.

وإذا لم نجد هذا في القرآن، فهل نجد هذا في السنة؟

لا والله، لن نجد هذا في السنة كما لم نجده في القرآن.

يقول القرآن الكريم في ســورة النحــل المكية: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويقول في ســورة آل عمــران المدنيــة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فانظر إلى ختــام الآية: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾. أي أعرضــوا عن الإيمان، ولم يقبلوه. ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾، لم يقل: فاضربوا رقابهم بحدِّ السيف، أو شنُّوا عليهم الغارة.

وليست هذه هي الآية الوحيدة الَّتي تقول ذلك في شأن مَن تولَّوْا عن الإسلام وأعرضوا عنه، بل هناك عشرات الآيات تضمُّ مثل ذلك.

ففي نفس سورة آل عمران: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وفي ســورة النور: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

QaradawiBooks.com

وفي سورة التوبة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن، وفيها الآيات الَّتي يزعمون أنَّها «آيات السيف»[١]! نقرأ قوله تعالى في آخر السورة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

ربَّما قال بعضهم: هناك حديث يقول: «**بُعِثْتُ بالسيفِ بينَ يدَيِ الساعة**»[٢]. وأقول: هذا الحديث ليس فيه أمر بنشر الإسلام بالسيف، وإنَّما يقول: «**بُعثتُ بالسيف**»، وقد بيَّنا في كتابنا «فقه الجهاد» أن هذا الحديث مردود من حيث سنده، وقد ضعَّفه مخرجو الحديث في المسند، ومن حيث دلالته، وهو مناقض لنصِّ القرآن الكريم الَّذي يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فهذا ما أُرسل به محمد: ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ وهذا ما تكرَّر في القرآن[٣].

---

(١) ناقشنا ما قيل حول هذه الآيات وبيَّنَّا أنها كلها آيات في جهاد الذين يقاتلون المسلمين، ويفتنونهم في دينهم، وهي تقابل القوة بالقوة، والسيف بالسيف، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]. انظر كتابنا: فقه الجهاد (٢٨٥/١) وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(٢) رواه أحمد (٥١١٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه. ابن ثوبان اختلفوا فيه وخلاصة القول أنه: حسن الحديث إذا لم يتفرد بما ينكر عليه، فقد أشار أحمد إلى أن له أحاديث منكرة. قال المحققون: وهذا منها، عن ابن عمر. وانظر: تعليقنا على الحديث في فقه الجهاد (٣٣٥/١) وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(٣) وتكررت الآية بلفظها في سورة الصف (الآية: ٩). وقال تعالى في سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

QaradawiBooks.com

فقل لي بربك: أين أُمر محمَّد بنشـــر دينه بالسيف، إذا لم تجد ذلك في آية أو بعض آية من كتابه، ولا في حديث أو بعض حديث من سنته؟

نعم هناك آيات ـ وكذلك أحاديث ـ تحضُّ على القتال في سبيل الله، ولكن هذه ليس فيها أية دلالة على أنَّ المقصود بها نشر الدين بالسيف، بل دفع الفتنـــة في الدين، وتوفيـــر الحرية للمؤمنين، وقتـــال مَن يقاتل المؤمنين، وتأديب الناكثين والظالمين، وإنقاذ المعذبين والمستضعفين، فهذا ما جاءت به آيات القرآن الحكيم، وأحاديث الرسول العظيم، وليس فيها نصٌّ واحد يأمر بنشر دين الله بالحديد والنار، والسيف البتار.

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الترابي وإنكار نزول عيسى ابن مريم

س: قرأت للدكتور حسن الترابي إنكاره نزول عيسى بن مريم آخر الزمان، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان، من أشراط السَّاعة وعلاماتها الكبرى، وهذا أمر ثبت بالسنة الشريفة، وقد جمع الشيخ أنور الكشميري ـ وهو من علماء الحديث الكبار ـ في هذا كتابًا سمَّاه «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، أي: بما تواتر من الأحاديث في نزول المسيح، ذكر فيه أربعين حديثًا ما بين صحيح وحسن، غير الأحاديث الضعيفة الأخرى الَّتي هي عشرات وعشرات، ولا يسعنا أن نلقي هذه الأحاديث ونهملها! وقد حقَّق هذا الكتاب وأفاض في التعليق عليه أخونا وصديقنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، من علماء سوريا المعروفين، ومن محدِّثي العصر أيضًا.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

والأديان الثلاثة تنتظر نزول المسيح، اليهود ينتظرون نزول المسيح الحقيقي؛ لأنَّهم لا يؤمنون بالمسيح الَّذي نزل فعلًا، وتآمروا على صلبه وقتله، ولا زالوا ينتظرون مجيء المسيح. والمسيحيون ينتظرون عودة المسيح مرة أخرى، والمسلمون عندهم أنَّ المسيح سيأتي ويحكم بشريعة الإسلام، كما صحت بذلك الأحاديث عن النَّبيِّ ﷺ.

وليس الترابي أوَّل من أنكر نزول المسيح، هناك آخرون سبقوه بهذا في عصرنا، وحاولوا أن يردوا الأحاديث، منهم أخونا الشيخ محمَّد عبد الله السمان في كتابه: «الإسلام المصفَّى»، أنكر قضية نزول المسيح، وقال ما معناه: لعلَّ المراد بنزول المسيح انتشار السلام في الأرض؛ لأنَّ المسيح داعية السلام.

وهو كلام لا يُقبل؛ لأنَّ الأحاديث الَّتي تحدَّثت عن نزول المسيح قالت: «**والله، لينزلنَّ ابنُ مريم حكمًا عادلًا، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلَنَّ الخنزير، وليضعنَّ الجزية**»[1]. أي: لن يقبل من أحد الجزية، فإمَّا الإسلام، وإمَّا السيف، لم تقل الأحاديث: إنه داعية السلام، فالتأويل ضد الأحاديث، فهو غير مقبول.

وأيضًا محمَّد أسد الكاتب النمساوي ـ الَّذي كان يهوديًّا ثمَّ أسلم، وله كتاب «الإسلام على مفترق الطرق»، وكتاب «الطريق إلى مكة» ـ يؤول ظهور المسيح الدجال فيقول عنه: «ذلك الكائن العجيب الَّذي يكون أعور، إلَّا أنه يتمتع بقوة خفية يُنعم بها الله عليه، وهو يسمع بأذنيه ما يُنطق به في أقصى زوايا الأرض، ويرى بعينه الواحدة كلَّ ما يحدُث على مسافات غير محدودة، وهو يطير حول الأرض في

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٢)، ومسلم في الإيمان (١٥٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أيام، ويجعل كنوزًا من الذهب والفضة تظهر فجأة من تحت الأرض، وينزل الغيث وينبت الزرع بأمره، ويُميت ويُحيي من جديد، حتَّى يعتقد كلُّ مَن هم ضعاف الإيمان أنه هو الله نفسه، فيَخِرُّون أمامه ساجدين، ولكن أقوياء الإيمان يقرؤون ما هو مكتوب على جبهته بأحرف من نار: «كافر» فيعرفون أنَّه ليس إلَّا وهمًا وخدعة لامتحان الإنسان في إيمانه».

ويردف محمَّد أسد بالتساؤل والتأويل فيقول: «ألا ينطبق هذا المثلُ على المدنية الصناعية الفنية الحديثة؟ إنَّها «عوراء» أعني أنَّها تنظر إلى ناحية واحدة من الحياة؛ الرُّقيِّ المادي، غافلةً عن جانبها الروحي، وبمعرفة أعاجيبها الميكانيكية تمكن الإنسان من أن يرى ويسمع على مسافات أطول جدًّا، ممَّا تمكنه قدرته الطبيعية أن يرى ويسمع، وأن يقطع مسافات لا نهاية لها بسرعة خارجة عن نطاق التصور، إن خبرتها العلمية «تُنزل الغيثَ وتُنبت الزرع» وتكشف من تحت الأرض عن كنوز لا تخطر ببال، ويُعيد دواؤها الحياة إلى من يبدو وكأنه مقضيٌّ عليه بالموت المحتَّم، بينما تُبيد حروبُها وأهوالها العلمية الحرثَ والنسل. وإن تقدمها المادي من القوة والبريق بحيث إنَّ ضِعافَ الإيمان آخذون في الاعتقاد بأنَّها إله بنفسِها، إلَّا أن أولئك الَّذين ظلُّوا واعين لحالتهم يُدركون بوضوح أن عبادة الدجال تعني الكفرَ بالله»[1].

وهو تأويل بعيد وممجوج، وإذا فتحنا باب التأويل على مصراعيه، فلن تسلم عقيدة من العقائد، ثمَّ لماذا نؤوِّل؟ ما المانع أن يأتي المسيح

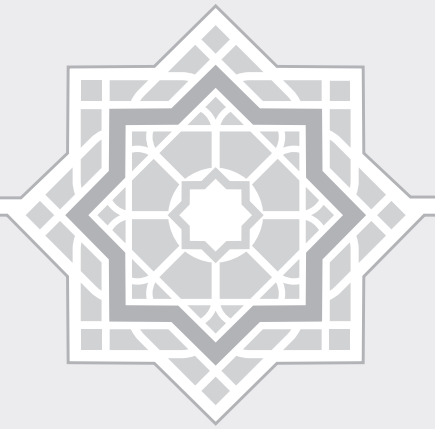
(١) الطريق إلى الإسلام لمحمد أسد صـ ٢٥٢، ٢٥٣، نشر دار العلم للملايين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدجال فتنة من الفتن، ولماذا لا ينزل المسيح عليه السلام ليقتل الدجال، ويُري النَّاس أنَّ هذا الدجال الكذاب لا أســاس له، ويحكم المســيح بشريعة الإسلام، وتكثر الخيرات والبركات في عهده، ثمَّ يذهب وتقترب الدنيا من نهايتها؟ ليس هناك داعٍ عقليٌّ يدفعنا إلى إنكار نزول المســيح عليه السلام، وقتله الدجال، بل هو ممَّا تواترت الأحاديث به.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



السمعيات



غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

سر الموت

س: أرجو أن تبيِّنوا الحكمة في «الموت». لماذا يموت الناس؟ فقد قرأت في صحيفة عربية لكاتب ماتت جدته، ومات صديق له: مقالة يستنكر فيها على القدر إماتة النَّاس بعد أن استمتعوا بالحياة، ولا يقر بحكمة وراء هذا الأمر، ويحمل على الَّذين يرضون بالموت إذا وقع، ويعترفون بأنَّه سنة الله في الحياة، قائلًا: إن هذه فلسفة الأغبياء.

(أ. م. م)
البحرين

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإن الغبي في الحقيقة في هذه القضية هو هذا الكاتب الأحمق المغرور، الَّذي إن دلَّ كلامه هذا على شيء، فإنَّما يدلّ على أنه رخو العود أمام صغريات الحوادث، فكيف بكبارها؟ وأنه سطحي التفكير، ينظر إلى القشر، ولا ينظر إلى اللباب، ويهتم بما يطفو على السطح لا بما يرسب في القاع، وأنه جاهل بالحياة وبالدين وبالفلسفة جميعًا.

QaradawiBooks.com

(أ) لو عرف منطق الحياة لآمن بما آمن به العوام الَّذين عرفوا بحكم الفطرة، ومنطق التجربة أنَّ الموت هو سنَّة الحياة. ولرأى ما يقوم به رعاة الحدائق والبساتين من تشذيب الشجر، وقطع بعض فروعه وأغصانه، ليحيا سائر الشجرة وينمو ويثمر، إنه تضحية بالبعض من أجل الكل. وهذا هو قانون الحياة، ولولا هذا القانون ما قدمت أُمَّة فِلْذات أكبادها، وأعزَّ أبنائها شهداء في سبيل عقيدتها وشرفها، فهم يموتون لتحيا الأُمَّة، أي يقطع الفرع ليبقى الأصل حيًّا.

(ب) ولو عرف منطق الدين، لعرف أنَّ وراء أمر الموت والحياة سر التكليف والابتلاء، وصهر الإنسان في هذه الدار الفانية ليعد للخلود في الدار الباقية، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

لو آمن بمنطق الدين لعلم أنَّ الموت ليس فناء محضًا، ولا عدمًا صرفًا، كما يتصور الجهلة والضالون. إنَّما الموت انتقال من حال إلى حال، ومن طور إلى طور، ومن دار إلى دار، كما قال عمر بن عبد العزيز: إنكم خلقتم للأبد، وإنَّما تُنقلون من دار إلى دار[١].

وقال الشاعر:

وَمَا الْمَوْتُ إِلا رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا مِن الْمَنْزِلِ الْفَانِي إِلَى الْمَنْزِلِ الْبَاقِي[٢]

فالميِّت في قبره يحيا حياة برزخية، يتلذَّذ فيها أو يتألَّم، تمهيدًا لحياة الخلود في الآخرة، بما فيها من حسن الثواب، أو سوء العذاب.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣٤)، في خطبة طويلة عن عمر بن عبد العزيز.

(٢) من شعر أبي العتاهية، انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ ١٥١، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

QaradawiBooks.com

(جـ) ولو عرف منطق الفلسفة لوقف متأملًا يسائل نفسه مرة ومرة، عن حكمة هذا الأمر الخطير، الَّذي لم يدع كائنًا بشريًّا إلَّا فجعه في حبيب لديه، أو عزيز عليه. ولو فعل لوجد الحكمة أبين من فلق الصبح.

ترى ماذا كان يحدُث لو لم يكن الموت مكتوبًا على بني الإنسان؟ لو ظلَّ النَّاس يتناسلون ويتكاثرون، ولا يموت منهم أحد؟ وتمضي ألوف السنين وملايينها وهم يزيدون ولا ينقصون؟!

إنَّ الَّذي نتصوره أن يجتمع العقلاء من النَّاس في كلِّ بلد أو ناحية، ويفكروا في إعدام عدد منهم في كلِّ عام مثلًا، حتَّى تخف الزحمة، وتتيسر المعيشة للباقين. ولكن كيف الاختيار والتعيين: أيكون على كلِّ أسرة أن تقدم من أفرادها عددًا؟ أم الغرباء هم الَّذين يختارون العدد المطلوب؟ أم يكون الاختيار بالقرعة؟ وكيف يمكن التنفيذ إذا لم يكن الإنسان ـ بحكم خلقته ـ قابلًا للموت؟!

إنَّ الموت الطبيعي أراح النَّاس من هذا كله، وكان في ذلك الخير كلُّ الخير؛ لأنَّ الموت في الحقيقة ضرورة للحياة.

يقول الفيلسوف الإسلامي الأخلاقي أحمد بن محمَّد مسكويه في كتابه: «تهذيب الأخلاق» مبينًا بعض حكمة الموت: «إنَّه لو لم يمت أسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود إلينا، ولو جاز أن يبقى الإنسان لبقي من تقدمنا، ولو بقي من تقدمنا من النَّاس على ما هم عليه من التناسل، ولم يموتوا لما وسعتهم الأرض. وأنت تتبين ذلك ممَّا أقول. هب أن رجلًا واحدًا ممَّن كان منذ أربعمائة سنة هو موجود الآن، وليكن من مشاهير النَّاس حتَّى يمكن أن يحصل أولاده موجودين معروفين كعلي بن أبي طالب عليه السلام مثلًا، ثمَّ ولد له أولاد، ولأولاده أولاد، وبقوا كذلك

QaradawiBooks.com

يتناسلون، ولا يموت منهم أحد، كم يكون مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا؟ فإنك ستجدهم أكثر من عشرة آلاف رجل، وذلك أنَّ بقيتهم الآن مع ما قدر فيهم من الموت والقتل الذريع أكثر من مائتي ألف إنسان، واحسب لكل من كان في ذلك العصر من النَّاس في بسيط الأرض، شرقها وغربها، مثل هذا الحساب، فإنَّهم إذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة، ولم تحصهم عددًا، ثمَّ امسح بسيط الأرض، فإنه محدود معروف المساحة، لتعلم أن الأرض حينئذ لا تسعهم قيامًا، فكيف قعودًا ومنصرفين، ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم، ولا مكان لزراعة، ولا مسير لأحد ولا حركة، فضلًا عن غيرها، وهذا في مدة يسيرة من الزمان، فكيف إذا امتد الزمان، وتضاعف النَّاس على هذه النسبة؟ فهذه حال من يتمنى الحياة الأبدية، ويكره الموت، ويظن أن ذلك ممكن أو مطموع فيه، من الجهل والغباوة. فإذن الحكمة البالغة، والعدل المبسوط بالتدبير الإلهي هو الصواب الَّذي لا معدل عنه، ولا محيص منه، وهو غاية الجود، الَّذي ليس وراءه غاية أخرى لطالب مستزيد، أو راغب مستفيد، والخائف منه هو الخائف من عدل الباري وحكمته، بل هو الخائف من جوده وعطائه.

فقد ظهر ظهورًا حسنًا أنَّ الموت ليس برديء كما يظنه جمهور النَّاس، وإنَّما الرديء هو الخوف منه، وأن الَّذي يخاف منه هو الجاهل به وبذاته. وقد كان ظهر أيضًا فيما تقدم من قولنا أن حقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن، وهذه المفارقة ليست فسادًا للنفس، وإنَّما هي فساد المتركب. فأما جوهر النفس الَّذي هو ذات الإنسان ولبه وخلاصته فهو باقٍ بحاله»[1].

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه صـ ٢١٥، ٢١٦، تحقيق قسطنطين زريق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا بعض ما قاله فيلسوف مثل مسكويه عن سر الموت، وقد أفاض وأطنب في ذلك في كتابه، فليرجع إليه[١].

إنَّ من نكد الدنيا أن كثيرًا ممَّن يحررون الصحف، ويوجهون الرأي العام، لا يقرؤون ولا يتعلمون، وقد ضل من كانت العميان تهديه!

إنَّ هذا الصنف الَّذي ولول، وشــق الجيوب مــن أجل موت جدته، كيف ينتظر منه أن يقدم نفســه وولده لمعركة في سبيل الله، أو في سبيل الشرف؛ ما دام تقديم الضحايا للموت إنَّما هو فلسفة الأغبياء؟!

(١) تهذيب الأخلاق صـ ٢٠٩ ـ ٢١٧.

QaradawiBooks.com

موعد قيام الساعة لا يعلمه إلَّا الله
الرد على مزاعم رشاد خليفة

س: أرسل إليَّ بعض الإخوة صورة ممَّا كتبه المدعو: «د. رشاد خليفة» حول تحديد موعد قيام الساعة، ذلك الرجل الَّذي خدع النَّاس يومًا بحكاية الرقم (١٩) وتطبيقه على بعض ما جاء في القرآن الكريم، وتوهم بعض النَّاس أنَّه جاء بوجه جديد من وجوه الإعجاز القرآني، ونوه به من نوه، وكتب من كتب، وكنت من الَّذين لم يستريحوا لهذا النوع من الاستنباط، الَّذي لا يستحقُّ كلَّ ما أثير حوله من ضجيج الإطراء، وأقصى ما يُقال فيه: إنه من «مُلَح العلم» وطرائفه، وليس من صلبه ولبابه. حسَب تقسيم الإمام أبي إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد تبين بعد، أنَّ الكاتب المذكور، كان يتخذ من ذلك الرمز الَّذي اصطنع له دعاية ضخمة ذريعة إلى أمور أُخَر، منها: التشكيك في السُّنَّة النبويَّة، المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، ومنها: تحريف كلم الله عن مواضعها، والقول على الله بغير علم، وتفسير القرآن بالهوى والرأي المحض، كما يبدو ذلك من هذه المقالة الَّتي نحن بصدد الرد عليها، والتي نشرها في أكثر من مجلة، بعضها ممَّا يُروِّج لكل باطل، وبعضها ممَّا ينخدع بأي بريق.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مزاعم رشاد خليفة حول تحديد موعد نهاية العالم:

يحسن بي أن أسوق ما قاله هذا الرجل المغرور بحروفه، دون تلخيص أو تصرف، لأردَّ على كلِّ دعاويه بالحجة الدامغة.

يقول رشاد خليفة: «عندما نزل القرآن الكريم على خاتم النبيين محمَّد ﷺ، كان الله وحده يعلم عن موعد نهاية العالم، ولذلك عندما سُئل محمَّد عليه السلام عن موعد نهاية العالم أعطى نفس الإجابة: «الله وحده يعلم» (الأعراف: ١٨٧، الأحزاب: ٦٣، النازعات: ٤٢).

يعلمنا خالقنا ﷻ أنَّ هذا العالم سوف ينتهي لا محالة (يونس: ٢٤، إبراهيم: ٤٨، الكهف: ٨، الحاقة: ١٤).

كما نتعلم من الآية (١٥) من سورة طه أنَّ موعد نهاية العالم سوف يتم الإزاحة عنه قبل حلول النهاية: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

ومن كلمة «أَكَاد» ندرك أن الكشف عن موعد نهاية العالم، سوف يحتاج إلى بعض العمل أو بعض الحسابات.

وتعلمنا الآية (١٨٧) في سورة الأعراف: أنَّ الله سبحانه سوف يكشف عن موعد نهاية العالم «في الوقت المناسب»: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

ومن البديهي أن يكشف المولى ﷻ عن موعد نهاية العالم في رسالته الختامية إلى العالم وهي القرآن الكريم.

دعنا الآن نلخص هذه الحقائق القرآنية:

١ ـ هذا العالم سوف ينتهي (الكهف: ٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ نهاية العالم لن تظل مخفاة: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

٣ ـ سوف يكشف الله سبحانه عن نهاية العالم في الوقت المناسب (الأعراف: ١٨٧).

٤ ـ الكشف عن موعد نهاية العالم، يحتاج إلى بعض العمل بعض الحسابات (طه: ١٥).

علامات على الطريق:

نظرًا لحساسية وأهمية هذا الموضوع، شاء المولى ﷻ أن يعضد هذا الكشف بعلامات واضحة، وبراهين دامغة. بحيث تزول جميع الشكوك والريبة من قلوب المؤمنين. هذه العلامات والبراهين تؤكد لنا أنَّ الحسابات كلها صحيحة.

لقد اتضح أنَّ موعد نهاية العالم يرتبط ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بالحروف القرآنية فواتح السور ﴿الٓمٓ﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، ﴿نٓۚ﴾، إلخ.

منذ بداية الإسلام وموعد نهاية العالم مرتبط ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بالحروف القرآنية: فواتح السور.

هذه الحقيقة تتضح لنا من الحادثة التاريخية المشهورة الَّتي التقى بموجبها يهود المدينة بالرسول ﷺ. هذا الحدث التاريخي نجده في كثير من المراجع الهامة من بينها تفسير البيضاوي المشهور الَّذي نجد صورة منه أدناه: يروي هذا الحدث أن يهود المدينة ذهبوا إلى الرسول ﷺ لمناقشته، وكان يهود المدينة كغالبية اليهود ماهرين في علم القبالة، أو حساب الجُمَّل، وهو علم مبني على أساس القيم العددية للحروف الأبجدية.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ويلزم هنا تنبيه القـارئ إلى أنَّه عندما نزل القـرآن الكريم لم تكن هناك أرقام مكتوبة، كانت الحروف تستعمل كأرقام.

فالحـرف (١) قيمته (واحـد)، والحـرف (ل) قيمتـه (٣٠)، والحـرف (م) قيمته (٤٠)، وبناء عليه فإنَّ الحروف القرآنية ﴿الٓمٓ﴾ مجموع قيمتها هو (١ + ٣٠ + ٤٠ = ٧١).

ذهب يهود المدينة إلى الرسول ﷺ قالوا: «كيف تتوقع منَّا أن نؤمن بدين سوف يعيش في هذا العالم (٧١) سَنة فقط؟

فمن الواضح أنَّ علماء اليهود قد ربطوا بين الحروف القرآنية ﴿الٓمٓ﴾ الآية الأولى من سـورة البقرة وهي أوَّل سـورة مدنية. ربطوا بين هذه الحروف ومـدة حـياة الرسالة المحمدية.

ومن أهم الملاحظات هنا أنَّ الرسـول عليه السلام وافقهم على حسـاباتهم، وعلى هذا الربط المباشر بين الحروف القرآنية وبين عمر الدين الإسلامي. فالرسـول لم يعترض على طريقتهم في الحساب، بالعكس، لقد قال لهم الرسـول كما تخبرنـا مراجع التاريخ قـال لهم: «ولكن ﴿الٓمٓ﴾ ليسـت الحروف الوحيدة في القرآن فعندنا: «﴿الٓمٓصٓ﴾، و﴿الٓرٰ﴾، و﴿الٓمٓرٰ﴾، إلخ».

ولما كان محمَّد ﷺ هو خاتم النبيين [سورة الأحزاب الآية: ٤٠] فإن نهاية دينه هي ذاتها نهاية العالم.

هذا الحدث التاريخـي يعلِّمنا أنَّ الحروف القرآنيـة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بنهاية العالم.

ولقد بقي معنى الحروف القرآنية سـرًّا إلهيًّا محفوظًا لمدة (١٤) قرنًا (سورة يونس الآية: ٢٠ وسورة الفرقان الآية: ٦).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ثم تبين من دراسات الحاسب الإلكتروني للقرآن الكريم أن هذه الحروف تساهم في نظام حسابي قرآني فائق الدقة، بحيث يثبت للعالم بطريقة مادية ملموسة أنَّ القرآن الكريم هو رسالة الله إلى العالم، وأنَّ كلَّ كلمة فيه ـ بل كلَّ حرف ـ قد حُفظت على مدى السنين والقرون: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وهكذا فقد شاء الله ﷻ أن يثبت للعالم أصالة رسالته، وأصالة هذه الحروف، قبل إزاحة الستار عن علاقة هذه الحروف بنهاية العالم.

فالحروف القرآنية ليست فقط دليل أصالة وعظمة القرآن الكريم، ولكنها أيضًا تفيدنا عن موعد نهاية العالم كما يشاء المولى ﷻ.

إذ يعلمنا القرآن الكريم أنَّ عُمْر الرسالة المحمدية الختامية يساوي مجموع القيمة الحسابية للحروف القرآنية.

فعدد السنوات الَّتي خصصها الله سبحانه للرسالة المحمدية يبينه القرآن الكريم في السورة رقم (١٥) وهذه أوَّل علامة على الطريق. فنحن نرى أن نهاية العالم لن تبقى خافية وذلك في الآية رقم (١٥) من سورة طه، بينما نجد عدد السنوات في السورة رقم (١٥).

إن عدد السنوات الَّتي خصصها المولى ﷻ لدين محمَّد ﷺ نجده محددًا في سورة الحجر، رقم (١٥) الآية (٨٥) إلى (٨٨).

فالآية (٨٥) تفتتح هذا الموضوع بالقول إن نهاية العالم آتية لا محالة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

والآية (٨٦) تذكرنا أن الله سبحانه يعلم موعد الساعة؛ لأنَّه هو الَّذي

QaradawiBooks.com

خلق السماوات والأرض ويعلم نهايتهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

ثم تحدد الآية (٨٧) بالضبط عمر الرسالة المحمدية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ يا محمد، ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحِجر: ٨٧].

فالقرآن الكريم عدد فواتح السور فيه هو بالضبط سبع من المثاني أي (١٤) فكلمه «مثنى» معناها «اثنين» أو «زوج» كما في القول مثنى وثلاث ورباع، أي اثنين أو ثلاثة أو أربعة. وجمع مثنى هو المثاني، سبعًا من المثاني.

وهكذا يقول الله ﷻ: إنَّ المدة الَّتي خصصها لرسالة نبيه محمَّد تساوي مجموع السبع المثاني أي الـ (١٤) فاتحة قرآنية. فإذا تذكرنا أنه لم تكن هناك «أرقام» عندما نزل القرآن يمكننا النظر إلى الحروف القرآنية فواتح السور، باعتبارها (١٤) رقمًا.

ومما يزيد الأمر وضوحًا أن الآية التالية، وهي الآية (٨٨) من سورة الحجر تقول للرسول ﷺ: إنَّ الفترة الَّتي منحها الله إياه أطول من الفترة الَّتي منحت لأي رسول آخر: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحِجر: ٨٨].

فمن المعروف أنَّ الفترة الَّتي منحها الله سبحانه لرسالة موسى عليه السلام كانت ١٤٦٣ سنة، والفترة الَّتي منحها الله سبحانه لرسالة عيسى عليه السلام كانت ٥٧٠ سنة. أمَّا الفترة الَّتي منحها الله ﷻ للرسالة المحمدية فهي السبع المثاني.

ما هي القيمة العددية للسبع المثاني؟ إنَّ هذه القيمة العددية تساوي عمر الدين الإسلامي أي عدد السنوات الَّتي حددها الخالق سبحانه من بعثة محمَّد عليه السلام حتَّى نهاية العالم.

QaradawiBooks.com

فيما يلي قائمة «السبع المثاني» وقيمتهم العددية:

١. ﴿قٓ﴾ = ١٠٠

٢. ﴿نٓ﴾ = ٥٠

٣. ﴿صٓ﴾ = ٩٠

٤. ﴿حمٓ﴾ = ٨ + ٤٠ = ٤٨

٥. ﴿يسٓ﴾ = ١٠ + ٦٠ = ٧٠

٦. ﴿طه﴾ = ٩ + ٥ = ١٤

٧. ﴿طسٓ﴾ = ٩ + ٦٠ = ٦٩

٨. ﴿الٓمٓ﴾ = ١ + ٣٠ + ٤٠ = ٧١

٩. ﴿الٓرٰ﴾ = ١ + ٣٠ + ٢٠٠ = ٢٣١

١٠. ﴿طسٓمٓ﴾ = ٩ + ٦٠ + ٤٠ = ١٠٩

١١. ﴿عٓسٓقٓ﴾ = ٧٠ + ٦٠ + ١٠٠ = ٢٣٠

١٢. ﴿الٓمٓصٓ﴾ = ١ + ٣٠ + ٤٠ + ٩٠ = ١٦١

١٣. ﴿الٓمٓرٰ﴾ = ١ + ٣٠ + ٤٠ + ٢٠٠ = ٢٧١

١٤. ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ = ٢٠ + ٥ + ١٠ + ٧٠ + ٩٠ = ١٩٥

المجموع الكلي = ١٠٠ + ٥٠ + ٩٠ + ٤٨ + ٧٠ + ١٤ + ٦٩ + ٧١ + ٢٣١ + ١٠٩ + ٢٣٠ + ١٦١ + ٢٧١ + ١٩٥ = (١٧٠٩)

إذن عمر الرسالة المحمدية كما حدده القرآن الكريم هو (١٧٠٩) سنة قمرية. نظرًا لأنَّ سنوات القرآن دائمًا قمرية (سورة التوبة: ٣٦).

QaradawiBooks.com

وهذا الرقم (١٧٠٩) يقدم لنا أربع علامات جديدة على الطريق:

أولًا: هذا الكشف شاء المولى ﷻ أن يظهره في عام ١٤٠٠هـ علمًا بأن التواريخ السائدة في العالم هي التواريخ الَّتي يشاؤها الله ﷻ بوصفه الملك الحاكم الحقيقي لهذا العالم. هذا يعني أن هذا الكشف قد ظهر قبل نهاية العالم بـ (١٧٠٩ ـ ١٤٠٠ = ٣٠٩) ٣٠٩ سنة. وهذا الرقم (٣٠٩) رقم قرآني: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥].

ثانيًا: الرقم (٣٠٩) نجده مكتوبًا في القرآن بطريقة خاصَّة جدًّا: «ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا» ولقد اكتشف العلماء حديثًا أن الفرق بين ثلاثمائة سنوات شمسية وثلاثمائة سنوات قمرية هو بالضبط تسعة سنوات قمرية. فكتابة الرقم (٣٠٩) بهذه الطريقة يوفر علينا النقاش والجدل فيما إذا كانت السنوات قمرية أو شمسية، فالحمد لله رب العالمين. ونرى بوضوح أن نهاية العالم كما حددها القرآن سوف تأتي بمشيئة الله بعد (٣٠٩) سنة قمرية أو (٣٠٠) سنة شمسية، وذلك بعد سنة الاكتشاف (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

ثالثًا: طبقًا للآية (٧٨) من سورة الحجر، فإنَّ الفترة الَّتي خصصها الله سبحانه للرسالة المحمدية هي مجموع السبع المثاني أي (١٧٠٩) سنة. وهذا معناه أنَّ السَّنة التالية لعام (١٠٧٩هـ) هي سنة انتهاء العالم وهي سنة (١٧١٠هـ). وهذا الرقم من مضاعفات الرقم (١٩). ولعل القارئ يعلم الآن أن الرقم (١٩) عدد حروف البسملة هو الرقم القاسم المشترك الأعظم للنظام الحسابي القرآني. انظر التفاصيل في كتابي بعنوان: «الكمبيوتر يتكلَّم» فالرقم (١٧١٠) عام انتهاء العالم من مضاعفات الرقم (١٩)، وهذه من أهم العلامات على طريق هذا البحث.

QaradawiBooks.com

رابعًا: العام الهجري (١٧١٠هـ) عام نهاية العالم يتَّفق مع العام الميلادي (٢٢٨٠) وهذا الرقم أيضًا (٢٢٨٠) من مضاعفات الرقم (١٩).

كل هذه العلامات تؤكد لنا أنَّ نهاية العالم الَّتي لا بدَّ من وقوعها قد كتبها الله سبحانه في قرآنه العظيم، وأنَّ الموعد الصحيح لها هو العام الهجري ١٧١٠هـ الموافق للعام الميلادي ٢٢٨٠م.

ملحوظة هامة:

عندما ظهر هذا الاكتشاف ونشر لأول مرة اعترض بعض النَّاس على أساس أن الساعة لا بدَّ وأن تأتي «بغتة»، كما يقول القرآن: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

والحقيقة أنَّ القول: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾. هو بالضبط مثل القول: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]. وبالضبط مثل القول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، ويكشف عن الجهل بالقرآن.

ولقد حذرنا المولى ﷻ ألَّا نكون من المقتسمين، الَّذين يجعلون القرآن عِضين، أي يأخذون قسمًا من القرآن دون القسم الآخر، ويأتي هذا التحذير للمقتسمين في سورة الحجر عقب تحديد موعد الساعة مباشرة (الآية: ٩٠).

فالبغتة نجدها في القرآن الكريم (١٣) مرة، وفي كُلِّ مرَّة نجد البغتة (للكافرين فقط). آيات البغتة هذه نجدها في (الأنعام: ٣١، ٤٤، ٤٧، والأعراف: ٩٥، ١٨٧، ويوسف: ١٠٧، والأنبياء: ٤٠، والحج: ٥٥، والشعراء ٢٠٢، والعنكبوت: ٥٣، والزمر: ٥٥، والزخرف: ٦٦، ومحمد ١٨)، البغتة في القرآن للكافرين فقط؛ لأنَّهم لن يصدقوا هذه التعليمات القرآنية الواضحة، ولذلك ستكون الساعة مفاجأة لهم» انتهى مقال رشاد خليفة.

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

بنى صاحب المقالة استنتاجه لموعد قيام الساعة من القرآن على أسس واهية، بل منهارة لا ثبات لها ولا صحة، ولا تقوم على ساقين من دين أو علم، أو منطق سليم.

ومحورها جميعًا تفسير القرآن برأيه وهواه، دون أن يرجع إلى القرآن نفسه، فخير ما فُسر القرآن بالقرآن، ولا إلى السنة النبويَّة، فالرسول هو المبين للنَّاسِ ما نزل إليهم، ولا إلى سلف الأُمَّة وخير القرون، وأفقه النَّاس لحقيقة الإسلام ومقاصد القرآن، ولا إلى خَلَفِها من المفسرين والشُّراح والفقهاء والمتكلِّمين وغيرهم من نجوم الدراية، وبحور الرواية.

وقد جهل أو تجاهل حديث النَّبيِّ ﷺ: «**من فسَّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[(١)]، «**من قال في القرآن برأيه فليتبوَّأ مقعده من النار**»[(٢)] ولا غرو، فهو لا يؤمن بالسنة كلها.

أمَّا هذه الأسس المنهارة فهي:

١ ـ تفسيره المردود للآية (١٥) من سورة طه.

٢ ـ تفسيره الخاطئ للآية (١٨٧) من سورة الأعراف.

---

(١) رواه أبو داود في العلم (٣٦٥٢)، والتِّرْمِذي في التفسير (٢٩٥٢) وقال: غريب. وضعفه الألباني في ضعيف التِّرْمِذيّ (٥٧١)، عن جندب.

(٢) رواه التِّرْمِذيّ في التفسير (٢٩٥١)، وقال: حديث حسن. والنسائي في الكبرى في فضائل القرآن (٨٠٣١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٤)، عن ابن عباس.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

٣ ـ تفسيره الباطل المحض للآية (٨٧) من سورة الحجر.

٤ ـ اختياره الرأي المضعف المردود في تأويل الحروف المقطعة في فواتح السور، وهو القائم على «حساب الجُمَّل» الَّذي لا تعرفه لغة العرب، ولا يسنده عقل ولا علم ديني أو تجريبي.

٥ ـ اعتباره فواتح السور أربع عشرة، وهو اعتبار تحكمي لا يؤيده منطق. وإليكم البيان:

خطأ الكاتب في تفسير آية سورة طه:

زعم الكاتب أنَّ الآية ١٥ من سورة طه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ تعلمنا أن موعد نهاية العالم سوف يتم الإزاحة عنه قبل حلول النهاية. وأخذ من كلمة «أكاد» أن الكشف عن هذا الموعد سوف يحتاج إلى بعض العمل، أو بعض الحسابات!

ومن المعلوم الواضح أنَّ هذه الآية جاءت في سياق خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام، فلو كان المعنى كما فهم لكشف الله هذا الموعد لموسى أو لنبي بعده من أنبياء بني إسرائيل، أو للمسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام؛ ولكن الواقع أنه لم يكشف لهم ولا لأحد من الأنبياء، ولا لخاتمهم محمَّد عليه الصَّلاة والسلام.

ولو تواضع الكاتب قليلًا، ورجع إلى أئمَّة التفسير لفهم المراد من عبارة «أكاد أخفيها» يقول صاحب «روح المعاني» في تفسيرها: أقرب أن أخفي الساعة ولا أظهرها بأن أقول: إنَّها آتية، ولولا أن في الإخبار بذلك من اللطف وقطع الأعذار لما فعلت[1].

(١) روح المعاني للألوسي (١٧٢/١٦).

QaradawiBooks.com

ورُوي عن ابن عبَّاس وجعفر الصـادق: أن المعنى: أكاد أخفيها من نفسـي[١]. أي فكيف أظهرها لكم؟ قال الفراء: أكاد أخفيها من نفسـي، فكيف أطلعكم عليها؟

وذكر صاحب «الدر» قول ابـن عبَّاس أيضًا وهـو: أكاد أخفيها من نفسي[٢]. وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من أن أحدهم إذا أراد المبالغة في كتمان الشـيء قال: كدت أخفيه من نفسي. ويقرب من هذا ما جاء في حديث السـبعة الَّذين يظلهم الله في ظله: «**ورجل تصدَّق بصدقةٍ، فأخفاها، حتَّى لا تعلم شمالُه ما أنفقت يَمِينه**»[٣].

ما فهمه الكاتب من آية الأعراف مردود عليه:

وزعم صاحب البحث كذلك أنَّ الآية (١٨٧) من سورة الأعراف ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ تعلمنا أن الله سبحانه سـوف يكشف عن موعد نهاية العالم في الوقت المناسـب... ومن البديهي أن يكشف عنه في رسالته الختامية إلى العالـم، وهو القـرآن، كما قال.

وهذا فهـم خاطئ للآية الكريمة، وسـياق الآية بتمامهـا ـ لو تأمله الكاتب الجريء ـ يبطل فهمه بوضوح.

يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٥) لابن أبي حاتم في التفسير.

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٥٦٣/٥)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فانظر كيف سأل السائلون رسول الله ﷺ عن موعد الساعة، وكيف كان جوابه عنها بأمر الله تعالى، أنه لا يعلم عن وقت قيامها شيئًا، وإنَّما علمه عند الله. وقد كرر هذا المعنى للتأكيد مرتين: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

وقد أتي صاحبنا من سوء فهمه للعربية، ومعنى اللام في قوله: ﴿لِوَقْتِهَآ﴾ واللام هنا بمعنى «في» كما في حديث: «**أفضل الأعمال الصَّلاة لوقتها**»[1]. أي في وقتها. فهذه الجملة كما قال الألوسي[2] بيان لاستمرار إخفائها إلى حين قيامها، وإقناط كلي عن إظهار أمرها بطريق الإخبار. وإنَّما يُظهرها بأن يقيمها في وقتها المعلوم، فيعلموها على أتم وجه حينئذ.

التفسير المبتدع لآية الحجر:

اخترع صاحب هذا الرأي تفسيرًا لقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الآية: ٨٧]. جعله عمدته فيما ادعاه، وهو تفسير لا تدل عليه الآية، لا بالتصريح ولا بالإشارة، ولم يخطر ببال أحد من المتقدِّمين ولا المتأخِّرين، ولم يقلْ به أحد من أهل الرواية، ولا من أهل الدراية، بل هو مخالفٌ كلَّ المخالفة لِمَا صحَّ به النقل، وما دلَّ عليه العقل، وما يقتضيه السِّبَاق والسِّياق. وموجِبٌ أنَّ الأُمَّة كلَّها من الصحابة وتابعيهم ومن بعدهم طوال أربعة عشر قرنًا، عاشوا وماتوا، ولم يفهموا ما أنزل إليهم من ربهم، مع أن الله أنزل كتابه بلسان عربي مبين، ووصفه بأنه: ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، ويسَّره

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٧)، ومسلم في الإيمان (٨٥)، عن ابن مسعود.

(٢) روح المعاني للألوسي (١٣٣/٩).

QaradawiBooks.com

بلسانهم لعلَّهم يتذكرون، ومع هذا لم يتبينوا ولم يتذكروا حتَّى جاء صاحبنا من أمريكا، ليُبَيِّن ما كان خافيًا، ويُذكِّر بما كان منسيًّا!

قال الإمام الشوكاني في كتابه «فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في التفسير»: اختلف أهل العلم في السبع المثاني: ماذا هي؟ فقال جمهور المفسرين: إنَّها الفاتحة. قال الواحدي: وأكثر المفسرين على أنَّها فاتحة الكتاب، وهو قول عُمَر وعلي وابن مسعود، والحسن ومجاهد وقتادة، والربيع والكلبي. وزاد القرطبي[١] أبا هُرَيْرة وأبا العالية. وزاد النيسابوري: الضحاك وسعيد بن جبير[٢]، وقد روي ذلك من قول رسول الله ﷺ، كما سيأتي بيانه فيتعين المصير إليه.

وقيل: هي السبع الطُّوَل ـ أي السور السبع الطوال ـ: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والسابعة: الأنفال والتوبة لأنهما كسورة واحدة؛ إذ ليس بينهما تسمية. روي هذا عن ابن عباس.

وقيل: المراد بالسبع أقسام القرآن، وهي الأمر، والنهي، والتبشير، والإنذار، وضرب الأمثال، وتعريف النعم، وأنباء القرون الماضية، قاله زياد ابن أبي مريم.

ولا شكَّ أنَّ القول الأول هو الصحيح، فعند نزول هذه الآية وهي مكية، لم تكن أكثر السبع الطوال نزلت؛ لأنَّها مدنية، وكذلك الأمر

(١) تفسير القرطبي (٥٤/١٠)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٢) تفسير النيسابوري (٢٣٢/٤)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

QaradawiBooks.com

والنهي إنَّما نزل أكثرهما في المدينة، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ تقدم إيتاء السبع على نزول هذه الآية[1].

وحسبنا لصحة القول الأول أن الإمام البخاري روى في ذلك حديثين في صحيحه:

الأول: من حديث أبي سعيد بن المعلى، وفيه قال ﷺ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الَّذي أوتيته»[2].

وثانيهما: من حديث أبي هُرَيْرة، قال: «**أمُّ القرآن ـ يعني الفاتحة ـ هي السبع المثاني والقرآن العظيم**»[3].

فأما كونها سبعًا؛ فلأنَّها سبع آيات، والبسملة آية منها.

وأمَّا كونها مثاني، فلأنَّها تُثْنى، أي تُكَرَّر في كلِّ صلاة.

وعطف القرآن عليها من باب عطف العام على الخاص، وهو معروف في العربية.

فأمَّا قول صاحب التفسير المبتدَع: إنَّ ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ معناها: (١٤) لأنَّ المثاني جمع «مثنى»، ومثنى تعني «اثنين» كأنه قال: يا محمد، أعطيناك أربعة عشر! فهذا من القول على الله بغير علم، ومن الاجتراء على كتاب الله بالرأي المحض والهوى الصرف، الَّذي جاء النهي عنه والوعيد عليه، من رسول الله ﷺ. وهل لهذا نظير في كلام العرب شعرًا أو نثرًا؟!

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١٧٠/٣)، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٤٧٤).

(٣) رواه البخاري في التفسير (٤٧٠٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تحكمات لا دليل عليها:

ولو افترضنا صحَّة ذلك، وما هو بصحيح، فما معنى أعطيناك أربعة عشر؟ وماذا تفيده هذه الكلمة، ولم يتبين منها المعدود ما هو؟ أهو إبل أم بقر أم غنم أم دراهم أم دنانير؟ أم أي شيء هو؟

وما الَّذي جعل صاحبنا يقول: إنَّ الـ (١٤) تعني فواتح السور في القرآن؟

وأي دليل على هذا من الشَّرع أو من اللغة أو من العقل؟

على أنَّ فواتح السور ليست أربعة عشر، بل هي تسعة وعشرون، فلماذا اكتفى بالأربعة عشرة؟

وإذا كان قد اكتفى بغير المكرر، فلماذا لم يحذف الحروف المكررة أيضًا ويقتصر على الحروف الأربعة عشرة المذكورة في فواتح السور؟

إن هذا كله تحكم من قائله لا يسنده دليل من دين أو علم.

ومن العجائب أنَّ صاحب هذا التفسير المبتدَع يقول مؤيِّدًا بدعته:

وممَّا يزيد الأمر وضوحًا: أنَّ الآية التالية وهي الآية ٨٨ من سورة الحجر تقول للرسول ﷺ: إنَّ الفترة الَّتي منحها الله إياه أطول من الفترة الَّتي منحت لأي رسول آخر: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ فسيادته يجعل الضمير في ﴿مِّنْهُمْ﴾ للمرسلين مثل موسى وعيسى!

هذا مع أن ما تدل عليه الآية بوضوح هو النهي عن التطلع إلى أصناف من النَّاس مُتِّعوا بأشياء لم يمتع هو بها من متاع الحياة الدنيا، فأما إذا كان ما عنده فوق ما عندهم، فلماذا يمد عينيه إليهم؟!

QaradawiBooks.com

وأين ذكر المرسلين فيما سبق حتَّى يعود الضمير إليهم؟!

ولو أنَّ صاحبنا فسر القرآن بالقرآن، ورجع إلى سورة «طه» لوجد فيها آية شبيهة بهذه الآية توضح المقصود منها تمامًا. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

يقول ابن كثير في تفسير الآية: «أي استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم، عمَّا هم فيه من المتاع والزهرة الفانية»[(١)].

وقال الشوكاني: «لمَّا بيَّن لرسوله ﷺ ما أنعم عليه به من هذه النعمة الدينية؛ نفّره عن اللذات العاجلة فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ...﴾ إلخ، أي لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمنّ لها». قال: «لما نهاه عن الالتفات إلى أموالهم وأمتعتهم، نهاه عن الالتفات إليهم فقال: «ولا تحزن عليهم»؛ حيث لم يؤمنوا، وصمموا على الكفر والعناد»[(٢)].

القصة الَّتي ذكرها البيضاوي لا يُحتج بها:

على أنَّ القصَّة الَّتي ذكرها البيضاوي[(٣)]. وذكرها غيره أيضًا من المفسرين، واستشهد بها صاحب المقال على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أقر اليهود على ما فهموه من الحروف المقطعة في فواتح السور، وأنَّها تشير إلى مدة الرسالة المحمدية على طريقة «حساب الجُمَّل»؛ لأنَّه ﷺ تبسَّم عند سماع قولهم، وتبسمه يدلُّ على إقراره لهم!

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٤٨/٤)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) فتح القدير (١٧١/٣).

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (١٧١/١، ١٧٢)، نشر دار صادر، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذه القصَّة من الناحية العلمية غير ثابتة، ولم تُروَ بسند صحيح أو حسن، بل بإسناد ضعيف لا يحتج به، ضعفه الحافظ ابن كثير في تفسيره[١]. والسيوطي في الدر المنثور[٢]. والشوكاني في فتح القدير[٣]. وأحمد شاكر في تخريج تفسير الطبري[٤]. فسقط إذن الاحتجاج بها؛ إذ لا يحتج بضعيف عند أهل العلم.

على أنَّ هذه القصَّة لو سلمنا بصحتها ليست نصًّا في الدلالة على صحَّة ما يقوله اليهود في حساب الجمل، وما استنتجوه من الحروف، وهذا ما ذكره البيضاوي نفسه الَّذي استشهد به الكاتب. فإنه ذكر هذا القول في جملة أقوال أخرى في تفسير هذه الحروف، مع ذكر ما استدلَّ به كلُّ قول، ومنها دليل هذا القول من القصَّة المذكورة، بزعم أن تقرير الرسول لهم على استنباطهم دليل على ذلك، ثمَّ أخذ العلامة البيضاوي يرد على الأقوال الَّتي حكاها واحدًا واحدًا، ومنها هذا القول اليهودي في مصدره. فذكر أنَّ هذه الحروف لم تُستعمل لحساب الجمل فتلحق بالمعرّبات.

قال: والحديث لا دليل فيه، لجواز أنه عليه الصَّلاة والسلام تبسَّم تعجبًا من جهلهم: أي لتفسيرهم النازل بلسان عربي بما ليس من معاني لغة العرب، كما قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي[٥]. قال الشيخ شاكر: «ولله دَرُّ الحافظ ابن كثير، فقد وضع الحق في موضعه حين قال

(١) تفسير القرآن العظيم (١٦١/١).
(٢) الدر المنثور للسيوطي (١٢٣/١ ـ ١٢٦).
(٣) فتح القدير (٣٧/١).
(٤) تفسير الطبري (٢١٧/١، ٢١٨)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
(٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (١٧٤/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في التفسير[١]: وأما من زعم أنَّها دالة على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره!

قال: وقد ورد في ذلك حديث ضعيف، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته. ثمَّ ذكر الحديث الَّذي يروي القصَّة المذكورة نقلًا عن الطبري ثمَّ قال: «فهذا الحديث مداره على محمَّد بن السائب الكلبي، وهو ممَّن لا يحتج بما انفرد به»[٢].

على أنَّ هناك من العلماء قديمًا وحديثًا من رفض الخوض في تفسير هذه الحروف، ورجح ما نقل عن أبي بكر الصديق وسائر الخلفاء الأربعة: أنَّها سر استأثر الله بعلمه، فهي بهذا عندهم من المتشابه الَّذي لا يعلم تأويله إلَّا الله، ولهذا يقولون عندها: الله أعلم بمراده.

وقد أنكر الإمام الشوكاني في تفسيره على من زعم أنَّ لها معنى مقطوعًا به. قال: «إن من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جازمًا بأن ذلك هو ما أراده الله ﷻ، فقد غلط أقبح الغلط، وركب في فهمه ودعواه أعظم الشطط.

فإن كان تفسيره لها بما فسرها به راجعًا إلى لغة العرب وعلومها، فهو كذب بحت، فإن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك... فلم يبقَ حينئذ إلَّا أحد أمرين: **الأول**: التفسير بمحض الرأي الَّذي ورد النهي عنه والوعيد عليه، وأهل العلم أحق النَّاس بتجنبه والصد عنه، والتنكب عن طريقه. وهم أتقى لله سبحانه من أن يجعلوا كتاب الله سبحانه ملعبة لهم يتلاعبون

(١) تفسير ابن كثير (١٦١/١).

(٢) تعليق أحمد شاكر في حاشية تفسير الطبري (٢١٧/١).

QaradawiBooks.com

به، ويضعون حماقات أنظارهم، وخزعبلات أفكارهم عليه. **الثاني**: التوقيف عن صاحب الشَّرع، وهذا المهيع الواضح، والسبيل القويم... فمن وجد شيئًا من هذا فغير ملوم أن يقول بملء فيه، ويتكلم بما وصل إليه علمه. ومن لم يبلغه شيء من ذلك، فليقل: لا أدري. أو: الله أعلم بمراده»[٣].

ثم قال: «فإن قلت: هل ثبت عن رسول الله في هذه الفواتح شيء يصلح للتمسك به؟ قلت ـ القائل الشوكاني ـ: لا أعلم أن رسول الله ﷺ تكلم في شيء من معانيها»[٤].

وتساءل الشوكاني: هل يجوز تقليد أحد الصحابة في تفسير هذه الفواتح إن صحَّ إسناد القول إليه؟

وأجاب بالنفي؛ لأنَّه مجرد رأي له قاله باجتهاده، ثمَّ إن المروي عن الصحابة هنا مختلف متناقض، فلو عملنا بما قاله أحدهم دون الآخر: كان تحكمًا لا وجه له، وإن عملنا بالجميع كان عملًا بما هو مختلف ومتناقض، ولا يجوز.

على أنه لو كان شيء ممَّا قالوه مأخوذًا عن النَّبيِّ ﷺ لاتَّفقوا عليه ولم يختلفوا، كسائر ما هو مأخوذ عنه... ثمَّ لو كان عندهم شيء من هذا لما تركوا حكايته عنه، ورفعه إليه، لا سيما عند اختلافهم.

ثم قال: «والذي أراه لنفسي ولكلِّ مَنْ أحبَّ السلامة واقتدى بسلف الأُمَّة: ألَّا يتكلَّم بشيء من ذلك، مع الاعتراف بأنَّه في إنزالها حكمة لله ﷻ لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليها أفهامنا»[٥].

---

(٣) فتح القدير (٣٦/١).

(٤) السابق (٣٧/١).

(٥) المصدر السابق (٣٨/١).

نسخة مجانية
غير صالحة للطباعة
QaradawiBooks.com

هذا هو موقــف من رأى الســلامة في عدم التعرض لهــذه الفواتح بتفسير، قد لا يكون هو مراد الله تعالى.

وأمَّا من خاض في تفسيرها من المتقدمين أو المتأخرين، فلم يرجح أحد منهم ما ذكر من أنَّها إشــارة إلى أرقام على طريقة حساب الجمل، الَّذي شاع عند اليهود، كما ذكرنا من قبل.

حساب الجمل لا يقوم على أساس منطقي:

ثم إنَّ «حساب الجُمَّل» نفسه مجرد اصطلاح من جماعة من النَّاس، ولكنَّه اصطلاح تحكمي محض، لا يقوم على منطق من عقل أو علم.

فمن الَّذي رتَّب الحروف على هذا النحو: أ ب جـ د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ؟ ولمــاذا لم تترتَّب هكــذا: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز إلــخ؟ أو تترتَّب على أي نحو آخر؟

ومن الَّذي جعــل للألف رقم (١) والباء رقــم (٢) وهكذا آحادًا إلى حرف ط، ثمَّ أعطى للحــرف (ي) رقم (٢٠) وللحرف (ك) (٣٠) وهكذا الزيادة بالعشــرات إلى الحرف الَّذي يعادل (١٠٠) وبعــده تكون الزيادة بالمئات.

لماذا لم تكن الزيادة آحادًا إلى آخر الحروف؟ ولماذا لم تبدأ بعشرة أو بمائة أو بألف؟ ولماذا لم تكــن هكــذا: ألف (١)، ب (١٠)، ج (٢٠) وهكذا؟ ولماذا لم تكن هكـذا: ١، ١٠، ١٠٠، ١٠٠٠ إلخ؟ ولماذا؟ ولماذا؟

كل هذا تحكم من واضعيه المصطلحين عليه. صحيح أنَّه لا مشاحَّة في الاصطلاح، ولكن هذا لا يلزم أحدًا.

QaradawiBooks.com

مخالفة هذا الرأي لصريح القرآن:

ثم إن هذا الرأي الجريء الَّذي حدد زمن قيام الساعة، يخالف صريح ما نطق به القرآن الكريم من كيفية قيام الساعة.

فقد أثبت القرآن أن الساعة لا تأتي إلَّا بغتة، كما في آية الأعراف: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

والقول بأنَّ هذا بالنسبة للكفار، وليس للمؤمنين، غير صحيح، فالخطاب للجميع، وليس هناك دليل على اختصاص هذا الخطاب بالكفار.

على أنَّ الساعة إذا علمت وعرف وقتها بالتحديد عند المؤمنين، فإن هذه المعرفة ستنتقل حتمًا إلى الكفار، ولو على سبيل الظن والشك، وهنا تزول المباغتة والمفاجأة الَّتي تحدَّث عنها القرآن.

دعوى صاحب هذا الرأي أنه علم من القرآن ما لم يعلمه رسول الله:

وأمر آخر: إنَّ صاحب هذا الرأي يزعم لنفسه، أنه علم من القرآن ما لم يعلمه من أنزله الله عليه، وهو محمَّد ﷺ.

ذلك أنَّ الرسول ﷺ المبلغ عن الله، لم يكن يعلم عن موعد الساعة شيئًا، وجبريل أمين الوحي الَّذي نزل عليه بالقرآن لم يكن يعلم عن موعدها شيئًا، وهذا ثابت بنص الحديث المشهور المتفق على صحته، المعروف لدى الخاص والعام من المسلمين، وهو الَّذي يروي قصة مجيء جبريل في صورة رجل يسأل النَّبيّ ﷺ عن أصول ومفاهيم أساسية، تعلم النَّاس دينهم، ومنها سؤال عن الساعة متى هي؟

QaradawiBooks.com

فكان الجواب الواضح الصريح من الرسول البشري إلى الرسول الملكي: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[١].

وجاء في هذا الحديث الصحيح في رواية مسلم: «**في خمس لا يعلمُهنَّ إلَّا الله**»[٢]، ثمَّ تلا الآية الأخيرة من سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية: ٣٤].

وإنَّما شددنا الإنكار على مثل هذا القول لما فيه من جرأة على كتاب الله، وفتح الباب للمتلاعبين به، المحرفين للكلم عن مواضعه، فيصبح كتاب الله ملعبة لهواة الإغراب، وتصبح آياته الهادية الخالدة كأنَّها كرة يتقاذفها اللاعبون!

ورحم الله أبا بكر الَّذي كان يقول: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[٣]؟

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن (٣٠٧٣١).

QaradawiBooks.com

أين النَّـار؟!
رأي ابن تيمية وابن القيم حول فناء النار

س: كان الاعتقاد السـائد والمستقر في نفسـي من عهد الصبا، ممَّا سـمعته وتلقنته، ومما قرأته بعـد ذلك وطالعته، أنَّ عـذاب النَّار أبدي بالنسبة للكفار الَّذين ماتوا على كفرهم مصرين، وأنَّ النَّار لا تفنى أبدًا، شأنها شأن الجنَّة ونعيمها.

ولكني قرأت في بعـض الكتب أخيرًا كلمات مقتضبة: أن لشـيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيِّم رأيًا آخر، خالفا فيه جمهور أهل السُّنَّة، أو جمهور المسلمين عامة، وهو الَّذي يقول بأن النَّار ليست أبدية، وأنَّها سـتفنى يومًا بمشـيئة الله تعالى وأمره، وأنَّها سيأتي عليها زمن لا يكون فيها أحد.

فهل هذا القول المنسوب إلى الشيخين صحيح؟ أو هو من اتهامات خصومهما لهما وتشنيعهم عليهما؟

أرجو بيان ذلك من خلال ما كتباه فـي كتبهما؛ لا من نقل الآخرين عنهما، والله يحفظكم ويجزيكم خيرًا.

(ت. د. غ)

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ الرأي الَّذي يسأل عنه الأخ الكريم قد نُسب إلى الإمامين: ابن تيمية وابن القيِّم، وقد قرأت ذلك في بعض الكتب، كما قرأه السائل، ولكنِّي مع طول ما قرأت لابن تيمية: لم أعثر عليه في كتبه ورسائله الكثيرة، وقد طبعت المملكة العربية السعودية منها بعض الكتب الكبيرة مثل: «منهاج السُّنَّة» ومثل «درء تعارض العقل والنقل».

كما طبعت الرسائل والفتاوى في سبعة وثلاثين مجلدًا، بفهارسها.

ولم أجد في شيء منها هذا الرأي لابن تيمية. بل وجدته لتلميذه ابن القيم.

ولا أدري سبب الخطأ في نسبته إلى شيخ الإسلام، ولعلهم ظنوا أن ابن القيِّم لا يقول رأيًا مستقلًّا من عند نفسه، إنَّما آراؤه تأييد وتأكيد لآراء شيخه في الغالب. وربَّما فصَّلها وشرحها ودلل عليها أكثر من شيخه.

ولكن الواقع أنَّ هذا الرأي إنَّما هو رأي ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ.

وها أنا أنقل خلاصة له هنا من نصوص كتبه، لنتبين موقفه من هذه القضية.

QaradawiBooks.com

خلاصة ما ذكره ابن القيِّم في المسألة:

تعرض ابن القيِّم لمسألة دوام النَّار وأبديتها في كتابين له:

١. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح[١].

٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل[٢].

وزبدة ما ذكره في كتابيه يتلخص فيما يلي:

أولًا: ذكر في أبدية النَّار أو فنائها سبعة أقوال، أفاض القول في سابعها وهو: أنّ للنار أمدًا تنتهي إليه، ثمَّ يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى. وقد أيد هذا القول بوجوه عديدة ـ على لسان أصحابه ـ منها:

١. أنَّ الله تعالى أخبر في ثلاث آيات عن النَّار بما يدلُّ على عدم أبديتها:

أ. آية سورة النبأ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ [النبأ: ٢٣]. فتقييد لبثهم فيها بالأحقاب يدلُّ على مدة مقدرة يحصرها العدد؛ لأن ما لا نهاية له لا يقال فيه: هو باقٍ أحقابًا، وقد فهم ذلك من الآية الصحابة ـ وهم أفهم الأُمَّة لمعاني القرآن ـ كما سنذكر بعد.

ب. آية سورة الأنعام: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

جـ. آية سورة هود: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. وقال بعدها في الجنَّة وأهلها:

---

(١) حادي الأرواح صـ ٣٤٨ ـ ٣٨٨.

(٢) شفاء العليل صـ ٢٥٢ ـ ٢٦٤، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [الآيــة: ١٠٨]. ولولا الأدلَّة القطعية الدالة على أبديــة الجنَّة ودوامها، لكان حكم الاستثناءين في الموضعين واحدًا. كيف، وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين؛ فإنَّه قال تعالى في أهل النار: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ فعلمنا أنَّه تعالى يريد أن يفعل فعــلًا لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ فعلمنــا أن هذا العطاء والنعيــم غير مقطوع عنهم أبدًا. وسنذكر ما قاله الصحابة في الاستثناء.

هذا القول منقول عن عدد من الصحابة والتابعين وجلة الأئمَّة:

فمن الصحابة:

ـ عمر رضي الله عنه قال: «**لو لبث أهل النَّار فــي النَّار عدد رمل عالج؛ لكان لهم يوم يخرجون فيه**»[(١)].

ـ وابن مسعود رضي الله عنه قال: «**ليأتينَّ على جهنَّم زمانٌ تَخْفِق أبوابها، ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابًا**»[(٢)].

---

(١) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح صـ ٣٥٤، وعزاه لعبد بن حميد في تفســيره، وقال عقبه: وحسبك بهذا الإسناد جلالة، والحسن وإن لم يسمع من عمر، فإنما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٢٢/١١) بعد أن ذكره: وهو منقطع ولفظه لو لبث أهل النار في النــار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه. وعن ابن مسعود ليأتين عليها زمان ليس فيها أحد قال عبيد الله بن معاذ راويه كان أصحابنا يقولــون ـ يعني به الموحدين ـ قلت وهذا الأثر عــن عمر لو ثبت حمل على الموحدين، وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول الســابع ونصــره بعدة أوجه من جهة النظر، وهو مذهب رديء مردود على قائله، وقد أطنب السبكي الكبير في بيان وهائه فأجاد.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٤٨٤/١٥): حدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس ـ فذكر أثرا له ـ قال: وقال ابن مسعود... فذكره.

QaradawiBooks.com

ـ وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ روي عنه نحوه[١].

وأبو هُرَيْرة قال: أمَّا الَّذي أقول: إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ الآيتين [هود: ١٠٦، ١٠٧][٢].

ـ وأبو سعيد الخدري قال في آية: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: أتت على كلِّ آية في القرآن، أي آية وعيد[٣].

ـ وابن عبَّاس ـ في رواية عنه ـ قال في الآية: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: استثنى الله. قال: أمر الله النَّار أن تأكلهم[٤].

ومن التابعين وأئمة السلف:

الشَّعْبي قال: جهنم أسرع الدارين عمرانًا، وأسرعهما خرابًا[٥].

وأبو مِجْلَزٍ قال عن النَّار: جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه[٦].

وإسحاق بن راهويه ـ وقد سئل عن آية هود، قال: أتت هذه الآية على كُلِّ وعيد في القرآن[٧].

---

(١) رواه البزار (٢٤٧٨)، والفسوي في تاريخه (١٠٣/٢)، قال أبو داود الطيالسي ـ أحد رواة الحديث ـ وحدثنا علي بن سلمة عن ثابت قال: سألت الحسن عن هذا الحديث فأنكره.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٨/٤).

(٣) ذكره ابن القيم في شفاء العليل صـ ٢٥٧.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٤٨٤/١٥).

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق (٤٨٣/١٥).

(٧) المصدر السابق، وشفاء العليل لابن القيم صـ ٢٥٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢. دلَّ العقل والنقل والفطرة على أنَّ الرب تعالى حكيم رحيم:

والحكمة والرحمة تأبيان بقاء هذه النفوس في العذاب أبد الآباد، وقد دلَّت النصوص والاعتبار على أن ما شرعه الله وقدره من العذاب والعقوبات في الدنيا، إنَّما هو لتهذيب النفوس وتصفيتها من الشر الَّذي فيها، ولحصول مصلحة الزجر والاتعاظ، وقطع النفوس عن المعاودة؛ وغير ذلك من الحكم، وفي القرآن والسُّنَّة ما يدلُّنا على أن جنس الآلام إنَّما هو لمصلحة الإنسان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠] إلخ، ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١] إلخ.

وربُّ الدنيا والآخرة واحد، وحكمته ورحمته موجودة في الدارين، بل رحمته في الآخرة أعظم، فقد ورد في الصحيح: أنَّ رحمته في الدنيا جزء من مائة جزء من رحمته في الآخرة[1]، فإذا كان العذاب في هذه الدار رحمة بأهله ولطفًا بهم ومصلحة لهم، فكيف في الدار الَّتي تظهر فيها مائة رحمة، كلُّ رحمة طباق ما بين السماء والأرض؟!

وليس لله غرض في العذاب كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]. كما أنه لا يفعله سُدى، وإذن فلا بدَّ من حكمة ومصلحة تعود على عباده، وهي إمَّا مصلحة أحبائه وأوليائه، بتمام نعيمهم وبهجتهم بما يفعله في أعدائه وأعدائهم، وإمَّا مصلحة الأشقياء ومداواتهم، أو لهذا ولهذا. وعليه، فالتعذيب مقصود لغيره، قصد الوسائل لا قصد الغايات،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والمقصود من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها. ونعيم أهل الجنَّة ليس متوقفًا في أصله ولا كماله على استمرار عذاب أهل النَّار ودوامه، ولو كان أهل الجنَّة أقسى خلق الله لرقوا لحال أعدائهم بعد طول العذاب. ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام واستمرار العذاب، وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم.

٣. أخبر الله تعالى أن رحمته وسعت كلَّ شيء:

وأنَّ رحمته سبقت غضبه، وأنَّه كتب على نفسه الرحمة، فلا بدَّ أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب إلى غير غاية لم تسعهم رحمته، وهذا ظاهر جدًّا، والثابت أن رحمته لا بدَّ أن تنتهي حيث ينتهي العلم كما قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وقد تسمَّى الله بالغفور الرحيم، ولم يتسم بالمعذِّب ولا بالمعاقِب، بل جعل العذاب والعقاب في أفعاله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] وغيرها من الآيات، فإنه يتمدح بالعفو والمغفرة والرحمة والحلم، إلخ ويتسمى بها، ولم يتمدح بأنَّه المعاقب ولا الغضبان ولا المنتقم؛ إلَّا في الحديث الَّذي فيه تعديد الأسماء الحسنى، ولم يثبت.

٤. يوضح هذا أن الله لم يخلق الإنسان عبثًا ولم يخلقه ليعذبه:

وإنَّما خلقه ليرحمه ولكن اكتسب موجب العذاب بعد خلقه له، فتعذيبه ليس هو الغاية، وإنَّما تعذيبه لحكمة ورحمة، والحكمة والرحمة تأبيان أن يتصل عذابه سرمدًا إلى غير نهاية، أمَّا الرحمة

QaradawiBooks.com

فظاهر، وأما الحكمة فلأنَّه إنَّما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها، ولم يُخلق عليه من أصل الخِلقة، ولا خُلق له؛ لأنَّه لم يخلق للإشراك ولا للعذاب. بل خُلق للعبادة والرحمة، ولكن طرأ عليه موجب العذاب فاستحق العذاب، وذلك الموجب ـ وهو الكفر ـ لا دوام له؛ فكيف يكون موجبه دائمًا؟

أهل السُّنَّة على أنَّه يجوز تخلف الوعيد:

بل إخلافه كرم وعفو وتجاوز، يُمدح الرب تعالى به، ويُثنَى عليه به؛ لأنَّه حقه، والكريم لا يستوفي حقه فكيف بأكرم الأكرمين؟ واستشهد ابن القيِّم لذلك بآثار وأشعار. هذا في وعيد مطلق، فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ولهذا قالوا: أتت على كلِّ وعيد في القرآن.

ثانيًا: فنَّد ابن القيِّم الأدلَّة الَّتي استند إليها القائلون بدوام النَّار، وأهمها:

١. الآيات الَّتي دلت على خلود الكفَّار وتأبيدهم في النَّار، وقد قال: إن ذكر الخلود والتأبيد لا يقتضي عدم النهاية، والخلود هو المكث الطويل كقولهم: قيد مخلد والتأبيد في كلِّ شيء بحسبه، فقد يكون لمدة الحياة، ولمدة الدنيا. وقد ورد النص بالخلود على بعض الكبائر من الموحدين وقيد في بعضها بالتأبيد، كما في قاتل المؤمن عمدًا: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]. وكما في قاتل نفسه: «**فحديدته في يده، يتوجَّأ بها في نار جهنَّم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[(١)].

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٧٨)، ومسلم في الإيمان (١٠٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

٢. الآيات الَّتي دلَّت على عدم خروجهم منها: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر: ٣٦]. إلى آخر تلك الآيات قال: فطائفة قالت: إنَّ إطلاقها مقيَّد بآيات التقييد بالاستثناء بالمشيئة، فيكون من باب تخصيص العموم؛ وكأنَّ هذا قول من قال من السلف في آية هود: أتت على كلِّ وعيد في القرآن.

والذي صححه ابن القيِّم أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها، فهم باقون فيها لا يخرجون منها ما دامت باقية، ولكن ليس فيها ما يدلُّ على أن نفس النَّار دائمة بدوام الله لا انتهاء لها، وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائمًا بدوامها، وبين أن تكون هي أبدية لا انقطاع لها، فلا تستحيل ولا تضمحل.

٣. الإجماع، قال ابن القيِّم: وإنَّما يظن الإجماع في المسألة من لم يعرف النزاع، وقد عُرف النزاع فيها قديمًا وحديثًا، كيف وقد نُقل عن الصحابة والتابعين التصريح بخلاف ما يدعون؟

ثالثًا: بعد هذا كله مال ابن القيِّم إلى التفويض في المسألة إلى مشيئة الله، فلا جزم بفناء النَّار، كما لا جزم بدوامها. قال في شفاء العليل: وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين عليّ؛ فإنَّه ذكر دخول أهل الجنَّة الجنة وأهل النَّار النَّار، ووصف ذلك أحسن صفة ثمَّ قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء، وعلى مذهب ابن عبَّاس حيث يقول: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنَّة ولا نارًا. ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨][1]، وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١٨/١٢).

QaradawiBooks.com

يقول: ينتهي القرآن كله إلى هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [١]، وعلى مذهب قتادة حيث يقول: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: الله أعلم بثُنْياه: علام وقعت[٢]؟ وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول: أخبرنا الله بالذي يشاء لأهل الجنَّة فقال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾. ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار[٣].

والقول بأنَّ النَّار وعذابها دائمان بدوام الله خبر عن الله بما يفعله، فإن لم يكن مطابقًا لخبره عن نفسه بذلك؛ كان قولًا عليه بغير علم، والنصوص لا تُفهم ذلك، والله أعلم.

غير مرخصة للطباعة

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد صـ ٨٤، تحقيق أحمد عصام الكاتب، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٢٥٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٤٨٤/١٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الولي والنبي وقصة الخضر وموسى

س: بعض الصوفية يقولون: إنَّ الولي يعلم ما لا يعلم النبي، ويحتجون على ذلك بقصة موسى والخضر عليهما السلام، وهي القصَّة المذكورة في سورة الكهف، وكذلك بقصة سليمان والذي عنده علم من الكتاب، فبماذا نرد عليهم؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إذا كان المقصود من كلامهم أنَّه قد يوجد عند الولي من العلم ما لا يوجد عند النبي، فهذا ممكن؛ لأن أي نبيّ لا يدَّعي أنَّه يعلم كلَّ شيء، كلُّ إنسان يعلم أشياء وتغيب عنه أشياء، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]. فممكن أن يعرف الولي أو الإنسان الصالح أشياء لا يعرفها نبيّ من الأنبياء، سواء من أمور الدين، أو من أمور الدنيا، ممكن أن يعرف إنسان من النَّاس في الكيمياء والفيزياء، والنبي لا يعرف هذا.

النبي محمَّد ﷺ لم يُعَلَّم الشعر وما ينبغي له، وما كان يعرف ضرورة تأبير النخل ـ أي تلقيح النَّخلة الأنثى من لقاح فحل النخل ـ لأنَّه ﷺ نشأ

QaradawiBooks.com

بوادٍ غير ذي زرع، في مكة، فأهل مكة كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أهل زراعة، بينما الزراعة والنخل كانت بالمدينة، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: مرَّ رسول الله ﷺ بقوم يلقحون فقال: «**لو لم تفعلوا لصلَح**». قال: فخرج شِيصًا (أي فسد ولم يثمر). قال: فمر بهم فقال: «**مَا لنخلِكم؟**». قالوا: قلتَ كذا وكذا. فقال: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[(١)].

ويقول طلحة بن عبيد الله: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قوم في رؤوس النخل، فقال: «**ما يصنع هؤلاء؟**». فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيَلْقَح. فقال رسول الله ﷺ: «**ما أظنُّ يغني ذلك شيئًا**». قال: فأُخْبِروا بذلك، فتركوه، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنِّي إنَّما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظنِّ، ولكن إذا حدَّثتُكم عن الله شيئًا، فخذوا به، فإنِّي لن أكذب على الله** عز وجل»[(٢)].

وفي رواية قال ﷺ: «**ما أظنُّ ذلك يغني شيئًا**». فبلغهم، فتركوه، فنزلوا عنها، فبلغ النَّبيَّ ﷺ فقال: «**إنَّما هو الظنُّ، إن كان يغني شيئًا فاصنعوه، فإنَّما أنا بشر مثلكم، وإن الظنَّ يخطئُ ويصيب، ولكن ما قلتُ لكم: قال الله، فلن أكذبَ على الله**»[(٣)].

فالنبيُّ ﷺ قال لهم: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**». أي أنتم أعلم بأمر دنياكم منِّي في هذا الشأن، فممكن في علم الدنيا يعرف إنسان من النَّاس بعض الأشياء الَّتي لا يعلمها النبي.

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن عائشة، وأنس.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦١)، عن طلحة بن عبيد الله.

(٣) رواه أحمد (١٣٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في الرهون (٢٤٧٠)، عن طلحة بن عبيد الله.

QaradawiBooks.com

وفي علم الدين قد يعلم المؤمن الولي الصالح بعض الأشياء الَّتي لا يعلمها النبي، وليس معنى هذا أنه أعلم من النَّبيِّ في كلِّ شيء؛ لأنَّ النَّبيَّ أعلم قطعًا، أيُّ نبيّ أعلمُ من أي ولي، وليس معنى هذا أنه أفضل من النبي؛ لأن بعض الصوفية يريدون أن يجعلوا الولي أفضل من النبي، وهذا لا يمكن، لا يمكن أن يكون الولي أفضل من النبي، أي نبيّ أفضل يقينًا من أي ولي.

نبي الله موسى ارتحل في طلب العلم:

وأمَّا قصة سيدنا موسى والخضر، فقد قال رسول الله ﷺ: «**قام موسى النَّبيّ خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أيّ النَّاس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه**».

فأراد الله أن يؤدب نبيَّه موسى، فالإنسان لا ينبغي له أن يفضِّل نفسه، فمهما بلغ من العلم لا يقول: أنا أعلم النَّاس.

قال رسول الله ﷺ: «**فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك. قال: يا رب، وكيف لي به؟ فقيل له: احمل حوتًا في مكتل، فإذا فقدته فهو ثَمَّ. فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتًا في مكتل، حتَّى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانسلَّ الحوت من المكتل، فاتخذ سبيله في البحر سربًا، وكان لموسى وفتاه عجبًا، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾** [الكهف: ٦٢]. **ولم يجد موسى مسًّا من النصب، حتَّى جاوز المكان الَّذي أُمِر به، فقال له فتاه: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾** [الكهف: ٦٣]. **قال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾** [الكهف: ٦٤].

QaradawiBooks.com

فلما انتهيا إلى الصخرة، إذا رجل مسجَّى بثوبٍ ـ أو قال: تسجَّى بثوبه ـ فسلَّم موسى، فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٦، ٦٧]. يا موسى، إني على علم من علم الله علَّمَنِيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علَّمكه لا أعلمه. ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعرف الخضر، فحملوهما بغير نَوْل، فجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلَّا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة، فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٢، ٧٣]. فكانت الأولى من موسى نسيانًا. فانطلقا، فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه، فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: أقتلتَ نفسًا زكيَّة بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك إنَّك لن تستطيع معي صبرًا؟ فانطلقا، حتَّى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، قال الخضر بيده فأقامه، فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرًا، قال: هذا فراق بيني وبينك».

ثم قصَّ الخضر على موسى سبب ما فعله من أفعال، قال رسول الله ﷺ: «وأخذ بثوبه، قال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٨، ٧٩]، فإذا جاء الَّذي

QaradawiBooks.com

يسخرها وجدها منخرقة، فتجاوزها، فأصلحوها بخشبة. وأما الغلام، فطبع يوم طبع كافرًا، وكان أبواه قد عطفا عليه، فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانًا وكفرًا، ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۞ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨١، ٨٢]»[(١)].

لا أحد أعلم بالشريعة ممَّن نزلت عليه:

وليس معنى هذا أنَّ الإنسان المخاطب بشريعة نبيٍّ ومأمور باتباعها يعلم من هذه الشريعة أكثر ممَّا يعلم النَّبيّ نفسه، لا، فموسى لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، والواضح من القصَّة أنّ الخضر كان نبيًّا؛ لأنَّه قال في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]. فمفهوم كلام الخضر أن الأمور الثلاثة هذه لم يفعلها عن أمره، بل بأمر الله، فمعناها أنه نبي، وهذا هو القول الصحيح، أن الخضر كان نبيًّا، وأن هذا الوحي من الله، وأنه لم يكن على شريعة موسى، وأن موسى لم يكن مبعوثًا إليه.

ولذلك لا يمكن أن يُقال في شريعة محمَّد ﷺ: إنه يوجد من الأولياء في الشريعة المحمدية نفسها من هو أعلم من محمَّد ﷺ بشريعته، هذا مستحيل، مستحيل أن يكون من أفراد صاحب الشريعة، ومن أتباعه من هو أعلم منه، نحن أخذناها منه، فكيف نكون نحن أعلم بها منه، فالكلام لا يؤخذ على إطلاقه هكذا.

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٥)، ومسلم في الفضائل (٢٣٨٠)، عن أُبي بن كعب.

QaradawiBooks.com

الإنسان بالعلم يقدر على ما لا تقدر عليه الجن:

وأمَّا بالنسبة لسيدنا سليمان فإنَّ ملكة سبأ لما عرفت أن سيدنا سليمان عليه السلام نبي، بعد أن اختبرته بالهدايا والمال، ورد المال إليها، وعرفت أنه نبيٌّ صاحب رسالة، أصرت أن تأتي إليه وتعلن إسلامها معه لله رب العالمين، فسيدنا سليمان قال للملأ الَّذين في مجلسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠]. سيدنا سليمان سخَّر الله له الجن، فقال العفريت لسليمان: أنا أحضر لك عرش ملكة سبأ قبل أن تنتهي من مجلس الحكم هذا. الله أعلم كم كان يجلس، المهم قبل أن يقوم من مقامه يكون هذا العفريت قد جاء بعرش ملكة سبأ لسليمان، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾. عنده علم ليس من علم الشريعة، هو علم آخر، يعرف من علم الكون وحقائق الكون، ما يستطيع به أن ينقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين في بلاد الشام في لمح البصر، قبل أن يرتد إليه طرفه، كيف هذا؟ هذا علم، بعض المفسرين يقول: هو ملك من الملائكة. لكن سليمان يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾، والملأ هم النَّاس الَّذين يجلسون معه، فالعفريت عجز، فمعنى هذا أنَّه من بني آدم، إنسان من الأناسي، من المؤمنين بسليمان، لكن عنده علم من الكتاب، ما هذا العلم؟ القرآن لم يفصح لنا عنه، فأسلوب القرآن في قصصه لا يذكر التفاصيل الَّتي ليس منها فائدة في القصة، وسمح له سيدنا سليمان أن يأتي بالعرش، فجاء به قبل أن يرتد طرف سليمان، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. دلنا

QaradawiBooks.com

هذا على أنَّ العلم يستطيع أن يعمل ما لا يستطيع العفاريت أن يفعلوه، يمكن الإنسان بالعلم أن يُسخِّر من الطبيعة ما لا يستطيع الجنُّ أن يسخره، وهذا ممَّا علَّم الله الإنسان، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

حكم التوسُّل بالأنبياء والصالحين

س: ما حكم التوسُّل بالنبي ﷺ وبالأنبياء والصالحين؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أحبُّ أولًا أن أوضح أنَّ التوسُّل بالنبي ﷺ والصالحين من عباد الله، من مسائل العمل والفروع، لا من مسائل العقيدة والأصول، وقد اختلف العلماء في جواز هذا التوسل، وأنا من أنصار القول بعدم التوسُّل بالأنبياء ولا بالصالحين، وألا يُتَوَسَّل إلى الله إلَّا بالله تبارك وتعالى وبأسمائه وصفاته، أو بالعمل الصالح، أو بدعاء الصالحين، وقد أجمع الفقهاء على ذلك، فقد أجمعوا على جواز التوسُّل بعدة أمور:

أولها: التوسُّل إلى الله بالله، أو باسم من أسمائه الحسنى، أو بصفة من صفاته العلا، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. ولما ورد من دعائه ﷺ بأسمائه تعالى وصفاته في الكثير من أدعيته المشهورة، كقوله ﷺ: «**اللهمَّ إني عبدك، ابنُ عبدك، ابنُ أمتك،**

QaradawiBooks.com

ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سمَّيتَ به نفسَك، أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي، ونورَ بصري، وجلاءَ حزني، وذهاب همِّي، لا حول ولا قوة إلَّا بالله»[(١)]. وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «**اللهمَّ بعلمك الغيب، وقدرتك على الخَلْق، أحيِني ما علمتَ الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»[(٢)].

ثانيها: التوسُّل بالعمل الصالح كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة، قال رسول الله ﷺ: «**خرج ثلاثة يمشون، فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطَّت عليهم صخرة**». قال: «**فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهمَّ إني كان لي أبوان، شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثمَّ أجيء، فأحلُب، فأجيء بالحِلاب، فآتي به أبويَّ، فيشربان، ثمَّ أسقي الصِبْية وأهلي وامرأتي، فاحتبستُ ليلةً، فجئت، فإذا هما نائمان. قال: فكرهتُ أن أوقظهما، والصِبْية يتضاغَوْن**

---

(١) رواه أحمد (٣٧١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الدعاء (٢٩٩٣٠)، والبزار (١٩٩٤)، وابن حبان في الرقائق (٩٧٢)، والحاكم في الدعاء (٥٠٩/١)، وصححه على شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه، وتعقبه الذهبي: وأبو سلمة لا يُدرى من هو. ولا رواية له في الكتب الستة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٢٩) بعد أن نسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان، وانتهى الشيخ شاكر من بحثه إلى توثيق أبي سلمة، وسلامة الحديث من إرسال عبد الرحمن عن أبيه. كما صحح الحديث الألباني وأشبع فيه القول (١٩٨)، وذهب مذهبهما الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان، ورجع عن ذلك في تعليقه على المسند، وقال: أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عداد المجهولين، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٢٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والنسائي في السهو (١٣٠٥)، عن عمار بن ياسر.

QaradawiBooks.com

عند رجليَّ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتَّى طلع الفجر، اللهمَّ إن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء». قال: «ففرج عنهم. وقال الآخر: اللهمَّ إن كنتَ تعلم أنِّي كنتُ أحبُّ امرأةً من بنات عمي، كأشدِّ ما يحبُّ الرجلُ النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها، حتَّى تعطيها مائة دينار. فسعيتُ فيها حتَّى جمعتُها، فلما قعدتُ بين رِجليها، قالت: اتقِ الله، ولا تفضَّ الخاتمَ إلَّا بحقه. فقمت وتركتها، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة». قال: «ففرج عنهم الثلثين. وقال الآخر: اللهمَّ إن كنتَ تعلم أنِّي استأجرتُ أجيرًا بفَرَق من ذُرة، فأعطيته، وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفَرَق، فزرعتُه، حتَّى اشتريت منه بقرًا وراعيَها، ثمَّ جاء فقال: يا عبد الله، أعطني حقي. فقلتُ: انطلق إلى تلك البقر وراعيها، فإنَّها لك. فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلتُ: ما أستهزئ بك، ولكنها لك. اللهمَّ إن كنت تعلم أنِّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرُج عنَّا. فكشف عنهم»[(١)].

ثالثها: التوسُّل بدعاء بعض الصالحين، فعن عمر قال: استأذنتُ النبيَّ ﷺ في العمرة، فأذن لي، وقال: «**لا تنسَنا يا أخي من دعائك**»[(٢)]. وعن أنس بن مالك، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا. قال: فيسقون[(٣)]. أي يطلب من العباس أن يدعو لهم.

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢١٥)، ومسلم في الرقاق (٢٧٤٣)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (١٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الوتر (١٤٩٨)، والتِّرْمِذي في الدعوات (٣٥٦٢) وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري في الاستسقاء (١٠١٠).

QaradawiBooks.com

أمَّا التوسُّل الَّذي سأل عنه السائل، وهو التوسُّل بالنبيِّ ﷺ أو بالصالحين، أي أن يقول الداعي: يا ربِّ، بحقِّ رسول الله ﷺ، أو بحقِّ أنبيائك ورسلك، أو بحقِّ الصالحين من عبادك. فهذا أجازه كثير من العلماء، مستدلِّين ببعض الأحاديث، منها حديث عثمان بن حُنَيْف: أن رجلًا ضرير البصر، أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «**إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك**». قال: فادعُهْ. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهمَّ إنِّي أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمَّد نبيّ الرحمة، إنِّي توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهمَّ فشفِّعه فيَّ[(١)].

قال الشيخ الألباني معلِّقًا على هذا الحديث: «وأمَّا نحن فنرى أنَّ هذا الحديث لا حجَّة لهم فيه على التوسُّل المختلَف فيه، وهو التوسُّل بالذات، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسُّل المشروع الَّذي أسلفناه؛ لأنَّ توسُّل الأعمى إنَّما كان بدعائه.

والأدلة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة»[(٢)]. وقد فصلها في كتابه «التوسل وأنواعه وأحكامه»، فليُرجع إليه.

حكم التوسُّل بذات النبي:

وأنا أميل إلى ترجيح عدم التوسُّل بذات النَّبيِّ وبالصالحين، وذلك لعدة أمور:

---

(١) رواه أحمد (١٧٢٤٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والتِّرْمِذي في الدعوات (٣٥٧٨) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٤٢٠).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني صـ ٧٠، تحقيق محمد عيد العباسي، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

الأول: أنَّ أدلة المنع ـ أعني منع التوسُّل بذات النَّبيّ وذوات الصالحين ـ أرجح في الميزان العلمي، وخصوصًا أن باب الله تعالى مفتوح لكل خلقه، وليس عليه حاجب ولا بوَّاب، مثل أبواب الملوك والأمراء، حتَّى العصاة فتح الله تعالى لهم أبواب رحمته، ونسبهم إلى ذاته فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

والثاني: أنَّ إجازة التوسُّل قد تكون ذريعة إلى دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة به، وكثير من النَّاس يخلط بين الأمرين، فسد الذريعة بالنظر إلى العوامِّ أولى.

والثالث: أنَّ المنهج الَّذي أخذتُه وسرتُ عليه في التعليم والدعوة والفتوى: أنَّنا إذا استطعنا أن نتعبد لله تعالى بالأمر المتفق عليه، فلا داعي لأن ندخُل في الأمر المختلف فيه.

وعلى هذا الأساس لا أفضل التعبد بصلاة التسابيح؛ لأن في الصلوات الأخرى المتفق عليها، والتي تواتر عن رسول الله التعبد بها ما يغني عنها.

ولكني لا أؤَثِّم من أدَّاه اجتهاده إلى جواز التوسل، أو جواز التعبُّد بصلاة التسابيح ونحوها، ولا أنكر عليه، إلَّا من باب الإرشاد إلى الأرجح والأفضل؛ إذ لا إنكار في المسائل الخلافية كما هو معلوم.

QaradawiBooks.com

سنن الله وخوارق العادات

س: نودُّ من سيادتكم التكرم للرد على بعض التساؤلات في حادثة حصلت لامرأة عندنا في فلسطين، وكان هناك ردود من بعض المختصين، فإلى أي مدى ممكن أن يكون الرد صحيحًا؟ وأرسلنا هذا النص والحادثة لك بالكامل لتقرأها، وتكتب لنا تعليقك لعرضه في مجلة السعادة، علمًا بأننا أجرينا معها مقابلة، وتأكدنا من صحَّة كلامها، ورأينا الجرح والعمليَّة، والتقينا الدكتور المشرف على حالتها.

في حادثة غريبة من نوعها، حظيت مواطنة غزية في الثالثة والخمسين من عمرها بعمليَّة جراحية خلال منامها وصفها الأطباء بالدقيقة والخطيرة، استؤصلت خلالها ثلاث حصوات من المرارة، وذكرت زينات خليل السبع ـ وهي أم لثمانية أبناء ـ أنَّها فوجئت بعد استيقاظها من نومها بجرح طوله خمسة سنتيمترات وآثار دماء.

وأكد طبيبها المعالج د. حسن تمراز (جراح المسالك البولية في مركز الهدى بغزة) أنَّ الحصى اختفت، وأنَّ العمليَّة خطيرة، وخاصة أنَّها أجريت ما بين الريشتين الخامسة والسادسة من القفص الصدري.

واستبعد مفتي غزة الشيخ عبد الكريم الكحلوت أن تكون الملائكة

QaradawiBooks.com

أجرت مثل هذه العمليَّة، قائلًا: إنَّ الله عندما يأمر بشفاء عبد ما: لا يحتاج إلى الملائكة لإجراء جراحة، وإنَّما تتم بأمر من الله.

عن قصتها منذ البداية تقول الحاجة أم وحيد: منذ ثلاث سنوات كنت أعاني من وخزة تحت صدري، وبطبيعتي لا أحبُّ دخول المستشفيات؛ قررت أن أعالج نفسي بالقرآن الكريم، فقرأت الفاتحة ١٠٠ مرة كلَّ يوم على مكان الألم، وبعد عشرين يومًا زال الألم بفضل الله ﷻ.

وأضافت أم وحيد: أنَّ الألم عاد إليها مرة أخرى منذ شهر واشتدَّ. مشيرة إلى أنَّها قرَّرت ألَّا تذهب إلى المستشفى لخوفها الشديد من العمليات، وأن تعالج نفسها مرة أخرى بالقرآن وتقول: أنا أقرأ بعض الآيات في كلِّ ليلة من النور والواقعة والملك والدخان، وأسبح مائة مرة، وأقرأ الفاتحة ١٠٠ مرة، والإخلاص ١٠٠ مرة، وأصلي على النَّبيّ مائة مرة، وأقرأ آية الكرسي مائة مرة، وكتبت آيات الشفاء الست على ورقة لاصقة ووضعتها على مكان الألم.

وأشارت أم وحيد إلى أنَّها تصلي قيام الليل، وتصوم كلَّ اثنين وخميس، وثلاثة أيام من الشهر القمري، وعشرة من شهر محرم، والستة البيض من شهر شوال، مشيرة إلى أنَّها تركت آيات الشفاء ملصقة لمدة أسبوع على مكان الألم، أي من يوم الخميس إلى الخميس، آملة من الله أن يشفيها.

وأوضحت أم وحيد قائلة: يوم الخميس كانت الكهرباء مقطوعة وكان يوم الخميس الأسود. وبعد صلاة المغرب كان عندي وقت فراغ فسبحت حتَّى أذان العشاء، وصليت العشاء ونمت من التعب، وصحوت الساعة الواحدة صباحًا وكنت أرتعش من شدة الألم والخوف من العمليَّة، فلم أستطع النهوض لكي أصلي قيام الليل من الألم، ونمت وأنا أدعو ربي

QaradawiBooks.com

وأناجيه بكل الأدعية بأنِّي لا أريد أن أعمل العمليَّة. وأكدت أم وحيد أنَّها أثناء نومها، شاهدت الرؤيا، وتقول: رأيت طبيبًا طويل القامة، يرتدي جاكيتًا سوداء، أخذني من يدي، وأدخلني مستشفى، كانت الشمس مشرقة وكأنَّها الساعة ١٠ صباحًا، وعندما سألته إلى أين نحن ذاهبون؟ لم يرد، وسألته ماذا تريد أن تفعل بي؟ وبعد فترة وجيزة، جاءت الممرضة، وقالت: إنَّهم قاموا بإجراء عمليَّة المرارة، وذلك برفع حصوات ثلاث، ورأيت الحصوات في يد الممرضة، حصوة واحدة، واثنتين ملتصقتين مع بعضهما، فقلت لها: بهذه السرعة أجريتم العمليَّة؟ فقالت لي: لم نفتح سوى ٢ سم فقط مكان الحصوة، وأخبرتني أن أخي وأختي وأمي وأبي لديهم المرض نفسه. وفعلًا، الَّذين ذكرتهم من أهلي قاموا بإجراء العمليَّة.

وأضافت أم وحيد قائلة: إنَّها استيقظت يوم الجمعة الساعة الخامسة صباحًا لصلاة الفجر، فتذكرت الرؤيا، وظنت أنَّها حلم عادي، وأخبرت بناتها عن الحلم، وعندما ذهبت للاستحمام، رفعت الملصق الَّذي وضعته على مكان الألم، فوجدت جرحًا ودمًا، فنادت على أولادها لكي يشاهدوا مكان الجرح، فأشارت بهية ابنتُها إلى أنَّها عندما شاهدت مكان العمليَّة دهشت من شدة الموقف، وقالت: «ما عرفت شو بدي أعمل أعيط أو أفرح فقلت: لا إله إلَّا الله، وأنا أحفظ المصحف، وأومن بالله وقدرته ﷻ».

وأكد حسن تمراز (طبيب جراحة المسالك البولية) أنَّ أم وحيد جاءت إليه، وطلبت منه إجراء صورة أشعة للمرارة، فأخبرها بأن المرارة لا يمكنه مشاهدتها إلَّا بصورة التلفزيون (Ultrasound) ثمَّ أخبرته بما حَدَث معها في الرؤيا، ففوجئ الدكتور وأصر على إجراء صورة الأشعة للتأكد من صحَّة ما تقوله. وأضاف د. تمراز: نحن نجري عمليَّة غدة المرارة في القسم الأيمن من القفص الصدري تحت الضلع رقم ١٢، وموازية للضلع رقم

QaradawiBooks.com

(١١) بطول (٨ ـ ١٠) سم، حيث إن المرارة تقع في جوف الكبد مقابل الضلعين: الخامس والسادس سطحيًّا، مضيفًا أنَّه وجد الجرح عند أم وحيد ما بين الضلعين الخامس والسادس من الجهة اليمنى من القفص الصدري، فلم يكن الجرح غرزًا دائرية، فكانت الغرز مخفية داخلية، وعندما وضعت جهاز التلفزيون على الجرح مباشرة ذهلت ممَّا رأيته، فالمرارة فعلًا أجريت عليها عمليَّة، حيث أجريت العمليَّة من مدة قريبة. فهناك تضخم في مكان الجرح ناتج عن استعمال الأدوات الجراحية، ورأيت أيضًا ثلاثة أماكن فارغة استؤصلت حصوات منها، مشيرًا إلى أن الشيء الوحيد الَّذي لا يستطيع أن يجزمه: هو أنَّ مكان الجرح لا يمكن أن تجرى فيه العمليَّة؛ لأن إجراء عمليَّة بين الريشتين (٥، ٦) يسبِّب خطرًا على المريض.

وقال عبد الكريم الكحلوت: أستبعد أن تكون الملائكة قد عملت عمليَّة لها؛ لأنَّ الله إذا أراد أن يشفي أحدًا، يشفيه بدون عمليَّة. وقال آخر: إنه جن مسلم من قام بذلك.

فما رد حضرتك على هذا؟ وهل يمكن أن تكون الملائكة هي من فعلت هذا؟

الرجاء التوضيح ذلك، علما أنَّ لك جمهورًا ضخمًا كبيرًا في فلسطين، هو من اقترح علينا أن تعقب على الموضوع، ونحن في انتظار الإجابة.

الرجاء الإجابة بسرعة، وذلك لأنَّنا مجلة شهريَّة، وعلى وشْك أن تصدر.

بارك الله فيك، وأعانك على خدمة الإسلام والمسلمين.

مريهان أبو لبن

صحفية بمجلة السعادة، غزة، فلسطين

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فأودُّ أن أعقِّب على هذه القصَّة وما حوته من غرائب بما يلي:

أولًا: الأصل في نظام هذا العالم الَّذي نعيش فيه: أنه قائم على سنن الله الكونيَّة والاجتماعية، الَّتي من شأنها الثبات والعموم، فلا تحابي أحدًا، ولا تستثني أحدًا، ولا تتغير من أجل أحد، كما قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: ٤٣].

وحين انكسفت الشمس يوم موت إبراهيم ابن النَّبيّ ﷺ، وهو طفل رضيع، ظنَّ بعض الصحابة: أنَّ الشمس انكسفت لأجل موته، فقام الرسول عليه الصَّلاة والسلام فيهم خطيبًا، وقال لهم: «**إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته**»[(١)].

وهذه السنن الإلهيَّة قائمة على شبكة الأسباب والمسبَّبات، فلا يصل الإنسان إلى مسبَّب ما، إلَّا إذا حصَّل سببه. وهذا ممَّا لا شكَّ فيه، ولا نزاع فيه.

ثانيًا: أنَّ لله سبحانه أن يخرق نظام السنن وشبكة الأسباب والمسببات إذا أراد ذلك لحكمة من الحكم، قد تُعلم أو لا تُعلم، مثل تأييد رسله بالآيات البيّنات؛ الَّتي سمَّاها المتكلِّمون «المعجزات» تصديقًا لهم في دعواهم: أنَّ الله أرسلهم، وتعضيدًا ونصرًا لهم في مواجهة خصومهم.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (١٠٤٣)، ومسلم في الكسوف (٩١٥)، عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

ومثل إكرام أوليائه المتقين بكرامة من عنده، لتقوية يقينهم، ونصرهم في دعوتهم أمام خصومهم، إلى غير ذلك.

كما جعل النَّار بردًا وسلامًا على إبراهيم، فجعل النَّار تخرج عن طبيعتها ولا تحرق، كما جعل السكين حين وضعها إبراهيم على رقبة إسماعيل: لا تقطع.

وكما جعل العصا حين يلقيها موسى: حية تسعى، وكما جعل عيسى يبرئ الأكمه والأبرص، ويُحيي الموتى بإذن الله، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثمَّ ينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، وهذه أعظم من إحياء الموتى؛ لأن في هذا تحويل الجماد إلى كائن حي، وما ذلك على الله بعزيز.

وقد ذكر علماؤنا في خوارق العادات: «المعجزات» الَّتي يظهرها الله على يد الأنبياء تأييدًا لهم. و«الكرامات» الَّتي يظهرها الله على يد أوليائه المتقين إكرامًا لهم. كما ذكروا أيضًا «المعونات» وهي الخوارق الَّتي يظهرها الله على يد عبد مستور الحال، معونة له في تفريج كربة، أو شفاء من مرض، أو تيسير أمر عسير، أو إنجاء من ظالم. أو نحو ذلك.

وأرى أن ما حدث لأختنا هذه أمر وحيد ـ إذا صحت الرواية بيقين ـ هو خارق من باب الكرامة أو باب المعونة. والأقرب أنَّها من باب «الكرامة»؛ لأنَّها امرأة ظاهرة الصلاح، حريصة على أداء الفرائض، وتزيد عليها النوافل، مثل صلاة الليل، وكذلك رأيناها تحرص على صلاة الفجر في وقتها، وإنَّها لكبيرة إلَّا على الخاشعين. ولا مانع أن تكون الملائكة هي الَّتي عملت العمليَّة بأمر الله تعالى. ولله أن يفعل بسبب أو بغير سبب. فهو يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

QaradawiBooks.com

وقد حفظنا في دراستنا في الأزهر من منظومة «الجوهرة» في علم التوحيد بيتًا يقول:

وأَثْبِتَنْ لِلْأَوْلِيَا الْكَرَامَةْ ومَنْ نفاها فانْبِذَنْ كَلَامَهْ[1]

والولي هو: كلُّ من اتَّقى الله واستقام على أمره كما قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

فليس الأولياء كما يتصوَّر بعض النَّاس أناسًا خارجين عن نطاق البشر المعتاد، بل هم ناس من النَّاس، كلُّ ما يميزهم عن غيرهم: أنَّهم امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه.

ثالثًا: أنَّ ما يُخشى في مثل هذه الحكايات، هو دخول المبالغات والتهويلات فيها، وهذا يصادف هوى في أنفس كثير من النَّاس، الَّذين يحبون أن يتكثروا في المجالس برواية الغرائب والعجائب، وأن يزيدوا عليها من عندهم ما يجذب النفوس، ويسحر العقول، وهؤلاء المبالغون هم الَّذين تعوّدوا أن يجعلوا من القط جملًا، ومن الحبَّة قُبَّة، كما يقول المثل.

ولذا كان من المهم هنا: الاستيثاق من حقيقة القصة، ومعرفتها من مصدرها الأول، من لقاء صاحبتها، ولقاء طبيبها المعالج، وماذا قال، ولا يترك الأمر للروايات الشفهية الَّتي لا خطام لها ولا زمام.

فإذا ثبتت القصَّة كما رويت، وأن عمليَّة جراحية أجريت لها في الرؤيا المنامية، وأن آثارها تبينت وشوهدت في اليقظة، وأن الأطباء

(١) انظر: تحفة المريد ص ٢٥٢.

QaradawiBooks.com

المختصين أقروا بذلك. فهنا لا يسعنا إنكار الأمور المشاهدة. فإن الأدلَّة الحسية لا تُجحد، وأقواها المشاهدة بالعين.

ولسنا من الماديِّين الَّذين ينكرون كلَّ ما وراء الطبيعة أو ما وراء الحس، بل نحن نؤمن بعالم الغيب، كما نؤمن بعالم الشهادة. ونؤمن بأن قدرة الله طليقة لا حدود لها، ولا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء، ما دام في إطار المُمْكنات عقلًا.

والذين يقولون: زمن الخوارق قد انتهى، ونحن في عصر الأسباب المادية وحدها: ينسون أن الكون لا تزال تحدث فيه عجائب هنا وهناك، يتناقلها النَّاس في المشارق والمغارب، وليس لها تفسير وَفْق الأسباب المادية.

ومن المؤكد: أنَّ الإنسان مهما اتسع علمه فهو محدود. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

والله ولي التوفيق.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ترك الصَّلاة مع المسلمين بزعم أدائها في الكعبة

س: رأيت بعض المتمشيخين المدعين الولاية، لا يقيم للصلاة المفروضة وزنًا، وسألته: لِمَ لا تصلي؟ فأجاب: إنَّني غير موفق لهذه الفريضة! ولكنِّي سمعت صديقًا لي يحدِّث بأن قريبًا له كان في الحرم المكي يصلي، فلما سلم وجد هذا الشيخ بجانبه. فقال له: من أتى بك هاهنا يا شيخ فلان؟ فأجابه: أسألك بالله أن تكتم هذا السر! أرجو أن تبينوا رأي الشَّرع في ذلك، وهل يمكن من يستخدم الجنّ أن يحمله خادمه إلى مكة مثلًا، إذا طلب منه مخدومه ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ما كنَّا بحاجة إلى أن نجيب ببطلان دجل الدجالين، فالله سبحانه حين آذننا بانتهاء الوحي قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وكمال الدين هو كمال شرائعه، وتمام النعمة إنَّما يكون بسعادة من قُسمت له. وهذا الرجل الشقي الَّذي يذكر عن نفسه أنه غير موفق لأداء الصلاة، لا يمكن أن يكون في عداد

QaradawiBooks.com

أولياء الله؛ إذ ما كان لولي أن يبطل شـرائع ربه، وشرط الولاية أن يكون الولي على كمال طاعة مولاه، فكيف يكون تارك الصَّلاة داخلًا في زمرة الأولياء؟ وليس لأحد أن يحكم بمصير مثل هـذا الدجال بعد أن حكم القرآن الكريم في محاورة تجري بين أهل الجنَّة وبين المجرمين إذ نسمع أهل الجنـة: ﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٠ ـ ٤٤].

إنَّ الإيمان في القلب، ولكن الإسلام علانية؛ فالمسلم هو الَّذي يظهر إسـلامه للناس؛ فيشـهدون له بموجبه، مـن أداء الفرائـض واجتناب المحارم؛ فهو لهذا يشـهد الجماعات، ويحضر المساجد مع المصلين، ليدفع عن نفسـه التُّهْمة. ولهذا أوجب الإمام أحمد صلاة الجماعة على كلِّ رجل صحيح مقيم لا عذر له. وسـائر الأئمَّة جعلوها فرض كفاية أو سنة مؤكدة.

وعلى فرض تسليم صحَّة حادث رؤيته في مكة؛ فإنَّ الإسلام يفرض علينا أن نبني حكمنا على الناس؛ بقياس حالهم على أحكام الإسـلام، ومدى تحقُّقهـم بالطاعة الواجبة لله ورسـوله، وفي ذلـك يقول الإمام الشـافعي رضي الله عنه: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء، ويمشـي على الماء، فلا تعجلوا بالحكم بصلاحه، قبل أن تقيسوا أمره بكتاب الله عز وجل[1].

وقد تمت نعمة الله سبحانه على المسلمين الأول لما تحقَّقوا بكمال الانقياد لأحـكام دينهم، فكانـوا خير أُمَّـة أخرجت للنـاس، يأمرون بالمعـروف، وينهون عن المنكـر ويقيمون الصلاة، ويسوسـون النَّاس ويقودون الدنيا. ومثل هذا الدجال بإبطاله الصَّلاة ومخالفة القرآن؛ إنَّما

(١) تفسير ابن كثير (٢٣٣/١).

QaradawiBooks.com

يشيع في أمته مخالفة ناموس السيادة، الَّذي كنَّا به يومًا من الأيام خير أُمَّة أخرجت للناس، وبمثله تنحط الأمم، وتسقط الفرائض والواجبات، ولن تُقدَّس أُمَّة يسقط فيها الواجب.

وقد كان ابن صياد من هؤلاء الدجالين، وهو دجال كان يعيش في مدينة رسول الله ﷺ على عهده عليه السلام، وكان يعترض طريق الرسول، وينفخ بدنه فإذا بدنه يتمدد حتَّى يسد الطريق؛ ولكن ما إن يقترب منه الرسول حتَّى يتلاشى كلُّ شيء، فما رأي دجالكم المتمشيخ في هذا الَّذي كذَّب الرسول وعارضه؟ أيعتبر تمدد جسمه ولاية معارضة للنبوة؟!

إنَّ مرجع مثل هذه الحالات الشاذَّة في الأجسام إلى علم الله سبحانه، ولا دلالة فيها إطلاقًا على رضوان الله تعالى؛ لأنَّها قد تطرأ على أعداء الله كما هو معروف من حال ابن صياد، وقد أكرم الله أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا وغيرهم من أجلاء الصحابة وكرام أولياء هذه الأُمَّة: أن تقوم ولايتهم على الدجل الجثماني، فإذا كان لأحدهم حال من تلك الأحوال؛ فهي حال منفصلة كلَّ الانفصال عن السر القائم بين العبد وربه.

وهناك حالات كثيرة من حالات امتداد الأجسام أو انتقالها المسافات الطويلة، وبعض النَّاس ينكرها وبعضهم يتوقف في الحكم عليها؛ أي: في تعليل سرها، إلَّا أنَّ أحدًا من علماء المسلمين أو غيرهم لم يذهب يومًا إلى اعتبارها عنوان ولاية الله عز وجل.

أما استخدام الجان في حمل مخدوميهم إلى الأقطار النائية، فذلك أمر اختص به سليمان عليه السلام. إذ دعا ربه: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]. وقد أجابه الله سبحانه، ولا ينبغي لأحد بعد سليمان أن يكون له مثل ذلك!

QaradawiBooks.com

وعُبَّـاد البقر في الهند يمارسـون الصيام والامتناع عن الشـهوات، ويقبلون على تعذيب البدن وإضعاف قواه بأسـاليب موروثة من أعماق القدم، فيصل بعضهم في النهاية إلى أمور بدنية خارقة للعادة، فهل نسمي عبَّاد البقر أولياء؟!

وإنَّنا نحذر النَّاس من الاغترار بحال هـذا الرجل وأمثاله؛ فإنَّما هم فتنة للنَّاسِ يسـتدرجونهم إلى مخالفة الله، ويهونون عليهم ترك أوامره، وهو من أعظم البلاء في الإسـلام، وكفى بسيدنا رسـول الله وصحابته أولياء! أولئك الَّذين هدى الله؛ فبهداهم اقتده؛ والحمد لله رب العالمين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الشفاعة يوم القيامة وموقف د. مصطفى محمود

س: ثار جدل كبير هذه الأيام في الصُّحف المصرية حول مقال كتبه الكاتب المعروف الدكتور مصطفى محمود، حول الشفاعة يوم القيامة.

فقد ذكر الكاتب أنَّ الشفاعة الَّتي يتعلق بها الكثير من المسلمين الَّذين يرتكبون المنكرات، وينتهكون الحرمات، ثمَّ يتكلون على الشفاعات: هذه الشفاعة غير صحيحة، وآيات القرآن تنفيها، وهي منافية للعدالة الإلهية، الَّتي تجزي كلَّ نفس بما كسبت، ولا سيما في يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

وقد أثبتت الآيات القرآنية الكثيرة أنَّ الله تعالى وحده هو المتصرف في هذا اليوم، ولا سلطان لأحد سواه، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ولا يملك أحد في هذا اليوم أن ينقذ أحدًا من مصيره الَّذي استحقه بعمله، ولا الرسول نفسه، كما قال الله تعالى له: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩].

وقد أكدت آيات القرآن في أكثر من سورة أن الشفاعة مرفوضة في

QaradawiBooks.com

هذا اليوم العظيم. كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وقال ﷻ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقال على لسان أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

كما أكد القرآن: أن من دخل النَّار لا يخرج منها بحال من الأحوال كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧].

وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

كما أنكر الدكتور ما ورد في الشفاعة العظمى، وما فُسِّر به «المقام المحمود» الوارد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

ونفى أن يكون المقام المحمود هو مقام الشفاعة، وإنَّما مقام البشارة!

وردَّ الدكتور الأحاديث الَّتي وردت في ذلك، زاعمًا أنَّها أحاديث موضوعة مكذوبة على الرسول ﷺ، الَّذي جعل نجاة كلِّ إنسان بعمله

QaradawiBooks.com

هو، لا بسعي غيره له، وقال لأقاربه من بني هاشم: «**اعملوا؛ فإنِّي لا أغني عنكم من الله شيئًا**»[١].

وقال الدكتور: إنَّ السُّنَّة لم تُكتب إلَّا بعد مائة أو مائتين من السنين بعد الرسول، فلا يمكن الاعتماد عليها، إنَّما الاعتماد على القرآن، الَّذي صوَّر لنا الجزاء يوم القيامة بأنَّه يقوم على العدل، ولا شيء غير العدل، فلندعْ هذه الأوهام، وليعملْ كلُّ امرئ لتخليص نفسه، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

نرجو من فضيلتكم شرح هذا الموضوع الخطير، بما يرد الحق إلى نصابه، وما يزيح الشبهات، ويبطل المفتريات.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

معنى الشفاعة:

هي انضمام الإنسان إلى غيره؛ بحيث يكون معه شفعًا بعد أن كان وترًا، ليطلب له من آخر أمرًا يحقِّق له جلب منفعة، أو دفع مضرة.

وهي تقتضي أربعة أمور: شافعًا، ومشفوعًا له، ومشفوعًا عنده، ومشفوعًا فيه.

وهي نوعان: محمودة، ومذمومة.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٢٠٤)، وأحمد (٨٤٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فالشـــفاعة المحمودة: أن يشـــفع الشافع لمن يســـتحق الشفاعة، في تحقيق أمر مشروع له، وإن لم يكن حقًّا له.

كما لو كان على المرء دين محدد بموعد، وجاء موعد الاستحقاق، ومن حق الدائن أن يرد إليه الدين، وإلا طالب بعقوبة المدين وحبســه. فإذا جاء شـــافع إلى الدائن، ليُنظِر هذا المدين إلى ميسرة، أو يتنازل عن جزء من دينه، وكان المشـــفوع لـــه أهلا لهذا التخفيف، كأن خســـر في تجارته، أو أصابه سيل ذهب بماله، أو جائحة اجتاحت ماله، إلخ، فهذه شفاعة مقبولة ومحمودة.

أما لو كان رجلًا سيئ السلوك، وأخذ المال وبذَّره في الحرام، وجاء من يشفع فيه عند الدائن، فهذه الشفاعة مذمومة ومرذولة.

وفي القرآن الكريم: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥].

ومن الشفاعة المذمومة: الشفاعة لإسقاط عقوبة عمَّن يستحقها لنسبه أو جاهه أو ماله، وهو ما أنكره النَّبيُّ ﷺ على حبِّه وابن حبِّه: أسامة بن زيد، حين أرادت منه قريش أن يشفع عند الرسول للمرأة المخزومية الَّتي سرقت، وقال له: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟**»[1].

ومن ذلك: شـــفاعة بعض الكبراء لدى بعض الرؤساء والمسؤولين، لتوظيف بعض أقاربه أو محاسيبه، وتقديمهم على غيرهم ممَّن هو أحق منهم وأولى بالمنصب، وهذه خيانة لله ولرسوله وللجماعة.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومســـلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وهذه هي الصورة الشـائعة والمسـتقرة في أذهان النَّاس، وهي أن الشفاعة تعني: طلب الإنسان ما ليس بجائز له، بوساطة غيره.

ولعل هذه الصورة هي الَّتي دفعت بعض أهـل العلم قديمًا وحديثًا إلى إنكار ما ورد في الشفاعة من أحاديث، وتأويل ما جاء فيها من آيات. ولعلها وراء ما كتبه الدكتور مصطفى محمود في هذا المجال.

هذا مع أنَّ الشـفاعة المقبولة هي الَّتي تتوافر لها عناصر ثلاثة: في الشافع، والمشفوع له، والمشفوع فيه.

فالشافع لا بدَّ من أن يكون مرضيًّا عند المشـفوع عنده، بما له من منـزلة عنده.

والمشفوع له، لا بدَّ أن يكون أهلًا للشـفاعة، فليس كلُّ امرئ قابلًا لأن يُشفع له، والمشـفوع فيه لا بدَّ أن يكون أمرًا قابلًا للشفاعة، فهناك أمور لا يجوز أن تكون موضع شفاعة لأحد.

وهذه الشروط الَّتي تعارفها أهل الخير والفضل من النَّاس في الدنيا، هي نفسها الَّتي تُراعى في شفاعة الآخرة.

فليست الشـفاعة كلأً مباحًا، يرعاه كلُّ من شـاء، متى شاء، وكيف شاء؛ ولكنها منضبطة مقيدة بشروطها ومجالها وأهلها. وهذا ما يجب أن نؤكده: أن الشـفاعة الَّتي أثبتها القـرآن الكريم للمذنبين يـوم القيامة، وصحت بها أحاديث الرسـول ﷺ لا يمكن أن تكون من نوع الشـفاعة المذمومة.

إذ لا بدَّ أن تكون بعد إذن من الله تعالى، فهو مالك الشـفاعة كلها، وصاحب الأمر كله.

QaradawiBooks.com

ولا بد أن يكون الشافع من أهل القبول عند الله تعالى، ممَّن أذن له الرحمن ورضي له قولًا: من الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين.

ولا بد أن يكون المشفوع له ممَّن ارتضاه الله في الجملة، وليس من أهل الجحود أو الشرك بالله تعالى.

ولا بد أن يكون الأمر المشفوع فيه، ممَّا يدخل في دائرة الشفاعة. وهذا معروف بطبيعة الحال؛ إذ لا يُتصور من الملائكة أو النبيين أو الصديقين والشهداء والصالحين: أن يطلبوا من الله سبحانه ما لا يليق أن يُطلب منه.

وهذا ما سنوضحه إن شاء الله في الصحائف التالية.

أول قضية في الفكر الإسلامي:

وهذه القضية ـ قضية مصير العصاة من الموحدين من أهل الكبائر ـ هي أوَّل قضية ثار فيها الجدل، واختلف فيها النَّاس في الفكر الإسلامي. وهي الَّتي يعبرون عنها بـ «مرتكب الكبيرة»؛ حيث ثارت في عصر الصحابة، وفي عصر التابعين لهم بإحسان.

فقد أثارها الخوارج أيام علي رضي الله عنه، فحكموا على مرتكب الكبيرة ـ ولو كبيرة واحدة ـ أنه كافر، وأنه مخلد في النَّار، إذا لم يتب منها.

ثم طبقوا ذلك على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، واعتبروه قد ارتكب كبيرة بقبوله التحكيم، فكفر بذلك، واستحق الخلود في النار!

وقد جاءت الأحاديث الصحاح المستفيضة ـ من عشرة أوجه كما قال الإمام أحمد ـ تذم الخوارج، وتحذِّر منهم، وتبيَّن أنَّ آفتهم ليست في ضمائرهم وقلوبهم، بل في عقولهم وأفهامهم. فهم عُبَّاد صُوَّام قُوَّام، ومع

QaradawiBooks.com

هذا يمرُقون من الدِّين كما يمرُق السهم من الرَّمِيَّة. وقد وصفت الأحاديث عبادتهم بمثل هذه العبارات: «**يَحْقِر أحدُكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**»[(١)].

وقد بعث عليٌّ ﷺ ابن عمِّه عبد الله بن عبَّاس ﷺ[(٢)]؛ ليحاجَّهم ويناقشهم في دعاويهم، وقد استطاع أن يقنع الكثير منهم، فرجع منهم عدَّة آلاف، وأصر الآخرون على موقفهم، فقاتلهم علي ﷺ ومن معه من الصحابة.

ثم ثارت هذا القضية مرة أخرى في عصر التابعين في حلقة الإمام الفقيه الداعية المربي: الحسن البصري، أو في حلقة أصحابه من بعده. فقد سأل سائل عن مرتكب الكبيرة، فرد عليه واصل بن عطاء تلميذ الحسن: ليس بمؤمن ولا كافر، ولكنَّه في منزلة بين المنزلتين، وهو مخلد في النَّار، كالكافر. فقال الحسن: اعتزلنا واصل. وقيل: أن هذا حدث مع أصحابه من بعده.

وعلى كلِّ حال، فقد انقسم النَّاس في هذه القضية إلى ثلاثة أقسام أو فئات:

الأولى: هم الَّذين يقولون بأن مرتكب الكبيرة إذا لم يتب، هو مخلد في النَّار. ولكن هل هو كافر أو لا؟ الخوارج يقولون: هو كافر، والمعتزلة يقولون: ليس بمؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، ولكنَّه مخلد في النَّار كالكافر.

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٨)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) حديث طويل رواه الحاكم في قتال أهل البغي (١٥١/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

الثانية: هم المقابلون لهؤلاء، وهم «المرجئة» الَّذين أرجؤوا العمل وأخروه عن الإيمان، وقالوا: إنَّ العمل ليس مُهِمًّا، إنَّما المهمُّ الإيمان، وقالوا كلمتهم الشهيرة: لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

والثالثة: هي الَّتي وقفت موقفًا وسطًا بين الغلاة في الوعيد، والغلاة في الوعد، وأثبتت بأنَّ هناك من عصاة المؤمنين ـ وهم من أهل الكبائر ـ من يدخلون النَّار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، وأحاديث الرسول المستفيضة.

فمن القرآن قوله تعالى، فيمن يأكلون أموال اليتامى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]. وقوله فيمن تعدى حدود الله في الميراث: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: ١٤].

وقال في نفس السورة بعد أن ذكر عددًا من المنهيات: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠].

وأما الأحاديث فهي كثيرة مثل: «**دخلتِ امرأةٌ النَّار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض**»[(١)].

ومثل: «**صِنفان من أهل النَّار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها النَّاس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات ...**» الحديث[(٢)].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في اللباس (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولكن هذه الفئة خالفت الخوارج والمعتزلة بـأنَّ هؤلاء العصاة إذا ماتوا على التوحيد سـيخرجون يومًا من النـار؛ إذ ينفعهم إيمانهم بالله ورسوله واليوم الآخر. فبعد أن يمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا، يشفع فيهم من أذن الله بشـفاعته من الملائكة أو من الأنبيـاء أو من الصالحين، أو بفضله ﷻ ورحمتـه، كما صحَّ فـي الحديث أنه تعالـى يقول: «**بقيت شفاعتي، فيخرج من النَّار قومًا قد امتُحشوا**»[1]. أَيْ أُحْرَقوا.

هذا هو موقف جمهرة الأُمَّـة من الصحابة والتابعين لهم بإحسـان، وأئمة الدين المشاهير، وهم الَّذين أطلق عليهم النَّاس فيما بعد «أهل السُّنَّة والجماعة» وهم وسـط في قضايا العقيدة بين الطوائف المختلفة، كما أنَّ الأُمَّة المسلمة وسط بين أهل الأديان من اليهود والنَّصارى وغيرهم.

حقائق لا يجوز الخلاف عليها:

هناك حقائق في هذه القضية لا يجوز الخلاف عليها:

أولاها: أنَّ سـعادة الإنسـان في الدنيا والآخرة: موقوفة على إيمانه وعمله، لا على الاتكال على غيره، فهو الَّذي يسـعد نفسـه أو يشقيها، وليس غيره هو الَّذي يجلب له السعادة أو الشقاء.

وهذا أمر واضحٌ كلُّ الوضوح في كتاب الله. يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

ويقول تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٣٩)، ومسلم في الإيمان (١٨٣)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

ويقول سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

الثانية: أنَّ العبرة ليست بالشعارات والعناوين، بل بالحقائق والمضامين، وليس المدار على الدعاوى الضخمة، بل على البينات الصادقة. فليس كلُّ من ادَّعى أنَّه من أهل الإيمان يكون كذلك، فما أكثر الدعوى وما أعز المعنى، يقول الله تعالى: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] ثمَّ بين في الآية التالية حقيقة الإيمان وأهله فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقد ذكر المفسرون أن جماعة من المسلمين وأهل الكتاب التقوا، فادعى كلٌّ منهم أنَّه أولى بالله وأحق بالجنة من غيره، فأنزل الله في ذلك قرآنا يُتلى، ليكون قولًا فصلًا، وحكمًا عدلًا، وذلك قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

وقد ردَّ القرآن دعوى اليهود والنَّصارى، حين زعموا أن الجنَّة لهم وحدهم، فقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ

QaradawiBooks.com

أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

الثالثة: أنَّ يوم القيامة ليس لأحد فيه مُلك ولا تصرف، فالملك كله في هذا اليوم لله، والأمر كله لله، كما علمنا الله أن نقول في سورة الفاتحة في كلِّ صلاة: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أو ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾ [الآية: ٤] على القراءتين. فالله هو المالك، وهو الملك وحده في هذا اليوم، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الإنفطار: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦].

فلا يملك ملكٌ في السماوات، ولا نبيٌّ ولا صِدِّيقٌ من الأمر شيئًا في هذا اليوم، إلَّا ما أذن الله تعالى به لمن يشاء.

وفي هذا يقول تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۞ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال عز من قائل: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

الرابعة: أنَّ العدل المطلق هو شعار ذلك اليوم، فلا تُظلم نفس شيئًا، بمعنى أنَّها لا تُهضم جزاء ما عملت من خير، ولا تحمل وزر عملٍ لم تعمله، ولا تعاقب بأكثر ممَّا يستحقه العمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢].

QaradawiBooks.com

وقال: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

الخامسة: أنَّ الأوهام الَّتي شاعت بين المسلمين عن الشفاعة لا أساس لها، وهي أن يقترف الإنسان كبائر الإثم والفواحش، ويبغي في الأرض بغير الحق، ويفترس الضعفاء والمساكين، وينتهك الحرمات، ويخون الله ورسوله والمؤمنين، ثمَّ يتكل على أن الرسول أو الأولياء سيشفعون له، فهذا أشبه بما كان عليه المشركون في الجاهليَّة، واليهود والنَّصارى إلى اليوم، حين يرتكبون المآثم والمظالم، ويقولون: سيُغفر لنا، أو يشفع لنا الشافعون.

فالواقع أنَّ باب الشفاعة ليس مفتوحًا لكل النَّاس، بل يفتحه الله متى شاء لمن يشاء، فيما يشاء من الذنوب. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. فلا يدري أحد: أيشفع له شافع أم لا؟ وإذا شفع: أتُقبل شفاعته أم لا؟

السادسة: أنَّ من قرأ القرآن وجد أن هناك شفاعتين: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة وهذه غير تلك.

فالشفاعة المنفية هي: «الشفاعة الشركية» الَّتي كان يعتقدها الوثنيون المشركون: أن آلهتهم ستشفع لهم عند الله، وأن الله سيستجيب لها حتمًا، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فهم يحسبون أن آلهتهم لها من السلطة والتأثير، ما يجعل الله تعالى يفسخ إرادته، ويغير حكمه بالنسبة إليهم.

QaradawiBooks.com

ومثلهم اليهود والنَّصارى من محرّفة أهل الكتاب الَّذين اعتقدوا أن لأنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم من التأثير على الإرادة الإلهية، مثل ما اعتقده المشركون في آلهتهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة: ١٨].

وهذه الشفاعة هي الَّتي جاء فيها النفي في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

وهناك شفاعة مثبتة، وهي الشفاعة المشروطة المقيدة بإذن الله تعالى، وهي مقيدة بالنسبة للشافعين، وللمشفوع لهم، وللمشفوع فيه أيضًا.

السابعة: أنَّ السُّنَّة مبينة للقرآن، فلا يجوز رد السُّنَّة اكتفاء بالقرآن، كما لا يجوز قبول السُّنَّة المناقضة للقرآن؛ لأن البيان لا يناقض المبيّن، إنَّما يوضحه ويبين المراد منه، بتخصيص عامه، أو تقييد مطلقه، أو تفسير مُبْهَمه، أو تفصيل مجمله.

ومن هنا يجب أن ننظر إلى ما صحَّ في السُّنَّة ممَّا يبين القرآن؛ نظرة القبول والإذعان، كما قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وإذا قال بعضهم: إن الله تعالى أمرنا بقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣].

قلنا له: اتبعنا ما أنزل إلينا من ربنا، ووجدناه يقول لنا: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] في أكثر من آية، ويقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. ويقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ

QaradawiBooks.com

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. ويقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ويحذرنا من مخالفة أمره عليه السلام فيقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الشفاعة الثابتة في الآخرة:

والشفاعة الَّتي ثبتت بالنصوص المحكمة في الآخرة نوعان:

الأولى: الشفاعة العظمى، لإراحة الخلق يوم القيامة من هول الموقف، وهذه جعلها الله لخاتم رسله وصفوة خلقه محمَّد ﷺ. وهذه لا تأباها أصول المعتزلة. ولم أرَ من أنكرها قبل د. مصطفى محمود.

والثانية: الشفاعة للعصاة والمذنبين من أهل التوحيد، الَّذين ماتوا على الإيمان، ولكنهم اقترفوا بعض الكبائر في الدنيا، ولم يتوبوا منها، وهذه الشفاعة جعلها الله تعالى للملائكة والأنبياء، والصديقين والشهداء والصالحين. وهي الَّتي نازع فيها المعتزلة، وردوا ما صحَّ فيها من أحاديث، وأوَّلوا ما جاء فيها من آيات بأنَّها للطائعين والتائبين: زيادة في المثوبات، ورفع للدرجات.

الشفاعة العظمى (المقام المحمود):

أمَّا الشفاعة العُظمى فقد صحت بها الأحاديث عن عدد من الصحابة، كحديث أبي هُرَيْرة[١]، وحديث أبي هُرَيْرة وحذيفة معًا[٢]،

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠)، ومسلم في الإيمان (١٩٤)، وفيه: «يا محمد ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعطه».

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٩٥) بلفظ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة».

QaradawiBooks.com

وحديث أبي بكر[١] وسلمان[٢] وأنس[٣] وأبي بن كعب[٤]، وبريدة[٥] وابن مسعود[٦]، وكعب بن مالك[٧]، وأبي الدرداء[٨]، وغيرهم، كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره[٩].

غير مرخصة للطباعة

ونعني بهذه الشفاعة العظمى:

شفاعته ﷺ الَّتي أكرمه الله تعالى بها، لإراحة الخلق من طول الانتظار يوم الهول العظيم، يوم يقوم النَّاس لرب العالمين، والفصل بينهم، ليدخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّار النَّار.

---

(١) رواه أحمد (١٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وصحَّح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تخريج المسند، وفيه: «ارفع رأسك يا محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع».

(٢) رواه الطبراني (٢٤٧/٦)، وصحَّح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٥٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٣٨)، بلفظ: «فينادى: ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فذلك المقام المحمود».

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٤٧٦)، ومسلم في الإيمان (١٩٣)، وفيه: «يا محمد، ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي».

(٤) رواه أحمد (٢١٢٤٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والتِّرْمِذي في المناقب (٣٦١٣) وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٣١٤) بلفظ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر».

(٥) رواه أحمد (٢٢٩٤٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. بلفظ: «إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة، عدد ما على الأرض من شجرة، ومدرة».

(٦) رواه أحمد (٣٧٨٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وفيه: «وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة».

(٧) رواه أحمد (١٥٧٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن حبان في التاريخ (٦٤٧٩)، بلفظ: «ثم يُؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول فذاك المقام المحمود».

(٨) رواه أحمد (٢١٧٣٧)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره؛ بلفظ: «أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه».

(٩) تفسير ابن كثير (١٠٥/٥ ـ ١١٢).

QaradawiBooks.com

وهذا هو «المقام المحمود» الَّذي أشـــار إليه القرآن إجمالًا، وذكره الله تعالى في سورة الإسراء ممتنًّا على رســوله بهذه الخصوصية، فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

ومن ذلك: مـــا رواه الشـــيخان، عن أبـــي هُرَيْرة ﷺ قـــال: كنَّا مع النَّبيّ ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهْسَـــةً وقال: «**أنا سيِّد النَّاس يوم القيامة، هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيـــد يوم القيامة، فيبصرهم الناظر، ويســـمعهم الداعي، وتدنو منهم الشـــمس، فيبلغ النَّاس من الغم والكـــرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألَا ترون ما أنتم فيه؟ ألَا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض النَّاس لبعض: ائتوا آدم.**

فيأتونه فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي، نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أوَّل الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شـــكورًا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إنَّ ربِّي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبيُّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبًا

QaradawiBooks.com

لم يغضب قبله مثلـــه، ولن يغضب بعـــده مثله، وإني كنـــت كذبت ثلاث كذبات، فذكرها، نفسي، نفسي، نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موســـى، فيقولون: يا موســـى، أنت رســـول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على النَّاس، اشفع لنا إلى ربِّك، أمَّا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربـــي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضـــب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًـــا لم أومر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت النَّاس في المهد، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيســـى: إنَّ ربِّي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفســـي، نفســـي، نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد.

فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لـــك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، اشـــفع لنا إلى ربـــك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربِّي، ثمَّ يفتح الله عليَّ من محامده وحســـن الثناء عليه شـــيئًا لم يفتح على أحد قبلي، ثمَّ يُقال: يا محمد، ارفع رأســـك، سل تعطه، واشفع تشـــفَّع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يـــا رب، فيُقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حســـاب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شـــركاء فيما سوى ذلك من الأبواب، ثمَّ قال: والذي نفسي بيده، إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنَّة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرَى»[1].

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧١٢)، ومسلم في الإيمان (١٩٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبهذا يتبين لنا أنَّ شفاعة الرسول هنا ليست أكثر من دعاء وثناء وتضرع إلى الله تبارك وتعالى، مالك الملك، وصاحب الأمر كلِّه، وقد أكرمه الله تعالى، واستجاب لدعائه، وقبل شفاعته في الخلق، فضلًا منه وكرمًا، وهذا من حقِّه جلَّ شأنُه.

وقد جاء في حديث ابن عمر عند البخاري أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود، حيث قال: «**كذلك يوم يبعثه الله مقامًا محمودًا**»[١] وزاد في رواية «**يحمده أهلُ الجَمْع كلُّهم**»[٢].

وهذا هو المتَّفِق مع المنزلة الَّتي جعلها القرآن للرسول الكريم حين قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وليس في إثبات هذه الشفاعة ما يخالف النقول، أو يباين العقول، أو يناقض الأصول.

الشفاعة للمذنبين:

والشفاعة الأخرى الثابتة بنصوص القرآن والحديث، هي الشفاعة للمذنبين، والمراد بالمذنبين: هم أهل الكبائر، سواء كانت هذه الكبائر فعل محظور كأكل الربا، وشرب الخمر، والزِّنَى، أم ترك مأمور مثل ترك الصلاة، ومنع الزكاة، والإفطار بلا عذر في شهر رمضان.

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٧١٨).
(٢) رواه البخاري في الزكاة (١٤٧٤، ١٤٧٥).

QaradawiBooks.com

وذلك لأنَّ صغائر الذنوب يكفرها اجتناب الكبائر بنص القرآن: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

كما تكفرها الصَّلاة والصيام وغيرهما من الحسنات، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وفي الحديث الصحيح: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفِّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[(١)].

وهذه القضية هي الَّتي خالف فيها الخوارج والمعتزلة، فأهل الكبائر ـ بل من اقترف كبيرة واحدة عند كثير منهم ـ مخلد في النَّار، وإن لم يسمِّه المعتزلة كافرًا، كما سمَّاه الخوارج، إنَّما هو في منزلة بين الإيمان والكفر، ولا ينفعه إيمانه وتوحيده، وموته على ذلك، ولا ما سبق له من صالح العمل، كما لا تنفعه شفاعة شافع، ولا يعفو الله تعالى عنه؛ لأنه أوعده بالعقاب، ولا يجوز من الله أن يخلف وعده بالعقاب، كما لا يخلف وعده بالثواب.

ولأهل السُّنَّة حججهم البينة في الرد على شبهات الخوارج والمعتزلة من جهة العقل، ومن جهة النقل. فأما من جهة العقل، فالعقل يجيز للسيد إسقاط العقوبة عن عبده إن شاء، فضلًا منه وتكرُّمًا، ويُجيز للوالد إسقاط العقوبة عن ابنه متى شاء رحمة منه وتلطُّفًا.

والعقل لا يُجيز التسوية بين من لم يعترف بالسلطان من أساسه، وبين من أساء من رعيته إساءةٍ ما.

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والعقل لا يستسيغ أن يضيع السيد ثمرة عمل عبد له خدمه بإخلاص طول عمره، بخطيئة واحدة ارتكبها، فإن سوابقه تشفع له.

والعقل لا يستبعد أن يكرم السيد أو الأمير بعض أهل الفضل من رعيته، فيقبل شفاعتهم فيمن يشفعون فيه، بإسقاط بعض المطالبات عنهم، أو إرضاء بعض خصومهم، أو تخفيف بعض عقابهم، فيما هو من حق السيد أو الأمير، أو غيرهما.

وأما من جهة النقل، فهناك من الآيات القرآنية، والأحاديث النبويَّة، ما أثبت الشفاعة بقيودها وضوابطها، كما سنذكر فيما بعد، ولكن المعتزلة ردوا الأحاديث الصحيحة الثبوت، الصريحة الدلالة، وأوّلوا الآيات بأن المراد بالشفاعة: زيادة المثوبات ورفع الدرجات للمطيعين والتائبين. وهو تكلف مخالف للمتبادر من النصوص.

موقف د. مصطفى محمود:

ويبدو أنَّ الأخ الدكتور مصطفى محمود ـ رغم حماسه للإسلام، ودفاعه عنه في وجه المذاهب والأفكار المادية والإباحية، والدعوات الهدامة الحديثة ـ قد التبست عليه بعض المفاهيم في أمر الشفاعة في الآخرة وحقيقتها، والمقصود منها، حتَّى أدَّاه ذلك إلى أن قال ما قال من آراء أنكرها عليه علماء الدين المتخصصون، لمخالفته الواضحة لنصوص آيات القرآن، وصريح الأحاديث النبويَّة الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن.

ولعل ما دفع الدكتور إلى مقولته هذه: ما لمسه من سوء فهم بعض النَّاس لقضية الشفاعة، فهم يرتكبون المُوبقات، ويضيعون الصلوات،

QaradawiBooks.com

ويتبعون الشـــهوات، ويتاجرون في المخدرات، ويســـرقون المال العام، ويسحقون الضعفاء، ويتكلون بعد ذلك على شفاعة الرسول الكريم!

على نحو ما أنكره القرآن على المشـــركين، وعلى أهل الكتاب من الاتكال على الشـــفاعات الشـــركية، فالمشـــركون تشـــفع لهـــم آلهتهم وأصنامهم، واليهود والنَّصارى يشفع لهم أنبياؤهم وقديسوهم، وأحبارهم ورهبانهم.

ولكن الموقف الصحيح هنا يتمثل في تصحيـــح فهم النَّاس للدين بمبادئه ومفاهيمه، لا برد الثابت منه، أو تأويله تأويلا غير مقبول.

وليس الدكتور مصطفى محمود أوَّل من التبس عليه أمر الشـــفاعة، فقد التبســـت من قبله على طائفـــة المعتزلة، الَّذين أنكـــروا الأحاديث الصحاح المشتهرة في إثبات الشفاعة، وأولوا آيات القرآن الكثيرة فيها بأن المراد بالشفاعة فيها ليس تخفيف العقاب أو إسقاطه بالكلية، إنَّما المراد بها: هو زيادة الثواب ورفع الدرجات، كما أوّل الدكتور محمود: أن المـــراد بالشـــفاعة: البشـــارة، وكلاهمـــا تأويل متكلف متعســـف، لا ضرورة إليه.

مرتكزات د. مصطفى محمود في الاستدلال بالنقل والعقل:

علام اعتمد د. مصفى محمود في إنكار «الشفاعة» بالمعنى المتعارف عند «أهل السُّنَّة والجماعة»؟

الظاهر أنَّه اعتمد على أمرين: أحدهما نقلي، والثاني عقلي.

فأمَّا المعتمد النقلي، فآيات من القـــرآن الكريم، فهم منها أنَّها تنفي الشفاعة، أو تتناقض معها.

QaradawiBooks.com

الآيات الَّتي تنفي الشفاعة:

فأمَّا الآيات الَّتي تنفي الشفاعة، فمثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨].

﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩].

الآيات الَّتي تناقض فكرة الشفاعة:

وأمَّا الآيات الَّتي تناقض فكرة الشفاعة ـ في رأي د. محمود ـ فهي الآيات الَّتي تنبئ بأن من دخل النَّار لا يخرج منها أبدًا. كما في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ [المائدة: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ١٩].

وأحاديث الشفاعة تصرح بأن أناسًا من أهل النَّار، مكثوا فيها ما شاء الله أن يمكثوا جزاء على ذنوبهم، ثمَّ هم يخرجون منها، ويدخلون الجنة، وهذا يناقض ما أكدته هذه الآيات.

QaradawiBooks.com

وأما المنطق العقلي الَّذي استند إليه د. مصطفى محمود، فهو يرى أن «الشفاعة» إنَّما هي لون من المحاباة والمحسوبية والوساطة، كما يتجلى ذلك في أعرافنا، وسلوكنا العام، وهذا ينافي «العدل الإلهي» المطلق، الَّذي لا يعرف المحاباة، ويعطي كلَّ ذي حق حقه، ويجزي كلَّ نفس بما كسبت، لا يظلم أحدًا مثقال ذرة من خير أو شر، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأقول للأخ الدكتور مصطفى محمود: لقد خانك التوفيق، وأخطأت الصواب، في استدلالك النقلي، واستدلالك العقلي، وسأبين ذلك فيما يلي:

آيات نفي الشفاعة:

لا يخفى على الدكتور محمود أنَّ القرآن كتاب يُفسِّر بعضه بعضًا، ويُصدِّق بعضه بعضًا، ولكي نفهمه فهمًا صحيحًا، يجب أن نرد الآيات بعضها إلى بعض، ونجمع ما ورد منها في الموضوع الواحد، حتَّى تتكامل الصورة أمامنا، فما أُجمل في موضع ربَّما فصل في موضع آخر، وما أُطلق في سياق، قد يكون قيد في سياق آخر، وما عمم في آية قد يكون خصص في آية أخرى. ومن أجل هذا أنشأ المسلمون «علم أصول الفقه» ليضبطوا به الاستدلال، ويضعوا له القواعد الحاكمة، والضوابط الحاسمة، والمعالم الهادية.

وإذا نظرنا في ضوء ذلك في الآيات الَّتي استدلَّ بها الدكتور على نفي الشفاعة بإطلاق، نجد في مقابلها آيات أخرى قيدتها أو خصصتها أو فسرتها، فلا بدَّ لنا أن نفهم هذه في ضوء تلك، حتَّى لا نضرب القرآن

QaradawiBooks.com

بعضه ببعض: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

إن الله نفى في بعض الآيات أن يكون في يوم القيامة شفاعة، والمراد بها هنا: الشفاعة الَّتي كان يعتقدها المشركون من العرب والمحرفون من أهل الكتاب، الَّتي يعتبرونها واجبة لهم، وحَّدوا أم أشركوا، أذن الله أم لم يأذن، فالأصنام عند المشركين شفعاء لا ترد شفاعتهم، وكذلك الأنبياء، والقديسون عند أهل الكتاب.

قال تعالى في شأن المشركين: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقال في شأن أهل الكتاب: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وإنما بنوا هذا على الشفاعات الَّتي كانوا يؤمنون بها، وأن بحسبهم أن يؤمنوا بموسى أو عيسى، ليحملوا بذلك صكًّا إلى الجنة.

فنفى القرآن ذلك، وأثبت الشفاعة لأهلها بشرطها.

الشفاعة لأهلها بشرطها:

فأما شرط الشفاعة، فهي أن تكون بإذن الله تعالى، فلا يملك أحد أن يشفع لأحد بذاته، أيًّا كان مقامه، ملكًا أو نبيًّا، فهو وحده صاحب المُلك المطلَق في ذلك اليوم: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وهو الَّذي يأذن بالشفاعة لمن يشاء، ويمنعها ممَّن يشاء، فالشفاعة كلها في يديه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟

QaradawiBooks.com

لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۞ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

فكل شـــفاعة لا بدَّ أن يأذن بها الله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس: ٣]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

من لهم الشفاعة:

ثم إنَّ هذه الشفاعة ليست لكل من هبَّ ودبَّ، بل هي لأهل التوحيد وحدهم، من مات على عقيدة التوحيد، وأن «لا إله إلَّا الله».

قال تعالى في شـــفاعة الملائكـــة: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨].

فهم لا يشفعون إلَّا لمن ارتضى الله، وهم الَّذين ماتوا على توحيد الله تعالى، وعدم الإشـــراك به، كما ذكر المفســـرون. ولا يُقـــال: إن الَّذين ارتضاهم الله إنَّما هم الصالحون من عباده من المطيعين والتائبين، وليسوا العصاة والمذنبين؛ لأنا نقول: هؤلاء الصالحون لا يحتاجون إلى شفاعة. إنَّما الَّذي يحتاج إلى الشفاعة هو المقصر، ممَّن ضيَّع بعض الواجبات، أو ارتكب بعـــض المحرمات، وهو ممَّن ارتضاه الله في الجملة بســـبب إيمانه، وانضمامه إلى الأُمَّة المصطفاة، فإن أهلها أقسام ثلاثة ذكرهم الله تعالى فـــي قولـــه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

QaradawiBooks.com

لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

فهؤلاء الثلاثة ضمن الأُمَّة المصطفاة:

الظالم لنفسه: وهو الَّذي يقصر في بعض المأمورات، ويقترف بعض المحظورات.

والمقتصد: وهو الَّذي يكتفي بأداء الواجبات وترك المحرمات.

والسابق بالخيرات: وهو الَّذي يزيد النوافل على الواجبات، ويترك مع المحرمات الشبهات والمكروهات. ولا عجب أن يحتاج هذا الظالم لنفسه إلى الشفاعة، وأن يشفع له الملائكة والأنبياء والصالحون؛ لأنه مرتضىً في الجملة كما قلنا.

من لا شفاعة لهم:

أما المشركون الَّذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، فلن يجدوا من يشفع لهم، ولو فُرض أن شفع لهم شفيع فلن يُطاع، ولذلك يقولون عندما يعانون ما يعانون من أمور الآخرة: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣].

ويقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى على لسانهم في سقر: ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۞ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٣ ـ ٤٨].

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ومفهوم هذه الآية الأخيرة: أن غيرهم ـ وهم المؤمنون العصاة ـ تنفعهم شفاعة الشافعين. فإن مثل هذا الكلام إنَّما يُساق، حين تنفع الشفاعة غيرهم؛ فيقصد تقبيح حال الكفرة، وتخييب رجائهم، بأنَّهم ليسوا كذلك؛ إذ لو لم تنفع الشفاعة أحدًا، لما كان في تخصيصهم زيادة تخييب وتوبيخ لهم، كما قال العلَّامة سعد الدين التَّفْتَازاني في «شرح المقاصد»[1].

وقال سبحانه على لسان المشركين في النَّار حين يقولون لأصنامهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۞ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧ ـ ١٠٢].

وبهذا نعلم أنَّ القرآن نفى الشفاعة في آيات، وأثبتها في آيات أخرى لأهلها بشرطها، والشفاعة المنفية غير الشفاعة المثبتة.

كما نفى «الخُلَّة» يوم القيامة في آية: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وأثبتها في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

ومعنى هذا: أنَّ الخُلَّة المنفية: هي خلة أهل الدنيا، الَّذين تقوم خلتهم ومودتهم على الأهواء والشهوات والمصالح المادية، وليست خلة أهل التقوى الَّذين تقوم خلتهم وصحبتهم على محبة الله وطاعته والولاء لدينه.

فالأوَّلون لا خُلَّة بينهم في الآخرة، بل يكفر بعضهم ببعض، ويبرأ بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضًا، كما قال تعالى:

(١) شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني (٢/٢٣٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

والآخرون ـ أهل التقوى ـ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله، وتظل خلتهم ومحبتهم معهم حتَّى يدخلوا بها الجنَّة ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧].

آيات عدم الخروج من النار:

والنوع الثاني من الآيات الَّتي استدلَّ بها د. محمود: هي الآيات الَّتي تنفي الخروج من النَّار. فهو يرى هذه الآيات منافية لأحاديث الشفاعة في خروج الموحدين من النَّار، بعد استيفائهم جزاءهم في نار جهنم.

وهذا الاستدلال منقوض من عدَّة أوجه:

أولًا: ليست الشفاعة كلها فيمن دخل النَّار مدة ثمَّ أخرج منها، بل جعل الشفاعة فيمن استحقوا أن يدخلوا النَّار فترة من الزمن، ثمَّ شفع الله فيهم الشافعين المقبولين، فقبل الله شفاعتهم، ونجوا من دخول النَّار.

فماذا يقول الدكتور في هؤلاء، وهم لا تنطبق عليهم الآيات الَّتي ذكرها؟

ثانيًا: إن في القرآن آيات تجيز الخروج من النَّار بمشيئة الله تعالى، مثل قوله سبحانه في سورة الأنعام: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وقوله تعالى في سورة هود: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧].

QaradawiBooks.com

وقوله تعالى في سورة النبأ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢١ ـ ٢٣]. والأحقاب مهما يطُل أمدها فإن لها نهاية.

وقد اتخذ الإمام ابن القيِّم من هذه الآيات ومن بعض الأخبار والآثار الواردة: أن النَّار يمكن أن تفنى، وينتهي عذاب أهلها. كما بين ذلك من عشرين وجهًا في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» وكما حقَّق ذلك في كتابه: «شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل».

وجمهور العلماء يحملون هذه الآيات والآثار على أهل التوحيد، الَّذين يدخلون النَّار فترة، ثمَّ يخرجون منها.

ثالثًا: أنَّنا لو لم نجوّز خروج العصاة من أهل الإيمان من النَّار، لسوينا بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر في النتيجة، مع أن القرآن الكريم فرَّق بينهما تفريقًا حاسمًا، فقال تعالى في آيتين من كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]. فنفى مغفرة الشرك بإطلاق، وجعل ما دونه من الذنوب بمشيئته تعالى.

كما أنَّ القرآن جعل حسنات الكفَّار مهدرة في الآخرة، بحيث لا يستحقون عليها دخول الجنة؛ لأنَّها فقدت أساس القبول، وهو الإيمان بالله وحده. كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

رابعًا: إن الَّذين يخرجون من النَّار، ليدخلوا الجنَّة من الموحدين، لا يخرجون من النَّار بالشفاعة وحدها. فمنهم من يخرج باستيفاء مدة

QaradawiBooks.com

الاستحقاق، ومنهم من يخرج بشفاعة الشافعين، ومنهم: من يخرج بفضل الله تعالى وعفوه ورحمته. فلا وجه لإنكار خروج من استوفى جزاءه، ولا لمن لطف الله تعالى به، ومنَّ عليه بعفوه، فهو العفو الغفور. وقد جاء في الحديث القدسي الصحيح عن الله تعالى: «**إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»[١].

المنطق العقلي للدكتور:

أمَّا المنطق العقلي الَّذي أسس عليه الدكتور مصطفى محمود رأيه وهو: أن الشفاعة تنافي العدل الإلهي، في مجازاة كلِّ إنسان بعمله. فهو منطق ضعيف، لا يقوم على أساس متين، لعدة أسباب:

أولًا: لأنَّ العقل له مكان ومكانة في الإسلام في تأسيس العقيدة، حتَّى قال علماؤنا: العقل أساس النقل، يعنون أنه هو الَّذي أثبتنا به وجود الله تعالى، وإمكان الوحي ووقوعه، واستدللنا به على صدق نبوة محمَّد ﷺ، وأن القرآن وحي الله إليه، لكن بعد ذلك ـ كما قال الإمام الغزالي ـ يعزل العقل نفسه، ليتلقى عن الوحي تفاصيل العقيدة والشريعة[٢].

فكل ما جاء به الوحي المعصوم من عقائد، يجب على العقل أن يصدق بها، إيمانًا بالغيب، وإن لم يكن يعرف كنهها، ما دامت غير مستحيلة عقلًا.

والشفاعة من أمور الغيب، وأحوال الآخرة، الَّتي أخبرنا بها القرآن والسُّنَّة، وليست من المستحيلات عقلًا، ولا يترتب عليها مستحيل،

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٢)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١)، عن أبي هريرة.
(٢) المستصفى للغزالي صـ ٦، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

فعلينا أن نؤمن بها، ولا نردها. ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ثانيًا: إن العقل المسلم الَّذي رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد رسولًا، وبالقرآن إمامًا: يرى فيما قرأه من كتاب الله الكريم، وما صحَّ من أحاديث رسوله العظيم، في إثبات الشفاعة لأهلها بشرطها: ما يجعله يأخذها باطمئنان، ويوقن بها بلا تردد، ويعلم أن لها حكمة تليق بكمال من منحها لمستحقيها، فضلًا من عنده ورحمة ولطفًا. وإن لم يدرك هذا العقل كلَّ سرِّها، فعليه أن يقول إذا عجز عن إدراك السر، ما قالته الملائكة الكرام: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

ثالثًا: إن العقل المسلم البصير إذا تأمل في قضية الشفاعة: يجد الحكمة فيها واضحة كلُّ الوضوح، كالشمس لا يغشاها سحاب ولا ضباب. فإن الله تعالى لا يتعامل مع عباده بالعدل وحده، بل بالعدل والفضل والرحمة معًا، وهذا في الدنيا وفي الآخرة.

ولو عاملنا الله تعالى بعدله وحده في الدنيا، لأهلك من في الأرض جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: ٤٥]. وقال: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

فهو يذيقهم بعضَ الَّذي عملوا، لا كلَّ الَّذي عملوا، وهو لا يفعل ذلك انتقامًا، ولكن لعلَّهم يرجعون. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

QaradawiBooks.com

فلولا عفوه عن كثير مِن ظُلمنا لأنفسنا لأهلكنا بعدله.

ومثل ذلك في أمر الآخرة، بل هو أوضح وأجلى.

فالله تعالى يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فنجد التعامل مع السيئة بالعدل، ومع الحسنة بالفضل.

بل نجد ما يشير إلى أن بعض الحسنات قد تصل إلى سبعمائة ضعف أو أكثر، كما في النفقة في سبيل الله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

يؤكد هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقد جاء في بعض الآثار الإلهيَّة أن الله تعالى يقول: «**الحسنة عندي بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو أزيد. والسيئة عندي بواحدة أو أعفو**»[(١)].

ونجد أنَّ الله تعالى جعل دعاء الصالحين ينفع الإنسان، ولو بعد موته: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) رواه البزار (٣٩٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٤٦)، عن أبي ذر. وفي الصحيحين عن أبي هريرة: «إذا أحسن أحدكم إسلامه: فكل حسنة يعملها تُكتب له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها». رواه البخاري (٤٢)، ومسلم (١٢٩)، كلاهما في الإيمان.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

وهذا من فضل الله تعالى على أهل الإيمان. وكأنَّ هذا الدعاء لون من الشفاعة عند الله من أهل الإيمان لإخوانهم الَّذين سبقوهم، يدعون لهم بالمغفرة. ولهذا نجد الأنبياء يدعون الله بالمغفرة لهم ولآبائهم وللمؤمنين عامة: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وفي جانب الفضل نجد أن الحسنات إذا أديت على وجهها: لا يحبطها إلَّا الردة، والعياذ بالله تعالى، كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥].

أمَّا السيئات، فقد فتح الله لإزالتها والتطهر من آثارها أبوابًا كثيرة، أحصاها شيخ الإسلام ابن تيمية فكانت عشرة، وسمَّاها ابن القيِّم «أنهارًا» للاغتسال منها: من التوبة، والاستغفار، وعمل الصالحات: من الوضوء والصَّلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة والدعاء وتلاوة القرآن، والجهاد. ومن بلايا الدنيا ومصائبها، إلى العقوبات الشرعيَّة، إلى سكرات الموت، إلى فتنة القبر. ومنها: دعاء المؤمنين واستغفارهم له، وصدقتهم عنه بعد وفاته، وصلاتهم الجنازة عليه. وكلها مكفرات ومطهرات، فمن لم يطهره نهر، طهره آخر، مغسلة بعد مغسلة، وفرصة بعد أخرى، حتَّى يلقى الله طاهرًا، إذا حالفه التوفيق.

وإنَّ الله تعالى قد دعا عباده ألَّا يكتفوا في التعامل بينهم بقانون العدل وحده، وإن كان هذا من حقهم، بل ينبغي أن يرتقوا إلى قانون الفضل، وهو أفضل وأمثل، كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

QaradawiBooks.com

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

فمعاقبة السيئة بمثلها هو ما يوجبه قانون العدل، والعفو عن السيئة هو ما يوجبه قانون الفضل، والمؤمنون مندوبون إليه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

فإذا كان ربنا ﷻ قد ندبنا إلى أن نرتقي، فنتعامل فيما بيننا بالفضل، فكيف لا يفعل هو ذلك، وهو القادر عليه، وهو أهل لكل فضل وكمال؟

إنَّ شفاعة الشافعين في يوم الحساب ـ بعد أن تُنصب الموازين، وتُنشر الدواوين، وتُكشف الأوراق، وتُقرأ الكتب ـ أشبه بوضع «لجان الرأفة» في امتحانات الشهادات في الدنيا. إن المقاييس الَّتي وضعت للنجاح والرسوب مُحكَّمة في الجميع، ويُحاسَب كلُّ ممتحن على الدرجة، ونصف الدرجة، ولكن هناك من تستحق ورقته أن تعرض على «لجنة الرأفة» حيث يكون قريبًا من النجاح، وإن لم يستحقَّه بموجب العدل الصارم، بل بموجب الرحمة، فهذا يُقرِّب لنا مبدأ الشفاعة، فهي ليست لعتاة المجرمين، وطغاة الظالمين، فهؤلاء لا يقبل نبيّ ولا صديق أن يشفع لهم، إنَّما يشفعون للمقاربين، ممَّن ضعف عزمه، وزلت قدمه، ولم تسعفه التوبة.

رابعًا: إن الشفاعة إنَّما هي تكريم من الله تعالى شأنه لعباده المؤمنين: من الملائكة والأنبياء والصالحين، وأي غرابة في أن يكرم الله بعض عباده، فيمنحهم حق الشفاعة في بعض عباده، والملك ملكه والخلق خلقه؟ وقد شغل في الدنيا ملائكته بالدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم:

QaradawiBooks.com

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ ـ ٩].

أي غرابة في أن يكرم الله عبده ورسوله، وخيرة خلقه، وخاتم أنبيائه: محمدًا، فيعطيه حقَّ الشفاعة العظمى لإراحة الخلق من هول الموقف؟

وأي غرابة في أن يشفع عليه الصَّلاة والسلام لأهل الكبائر من أمته؟

وأي غرابة في أن يشفع بعض الربانيين من أمته في بعض العصاة الَّذين ماتوا على التوحيد؟

وأي غرابة في أن يشفع الشهداء من أمته لعدد كذا وكذا من أهلهم وأقاربهم، مكافأة لهم على استشهادهم وبذلهم لأرواحهم في سبيل الله؟

إنَّ العقل المؤمن لا يستغرب ذلك، ولا يستبعده، بل يجده ـ عند التدبر ـ مقتضى الكمال الإلهي الأعلى، ومقتضى الرحمة الَّتي وسعت كلَّ شيء، ومقتضى الفضل الإلهي الَّذي يعطي من يشاء بغير حساب.

العقل وحده لا يغني في مسائل الغيب:

إنَّ مشكلة الدكتور مصطفى محمود رغم إخلاصه فيما أعلم: أنه استخدم عقله وحده، دون أن يرده إلى مسلّمات العقيدة، ويضبطه بمحكمات الشريعة، وقواطع الأصول. والعقل وحده يمكن أن يشرد ويضل، إذا لم يهتد بمنارات الطريق، والعواصم من القواصم: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

QaradawiBooks.com

إنها شطحة من شطحات «العقلانية» المتأثِّرة بنزعات المعتزلة، الَّذين بعدوا ـ في شؤون الإيمان بالغيب وأحوال الدار الآخرة ـ عن الصراط المستقيم، صراط التوازن والاعتدال، فأوَّلوا كثيرًا ممَّا ورد في: الصراط والميزان والشفاعة، ورؤية الله، وتفاصيل الثواب والعقاب، تأويلًا فيه كثير من التكلُّف الَّذي لا ينشرح به صدر اللغة، ولا يستريح إليه أهل الشَّرع، وردُّوا كثيرًا من صِحاح الأحاديث لمجرد الاستبعاد. والغرور بالعقل وحده؛ دون الاهتداء بالشرع: خطر على الإنسان.

لقد غلَّب المعتزلة العقل على النقل، والعدل على الرحمة، والوعيد على الوعد.

ولو أنَّهم أعملوا ـ وأعمل معهم أخونا الدكتور ـ العقل في ضوء النقل، وضموا إلى قانون العدل: قانون الرحمة والفضل، وجمعوا بين الوعيد والوعد، ليتجلّى لهم الكمال الإلهي على حقيقته، كما وصفه كتاب الله: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة: ٩٨].

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

فجعل المغفرة والرحمة من أسمائه، والعذاب من أفعاله، وما أعظم الفرق بين الأمرين.

وأنا من الَّذين يشددون في ضرورة فهم السُّنَّة في ضوء القرآن، كما بينت ذلك في كتابي «كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة» ولكنِّي ناديت كذلك بضرورة التدقيق في هذه الدعوى، فكثير من النَّاس يزعمون تعارض السنة مع القرآن، وهي ليست كذلك، إنَّما هي من باب الخاص

QaradawiBooks.com

مع العام، أو المقيد مع المطلــق، أو المفصَّل مع المجمل، ولا تعارض بين هذه بعضها وبعض.

ويســرني أن أنقل من هذا الكتاب ما ذكرته في قضية الشــفاعة عند المعتزلة.

التدقيق في دعوى معارضة القرآن:

وهنا لا بدَّ أن نحذِّر من التوسع في دعوى معارضة القرآن، دون أن يكون لذلك أساس صحيح.

فقد ركب المعتزلة متن الشــطط، حين اجتــرؤوا على رد الأحاديث الصحيحة المستفيضة في إثبات الشفاعة في الآخرة للرسول عليه الصَّلاة والســلام، ولإخوانه الأنبياء والملائكة وصالحــي المؤمنين، في عصاة الموحدين، فيكرمهــم الله تعالى بفضله ورحمته وشــفاعة الشــافعين، فلا يدخلون النَّار أصلًا، أو يدخلونها ويخرجون منها بعد حين، ويكون مصيرهم إلى الجنة.

وهذا من كــرم الله تبارك وتعالــى على عباده، الَّــذي أعلى جانب الرحمة على جانب العدل؛ فجعل الحسنة بعشــر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد، وجعل السيئة بمثلها أو يعفو، وجعل للسيئات مكفِّرات عدَّة من: الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصيام رمضان، وقيامه، والصدقات والحج والعمرة، والتســبيح والتهليل، والتكبير والتحميد، وغيرها من الأذكار والدعوات، وما يصيب المسلم من نصب أو وصب أو غم أو حزن، أو أذى حتَّى الشوكة يشاكها. فكل هذا يكفر الله به من خطاياه. على حين لم يجعل شيئًا يحبط الحسنات غير الردة عن الدين، والعياذ بالله.

QaradawiBooks.com

كما جعل دعاء المؤمنين لـــه، من أهله وغير أهله، بعد وفاته ينفعه في قبره.

فلا بدَّ من أن يكرم الله عباده المصطفين الأخيار، فيشفعهم فيمن شاء مـــن خلقه ممَّـــن ماتوا على كلمـــة التوحيـــد، وهذا ما تكاثـــرت حوله الأحاديـــث: «**يخرج قوم من النَّار بشـــفاعة محمَّـــد ﷺ فيدخلون الجنة، يسمّون الجهنميين**»(١).

«**يخرج من النَّار قومٌ بالشفاعة كأنَّهم الثَّعَارِير**»(٢).

«**يدخل الجنَّة بشفاعة رجلٍ من أُمَّتي أكثر من بني تميم**»(٣).

«**يشفع الشهيدُ في سبعين من أهل بيته**»(٤).

«**أسعد النَّاس بشـــفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه**»(٥).

«**لكلِّ نبيٍّ دعوة، فأريد إن شـــاء الله، أن أختبئ دعوتي شفاعة لأُمَّتي يوم القيامة**»(٦).

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٦٦)، عن عمران بن حصين.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٥٨)، ومسلم في الإيمان (١٩١)، عن جابر. والثعارير: هي القثاء الصغار، شبهوا بها لأن القثاء ينمي سريعًا. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ث. ع. ر). وقيل: يشبه نبات الهليون.

(٣) رواه أحمد (١٥٨٥٧)، وقال مخرّجوه: إســـناده صحيح. والتِّرْمِذي في صفة القيامة (٢٤٣٨) وقال: حســـن صحيح غريب. والحاكم في معرفة الصحابة (٤٠٨/٣) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن أبي الجدعاء.

(٤) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٧٧)، عن أبي الدرداء.

(٥) رواه البخاري في العلم (٩٩)، وأحمد (٨٨٥٨)، عن أبي هريرة.

(٦) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٤)، ومسلم في الإيمان (١٩٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«**كلُّ نبيٍّ قد سأل سؤالًا، أو قال: لكلِّ نبيٍّ دعوة، دعا بها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعة لأُمَّتي يوم القيامة**»[١].

وفي حديث أبي سعيد عند الشيخين: «**فيشفع النبيُّون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبَّار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النَّار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا ـ أي احترقوا ـ فيلقون في نهر بأفواه الجنَّة يُقال له: ماء الحياة...**» الحديث[٢].

«**لكلِّ نبيٍّ دعوة مستجابة، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإني خَبَأتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يوم القيامة، فهي نائلة ـ إن شاء الله ـ من مات من أُمَّتي، لا يشرك بالله شيئًا**»[٣].

والمعتزلة ـ لتغليبهم الوعيد على الوعد، والعدل على الرحمة، والعقل على النقل ـ أعرضوا عن هذه الأحاديث، مع قوة ثبوتها، ووضوح دلالتها، واستفاضتها عند علماء الأُمَّة.

وكانت شبهتهم في ردها: أنَّها تعارض القرآن الَّذي نفى شفاعة الشافعين.

ومن قرأ القرآن لم يجد فيه إلَّا نفي «الشفاعة الشركيَّة» الَّتي كان يعتقدها المشركون من العرب، والمحرفون من أصحاب الديانات الأخرى.

أجل نفى القرآن أن تكون للآلهة الزائفة شفاعة، وأن يكون للمشركين شفيع يطاع، كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٥)، ومسلم في الإيمان (٢٠٠)، عن أنس.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٧٢.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١٩٩)، وأحمد (٩٥٠٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والقرآن يُعَبِّر كثيرًا عن الشـــرك بالظلم، وعن المشركين بالظالمين، فإن الشرك ظلم عظيم.

فالقرآن إذن لم ينفِ مطلق الشـــفاعة، كما زعم مـــن زعم، بل نفى الشـــفاعة الَّتي ادعاها المشـــركون والمحرِّفون، والتي كانت من أسباب فساد كثير من أتباع الديانات، الَّذين يقترفون الموبقات، متَّكلين على أنَّ شفعاءهم ووسطاءهم سيرفعون عنهم العقوبة لا محالة، كما يفعل الملوك الظلمة، وحكام الجور في الدنيا. انتهى.

إنَّ المســـلم الحق لا يضرب النصوص بعضها ببعـــض، ولكن يرد المتشابهات إلى المحكمات، ويحمل المطلق على المقيد، ويفسر العام بالخاص، ويأخذ بها جميعًا، بحيث يضع كلًّا منها في موضعه الصحيح، وهذا هو الَّذي هُدي إليه العلماء الربانيون من هذه الأُمَّة.

موقف د. محمود من السُّنَّة:

ومن المؤســـف أن الجدل في هذه القضية ـ قضية الشفاعة ـ قد أدى بالدكتور مصطفى محمود إلى إنكار «السُّـــنَّة النبويَّـــة» ـ الَّتي يعبِّر عنها دائمًا بـ «السيرة» ـ والسيرة جزءٌ يسيرٌ من السنة. وقد خاض فيها بجسارة ما كان ينبغي لمثله أن يخوضها، كما يخوض الغريب عن العلم «الغشيم» فيما لا يحســـنه. فيخلط حابلًا بنابل، وحقًّا بباطل. وكنت أود أن يتريث في هذا الأمر، ويراجع بعض العلماء الثقات الَّذين يجمعون بين القرآن والسُّنَّة، وبين الحديث والفقه.

وســـأذكر هنا نبذة قليلة ممَّا وقع فيه الدكتور مـــن أخطاء، راجيًا أن يراجع نفسه فيها، فالحق أحق أن يُتَّبع، وليس في العلم كبير، وفوق كلِّ ذي علم عليم.

QaradawiBooks.com

١ ـ قال الدكتور: إنَّ الله لم يضمن لنا حفظ كتاب إلَّا كتابه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ولم يتكفل لنا بحفظ البخاري ولا غيره من الكتب الَّتي صنفها البشر.

وهذا صحيح في الجملة، ولكن المحقِّقين من العلماء، أمثال الإمام أبي إسحاق الشاطبي، بينوا بالأدلة: أنَّ حفظ القرآن يتضمن ويستلزم حفظ السُّنَّة؛ لأن حفظ المبيّن يقتضي حفظ بيانه، وإلا بقي بلا بيان.

يريد أن الله تعالى قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولقد بيَّن الرسول القرآن بقوله وفعله وتقريره، وهيَّأ الله من الأسباب، وبعث من العلماء من قاموا بحفظ السنة وجمعها ونخلها من المدسوس عليها، وحمل علم النُّبوَّة من كلِّ خلفٍ عُدُوله، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين.

ولولا السُّنَّة ما عرفنا كيف نصلِّي أو نؤذِّن، أو نزكِّي أو نحُجُّ، فالسُّنَّة هي الَّتي فصَّلت لنا مُجمل القرآن، ووضحت لنا الكثير ممَّا تضطرب الأفهام فيه.

٢ ـ اعتمد الدكتور على حديث أبي سعيد الخدري: «**لا تكتبوا عنِّي شيئًا غير القرآن، ومن كتب شيئًا غير القرآن فليمحُه**»[(١)]. وهو حديث رواه مسلم، ولم يروه البخاري، فقد كان يراه موقوفًا، أي من كلام أبي سعيد نفسه. والدكتور يدعي أنه متواتر، ولم يقل بذلك عالم! ولو صحَّ هذا الحديث، فقد كان ذلك في أوَّل الأمر، حتَّى تتوافر الجهود كلُّها لكتابة

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٤)، وأحمد (١١١٥٨)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

القرآن، وحتى لا تقوم أي شبهة في التباس القرآن بغيره، وخصوصًا إذا كُتب مع غيره في صحيفة واحدة.

والواقع أنَّ أشياء كثيرة قد كتبت في العهد النبوي مثل الصحيفة الَّتي عدت بمثابة دستور لأهل المدينة، وكتب الصدقات، ورسائله عليه الصَّلاة والسلام إلى الملوك والأمراء، وصحيفة عبد الله بن عمرو، وغيرها. وأما طور التدوين الرسمي ـ أي بأمر الدولة ـ فقد بدأ في عهد عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى للهجرة.

ولقد بذل علماء الأُمَّة من الجهود والرحلات العلمية، منذ عهد الصحابة في جمع السُّنَّة وضبطها وتنقيتها من الدخيل عليها، ما لم يُعرف مثله في أُمَّة من الأمم. وخلَّفوا لنا في ذلك تراثًا هائلًا، لا ينكر قيمته إلَّا جاهل أو مكابر.

ولا يجوز لنا ـ بعد أربعة عشر قرنًا أو تزيد ـ أن نهيل التراب على هذا التراث العظيم، ونقول: حسبنا القرآن، فقد فصَّل الله فيه كلَّ شيء، ونُضلِّل الأُمَّة طَوال تاريخها، بأنَّها اعتمدت على السُّنة وجعلتها المصدر الثاني لفقهها وتشريعها، ولتوجيهها وتثقيفها، كما لمسنا ذلك عند الفقهاء والأصوليين، والدعاة والمربِّين، والمحدِّثين والمفسِّرين، والمتكلِّمين والصوفيِّين، كلُّهم جعلوا السُّنَّة ـ بعد القرآن ـ عمدتهم.

ومن أشدِّ الأمور خطرًا على اتجاه الأُمَّة الفكري والسلوكي: إسقاط «عصمة الأُمَّة» وإلقاء تراثها في سلة المهملات، والبدء من الصفر، أو باتِّباع أُمَّة أخرى، وسلوك سبيلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، بدعوى «القراءة الجديدة» للقرآن، أو بما شابه ذلك من الدعاوى.

QaradawiBooks.com

فالأُمَّة إنَّما تبقى أُمَّة إذا بنى لاحقها على ما أسسه سابقها، مع ملاحظة تغير الزمان والمكان والإنسان، وهو ما ننادي به من وجوب التجديد والاجتهاد من أهله في محله.

أما إذا أراد اللاحقون أن يهدموا ما بناه السابقون من صروح، فليس هذا من التجديد المطلوب، بل هو هدم لمقومات الأُمَّة، وإلغاء لهويتها.

والآفة هنا تتمثل في العجلة في الحكم، والتسرع في النفي والإثبات، ولا سيما إذا دخل المرء في غير اختصاصه، وأقحم نفسه فيما يحتاج إلى مراجعة الثقات من أهل الذكر، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

خذ مثلًا ما ذكره د. محمود من رد حديث عائشة رضي الله عنها: مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين وَسْقًا من شعير في نفقة عياله[1].

فقد اعتبر هذا الحديث مكذوبًا على رسول الله، لماذا؟ لأن الرسول في أواخر حياته فتح الفتوح، وغنم الغنائم، وكان سيد الجزيرة، فكيف يحتاج إلى يهودي ليتسلف منه، ويرهنه درعه، ويموت وهي مرهونة؟

والحديث متفق على صحته، ولم يطعن فيه أحد من قبل فيما أعلم، ولو طعن فطعنه مردود. والفقهاء جميعًا قد استنبطوا منه أحكاما عدة.

منها: جواز التعامل مع غير المسلمين، ولا سيما أهل الكتاب.

ومنها: جواز التعامل مع من يشوب ماله بعض الحرام، مثل اليهود.

ومنها: جواز الرهن في الحضر، فإنَّ القرآن ذكر الرهن في السفر.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٢٩١٦)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ومنها: وجود بعض اليهود في المدينة. إلى غير ذلك من الأحكام.

وكون الرسول ﷺ كان له الخمس في الغنائم، فقد كان يصرف هذا الخمس في مصالح الأُمَّة، وما كان له منه خاصة، فقد قال: «**لو كان لي مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما أحبُّ أن يمرَّ عليَّ ثلاث وعندي منه شيء، إلَّا شيئًا أرصده لدَيْن**»[1]. فقد كان ينفق بسخاء، ويعطي عطاء من لا يخشى الفاقة كما وصفوه ﷺ.

فلا مانع أن يأتي وقت ينفد فيه الشعير ـ الَّذي يتخذون منه الخبز ـ في المدينة، وهي بلد نخيل، لا بلد محاصيل، ولا يوجد من يدخر الشعير، إلَّا مثل هذا اليهودي، وقد استلف منه ثلاثين وسقًا لزوجاته. وطلب منه اليهودي ضمانًا، فرهنه درعه، وكان ذلك في أواخر حياته عليه السلام، فمات ودرعه عند اليهودي.

أي غرابة في هذا؟ وأي منافاة للعقل أو للمنطق؟ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ** ﴾ في سورة الضحى، وهي من أوائل ما نزل من القرآن، لم يمنع أن يأتي على الرسول أيام يشد فيها الحجر على بطنه من الجوع، وأخرى أكل فيها أوراق الشجر، كما في أيام المقاطعة الشهيرة في السيرة النبويَّة.

إنّي أعتقد أن الأخ الدكتور مصطفى محمود رجل مخلص، وأملي في إخلاصه أن يقف لمراجعة نفسه فيما كتب عن الشفاعة، وبخاصة ما كتبه عن السُّنة، فلن يستفيد منه إلَّا خصوم الإسلام الَّذين وقف قلمه لكشف زيفهم، وهدم باطلهم.

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٣٨٩)، ومسلم في الزكاة (٩٩١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ويظهر لي أنه قرأ شيئًا من كتاب أبي رية في الطعن على السُّنة ورجالها، بدليل بعض النقول الَّتي ذكرها، وأنصحه أن يقرأ الَّذين ردوا على أبي رية، وحسبي هنا أن يقرأ كتابًا واحدًا في هذا الموضوع، وهو كتاب الفقيه الداعية الشيخ مصطفى السباعي: «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» فسيجد فيه من البينات ما يشفي الصدور.

إني أربأ بالأخ الدكتور أن يردد ما قاله أعداء السنة من دعاوى، فرغ العلماء المختصون من الرد عليها من زمن طويل، مثل ما قالوه: إنَّ أبا حنيفة لم يصح عنده إلَّا سبعة عشر حديثًا، وهو أمر ذكره ابن خلدون بصيغة التمريض، ورد عليه ردًّا علميًّا رصينًا. ويكفينا ما روي عن أبي حنيفة من مسانيد، وما ملئ به مذهبه من أحاديث.

أسأل الله لنا وللدكتور الهداية إلى الَّتي هي أقوم، وأن يغفر لنا وله ما مضى، ويصلح لنا جميعًا ما بقي، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

نسخة مجانية
غير مخصص للطباعة
QaradawiBooks.com

هل يتلبس الجنّ بالإنسان؟

س: ما قول فضيلتكم فيما هو شائع عند كثير من المسلمين: أن الجنَّ يتلبس بالإنسان، أو كما يقول العوام: يركبه، ويدخل في جسده، ويتحكم فيه، وينطق على لسانه، وأن بعض النَّاس يذهبون إلى أناس يزعمون أن لهم قدرة على إخراج الجنّ من الجسد، وقد يكون ذلك بضرب الشخص على أنه ضرب للجنِّ؛ حتَّى يخرجه من جسمه، ويحكون في ذلك حديثًا: أن امرأة شكت إلى النَّبيِّ ﷺ ما يصيب ابنها، فأخذه وقال له: اخرج عدو الله! فخرج الجنُّ من جسد الولد.

كما يستدلون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

فهل هذا صحيح؟ وهل هذه النصوص واضحة الدلالة على ذلك؟

نرجو إيضاح هذه القضية الَّتي اختلف فيها النَّاس ما بين منكر لا يصدق شيئًا فيما يقال، وبين مسلِّم بكلِّ ما يُروى من الحكايات في هذا الشأن. وأن يكون بيانكم كالعادة مؤيَّدًا بأدلة الشَّرع والعقل. نفع الله بعلمكم المسلمين.

(س. ع. س)

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

مشـــكلتنا دائمًا في مثل هذه القضايا هي: الوقـــوع بين طرفي الغلوِّ والتفريط. ففي قضية مثل الجنِّ وعلاقته بالإنســـان، نجد فيها: من ينكر وجود الجنِّ بالمرَّة، متعسِّفين في تأوُّل ما جاء في القرآن عنهم من آيات بينات، وما وقع لهم مع الرسول ﷺ، حتَّى نزلت صورة كاملة في ذلك تسمَّى «سورة الجنِّ».

ومع حديث القرآن المستفيض: أنَّ الله تعالى سخرهم لنبيه سليمان عليه السلام.

وفي مقابـــل هـــؤلاء: نجـــد خرافيين حشـــوا أدمغتهـــم بأقاصيص و«حواديت» وتهاويل، تجعلك تتخيل أن الجنَّ هم الَّذين يحكمون عالم الإنس، ويتصرفون فيهم، ويعبثون بهم.

الأولون ضحايا الثقافة المادية والعلمانية الَّتي لا تؤمن بعالم الغيب، وهي ثقافة مســـتوردة. والآخرون ضحايا ثقافة التخلف الإسلاميَّة، الَّتي تراجعت فيها حضارتنا، وانتقلت الأُمَّة مـــن الاجتهاد إلى التقليد، ومن الإبداع إلى مجرد النقل، ومن الحركة إلـــى الجمود، ومن الابتكار إلى الاجترار.

ولا يزال يقوم على هذه الثقافة أناس ممَّن ينتسبون إلى العلم الديني، يعيشـــون خارج عصرهم، وقد حدَّثني بعضهم أنَّ خطيبًا في إحدى بلاد الخليج ألقى عشـــر خطب عن الجن! فانظر: كيف يشغل جماهير النَّاس

QaradawiBooks.com

بمثل هذا الأمر الَّذي لا يترتب عليه عمل، أو ترقى به الأمَّة، أو تحل بها مشكلاتها المتفاقمة في الاقتصاد والسياسة، والثقافة والاجتماع!

إنَّ الَّذي أومن به في هذه القضية: أن الجنَّ نوع من خلق الله المكلَّفين بعبادته مثل الإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وكلمة «الجن» تعني: الستر، أو الخلق المستور؛ لأنَّهم يرون الإنس، والإنس لا يرونهم. فهم مستورون عنهم، فهم جزء من «عالم الغيب» الَّذي نؤمن به، وإن لم نره.

وقد حدَّثنا القرآن عن الجنِّ، وبيَّن لنا أنَّ نبيَّنا محمدًا مرسل إليهم، كما هو مرسل إلى الإنس، فهم جزء من «العالمين» الَّذين أرسله الله رحمة لهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وأن الله صرفهم إليه ليستمعوا القرآن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١].

وعاد القرآن يقص علينا قصتهم في سورة كاملة سُمِّيت «سورة الجنِّ»، وفيها قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

وفي هذه السورة يبين الله لنا بعض أوصاف الجن، وصلتهم بالإنس، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

QaradawiBooks.com

كما بينت السُّورة: أنَّ منهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، قال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۞ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

ولم أجد في القرآن الكريم ما يدلُّ على أن الجني يُسَـخِّر الإنسـان ويركبه ويتحكم فيه كما يزعم بعض النَّاس.

وما استدلَّ به بعضهم من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فلا دليل فيه على أن الجني يسخر الإنسي. حتَّى لو أخذنا النص على ظاهره، فإن المس لا يعني الركوب والتحكم، والدخول في الجسد والتصرف فيه.

واسـتدل آخرون بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] والمس هنا لا يعني: الركوب والتسـخير، بل المراد: أنه مسه بما وسـوس إليه من إيحاءات وأوهام أن الله غاضب عليه، وأنه تعالى تخلى عنه، وسيدعك تعالى في مرضك وآلامك، إلخ. فهذا هو النصب والمعاناة الَّتي قصدها.

وفي نظري: أن هذه الدعوى على الإنسان أن الشيطان يؤذي الشخص أو الأشخاص ويمسـهم بنصبه وعذابه، غير دعوى أن الشيطان أو الجنّ يركب الإنسـان ويتحكم فيه ويسـخره له، بل هذه الدعوى تنافي عدَّة حقائق قرآنية:

١ ـ تكريم الله للإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢ ـ استخلاف آدم وذريته في الأرض: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

QaradawiBooks.com

٣ ـ تسخير الله الكون علويه وسفليه لمنفعة الإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

٤ ـ تحرير النَّاس من سلطان الشيطان إلَّا من اتبع غوايته منهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

٥ ـ قوله على لسان الشيطان يوم القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] فبين أن سلطانه على الغاوين الَّذين اتبعوه لم يكن إلَّا سلطان الوسوسة في صدورهم، وهو معنى قوله: ﴿دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

وقد عرفنا من النصوص الشرعيَّة: أنَّ الإنسان هو الَّذي سخر الجن، ولم يأتِ نص شرعي واحد صحيح صريح، يدلُّ على أن الجني سخر الإنسان.

أجل، قرأنا في كتاب الله تسخير الجنِّ لسليمان الَّذي سأل الله مُلْكًا لا ينبغي لأحد بعده، فاستجاب له، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۞ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٦ ـ ٣٩].

وفي موضع آخر في حديث عن سليمان: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۞ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٢ ـ ١٤].

QaradawiBooks.com

فانظر كيف ظلوا يخدمون سليمان مدة من الزمن، وهو ميت، وهم لم يعلموا بموته، ممَّا يبين أن الجنّ كالإنس لا يعلمون الغيب، ولا يخترقون أسواره.

وعرفنا من قصة سليمان مع ملكة سبأ، الَّتي قصها الله علينا في سورة النمل: أن بعض الإنس ـ بما خصهم الله من مواهب وقدرات ـ أقوى من عفاريت الجن.

فقد قرأنا قول الله تعالى عن سليمان وملكة سبأ: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠].

فقد رأينا كيف عجز عفريت الجنّ أن يأتي بعرش الملكة من اليمن إلى الشام، قبل أن يقوم سليمان من مجلس الحكم، وذلك قد يستغرق عدَّة ساعات. ولكن هناك في مجلسه ممَّن عنده علم من الكتاب من قال له: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، أي في مثل لمح البصر، وهذا الَّذي فعل هذا لا بدَّ أن يكون من الإنس ما دام الآخر من الجن[1].

ولا يتصور أن يكون من الملائكة؛ لأنَّ حديث سليمان مع «الملأ» الحضور في مجلسه، وهم كانوا من الإنس والجن، ولا دخل للملائكة في هذا؛ لأنَّ الله تعالى لم يسخر له الملائكة. وقد قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] ومعنى هذا: أن الإنسان بما أتاه الله من علم تفوق على الجنّ بما عنده من قدرة على الاختفاء والتشكُّل ونحو ذلك. وقد رأيت الإنسان في عصرنا قد استطاع

(١) أشار لهذا المعنى الطبري في تفسيره (٤٦١/١٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بواسطة العلم: أن يسخر قوى الطبيعة لمصلحته، وأن يصنع العجائب الَّتي تكاد تشبه المعجزات. ولم نسمع أن الجنّ فعلوا شيئًا من ذلك.

وهكذا عرفنا من نصوص القرآن: أن الإنسان سخر الجن، وكذلك عرفنا من قراءة كتاب الواقع: أن من النَّاس من يسخر الجنّ لخدمتهم. وسمعنا من الوقائع والغرائب الَّتي شاهدها النَّاس بأعينهم ما لا يكاد يصدق. ولكنهم شهود عدول ثقات رأوا هذه العجائب رأي العين، وتكررت أمامهم مرات.

وقد قرأنا في الأحاديث النبويَّة أنَّ الجنَّ يأكلون من بقايا أكل بني آدم، فابن آدم يأكل اللحم، والجن يأكل العظم، وكذلك أرواث بهائم بني آدم، طعام لدواب الجن[1]. فكيف يُمكِّن الله هذا النوع من التحكم في بني الإنسان، بحيث يركبونهم ويتصرفون فيهم، وينطقون على ألسنتهم.

وما ذكره بعضهم من أحاديث تدل على دخول الجنِّ في جسم الإنسان، وأن الرسول ﷺ أخرجهم من بعض الأجساد، وقال له: «اخرج عدو الله»! وهو مروي في مسند أحمد، فهو حديث ضعيف الإسناد، كما حقَّق ذلك مخرِّجو المسند[2]. ومثل هذا الحديث الضعيف لا يثبت به مثل هذا الأمر الجلل.

---

(١) كما في حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم، ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا». رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٦٠). وعند مسلم: «أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن». قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه: يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم». فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم». رواه مسلم في الصلاة (٤٥٠)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٧٥٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. عن يعلى بن مرة.

QaradawiBooks.com

وما اعتبره بعضهم من أنَّ مرض «الصرع» إنَّما هو من الشيطان، فهْمٌ غير مسلَّم طبيًّا، فالأطباء يعتبرونه مرضًا طبيعيًّا من الأمراض المعتادة، ويضعون له من الأدوية ما يعالجه أو يخففه، ولا سيَّما في حالة حدوث «الصرعة» وما بعدها.

وهو غير مسلَّم دينيًّا أيضًا، فقد شكت امرأة إلى النَّبيِّ ﷺ: أنَّها يصيبها الصرع، وسألته أن يدعو الله لها بأن يُذهب عنها هذا المرض بما له من مقام عند الله. فقال لها النَّبيّ ﷺ: أو تصبرين، ولك الجنة؟ فقالت: أصبر ولي الجنة! ولكنِّي أتكشَّف (أي عند وقوع الصرع ينكشف بعض جسمها إذ لا تتحكم في نفسها) فادعُ اللهَ لي ألَّا أتكشَّف، فدعا الله لها ألَّا تتكشَّف[١].

ولو كان الصرع عدوانًا من جني عليها، ما قبل ﷺ: أن يظل الجني يظلمها ويعتدي عليها، وهو قادر على إبعاده ورفع الظلم عنها، بمجرد قوله: اخرج من المرأة المؤمنة يا عدو الله! فلما لم يفعل ذلك، فهمنا أنه مرض من جملة الأمراض الَّتي تصيب الإنسان، فأراد أن يترك لسنن الله المعتادة في الخلق، ولا يسأل الله تعالى أن يشفيها بخارقة من الخوارق، وعليها أن تصبر كما يصبر سائر المؤمنين والمؤمنات على أمراضهم وآلامهم، ويغنيها الله تعالى بالجنة جزاء على صبرها واحتسابها.

واستدل بعضهم بالحديث الصحيح: «**إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[٢]. على أنَّه يدلُّ على تمكُّن الشيطان من الإنسان وتحكمه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٦)، عن ابن عباس.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٣٨)، ومسلم في السلام (٢١٧٥)، عن صفية بنت حيي.

QaradawiBooks.com

فيه. وهذا سوء فهم للحديث؛ لأن المقصود من الحديث ليس معناه: أن الشيطان يدخل في جسم الإنسان ويجري منه مجرى الدم، فما قال أحد هذا قط، ولا فهم هذا عالم قط من الحديث. وإلا كان جميع بني آدم مركوبين للشيطان، يتصرف فيهم كما يشاء. وكيف والله تعالى يقول للشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

والرأي الَّذي أطمئن إليه في هذه القضية الخطيرة: أن هؤلاء الَّذين يدعون أن الجنَّ قد ركبهم وتلبس بهم: مصابون بأمراض نفسية أو عصبية، مثل مرض: «ازدواج الشخصية»: أن يكون للمرء شخصيتان: شخصية ظاهرة يتعامل بها في حالاته العادية، وشخصية باطنية تتغير حالتها وصفتها وكلامها عن الشخصية الأخرى، وهي الَّتي تسيطر في بعض الأحيان على الشخص، وتخفي الشخصية الأخرى، وهي الَّتي تتكلَّم بصوت آخر، فإذا كانت امرأة تكلَّمت بصوت رجل، وإذا كان رجل تكلَّم بصوت امرأة، وادعى الرجل: أن هناك جنية تركبه؛ لأنَّها تحبه وتعشقه، كما تدعي المرأة: أن هناك جنيا يركبها؛ لأنَّه يحبها ويعشقها. والحقيقة لمن يتأمل ويتعمق أن لا جنّ هناك ولا جنيّة هناك. وإنَّما هو نفس الشخص في حالة أخرى.

وحبذا أن يتعاون أطباء النفس والأعصاب وعلماء الدين، في علاج هذه الأمراض بطريقة علميَّة وواقعية صحيحة، ولا يدعوا ذلك للغلاة والمدعين والمتلاعبين بعقول العوام وعواطفهم ونقاط ضعفهم؛ ليكسبوا من ذلك الثروة الحرام، ويأكلوا أموال النَّاس بالباطل.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هل يتزوج الجني الإنسية ويتزوج الإنسي الجنية؟

س: نرجو من سماحتكم: أن تبينوا لنا بالأدلة الشرعيَّة، قضية ما يشيع بين النَّاس من تزوج الجني بالإنسية، وتزوج الإنسي بالجنية؟ وكيف يتم العقد بينهما؟ وكيف يتعايشان؟ وهما مختلفا الطبيعة؟

وما الدليل على ذلك من كتاب الله أو السُّنَّة الصحيحة لرسول الله ﷺ؟

نطمح ألَّا تضنُّوا علينا ببيان يشفي الصدور، ويزيح الغموض عن هذه الأمور. وفقكم الله، وأجرى العلم النافع على لسانكم وقلمكم. آمين

(ي. ا. هـ)

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فلا أعلم نصًّا من كتاب الله تعالى، ومن السُّنَّة الصحيحة لرسول الله ﷺ، تفيد وقوع هذا الزواج، أو يدلُّ على مجرد جوازه ومشروعيته، بل وجدت ما يدلُّ على عكس ذلك.

QaradawiBooks.com

فإنَّ الله تعالى قد جعل الزواج ـ كما بيَّن في القرآن ـ بين أفراد الجنس الواحد، لتنشأ بينهم السكينة والمودة والرحمة، الَّتي هي أركان الأسرة المؤمنة، الَّتي يسعى القرآن لإنشائها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ومعنى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، أي من جنسكم؛ لأن الجنس يأنس إلى جنسه، ويسكن إليه، بخلاف الجنس الأجنبي، الَّذي لا تأتلف طبيعته مع طبيعته.

وقد حدَّثنا الله عن الإنسان الأول، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ومعنى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾، أي من جنسها ليتحقَّق سكونه إليها، وأنسه بها.

أما زواج الجني بالإنسية، والإنسي بالجنية، فكيف يتصور لقاؤهما وتعايشهما وتلاصقهما، ويتحقَّق قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] وهما جنسان مختلفان، كما يعبر عن ذلك أصل خلقتهما، فهذا خُلق من نار، وذلك خُلق من طين.

وأكثر الفقهاء لا يجيزون التزاوج بين الجنِّ والإنس، وبعضهم خشي من وراء دعوى الزواج بالجن: أن تنحرف المرأة وتسقط في فاحشة الزنى، ويظهر أثر ذلك بالحبل، فتدعي أن جنيًّا تزوجها! وأن حملها من هذا الجني، الَّذي لا تستطيع أن تستجوبه، ولا أن تحقَّق معه الشرطة أو النيابة، أو يمثل أمام القاضي؟

روى أبو عثمان سعيد بن داود الزبيدي قال: كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك، يسألونه عن نكاح الجن! قالوا: إن هاهنا رجلًا من الجنِّ يزعم

QaradawiBooks.com

أنه يريد الحلال! فقال: ما أرى بذلك بأسًا في الدين. ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل، قيل: من زوجك؟ قالت: من الجن! فيكثر الفساد في الإسلام[1].

ولا أدري كيف يتم هذا الزواج؟ فكيف يحدث التعارف؟ وكيف تقع الخطبة؟ ومن أين يستدعى الشهود؟ وكيف يتم الإيجاب والقبول والإشهاد؟ وكيف يمكن إعلان النكاح الَّذي أمر به النَّبيّ ﷺ؟ وما موقف أولياء المرأة من هذا الزواج؟ وإذا علموا به وأرادوا أن يفسخوا هذا الزواج، فلمن يرفعون أمره؟ وليس بين الإنس والجن أية مؤسسات مختلطة؟

هذه إشكالات حقيقية تلزم الَّذين يقرون بشرعية هذا الزواج: أن يخرجوا منها، وأن يحدِّدوا لها حلًّا أو جوابًا مقنعًا.

وقد رأيت بعضهم يستدلون على شرعية ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

استدلُّوا بقولهم: ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فأخذوا من العبارة: أنَّها استمتاع بالزواج، فهو الَّذي ذكره القرآن في مقام الاستمتاع، كما في قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤].

والحق: أنَّ الاستمتاع في الآية بعيد عن ذلك، ولو كان المراد به الزواج المشروع، ما أجابهم بقوله: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

---

(١) تفسير الألوسي (١١٨/١٤).

QaradawiBooks.com

وإنما معنى استمتاع بعضهم ببعض: أن الشياطين استمتعت بإضلالهم وأمرهم بالسوء والفحشاء، واستجابة الآخرين، فهذا يمتعهم ويسرهم ويرضي غرورهم، إن أمروهم فأطاعوا. وأما استمتاع الأنس، فبما هووا إليه من اتباع الشهوات، واقتراف المحرمات، الَّتي غرقوا فيها، وظنوها دائمة، وهي متاع الغرور.

كما استدلَّ بعضهم بقوله تعالى في وصف حور الجنان: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن: ٥٦].

والمراد: لم يجامعهن أحد قبل ذلك بمن يقدر على الجماع من إنسٍ أو جنٍّ. قال العلَّامة ابن عاشور في تفسيره: قوله: ﴿وَلَا جَآنّٞ﴾: تتميم واحتراس، وهو إطناب دعا إليه: أنَّها دار ثواب لصالحي الإنس والجن، فلما ذكر «إنس» نشأ توهم أن يمسهن جن، فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس[1].

وقال بعضهم: الجنُّ في الجنَّة لهم قاصرات الطرف من الجنِّ نوعهم، فالمعنى: لم يطمث الإنسيَّات أحد من الإنس، ولا الجنيَّات أحد من الجنِّ قبل أزواجهم[2].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧٠/٢٧)، نشر الدار التونسية بتونس، ١٩٨٤م.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٦٥/٢٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

عذاب القبر للروح أم للبدن

س: هل عذاب القبر للبدن أم للروح أم لهما معًا؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أما بالنسبة للسؤال هل العذاب بالجسد أو الروح؟ لا ينبغي كثرة الخوض في تفاصيل هذه القضية، فهي من أمور الغيبيات الَّتي لا ندخل في تفاصيلها، ولا نعرف كنهها؛ لأنَّنا أعجز من أن نعرف ذلك، وليس عندنا من النصوص القرآنية والنبويَّة ما نملك به هذه المعرفة لحقائق الأشياء وكنهها، ونحن نؤمن بكلِّ الغيوب، وندع كنهها إلى الله تبارك وتعالى العليم الخبير، الَّذي أرشدنا إلى المنهج الأمثل في التعامل مع مثل هذه الغيبيات فقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

على كلِّ حالٍ الإنسان في قبره إمَّا يعذَّب وإمَّا ينعَّم، والقبر إمَّا روضة من رياض الجنة، وإمَّا حفرة من حفر النَّار، بعض النَّاس ينعمون

QaradawiBooks.com

مثل الشهداء، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. وبعضهم يعذَّبون وقد ذكرنا دليل ذلك من كتاب الله وسنة رسوله.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

لعلها كرامة

س: هناك إنسانة عرفتها، وهي لا تكذب أبدًا، أكرِّر: لا تكذب أبدًا، محافظة على الصلوات وقراءة القرآن بشكلٍ متواصلٍ، يتيمة الأبِ والأمِّ، يحدث معها أشياء وحوادث غريبة جدًّا، منها أنَّها في إحدى الليالي كانت تقرأ القرآن، فشاهدتْ نورًا موجَّهًا على المصحف، ويتتبع معها الآية الَّتي تقرؤها، وعندما وصلتْ إلى نهاية الصفحة قُلبت الصفحة من غير أن تقلبها.

وفي إحدى المرات كانت قد انتهتْ من الصلاة، وشاهدتْ على بعد خمسة أمتار رجلًا كبيرًا في السن، لحيته بيضاء، ويلبس ملابس بيضاء، حاولتْ الاقتراب منه لكنه اختفى، الرجاء التفسير، هل يعتبر ما قالته لي إفشاء سرٍّ كان يجب ألَّا تتحدَّث به؟ وإن كانت هناك كتب تفسر مثل هذه الأمور أرجو أن تدلَّني عليها.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية

(وبعد)

فقد يكون هذا صحيحًا، وقد يكون وهمًا، هي لا تكذب، ولكن ربَّما يُهيَّأ لها، وعلى كلِّ حال ليس غريبًا ما رأته، فبعض النَّاس عندهم

من الصفاء النفسي ما يجعلهم يرون ما لا يرى الآخرون، وتحدث لهم خوارق، أو كرامات باصطلاح أهل العلم، وقد روى البخاري في صحيحه، أن أسيد بن حضير، قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده؛ إذ جالت الفرس، فسكتَ، فسكتَتْ، فقرأ، فجالت الفرس، فسكت وسكتَتِ الفرس، ثمَّ قرأ، فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجترَّه رفع رأسه إلى السماء، حتَّى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النَّبيَّ ﷺ، فقال: «**اقرأْ يا ابن حُضَير، اقرأْ يا ابن حُضَيْر**». قال: فأشفقت يا رسولَ الله، أن تطأ يحيى (ابنه)، وكان منها قريبًا، فرفعتُ رأسي، فانصرفَتْ إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظُّلَّة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتَّى لا أراها. قال: «**وتدري ما ذاك؟**». قال: لا. قال: «**تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر النَّاس إليها، لا تتوارى منهم**»[1]. والأخت السائلة تقول: إنَّ صديقتها تقول: إنَّها مصلية وصائمة وتخاف الله، فلعل هذا إكرام من الله تعالى لها، والله تعالى يخرق العوائد لمن شاء من خلقه.

ولا نزاع في وقوع الكرامات والخوارق الَّتي يكرم الله بها بعض أوليائه المتَّقين، فيقرب لهم البعيد، أو يكثر على أيديهم القليل، أو يكشف لهم بعض المستور من غيوب المستقبل، أو مكنونات الصدور، أو خفايا الأمور، أو يذلل لهم بعض الصعاب، بغير الطريق المعتاد، إلى غير ذلك ممَّا كثُرت فيه الحكايات، وتناقلته الروايات.

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٩٦)، والبخاري في فضائل القرآن (٥٠١٨) معلَّقًا بصيغة الجزم، عن أسيد بن حضير.

QaradawiBooks.com

ونحن نقرأ في سورة آل عمران عن مريم ابنة عمران أم عيسى، الَّتي ذكر القرآن لنا ولادتها، وقالت أمها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. نجد القرآن يذكر لنا بعض ما جرى في صباها عن زكريا عليه السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٣٧].

نسخة مجانية
غير مخصصة للبيع

غير مرخصة للطباعة

المقتول ميت بأجله

س: عندما يموت الإنسان هل يكون هذا هو الأجل، سواء أمات على فراشــه حتف أنفه، أم قتل، أم كان موته في حادث سيارة، أو غرق، أو حريق، أم كان بسبب عدم اعتناء بنصائح الطبيب؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الإنسان لا يموت قبل أجله، هذا هو مذهب أهل السُّنَّة، وقالت المعتزلة: إنَّ الإنسان لو لم يمت بالقتل أو المرض لطال عمره! وهذا باطل ليس عليه دليل من كتاب ولا سنَّة، فالإنسان يموت بأجله الَّذي أُجِّل له، حتَّى وإن قُتِل أو انتحر، فالله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعــراف: ٣٤]. ويقــول: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]. ويقول: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤].

فالأجل لا يُقَدَّم ولا يؤخَّر، فكلُّ إنسانٍ يموت في موعده المحدَّد له، قد يموت مقتولًا، وقد يموت بحادث، وقد يموت بسبب عدم الاهتمام بنصائح الطبيب.

QaradawiBooks.com

وليس معنى أنه يموت بأجله رفع المسؤولية عنه إن قصَّر، أو عن غيره إذا كان سببًا في موته، فالمقتول يموت بأجله، ولكن ليس معنى هذا أن القاتل لا تبعة عليه، أو لا ذنب عليه، أو لا يؤاخذ بهذا، أو أن يقول القاتل: هو مات بأجله، وأنا لم أقدِّم أجله. صحيح هو مات بأجله، ولكن أجله أيضًا مبنيٌّ على سبب، والإنسان مسؤول عن الأسباب الداخلة في الاستطاعة، فإذا مات بأجله مقتولًا، فالقاتل مسؤول عن هذا، ومحاسب على جريمة القتل.

وكذا لو قتل إنسان نفسه، سيحاسب على ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**ومن قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة**»[١]. فأرواحنا ليست ملكًا لنا، إنَّما هي ملك لله، هي وديعة وأمانة يجب أن نحافظ عليها، ولذلك حرَّم الإسلام الانتحار أشد التحريم وشدد في ذلك، يقول النَّبيّ ﷺ: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردَّى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسَّى سمًّا فقتل نفسه، فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[٢].

وهناك نوع من الانتحار البطيء، الإنسان يقتل نفسه قتلًا بطيئًا بتناول أشياء مضرة، بتناول المسكرات والمخدرات والدخان (التبغ) والإدمان عليها، هذا أيضًا جانٍ على نفسه، ومسؤول أمام الله ﷻ، فالإنسان يجب أن يحافظ على نفسه، فنفسه ليست ملكًا له، وجسمه ليس ملكًا له، الله تعالى هو صاحب هذا كله.

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٤٧)، ومسلم في الإيمان (١١٠)، عن ثابت بن الضحاك.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٣٧.

QaradawiBooks.com

والمجتمع له حق في الإنسان، والأسرة لها حق فيه، فالإنسان صاحب الزوجة، وصاحب العيال، أليس مسؤولًا عن زوجه، وعن عياله وعن أولاده؟ لذلك هم لهم حق في جسمه، ولهم حق في عقله، ولهم حق في نفسه، ولهم حق في ماله، فلا يجوز له أن يلغي عقله، أو يضعف جسمه، ولا يجوز له أن يبذر ماله، ولا يجوز له أن يقتل نفسه قتلًا سريعًا أو بطيئًا.

كلُّ هذا قرَّره الإسلام بوضوح، وينبغي للمسلم أن يرعاه وأن ينتبه له، وأن يعرف توجيه الله تعالى في هذه الأمور.

ومن مات بسبب مخالفته قوانين المرور، كأن يقود بسرعة زائدة عمَّا هو مقرر، أو بسبب أنه لم يقف عند الإشارة الحمراء، فاصطدمت سيارته بشيء فمات، فهو مسؤول عن هذا؛ لأنَّه قد ساعد على قتل نفسه.

وكذلك لو مات الإنسان؛ لأنَّه لم يعمل بأوامر الطبيب، وأهمل نصائحه.

فموت الإنسان في الأجل المحدد له، لا يمنع مسؤولية الإنسان، فإذا قصَّر تقصيرًا تسبب في موته فهو محاسب على تقصيره، وإذا فرَّط فهو مسؤول عن تفريطه.

وهذا داخل في القضاء والقدر، فالقضاء والقدر عامة لا ينافي مسؤولية الإنسان عن عمله، جيء بسارق إلى سيدنا عمر، فقال له: لم سرقتَ؟ قال: أمر قضاه الله عليَّ، فأمر عمر أن تقطع يده ويجلد. ثمَّ قال: أمَّا القطع لسرقته، وأما الجلد فلكذبه على الله[1].

(١) المنية والأمل للقاضي عبد الجبار صـ ١٩، تحقيق د. سامي النشار، نشر دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية.

QaradawiBooks.com

فالموت له أجل محدد لا يتقدم ولا يتأخر، وله مسببات تتسبب فيه، والشرع ربط بين الأسباب والمسببات، لذا فقد شرع التداوي لعلاج الأمراض، كما جاء في الحديث: «**تداووا، فإن الله ﷻ لم يضع داء إلَّا وضع له دواء، غير داء واحد: الهَرَم**»[١]. والهرم هو الشيخوخة. وقال: «**ما أنزل الله داء، إلَّا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[٢]. وقد سُئل النَّبيُّ ﷺ: أرأيت رُقًى نسترقيها ودواء نتداوى به وتُقاة نتَّقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قدر الله**»[٣].

والأسباب من قدر الله، والمسببات من قدر الله، فلا يجوز أن ننظر إلى المسببات وحدها أنَّها من القدر، وننسى الأسباب، الأسباب جزء من القدر أيضًا، الله كتب أن يموت الإنسان في مكانٍ معيَّن، وكتب أيضًا أن يكون الموت بسببٍ معيَّن، هذا مكتوب وهذا مكتوب، فلا بدَّ أن نراعي هذا وذاك، وندفع قدرًا بقدر، كما قال المحقِّقون من العلماء، ونحافظ على حياتنا وعلى حياة الآخرين ما استطعنا، ومن هنا يقول الله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**لا ضرر، ولا ضرار**»[٤].

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والتِّرْمِذي (٢٠٣٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٤٣٦)، والحاكم (٣٩٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي، أربعتهم في الطب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٠)، عن أسامة بن شريك.

(٢) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

(٣) سبق تخريجه صـ ١٥.

(٤) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس. ورواه الدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن. رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، =

QaradawiBooks.com

لا بد أن نراعي هذا كلـه، وبعد ذلك، إذا حدثت أمور ليسـت في حسابنا بعد أن أخذنا الاحتياط والحذر الكافيين، كما قال الله: ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النسـاء: ١٠٢]؛ نسلم لها، ونصبر عليها، كما علَّمنا رسول الله ﷺ: «**وإن أصابك شيء، فلا تقلْ: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا. ولكن قلْ: قدر الله وما شاء فعل. فإن «لَوْ» تفتح عمل الشيطان**»[(١)].

فالمؤمن يطمئـنَّ في هذه الحالة أكثر من غيـره؛ لأنَّه يعلم أن هناك أشياءَ ليس له تدبير فيها، هي من تدبير الله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

= ورواه مالك في الموطأ مرسـلًا، عن عمرو بـن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأسـقط أبا سعيد. وله طرق يقوي بعضها بعضًا. وقال ابن الملقِّن: وصحَّحه إمامنا ـ أي الشافعي ـ في حرملة. خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢)، نشر مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث (٢١٠/٢، ٢١١): وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث. وقـال أبو عمرو بن الصلاح: هـذا الحديث أسـنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم.

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

دعوى رفع العذاب عمَّن مات في رمضان

س: يشتهر عند كثير من النَّاس أن من يتوفَّاه الله في شهر رمضان، فإن هذا كرم من الله ﷻ عليه؛ لأنَّه يرفع العذاب عمَّن مات في شهر رمضان، فلا يعذب في قبره، فهل هذا صحيح أم لا؟ وما حال الميت في قبره في هذا الشهر الكريم، شهر رمضان؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

شهر رمضان من غير شكّ شهر عظيم، فهو أعظم شهور العام، وهو شهر القرآن، شهر ميلاد الأمَّة، واتصال الأرض بالسماء، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل شهر رمضان، فُتِّحت أبواب السماء، وغُلِّقت أبواب جهنم، وسُلْسِلت الشياطين**»[1]. وهو شهر الصيام والقيام، قال رسول الله ﷺ:

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذَنْبه**»[١]، وقال: «**مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[٢]. وفيه العشر الأواخر، أعظم الأيام، وفيه ليلة القدر، ليلة هي خير من ألف شهر، الطاعة فيها خير من الطاعة في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ ـ ٥]. وقال رسول الله ﷺ: «**قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيْرَها، فقد حرم**»[٣].

لكن لم يرد فيما علمت نصٌّ صحيح يقول برفع العذاب عمَّن مات في شهر رمضان، ولا شكَّ أن من مات في رمضان أفضل ممَّن مات في غيره، بالقياس إلى الأزمنة، لكن هل يرفع عنه العذاب؟ لم يرد في هذا نص فيما أعلم.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.
(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.
(٣) رواه أحمد (٧١٤٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والنسائي في الصيام (٢١٠٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

هل للمرأة رجال في الجنة، كما للرجل حور عين؟

س: هل يوجد في الجنَّة حور عين للنساء، كما يوجد للرجال؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أحبُّ أولًا أن أنبِّه السائل إلى أن الحور العين من النساء، فالحور جمع حوراء، وهي الَّتي يشتد بياض عينها وسواد سوادها، وكان ينبغي أن يكون سؤاله: هل يوجد رجال للنساء كما يوجد نساء غير الزوجة للرجال؟

وأجيب: الآخرة امتداد للدنيا، والإنسان في الآخرة هو امتداد للإنسان في الدنيا، فإذا كانت المرأة الشريفة في الدنيا لا تتمنى غير رجلها، فكذلك المرأة الصالحة الَّتي تدخل الجنَّة لا تتمنى إلَّا رجلها، لذلك القرآن وصف نساء الجنَّة بقوله: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]. ومعنى قاصرات الطرف، أي أن أعينهن قاصرة عن النظر لغير الأزواج، لا تنظر لرجل آخر، ولا تتمنى رجلًا

QaradawiBooks.com

آخر، بل هي مُحبَّةً لزوجها كلَّ الحب، ولذلك القرآن وصف نساء الجنَّة فقال: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧]. والعُرُب: جمع عروب، وهي المرأة الَّتي تتحبب إلى زوجها وتتجمل له، ولا تريد إنسانا غيره.

وعلينا أن نطمئن إلى أنَّ الجنَّة ليس فيها رغبة لا تتحقَّق، ولذا فرغبة المرأة من أهل الجنَّة في غير زوجها لا يمكن أن توجد؛ لأنَّها لا تتفق مع طبيعة المرأة الصالحة، إنَّما الجنَّة فيها ما تشتهيه الأنفس، وتتلذذ به الأعين كما قال القرآن الكريم: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]. وكما جاء في الحديث الصحيح عن النَّبيِّ ﷺ، عن الله ﷻ أنه قال: «**أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧][1].

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٤)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٢٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المبالغة في عزو كلِّ شيء للسحر والجن سحر النَّبيِّ ﷺ

س: سيدة فاضلة تعتقد بشدَّة في أثر السحر في غالبية المحيطين بها، بل تفسِّر تصرفات الجميع بأنَّهم مسحورون وممسوسون من الجن، وترى ذلك في أحلامها لكلِّ شخص تعرفه، وتبرر اعتقادها ذلك بأن النَّبيّ ﷺ قد تعرض للسحر من اليهود.

ولذا أسأل أولًا: ما صحَّة القول أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد تعرض للسحر من اليهود وتأثر به؟ وهل هذا لا يتعارض مع عصمة النَّبيّ ﷺ، ويؤكد ما يقوله الكفَّار بأنَّه مسحور، ويشكك ضعاف الإيمان في بعض أقوال وأفعال الرسول ﷺ أثناء تعرضه للسحر؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

بعض النَّاس يجعلون من السحرة آلهة، ويعتقدون أن السحرة هؤلاء يحكمون الكون، وهذا ليس صحيحًا، وبعض النَّاس يتصورون أن الجانَّ مسلطون على الإنسان، ولم أجد في القرآن الكريم ما يدلّ على أن الجني يسخِّر الإنسان، ويركبه، ويتحكم فيه كما يزعم بعض النَّاس، لو كان الأمر

QaradawiBooks.com

كذلك، ما استخلف الله الإنسان في الأرض، فالله جعل الإنسان خليفة في الأرض؛ لأن الجنّ كانوا قبل آدم فلم يَصلُحوا للخلافة، فجاء الله بآدم.

فاعتقاد تسلُّط الجنّ على الإنسان اعتقاد ليس له أساس من كتاب الله، ولا من صحيح السُّنة، ولم يحدُث ذلك في عصر النُّبوَّة والصحابة، وقد قال تعالى على لسان الشيطان في الآخرة: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيﷺ [إبراهيم: ٢٢]. وقد كتبت من قبل في بعض فتاواي أرد فيها على من قال بإمكانية ركوب الجنّ للإنسان، وما استدلَّ به بعضهم من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فلا دليل فيه على أن الجني يسخر الإنسي. حتَّى لو أخذنا النص على ظاهره، فإن المسَّ لا يعني الركوب والتحكم، والدخول في الجسد والتصرف فيه. فالسحر حركة خفيفة نسبيا، لا تعني السيطرة والتحكم.

واستدلَّ آخرون بقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]. والمس هنا لا يعني: الركوب والتسخير، معاذ الله! بل المراد: أنه مسَّه بما وسوس إليه من إيحاءات وأوهام أن الله غاضب عليه، وأنه تعالى تخلَّى عنه، وسيدعه في مرضه وآلامه، إلخ، فهذا هو النصب والمعاناة الَّتي قصدها.

وفي نظري: أنَّ هذه الدعوى على أن الشيطان يؤذي الشخص أو الأشخاص، ويمسهم بنُصْبِه وعذابه، غير دعوى أن الشيطان أو الجنّ يركب الإنسان ويتحكم فيه ويُسَخِّره له، بل هذه الدعوى تنافي عدَّة حقائق قرآنية.

QaradawiBooks.com

١ ـ تكريم الله للإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢ ـ استخلاف آدم وذريته في الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

٣ ـ تسخير الله الكون عُلْويه وسُفْليه لمنفعة الإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

٤ ـ تحرير النَّاس من سلطان الشيطان، إلَّا من اتبع غوايته منهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

٥ ـ قول القرآن على لسان الشيطان يوم القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]. فبيَّن أن سلطانه على الغاوين الَّذين اتبعوه لم يكن إلَّا سلطان الوسوسة في صدورهم، وهو معنى قوله: ﴿دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

الإنسان هو مَن سخر الجن:

وقد عرفنا من النصوص الشرعيَّة: أنَّ الإنسان هو الَّذي سخَّر الجن، ولم يأتِ نصٌّ شرعي واحد صحيح صريح، يدلّ على أن الجِنِّي سخر الإنسان.

أجل، قرأنا في كتاب الله تسخير الجنّ لسليمان، الَّذي سأل الله مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب له: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۞ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٦ ـ ٣٩].

وفي موضع آخر في حديث عن سليمان: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ

QaradawiBooks.com

وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۞ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٢ ـ ١٤].

فانظر: كيف ظلوا يخدمون سليمان مدة من الزمن، وهو ميت، وهم لم يعلموا بموته؟! ممَّا يبيِّن أنّ الجنَّ كالإنس لا يعلمون الغيب، ولا يخترقون أسواره.

وعرفنا من قصة سليمان مع ملكة سبأ، الَّتي قصها الله علينا في سورة النمل: أن بعض الإنس ـ بما خصهم الله من مواهب وقدرات ـ أقوى من عفاريت الجن.

فقد قرأنا قول الله تعالى عن سليمان وملكة سبأ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠].

فقد رأينا كيف عجز عفريت الجنّ أن يأتي بعرش الملكة من اليمن إلى الشام، قبل أن يقوم سليمان من مجلس الحكم، وذلك قد يستغرق عدَّة ساعات. ولكن هناك في مجلسه ممَّن عنده علم من الكتاب مَن قال له: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طَرْفُك، أي في مثل لمح البصر، والذي فعل هذا لا بدَّ أن يكون من الإنس، ما دام الآخر من الجن، ولا يتصور أن يكون من الملائكة؛ لأنَّ حديث سليمان مع «الملأ» الحضور في مجلسه، وهم كانوا من الإنس الجن، ولا دخل للملائكة في هذا؛ لأن الله تعالى لم يسخر له الملائكة. وقد قال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ١٧]. ومعنى هذا: أن الإنسان بما آتاه

QaradawiBooks.com

الله من علم تفوق على الجنّ بما عنده من قدرة على الاختفاء والتشكُّل ونحو ذلك، وقد رأينا الإنسان في عصرنا قد استطاع بواسطة العلم: أن يسخر قوى الطبيعة لمصلحته، وأن يصنع العجائب الَّتي تكاد تشبه المعجزات. ولم نسمع أن الجنّ فعلوا شيئًا من ذلك.

وهكذا عرفنا من نصوص القرآن: أنَّ الإنسان سخر الجن، وكذلك عرفنا من قراءة كتاب الواقع: أن من النَّاس من يسخر الجنّ لخدمتهم. وسمعنا من الوقائع والغرائب الَّتي شاهدها النَّاس بأعينهم ما لا يكاد يُصدَّق. ولكنهم شهود عدول ثقات رأوا هذه العجائب رأي العين، وتكررت أمامهم مرات.

البعض يعلق إخفاقه على السحر:

الآن نسمع عن أناس لهم عيادات لإخراج العفاريت والجن من الإنسان، وهذا كلام غير مقبول عقلًا ولا نقلًا، ولا منطقًا ولا خُلُقًا، فلماذا نحن المسلمين الَّذين نستسلم لهذه الأوهام؛ أن العفاريت تركبنا، وأنَّنا مسحورون؟!

بعض النَّاس عندما يخفق ويفشل في قضية ما يحيل ذلك إلى السحر أو الحسد، مثلًا إن وجد نفورًا من زوجته، ولم يستطع علاج ذلك يقول: إنَّ هناك من عمل لها سحرًا، كذلك المرأة إذا تزوج عليها زوجها تقول: عُمِل لي سحرٌ. ولو أنَّ إنسانًا أقام مشروعًا اقتصاديًّا وفشل، أو رسب ابنه في الامتحان، إلخ.

ينسى أمثال هؤلاء أن يفكروا في الأسباب الحقيقية الَّتي أدت إلى ذلك، ويكتفون بعزو ذلك إلى السحر وإلى المس وإلى الحسد وإلى العين.

QaradawiBooks.com

وأنا أقول: إنَّ هذه الأخت الَّتي يسأل عنها السائل متوهمة، ليست كاذبة، ولكن عندها وهم ومبالغة في توهم السحر وأثره، السحر نعم موجود لكنه قليل، المعتزلة الَّذين أنكروا تأثير السحر، وقالوا: إن السحر هو مجرد تخييل، واستدلُّوا بقول الله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وقوله عن سيدنا موسى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]. يقولون: الساحر لا يحوِّل العصي والحبال إلى ثعابين وحيات، وإنَّما يخيل إلينا هذا.

ويُرَد على المعتزلة بأنَّ القرآن أخبرنا أن السحر قد يفرق بين المرء وزوجه، خاصَّة في الأمور النفسية، ولذلك أمر الله نبيه أن يستعيذ بالله من شر السحرة، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

لكن المشكلة في توسيع نطاق السحر، وعزو كلِّ أمر يحدث إليه، بحيث نجعل كلَّ شيء وراءه السِّحْر، ونجعل كلَّ واحد عنده مرض نفسي أو عصبي أو فصام في الشخصية ركبته العفاريت، وكأن الله سلط الجنّ على الإنس، لا، هذا ليس صحيحًا.

كلُّ ما جاء في القرآن هو قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. فهل هذا في الدنيا؟ أم هو في الآخرة؟ واضح أنه في الآخرة، ولو فرض أنه في الدنيا فالمس شيء غير تسخير الإنسان للجن وتسلطه عليه، يمكن أن يمس الشيطانُ الإنسانَ، كما قال سيدنا أيوب: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]. وممكن أن يوسوس للإنسان، وكما قال الله على لسان الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢]. هذا هو

QaradawiBooks.com

السلطان. يوسوس لهم وهم يستمعون كلامه، لا أن يركب الإنسان، ويتكلم باسمه، وينطق على لسانه، ومعظم ما يقال عنه إنه من تأثير الجنّ ومن ركوب الجنّ للإنسان، هو في الحقيقة مرض نفسي، أو فصام في الشخصية، وعلى كلٍّ حال إذا كان هناك تأثير للجن على الإنسان فهو شيء نادر.

تعرض النَّبيّ للسحر:

وأما أنَّ النَّبيَّ ﷺ تعرض للسحر فهذا صحيح، وهو موجود في صحيح البخاري وغيره، ولا نستطيع أن ننكره ما دام قد صحَّ سنده، ففي صحيح الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُحِر حتَّى إنَّه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله[1]. وكان سحره ﷺ من باب التخييل فقط، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنَّما يدلّ على بشرية النَّبيّ ﷺ.

صحيح أن المعتزلة أنكروا هذا قديمًا، والشيخ محمَّد عبده أنكر هذا حديثًا، وقال: إن هذا يحقِّق ما قاله الكفار: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨]. ولكن الإمام ابن القيِّم وغيره قالوا: إن هذا مرض، كما يُبتلى النَّبيّ ﷺ بالمرض يمكن أن يُبتلى بالسحر، كما يمكن أن يضرب الكافر النَّبيّ بحجر فيصيبه في رأسه، مثلما حصل له في غزوة أحد، وكسرت ثنيته، وشُج رأسه الشريف، فكذلك يمكن أن يصاب بالسحر، ولكن لا يؤثر السحر في تبليغه للرسالة، قد يؤثر في بعض شؤون الحياة الأخرى، مثل علاقته بزوجاته أو نحو ذلك، ولكن هذا لا يدوم ولا يستمر، ولا يؤثر في التبليغ، هذا مستحيل أن يؤثر في تبليغه للرسالة، هذا هو الراجح في هذه القضية.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٨)، ومسلم في السلام (٢١٨٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

كتاب «عمر أُمَّة الإسلام»

س: قرأتُ منذ عدَّة سنوات عن قرب ظهور المهدي المنتظر، وفتنة الدجال، ونزول سيدنا عيسى عليه السلام، ولكن عدتُ وقرأتُ قريبًا عن هذا الأمر كتاب: «عمر أمَّة الإسلام وقرب ظهور المهدي»، للكاتب المصري: أمين محمَّد جمال الدين، ويتحدث فيه عن قرب الفتن والملاحم، الَّتي تبدأ بمعركة في فلسطين وقتل معظم اليهود، وحرب أخرى بين المسلمين واليهود، وقتل اليهود بأكملهم.

وقد بيَّن الكاتب الإسلامي أنَّ النهاية المحتومة على وشك الحدوث في أشهر قليلة، وربَّما سنوات معدودة على أصابع اليد، وربَّما لا تبلغ السنة أو السنتين، والموضوع يحتاج إلى وقفة طويلة لكي يتنبه الغافل، وقد بيَّن الكاتب بالدليل القاطع أن عمر أُمَّة الإسلام لن يتجاوز ألف وأربعمائة وخمسين سنة بأي حال من الأحوال، وأن الحرب قد وضعت أوزارها، والعاصفة سوف تبدأ بعد السكون والهدوء بين المسلمين واليهود، والكتاب مليء بالأدلة والبراهين من الكتاب والسُّنَّة وكلام الأئمَّة، وكتب أهل الكتاب: العهد القديم، والعهد الجديد.

أرجو من فضيلتكم تذكير أُمَّة الإسلام بالاستعداد ليوم الرحيل، والتزوُّد بالتقوى لمجابهة الدجال، فقوَّة الإيمان ستكون هي المعيار الرئيسي للنجاة.

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الكلام على عمر أُمَّة الإسلام، وعن موعد قيام الساعة أو فناء الأمَّة، لا أصل له، ولا دليل عليه، بل الأدلَّة على خلافه، الله تعالى يقول لرسوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. فأي توقيت لقيام للساعة هراء وباطل، ولما سأل جبريل عليه السلام النَّبيّ ﷺ في الحديث المشهور عن الساعة؟ قال عليه الصَّلاة والسلام: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[(١)]. أي: كلانا في عدم العلم بهذا الأمر سواء.

الله تعالى وحده عنده علم الساعة، كما جاء في الحديث: «**مفاتيح الغيب خمسٌ، لا يعلَمها إلَّا الله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]»[(٢)]. فمن أين جاء الكاتب بتحديد موعد الساعة؟

هذا كلام لا أصل له، أعجب من هذا الأخ كيف يصدق مثل هذا الأمر؟! مشكلة بعض النَّاس أنه كلما قرأ كتابًا تأثَّر به، وهو لا يعرف قيمة الكتاب، ولا قيمة كاتبه، ولا قيمة الأدلَّة الَّتي أوردها، ولا قيمة

(١) سبق تخريجه صـ ١٢٩.

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٧٧٨)، وأحمد (٤٧٦٦)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

البراهين الَّتي تذكر في مثل هذا الأمر، وأي براهين وهذا مخالف للقرآن، ومخالف للسنة، والأخ يقول: إن الكاتب يعتمد على القرآن، أي قرآن؟! القرآن واضح أن الساعة لا يعلمها إلَّا الله.

ظهر واحد من عدَّة سنوات، وادعى أنه يعرف متى تقوم الساعة، وأنا رددتُ عليه في كتابي: «فتاوى معاصرة»، فيا أخي لا تشغل نفسك بهذا، النَّاس تتزوَّد للرحيل، ليس لأنَّ السـاعة العامَّة ستقوم، كلُّ واحد ستقوم سـاعته، فمن مات فقد قامت قيامته، كل واحد سـاعته آتية، فلا بدَّ أن يتزوَّد الإنسان لساعة الرحيل، كما قال الشاعر[1]:

تـــزوَّدْ لـلـذي لا بـــدَّ منه ... فـإنَّ المـوتَ ميقـاتُ العبـادِ
أترضـى أن تكـونَ رفيـقَ قومٍ ... لهـم زادٌ وأنـت بغيـرِ زادِ؟

فأرجو من الأخ أن يصحِّح فكرته، ويزيل هذه الأوهام من رأسه، ولا يتأثر بأيِّ كتاب يقرؤه.

وأحبُّ أن أبيِّن أنَّ أهل الكتاب ليسوا حُجَّة، فكتبهم حُرِّفَت وبُدِّلت، خاصَّة إذا كان ما فيها يناقض ما في القرآن، الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه، أو ما صحَّ عن رسـول الله ﷺ، الَّذي لا ينطق عن الهوى.

كلُّ ما قاله النَّبيُّ ﷺ أنه قال: «**بُعثتُ أنا والساعةَ كهاتين**». وأشار بالسبابة والوسطى[2]. كما قال القرآن: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ** ﴾ [محمـد: ١٨]، وقـال:

(١) ذكرهما ابن الجوزي في بستان العارفين صـ ١٤٦، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٤)، ومسلم في الفتن (٢٩٥١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء: ٥١].

هذا يدلُّ على القرب صحيح، لكنَّ عمليَّة القرب هذه لا نستطيع أن نحدد مقدارها، علمها عند الله وحده، فالقرب هذا أمر نسبيٌّ، اليهود كانوا يقولون: عمر الدنيا سبعةُ آلاف سنة. وهذا كلامٌ لا أصل له، ليس عندنا أي شيء من هذا، بل هذا ضد العلم وضد الدين؛ لأنَّ المعروف من تاريخ البشرية أكثر من هذا بكثير، فكيف بالمجهول من التاريخ؟!

وهناك أشراط وعلامات لا بدَّ أن تظهر قبل أن تقوم الساعة، ومنها فتح رومية، وأنا أرى أن الفتح سيكون بالدعوة والتبشير والعمل السلمي، وليس من الضروري أن يكون بالحرب، وقد ذكر القرآن سورة «الفتح» المبين، ولم يكن فيها حرب بل كان صلح الحديبية. وبعد ذلك يجيء المسيح الدجال، وينزل المسيح عيسى فيقتله، وتظهر دابَّة من الأرض تُكلِّم النَّاس، ثمَّ تطلع الشمسُ من مغربها فلا يُقْبَل إسلام أحد ولا توبته.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

الأديان الكتابية

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

موقف الإسلام العقدي من اليهود والنَّصارى
كفر اليهود والنَّصارى بدين الإسلام معلوم من الدين بالضرورة

س: قرأنا في جريدة «الوطن» القطرية مقالًا ذيله صاحبه بهذا التوقيع «سراب الحافظ» يردُّ على فضيلتكم في رأي ذكرتم فيه أنَّ النَّصارى واليهود كفَّار. فما ردُّ فضيلتكم على ما ذكره الكاتب؟ وهذه أهمُّ النقاط والأدلَّة الَّتي ذكرها:

يقول الكاتب: إنَّ المفهوم الأساسي للإيمان في القرآن والسُّنَّة النبويَّة المشرَّفة هو: الإيمان بالغيب، أي الإيمان بالله واليوم الآخر، على ملَّة إبراهيم ﷺ، والكفر هو عكس الإيمان بالغيب، أي الكفر بالله واليوم الآخر، والشرك بالله هو في حكم الكفر به.

وذكر في ذلك آيات كريمة تدل على وجوب الإيمان بالله واليوم الآخر.

ويقول: لقد كلَّف الله المؤمنين من أُمَّة محمَّد ﷺ، بالإيمان بالشرائع الَّتي أوحيت إلى الإنسانية من قبل القرآن الكريم، لدخول ذلك ضمن دائرة استطاعتهم، انطلاقًا من كون القرآن ركز فيما يقارب ثلثيه على قصص الأنبياء والرسل السابقين، خصوصًا قصص إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، والكتاب الحق الَّذي نزل إليهم، والتوراة والإنجيل.

أمَّا المؤمنون أصحاب الشرائع السابقة، فمن المنطق ألَّا يُكَلِّفهم تعالى الإيمان بما أنزل إلى الإنسانية من شرعة بعد شرعتهم، أي بشرعة

QaradawiBooks.com

القرآن الكريم، حيث يكون ذلك خارج دائرة استطاعتهم، انطلاقًا من كون قصص القرآن كلها وأحكامه، لم تذكر في كتبهم المقدسة، وما ذكر فيها سوى بشارة ببعثة الرسول الكريم أحمد ﷺ، إلخ.

ويقول: إنَّ القرآن يدعو كل أُمَّة للعمل بما جاء في شرعتها من مبادئ وأحكام وفرائض، إن كانت راغبة عن شرعة القرآن الكريم، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]، فالآية هنا تطلب من أهل الكتاب إقامة التوراة والإنجيل، وألا يزيدوا على أحكامها، أي الحكم بما جاء إليهم فيهما، إن كانوا راغبين عن اتباع شرعة القرآن الكريم، الَّتي أنزلت على محمَّد ﷺ.

ثم شكّك الكاتب في تحريف الإنجيل، وقال: ولو سلمنا جدلًا أنه حرف، فهل يعاقب الله النصراني على جريمة لم يرتكبها هو، إنَّما ارتكبها السابقون منهم؟!

ويقول: عندما يصدر الفقه الإسلامي حكمًا عامًّا بالكفر أو بالشرك بالله على أهل الكتاب جميعًا، فإن هذا يجعلهم في مرتبة واحدة مع الكفَّار والمشركين، حيث لا ينفع في دين الإسلام منح منزلة خاصَّة لأُمَّةٍ ما، مع فساد عقيدتها. ممَّا يعطي التبرير الكافي لأعمال التشدد والعنف، والاقتتال الطائفي ضد إخواننا المسيحيِّين، حيث يطبق عليهم قصار

QaradawiBooks.com

النظر من المسلمين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

ويقول الكاتب: يواجه الفقه الإسلامي إشكالية حقيقية، حين يعتبر اليهود والنَّصارى كفَّارًا أو مشركين بالله على وجه العموم، في الوقت الَّذي يبيح فيه زواج المسلم من نسائهم؛ إذ كيف يصح هذا مع تحريم زواج المسلمين من الكفَّار والمشركين والمشركات في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

هذه أهم النقاط الَّتي ذكرها الكاتب، ومرسل إليكم المقال بالكمال، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ من أخطر القضايا الَّتي نبهت عليها في أكثر من كتاب لي: محاولة خصوم الفكر الإسلامي التشكيك في «المسلَّمات» وبذل الجهد في تحويل «اليقينيَّات» إلى «ظنيَّات»، و«القطعيَّات» إلى «محتملات» قابلة للأخذ والرد، والجذب والشد، والقيل والقال.

QaradawiBooks.com

وحسبهم الوصول إلى هذه النتيجة «زحزحة الثوابت» أو مناطحتها بغية «تذويبها» حتَّى لا تقف سدًّا منيعًا أمام الَّذين يريدون أن يهدموا حصون الأمَّة، أو على الأقل: يخترقوا أسوارها.

وقد وجدنا في عصرنا من يشكك في تحريم الخمر أو الربا، أو في إباحة الطلاق وتعدد الزوجات بشروطه، بل من يشكك في حجية السُّنة النبويَّة، بل وجدنا من يدعو إلى أن نطرح علوم القرآن كلها، وكل مواريثنا من الثقافة القرآنية، ونلقيها في سلة المهملات، لنبدأ قراءة القرآن من جديد قراءة معاصرة، غير مقيدة بأي قيد، ولا ملتزمة بأي علم سابق، ولا بأية قواعد أو ضوابط؛ ممَّا قرَّره علماء الأمَّة على توالي القرون.

والليالي من الزمان حَبَالَى مُثْقِلاتٌ، يلدن كلَّ عجيبِ![1]

ومما ولدته الليالي الحاملة بالعجائب: ما يذهب إليه بعض النَّاس الَّذين أقحموا أنفسهم على الثقافة الإسلاميَّة، دون أن يتأهلوا لها بما ينبغي، من علم القرآن والسُّنَّة، ولغة العرب وعلومها، وأصول الفقه، وتراث السلف، فدخلوا فيما لا يحسنون، وخاضوا فيما لا يعرفون، وأفتوا بغير علم، وحكموا بغير بينة، ودعوا على غير بصيرة، وقالوا على الله ما لا يعلمون.

ومن ذلك: زعمهم أنَّ أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى ليسوا كفارًا، فإن كانوا يقصدون أنَّهم ليسوا ملحدين منكرين للألوهيَّة والوحي، فهذا ادعاء صحيح، ولا يجوز الخلاف فيه.

وإن كانوا يقصدون أنَّهم ليسوا كفارًا بدين محمَّد ورسالته وقرآنه ـ وهو المراد من إطلاق الكفر عليهم ـ فهذه دعوى باطلة من غير شك.

(١) ذكره دون نسبة النويري في نهاية الأرب (١٣٤/١)، نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

فإن كفر اليهود والنَّصارى من أوضح الواضحات؛ بالنسبة لأي مسلم عنده ذرة من علم الإسلام، ومما أجمعت عليه الأمَّة على اختلاف مذاهبها وطوائفها، طوال العصور، لم يخالف في ذلك سني ولا شيعي ولا معتزلي ولا خارجي، وكل طوائف الأمَّة الموجودة اليوم من أهل السُّنَّة والزيدية والجعفرية والإباضية، لا يشكون في كفر اليهود والنَّصارى، وكل من لا يؤمن برسالة محمَّد عليه الصَّلاة والسلام، فهذا من المسلمات الدينية المتفق عليها نظرًا وعملًا[1]، بل هي من «المعلوم من الدِّين بالضرورة» أي ممَّا يتَّفق على معرفته الخاصَّ والعامَّ، ولا يحتاج إلى إقامة دليلٍ جزئيٍّ للبرهنة على صحَّته.

وسرُّ ذلك: أنَّ كفر اليهود والنَّصارى لا يدلُّ عليه آية أو آيتان، أو عشرة أو عشرون، بل عشرات الآيات من كتاب الله، وعشرات الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

كما يشهد بذلك كل من قرأ القرآن أو درس الحديث. وما كنت أظن أن أجد مسلمًا يعارض صريح كتاب الله تعالى وقواطع النصوص برأيه وهواه.

وأنا أقصد بالحكم عليهم بالكفر: ما يتعلَّق بأحكام الدنيا، فالنَّاس ينقسمون عندنا إلى قسمين لا ثالث لهما، إمَّا مسلم وإمَّا كافر، فمن ليس بمسلمٍ فهو كافر، ولكنَّ الكفَّار أنواع ودرجات، منهم أهل الكتاب، ومنهم المشركون، ومنهم الجاحدون الدهريُّون، وكذلك منهم المسالمون، ومنهم المحاربون، ولكلٍّ منهم حُكْمَه.

---

(١) قال أبو محمد بن حزم: اليهود والنصارى كفار بلا خلاف من أحد من الأمة، ومن أنكر كفرهم فلا خلاف من أحد من الأمة في كفره وخروجه من الإسلام. الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١١/٣)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

أمَّا فيما يتعلَّق بأحكام الآخرة، وهل هذا الكافر ناجٍ أو معذَّب؟ فهذا موكول إلى علمه تعالى وعدله. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فأما الكافر الَّذي لم تبلغه الدعوة أصلًا، أو لم تبلغه بلوغًا مشوِّقًا، يحملُ على النظر والبحث، أو حالت حوائل قاهرة دون دخوله في الإسلام، فهذا لا يكون من المعذَّبين حسَب وعد الله تعالى وعدله.

والقرآن إنَّما توعد الَّذين شاقُّوا الرسول من بعد ما تبيَّن لهم الهدى، كبرًا وعلوًّا، أو حسدًا وبغيًا، أو حبًّا للدنيا، أو تقليدًا أعمى، إلخ، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

يقول شيخنا شلتوت رَحِمَهُ اللَّهُ؛ مبيِّنًا الحدَّ الفاصل بين الإيمان والكفر:

وعليه، فمن لم يؤمن بوجود الله، أو لم يؤمن بوحدانيَّته وتنزيهه عن المشابهة والحلول والاتحاد، أو لم يؤمن بتفرده بتدبير الكون والتصرف فيه، واستحقاق العبادة والتقديس، واستباح عبادة مخلوق ما من المخلوقات؛ أو لم يؤمن بأن لله رسالات إلى خلقه، بعث بها رسله، وأنزل بها كتبه عن طريق ملائكته، أو لم يؤمن بما تضمَّنته الكتب من الرسل، أو فرَّق بين الرسل الَّذين قصَّ علينا، فآمن بالبعض وكفر بالبعض، أو لم يؤمن بأن الحياة الدنيا تفنَى، ويعقبها دار أخرى هي دار الجزاء ودار الإقامة الأبدية، بل اعتقد أن الحياة الدنيا حياة دائمة لا تنقطع، أو اعتقد أنَّها تفنى فناء دائمًا لا بعث بعده، ولا حساب ولا جزاء، أو لم يؤمن بأنَّ أصول شرع الله فيما حرم وفيما أوجب، هي دينه الَّذي يجب أن يُتَّبع، فحرم من تلقاء

QaradawiBooks.com

نفسه ما رأى تحريمه، وأوجب من تلقاء نفسه ما رأى وجوبه. من لم يؤمن بجانب من هذه الجوانب، أو حلقة من هذه الحلقات: لا يكون مسلمًا، ولا تجري عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم بعضهم وبعض.

وليس معنى هذا أن من لم يؤمن بشيء من ذلك يكون كافرًا عند الله، يخلد في النَّـار، وإنَّما معناه ألَّا تجري عليه في الدنيا أحكام الإسـلام، فلا يُطالب بما فرضه الله على المسـلمين من العبـادات، ولا يُمنع ممَّا حرمه الإسلام كشـرب الخمر، وأكل الخنزير والاتجار بهما، ولا يغسله المسلمون إذا مات ولا يصلُّون عليه، ولا يرثه قريبه المسلم في ماله، كما لا يرث هو قريبه المسلم إذا مات.

أما الحكم بكفره عند الله، فهو يتوقَّف علـى أن يكون إنكاره لتلك العقائد أو لشـيء منها، بعد أن بلغته على وجهها الصحيح، واقتنع بها فيما بينه وبين نفسه، ولكنَّه أبى أن يعتنقها ويشهد بها عنادًا واستكبارًا، أو طمعًا في مال زائـل، أو جاه زائف، أو خوفًا من لوم فاسـد، فإذا لم تبلغه تلك العقائد، أو بلغته بصورة منفَّرة أو صورة صحيحة ولم يكنْ من أهل النظر، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق إليها، وظل ينظر ويفكر طلبًا للحق، حتَّى أدركه الموت أثناء نظره ـ فإنه لا يكون كافرًا يسـتحق الخلود في النَّار عند الله.

ومن هنا كانت الشعوب النائيَّة الَّتي لم تصل إليها عقيدة الإسلام، أو وصلت إليها بصورة سـيِّئة منفِّرة، أو لم يفقهوا حُجَّته مع اجتهادهم في بحثها؛ بمنجاة من العقاب الأخروي للكافرين.

والشرك الَّذي جاء في القرآن أن الله لا يغفره، هو الشرك الناشئ عن

QaradawiBooks.com

العناد والاستكبار؛ الَّذي قال الله في أصحابه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤][1] اهـ.

هذا، ولقد كنت عرضت بسرعة للحديث عن كفر أهل الكتاب في أحد دروس صلاة التراويح في شهر رمضان بالمسجد الكبير بالدوحة، ولم أكن أعلم أن هناك من عقَّب على هذا الأمر، حتَّى أخبرني به بعض الإخوة الفضلاء من قريب، فسعيت إلى استحضاره، لأعلم ماذا قيل في ذلك.

وقد عجبتُ كل العجب من هذا المقال المطول الَّذي نشرته صحيفة الوطن القطرية باسم «سراب الحافظ» وكنت أظنُّه «اسمًا مستعارًا» وقلت في نفسي: إنَّ صاحب المقال اختار اسمًا يعبِّر عن حقيقة مقولته، فهي «سراب» بقِيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماءً، حتَّى إذا جاءه لم يجدْه شيئًا.

ولكنَّ بعض الإخوة قالوا لي: إنَّه اسم حقيقي، وإنَّه اسم لسيدة وليس لرجل.

وعلى كلِّ حالٍ نحن نناقش القول، ولا يهمُّنا القائل. والحقُّ أنِّي تحاملت على نفسي لأكتب هذا الردَّ، إيضاحًا للحقيقة، وإقامة للحجة، وإعذارًا إلى الله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ولعلَّ الأخت الكاتبة التبس عليها الأمر بسبب قراءة ناقصة للنصوص غير مستوعبة، أو قراءة انتقائية لبعض النصوص دون بعض، أو بسبب فهمٍ غير سليم لبعض المفاهيم الإسلاميَّة، فإن كانت تَنْشُد الحقَّ فستجد

(١) الإسلام عقيدة وشريعة صـ ١٩، ٢٠، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

في تعقيبي هذا ما يهديها إليه، وينير لها الطريق إن شـاء الله، وإن كانت متعصِّبة لرأيها، فحسْبي أنِّي بلَّغتُ وبيَّنتُ، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

غير مرخصة للطباعة

حقيقة الإيمان بالغيب:

تقول الكاتبة: إنَّ المفهوم الأساسيَّ للإيمان في القرآن والسُّنَّة النبويَّة المشـرَّفة هو: الإيمان بالغيب، أي الإيمان بالله واليوم الآخر، على ملَّة إبراهيم عليه السلام، والكفر هو عكس الإيمان بالغيـب، أي الكفر بالله واليوم الآخر، والشرك بالله هو في حكم الكفر به.

وذكرت في ذلك آيات كريمة تـدلُّ على وجوب الإيمان بالله واليوم الآخر.

ونحن نرى معها ضرورة الإيمان بالغيـب، ومنه الإيمان بالله واليوم الآخر، ولكنا ننكر عليها: إخراجها الإيمان بالنبوَّة والرسـالة من الإيمان بالغيب، مع أنَّ الإيمان بكتب الله تعالى ورسـله هو جـزء من الإيمان بالغيب لا ريب فيه.

وكأنَّ الكاتبة تتوهَّم أنَّ الإيمان بالكتب هو إيمان بالورق الَّذي كتبت عليه، والمـداد الَّذي كتبت به، فلهـذا لم تعتبره مـن الإيمان بالغيب، وكذلك توهمت أن الإيمان بالرسل يعني: الإيمان بأشخاصهم المنظورة والمتحركة أمام الأعين، فلهـذا لم تعدها من الإيمـان بالغيب. مع أنَّ المقصود مـن ذلك هو: الإيمان بأن الله تعالى أوحى إلى رسـله، وأنزل عليهم كتبًا، وبلغهـم أوامر ونواهي، عن طريـق ملائكته، أو عن طريق الإلهام المباشـر، وهذه كلها من أمور الغيب، فالإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كلّها من الإيمان بالغيب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد استشـــهدت الكاتبة ببعض الآيات والأحاديث الَّتي اكتفت في مجال الإيمان بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، ولم تذكر الإيمان برسل الله عليهم السلام، وحسبت أن ذلك حجة قاطعة لها. وهي مخطئة في ذلك بيقين.

فالنصوص القرآنية والحديثية تُجْمِلُ أحيانًا، وتُفصِّل أحيانًا حسَب المقام.

فأحيانًا تذكر كلَّ متعلَّقات الإيمـــان وأركانه، مثل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأحيانًا يذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، كما في الآيات الَّتي ذكرتها الكاتبة وغيرها؛ ذلـــك أنَّ الإيمان بالله والإيمـــان بالجزاء الأخروي هما أعظم أركان الإيمان.

وأحيانًا يذكر الإيمان بالله ورســـله، كما في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩].

وأحيانًا يذكر الإيمان بالله تعالى وبما أنزل على رسله، كما في قوله تعالـــى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

QaradawiBooks.com

وأحيانًا يذكر الإيمان بما أنزل الله فقط، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ [النساء: ٤٧]. وقوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

وأحيانًا يذكر الإيمان بالله تعالى دون غيره من بقية الأركان، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقٗا﴾ [الطلاق: ١١].

بل أحيانًا يذكر كلمة الإيمان مجردة من متعلَّقاتها، كما في النداء القرآني المتكرر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]. وهذا كثير في القرآن.

وهذا الاكتفاء في بعض المواضع ببعض أركان الإيمان لا يعني الاستغناء عن بقية الأركان، فالقرآن يفسر بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا، فما أُجمل في مكان فُصِّل في آخر، وما أُبهم في موضع بُيِّن في غيره، وما أُطلق في موقع قُيِّد في موقع آخر، ولا بدَّ أن يؤخذ القرآن كلُّه، ولا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

QaradawiBooks.com

ومن ذلك: الاكتفاء بشهادة أن لا إله إلَّا الله في بعض النصوص، وذلك لأنَّ الكلام كان مع مشركي العرب، والمعركة الأساسيَّة معهم كانت على التوحيد، فإذا قالوا: لا إله إلَّا الله، فقد استجابوا لمحمد ﷺ، ولم يفهم أحد في الأوَّلين ولا الآخرين أنَّهم إذا قالوا: لا إله إلَّا الله، وكفروا بمحمد، كانوا مؤمنين ناجين.

وكنتُ أودُّ من الكاتبة الَّتي ذكرت بعض أحاديث البخاري ومسلم، الَّتي اكتفت بإعلان «لا إله إلَّا الله» أن تذكر الأحاديث الأخرى، الَّتي اشترطت كل أركان الإيمان.

وذلك مثل الحديث المشهور المعروف بحديث جبريل، حين سأل النَّبيّ ﷺ عن الإيمان، فقال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالبعث بعد الموت**»[(١)].

ومثل ما رواه عنه ابن عمر: «**أُمِرْتُ أن أقاتل النَّاس حتَّى يشهدوا أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**»[(٢)].

وما رواه عنه عُبَادة بن الصامت: «**من شهد أن لا إله إلَّا الله، وحدَه لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريمَ ورُوح منه، والجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، أدخله الله الجنَّة على ما كان من العمل**»[(٣)].

وما رواه ابن عبَّاس، أنَّ رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن: «**إنَّك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن**

(١) سبق تخريجه صـ ١٢٩.
(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، كلاهما في الإيمان.
(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥)، ومسلم في الإيمان (٢٨).

QaradawiBooks.com

يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فإنْ هم أطاعوك بذلك، فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات...» الحديث[١].

وما رواه أبو هُرَيْرة: «**والَّذي نفْسُ محمَّد بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمَّة يهوديٌّ أو نصرانيٌّ، ثمَّ يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلَّا كان من أصحاب النَّار**»[٢].

ثم إنَّ الكاتبة تشترط أن يكون إيمان المؤمن من أهل الكتاب على ملَّة إبراهيم عليه السلام، ولا أدري من أين تعرف ملَّة إبراهيم، وأي مصدر تعتمد عليه في ذلك؟

إنَّ المصدر الفذَّ لملَّة إبراهيم هو المصدر الإسلامي، أي هو القرآن، وما يُبَيِّنه من السُّنة، فالقرآن هو الوثيقة السماوية الوحيدة الَّتي نأمن أن نأخذ منها معارفنا، دون أن نخشى تسلُّل الباطل والوهم والتحريف إليها.

اتِّباع المتشابهات:

ولقد كنتُ نبَّهتُ في كتابي: «المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسُّنَّة» وأكدت ذلك في كتابي «كيف نتعامل مع القرآن العظيم» على قضية في غاية الخطر، وهي التعويل على «المتشابهات» من النصوص، والإعراض عن «المُحْكمات»؛ فهذا شأن الَّذين في قلوبهم زيغ كما نص القرآن في سورة آل عمران: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ**﴾ [آل عمران: ٧].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٥٣)، وأحمد (٨٢٠٣).

QaradawiBooks.com

وليس هذا شأن الراسخين في العلم، المتمكِّنين في الدين، فإنَّهم يردون المتشابهات إلى المحكمات، ذلك أن المحكمات هي الأصل، وهي أم الكتاب ومعظمه، فيجب أن تفهم المتشابهات في ضوئها، وفي إطارها، فهي الَّتي تضبطها وتحكمها. ولكن هؤلاء ـ للأسف الشديد ـ يعكسون القضية، اتباعًا لأهوائهم، أو لأهواء الَّذين لا يعلمون.

وقد رأينا الكاتبة ـ هدانا الله وإياها ـ تركض وراء المتشابهات من النصوص، تريد أن تتخذ منها أساسًا لمقولتها، وتغفل النصوص القطعية، الَّتي لا شبهة في دلالتها، ولا يتطرَّق إليها احتمال يوهي من قيمتها؛ وبخاصة أنَّها تستند إلى هذه المتشابهات، ولا تُعنى بنقل رأي علماء الأمَّة في فهمها ودلالتها. مرة واحدة نقلت عن ابن عطية، ولم يغنها نقلها من الحق شيئا.

اعتمدت على قول الله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٣]. مع أن المقصود بحكم الله في الآية، هو حكم الرجم الَّذي حاولوا التهرب منه، كما ذكرت الباحثة ذلك نقلًا عن صحيح البخاري.

واعتمدت كذلك على قوله سبحانه: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]. والمراد: الحكم بما أنزل الله فيه من البشارة بمحمد ورسالته، وغير ذلك من الأحكام والوصايا الأخلاقية.

وكان الأولى بها إن كانت تنشد الحق أن ترجع إلى أهل الاختصاص من الأئمَّة والمفسرين من السلف والخلف، لمعرفة ماذا قالوا في الآيتين.

أم تريد أن تقول: إنَّها لا تحتاج إلى ذلك؟ فهي أعلم من كل علماء الأمَّة: مفسِّرين، ومحدِّثين، ومتكلِّمين، وفقهاء!

QaradawiBooks.com

ما قاله صاحب المنار في تفسير الآيات:

اقرأ معي في تفسير المنار حول الآيات الَّتي استشهدت بها الكاتبة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾.

يقول صاحب المنار: هذا تعجب من الله لنبيه؛ ببيان حال من أغرب أحوال هؤلاء القوم، وهو أنَّهم أصحاب شريعة يرغبون عنها، ويتحاكمون إلى نبيّ جاء بشـــريعة أخرى، وهم لم يؤمنوا به. أي: وكيف يحكمونك في قضية كقضية الزانيين أو قضية الدية؛ والحال أن عندهم التوراة الَّتي هي شريعتهم، فيها حكم الله فيما يحكمونك فيه، ثمَّ يتولون عن حكمك بعد أن رضوا به وآثروه على شريعتهم؛ لموافقته لها؟ أي: إذا فكرت في هذا رأيته من عجيب أمرهم، وسببه أنَّهم ليسوا بالمؤمنين إيمانًا صحيحًا بالتوراة ولا بك، وإنَّما هم ممَّن جاء فيهم: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. فإنَّ المؤمن الصادق بشـــرع لا يرغب عنـــه إلى غيـــره؛ إلَّا إذا آمن بأن ما رغب إليه شـــرع من الله أيضًا أيَّد به الأول، أو نسخه لحكمة اقتضت ذلك؛ باختلاف أحوال عباده.

وهؤلاء تركوا حكم التوراة الَّتي يدَّعون الإيمان بها واتباعها؛ لأنَّه لم يوافق هواهم، وجاؤوك يطلبـــون حكمك؛ رجاء أن يوافـــق هواهم، ثمَّ يتولون ويعرضون عنه إذا لم يوافق هواهم؛ فمـــا هم بالمؤمنين بالتوراة ولا بك، ولا بمَن أنزل على موســـى التوراة وأنـــزل عليك القرآن، وقد يقولون: إنَّهم مؤمنون، وقد يظنـــون أيضًا أنَّهم مؤمنون، غافلين عن كون الإيمان يقينا فـــي القلب، يتبعـــه الإذعان بالفعل، ويترجم عنه اللســـان بالقول. ولكن اللســـان قد يكذب عن عِلم وعن جهل؛ فمن أيقن أذعن، ومن أذعن عمل؛ لأن الإيمان الإذعاني هو صاحب السلطان الأعلى على الإرادة، والإرادة هي المصرفة للجوارح في الأعمال.

QaradawiBooks.com

أما حكم الرجم في التوراة الَّتي بين أيدينا اليوم، فهو خاص ببعض الزُّناة. قال في الفصل ٢٢ سفر التثنية بعد بيان: أنَّ من تزوج فوجدها ثيِّبًا تُرجم عند باب بيت أبيها: «٢٢ إذا وُجد رجلٌ مضطجعًا مع امرأةٍ، زوجةِ بعلٍ يُقتل الاثنان: الرجل المضطجع مع المرأة، والمرأة، فتنزع الشر من إسرائيل ٢٣ إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدها رجل في المدينة فاضطجع معها، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتَّى يموتا: الفتاة من أجل أنَّها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه، فتنزع الشرَّ من وسطك» ثمَّ ذكر أحكاما أخرى في الزِّنى، منها قتل أحد الزانيَيْن، ومنها دفع غرامة والتزوُّج بالمزنيِّ بها.

ومما يجب التنبيه له هنا أن دعاة النصرانيَّة يحتجون بهذه الآية وما في معناها على كون التوراة الَّتي في أيديهم وأيدي اليهود هي ما أنزله الله تعالى على موسى، لم يعرض لها تغيير ولا تحريف. ذلك أنَّهم كأولئك اليهود الَّذين يأخذون من القرآن ما يوافق أهواءهم، ويردون ما يخالفها جدلًا. والمؤمنون يؤمنون بالكتاب كله، فالكتاب بيَّن لنا أن عندهم التوراة: أي الشريعة، وأن فيها حكم الله في القضية الَّتي تحاكموا فيها إلى النَّبيّ ﷺ، وقد صدق الله تعالى وهو أصدق القائلين، وبيَّن لنا أيضًا أنَّهم حرفوا الكلم عن مواضعه ومن بعد مواضعه، وأنَّهم نسوا حظًّا ممَّا ذُكِّروا به وأنَّهم إنَّما أوتوا نصيبًا من الكتاب إذ نسوا نصيبًا آخر وأضاعوه. وقد صدق الله تعالى في ذلك أيضًا.

ولما خرجت أمَّة القرآن بالقرآن من الأمية، وعرفوا تاريخ أهل الكتاب وغيرهم كالبابليين: ظهر لهم أنَّ إخبار القرآن بذلك كان من معجزاته الدالة على أنه من عند الله؛ إذ ظهر لهم أن اليهود قد فقدوا التوراة الَّتي كتبها موسى ثمَّ لم يجدوها، وإنَّما كتب لهم بعض علمائهم

QaradawiBooks.com

ما حفظوه منها؛ ممزوجًا بما ليس منهـا، والتوراة الَّتي في أيديهم تثبت ذلك، كما بيناه في غير هذا الموضع.

ومنه تفسـير أوَّل سـورة آل عمران، وتفسـير الآية ١٤ و١٥ من هذه السورة [يعني: المائدة].

وقال تعالـى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. **إلى قوله تعالى:** ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

قال صاحب المنار: هذه الآيات من سـياق الَّتي قبلها والتي بعدها، والغرض منها بيان كون التوراة كانت هداية لبني إسرائيل، فأعرضوا عن العمل بها لما عرض لهم الفساد، وبيان مثل ذلك في الإنجيل وأهله، ثمَّ الانتقال من ذلك إلى ما سـيأتي من ذكر إنزال القـرآن ومزيته وحكمة ذلك. ومنه يعلم أن العبرة بالاهتداء بالديـن، وأنه لا ينفع أهله الانتماء إليه إذا لم يقيموه؛ إذ لا يستفيدون من هدايته ونوره، إلَّا بإقامته والعمل به، وأن إيثار أهل الكتاب أهواءهم على هداية دينهم، هو الَّذي أعماهم عن نور القرآن والاهتداء به. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة: ٤٤]. أي إنَّا نحن أنزلنا التوراة على موسى؛ مشتملة على هُدى في العقائد والأحكام، خرج به بنو إسـرائيل من وثنية المصريين وضلالهم، وعلى نور أبصروا به طريق الاستقلال في أمر دينهم ودنياهم، ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

QaradawiBooks.com

أنزلناها قانونًا للأحكام يحكم بها النبيون ـ موسى ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل ـ طائفة من الزمان، انتهت ببعثة عيسى ابن مريم عليه السلام. وهم الَّذين أسلموا وجوههم لله مخلصين له الدين، على ملَّة إبراهيم عليهم الصَّلاة والسلام، فالإسلام دين الجميع، وكل ما استحدثه اليهود والنَّصارى من أسباب التفرق في الدين، فهو باطل وضلال مبين. وإنَّما يحكمون للذين هادوا أي اليهود خاصة؛ لأنَّها شريعة خاصَّة بهم لا عامة، ولذلك قال آخرهم عيسى: لم أرسل إلَّا إلى خراف إسرائيل الضالة. ولم يكن لداود وسليمان وعيسى من دونها شريعة.

وقال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ **قرأ الجمهور**: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ بصيغة الأمر، وهو حكاية حذف منها لفظ القول ـ ومثله كثير في القرآن ـ أي: وقلنا: ليحكم أهل الإنجيل بما أنزله الله فيه من الأحكام، أي أمرناهم بالعمل به، فهو مثل قوله في أهل التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ كذا وكذا. وقرأ حمزة: «**وَلِيَحْكُمَ**» بكسر اللام[1]، أي ولأجل أن يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وجوزوا أن يكون قوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾، مفعولا لأجله. وعطف ﴿**وَلِيَحْكُمَ**﴾ عليه مع إظهار اللام لاختلاف الفاعل. وكيفما قرأت وفسرت لا تجد الآية تدل على أن الله تعالى يأمر النَّصارى في القرآن بالحكم بالإنجيل، كما يزعم دعاة النصرانيَّة بما يغالطون به عوام المسلمين. ولو فرضنا أنه أمرهم بذلك بعبارة أخرى لتعين أن يكون الأمر للتعجيز وإقامة الحجة عليهم، فإنَّهم لا يستطيعون العمل بالإنجيل ولن يستطيعوه. وسيأتي لهذا البحث تتمة.

(١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة صـ ٢٢٧، ٢٢٨، تحقيق سعيد الأفغاني، نشر دار الرسالة.

QaradawiBooks.com

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: فأولئك هم الخارجون من حظيرة الدين، الَّذين لا يعدون منه في شيء، أو الخارجون من الطاعة له المتجاوزون لأحكامه وآدابه.

وقال تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٨ ـ ٥٠].

يقول صاحب المنار: هذه الآيات تتمة السياق: بين الله تعالى شأنُه إنزال التوراة ثمَّ الإنجيل على بني إسرائيل، وما أودعه فيهما من هُدى ونور، وما حتَّم عليهم من إقامتهما، وما شدَّد عليهم من إثم ترك الحكم بهما، فناسب بعد ذلك أن يذكر إنزاله القرآن على خاتم النبيين والمرسلين، ومكانه من الكتب الَّتي قبله، وكون حكمته تعالى اقتضت تعدد الشرائع ومناهج الهداية؛ فتلك مقدمات ووسيلة، وهذا هو المقصد والنتيجة، قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: وأنزلنا إليك الكتاب الكامل الَّذي أكملنا به الدين، فكان هو الجدير بأن ينصرف إليه معنى الكتاب الإلهي عند الإطلاق، وهو القرآن المجيد ـ هذه حكمة التعبير بالكتاب بعد التعبير عن كتاب موسى باسمه الخاصِّ (التوراة)، وعن كتاب عيسى باسمه

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الخاص (الإنجيل) ـ ومثل هذا إطلاق لفظ النَّبيّ حتَّى في كتبهم ـ وقوله: بالحق إلخ، معناه أنزلناه متلبسًا بالحق، مؤيدًا به، مشتملًا عليه، مقررًا له، بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مصدقًا لما تقدمه من جنس الكتب الإلهيَّة كالتوراة والإنجيل؛ أي: ناطقًا بتصديق كونها من عند الله، وأن الرسل الَّذين جاؤوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم.

وأما قوله: ومهيمنا عليه ـ أي على جنس الكتاب الإلهي ـ فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد، بما بينه من حقيقة حالها، في أصل إنزالها، وما كان في شأن من خوطبوا بها، من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريف كثير ممَّا بقي منها وتأويله، والإعراض عن الحكم والعمل بها، فهو يحكم عليها لأنَّه جاء بعدها. روى ابن جرير عن ابن عبَّاس أنه قال: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ يعني أمينا عليه، يحكم على ما كان قبله من الكتب[1]. وفي رواية عنه عند الفريابي وسعيد بن منصور والبيهقي ورواة التفسير المأثور قال: مؤتمنًا عليه[2]. وفي رواية أخرى قال: شهيدًا على كل كتاب قبله[3] اهـ.

هل تكفي «لا إله إلَّا الله» وحدها؟

واعتمدت الكاتبة كذلك على الأحاديث الَّتي جعلت نجاة الإنسان وخلاصه في قول: «لا إله إلَّا الله» أي: في عدم الشرك، ولم تذكر شهادة أنَّ محمدًا رسول الله. وذكرت لنا جملة أحاديث صحاح وردت بذلك.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٣٧٩/١٠).

(٢) رواه سعيد بن منصور في التفسير (٧٦٣)، وابن أبي حاتم (٦٤٧٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٢/٥).

(٣) تفسير المنار (٣٢٦/٦ ـ ٣٤٠)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

ولســـنا ننكر صحَّة هذه الأحاديث، ولكننا ننكر ما فهمته منها، فهو فهم خاطئ لعدة أدلة:

أولها: أنَّ فـــي مقابل هذه الأحاديث أحاديـــث صحاحًا جمَّة أخرى، تشـــترط الشـــهادتين للنجاة، وقد ذكرنا بعض هذه الأحاديث في موضع آخر. والأمانة العلمية تقتضي أن تذكر هذه الأحاديث بجانب تلك، لا أن تنتقي ما يفيد دعواها، وتغض الطرف عمَّا ينقضها.

وثانيهـــا: أنَّ بعض هذه الأحاديث هو اختصار مـــن الرواة في بعض الروايات، وفيها روايات أُخرى تذكر الشـــهادتين جميعًا، كما في حديث معاذ، في أن من قال: «لا إله إلَّا الله» دخل الجنَّة. أو حرَّمه الله على النَّار. أو نحو ذلك، جاء في بعض الروايات في صحيح البخاري بالشـــهادتين جميعًا، كما رواه في كتاب العلم أنه ﷺ قال له: «**ما من أحد يشـــهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رســـول الله، صادقًا من قلبه، إلَّا حرَّمه الله على النار**». قال معاذ: يا رسولَ الله، أفلا أخبرُ به النَّاس فيستبشروا؟ قال: «**إذن يتَّكلوا**». وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّمًا[1].

وثالثها: أنَّ العلماء بيَّنوا السرَّ في هذا الاختصار، فذكروا في حديث: «**من قال: لا إله إلَّا الله؛ دخـــل الجنة**». قالوا: والمـــراد: مع قوله: محمَّد رســـول الله. لكن قد يُكتفَى بالجزء الأول من كلمتي الشهادة؛ لأنَّه صار شعارًا لمجموعهما[2].

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٨) ومســـلم في الإيمان (٣٢)، عن أنس. وانظر: فتح الباري (٣٠٠/١، ٣٠١) حديث (١٢٨).

(٢) فتح الباري (٢٥٨/١).

QaradawiBooks.com

ورابعها: أنَّ هذا الاقتصار على شهادة التوحيد (لا إله إلَّا الله) أو على ترك الشرك (من لقي الله لا يشرك به شيئًا) لا يفيد الكاتبة فيما تدعيه للمسيحيِّين، من صحَّة إيمانهم وأنَّهم من أهل التوحيد، أو أهل «لا إله إلَّا الله»؛ إذ إنَّ أهل هذه الكلمة هم أمَّة محمَّد وحدهم، أمَّا المسيحيُّون، فقد قال الله تعالى في شأنهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

نسبهم الله صراحة إلى الشرك، وإن لم يسمَّوا «المشركين» تمييزًا لهم عن عبدة الأوثان.

ولهذا كان يختم الرسول ﷺ دعوته إلى ملوك النَّصارى وأمرائهم بالآية الكريمة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

الإيمان بالرسل ركن أساسي في العقيدة:

ومن المسلَّمات البدهية في دين الإسلام، الَّتي اعتبرها ركنًا أساسيًّا من أركان الإيمان والعقيدة: الإيمان بالنبوَّة والوحي، والتصديق برسالات الله، وبرسله إلى خلقه، الَّذين بعثهم مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للنَّاسِ على الله حجة بعد الرسل.

فلا يصح إيمان مؤمن، ولا يدخل في دين الله، ولا يقبل في جماعة المؤمنين، ما لم يُؤمن بكل كتاب أُنزل، وبكل نبيّ أُرسل.

QaradawiBooks.com

وهذا أمر في غاية الوضوح في كتاب الله وسنَّة رسوله، لا يرتاب فيه مسلم، ولا يتردد فيه عقل، ولا يتلجلج به لسان.

يقول تعالى مبينًا حقيقة البر وأركان الإيمان، ردًّا على اليهود الَّذين أثاروا ضجة حول تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فذكر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله صراحة، وأشار إلى الإيمان باليوم الآخر بقوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وقد أثارت الكاتبة شبهة حول هذه الآية، ونقلت ـ لأول مرة ولآخر مرة ـ كلامًا عن بعض المفسرين، وأن المراد بالخطاب فيها المسلمون، فهم الَّذين آمنوا حقًّا. وأنا أسلِّم بهذا، ولكن أين هي من دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ...﴾، فهذه تعم الجميع مسلمين وغير مسلمين؛ لأن لفظة «من» من ألفاظ العموم، كما هو معلوم.

ويقول تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

QaradawiBooks.com

وفي السـنَّة في حديث جبريل المشـهور، عندما سأله عن الإيمان قال: «**الإيمـان: أن تؤمن بـالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر**»(١).

وإنَّما لم يذكر القرآن الإيمان بالقدر؛ لأنَّه من جملة الإيمان بالله تعالى، فهو إيمان بمقتضى الكمال الإلهي، وأنَّه علم كل شيء وأراده قبل أن يقع، ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

المهمُّ أنَّ الإيمان بالرسـل لا ريب فيه، ولا خلاف عليه، ولهذا ورد أن النَّاس يوم القيامة، يسألون سؤالين رئيسين:

أولهما: ماذا كنتم تعبدون؟

والثاني: بماذا أجبتم المرسلين؟

ويقـول تعالـى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٥، ٦٦].

ولقد ردَّ القرآن على المكذِّبين، الَّذين اسـتبعدوا أن يرسل الله إليهم رسولًا، يبشِّرهم وينذرهم، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

قال تعالى على لسـان نوح عليه السلام: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣].

وقال عز وجل على لسان هود عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ

(١) رواه مسلم في الإيمان (٨)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡۜطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٧ ـ ٦٩].

وقال تعالى في شأن خاتم رسله محمد: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [يونس: ٢].

وقد بيَّن علماء المسلمين قديمًا وحديثًا حاجة البشر إلى الوحي والرسالة، ومن أروع ما كتب عن ذلك في العصر الحديث: ما كتبه الإمام محمَّد عبده في «رسالة التوحيد».

المهمُّ أنَّ الإيمان برسل الله جميعًا: عقيدة إسلاميَّة أساسية، ومن كذَّب رسولًا واحدًا من رسل الله حقًّا، فكأنَّما كذَّب المرسلين جميعًا.

وهذا ما يُقرِّره القرآن حينما قال في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية: ١٠٥] وهم لم يكذبوا إلَّا نوحًا، ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية: ١٢٣]، وهم لم يكذبوا إلَّا هودًا، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية: ١٤١] وهم لم يكذبوا إلَّا صالحًا، وكذلك قال عن قوم لوطٍ وقوم شعيب، وإنَّما نسب إليهم تكذيب المرسلين؛ لأنَّهم كذَّبوا واحدًا منهم، فكأنَّهم جحدوا مبدأ الرسالة نفسه.

فمن زعم أنه آمن بالله تعالى، ولكنَّه كذَّب رسله أو واحدًا منهم؛ ممَّن ثبتت رسالته، فهو كاذب في دعوى الإيمان؛ إذ الإيمان الحق: ما جاء على لسان الرسول الصادق المؤيد بالآيات، ومن قال: أومن بواحد أو بمجموعة، ولا أومن بغيره أو بغيرهم؛ ممَّن هو مثلهم أو أعلى منهم، فهو كاذب في دعوى إيمانه، بل القرآن يقول عن مثله إنه الكافر حقًّا.

QaradawiBooks.com

اقرأ معي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وهاتان الآيتان نزلتا في شأن اليهود والنَّصارى، فاليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد، والنَّصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد. والمسلمون وحدهم هم الَّذين آمنوا بالجميع، وبكل نبيٍّ أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٢].

رسالة محمَّد للعالمين، ومنهم اليهود والنَّصارى:

ومما لا ريب فيه، ولا خلاف عليه، وهو من بدهيات الإسلام المعروفة للجميع: أن رسالة محمَّد ﷺ رسالة للعالم كله، وليست رسالة للعرب وحدهم، الَّذين بُعث منهم، ونشأ فيهم، واليهود والنَّصارى جزء من هذا العالم الَّذي بُعث محمَّد ليهديه من الضلالة، ويخرجه من الظلمات إلى النور.

وهذا أمر مقطوع به، ومن ضروريات دين الإسلام، والأدلَّة عليه أكثر من أن تحصى.

ونحن نتبرع بذكر بعض الدلائل على ذلك.

يقول تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

وفي أكثر من سورة جاء عن القرآن: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [ص: ٨٧] وجاء في ثلاث آيات من القرآن قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩] ومعنى هذا غلبة الإسلام على كل الأديان ومنها دين أهل الكتاب.

وأكثر من ذلك تصريح القرآن بإرسال محمَّد إلى أهل الكتاب خاصة، وإعلان هذه الحقيقة واضحة بارزة للعيان، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة: ١٩].

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وتتوالى آيات القرآن الكريم تدعو أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى إلى الإيمان برسالة محمَّد ﷺ، وبما أنزل الله عليه من الكتاب، مصدقًا لما بين يديه من الكتب، ومهيمنًا عليها، أي مصححًا لها ومتمِّمًا، وتحذرهم من التخلف عن هذا الإيمان.

يقول الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا

QaradawiBooks.com

لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۞ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤٢].

فهنا يأمرهم الله تعالى أن يؤمنوا بما أنزل الله من القرآن مصدقًا لما معهم، ولا يكونوا أوَّل الكافرين به.

ويقول تعالى منددًا بموقف اليهود من القرآن: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال تعالى مبينًا موقف بني إسرائيل من رسل الله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۞ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة: ٨٧ ـ ٩٠]. فقد كان اليهود قبل البعثة المحمدية إذا تقاتلوا مع العرب يقولون لهم: قد قرب مبعث رسول من عند الله، سنؤمن به، ونقاتلكم معه، وننتصر عليكم.

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ۞ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٩٩ ـ ١٠١].

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وفي سورة النساء يوجه الله ﷻ نداء صريحًا إلى أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل الله على محمد، ويهددهم بالمسخ واللعن إن لم يفعلوا. يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧] وهذا نص واضح كالشمس في رابعة النهار.

ومن أجل ذلك أرسل النَّبيّ ﷺ رسله إلى ملوك أهل الكتاب من النَّصارى يحملون رسائله إليهم، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وترك ما هم فيه من الكفر والضلال، فكما أرسل إلى كسرى ملك فارس، ورئيس المجوس الَّذين يعبدون النَّار، أرسل إلى قيصر ملك الروم ـ وهو المعروف باسم «هرقل» ـ وكذلك أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس والي مصر من قبل الدولة الرومية، وإلى أمراء في بلاد الشام، وكلهم من أهل الكتاب من النَّصارى، يدعوهم أن يُسلموا ليسلموا، ويؤتيهم الله أجرهم مرتين: مرة على دينهم قبل أن تبلغهم دعوة الإسلام، ومرة بدخولهم في دين الإسلام، ثمَّ كان يختم رسائله إليهم بهذه الآية من سورة آل عمران: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [الآية: ٦٤].

وهذه الآية تشير بوضوح إلى أن هؤلاء النَّصارى قد خلطوا توحيدهم بالشرك بالله، واتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، فانحرفوا عن الصراط المستقيم لملة إبراهيم الحنيفية. وهذا واضح بيّن ممَّا سجله القرآن عليهم من قولهم: إن الله ثالث ثلاثة، إن الله هو المسيح ابن مريم،

QaradawiBooks.com

وإن المسيح ابن الله، ويقول تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

دلائل أخرى على كفر أهل الكتاب:

ومن الدلائل الأخرى على كفر أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وهذا يدلُّ على أن لهم مِلَّة أخرى غير ملَّة الإسلام الَّتي هي ملَّة إبراهيم حنيفًا، وهي الَّتي قال الله لرسوله في شأنها: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

ومعلوم أنَّ الله لا ينهى عن اتخاذ المؤمنين أولياء، إنَّما ينهى عن اتخاذ الكفَّار أولياء من دون المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

QaradawiBooks.com

وفي السياق نفسه الَّذي نهى فيه عن اتخاذ اليهود والنَّصارى أولياء، يقول تعالى لرسوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۞ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۞ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٥٩ ـ ٦١].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

بيَّن الله سبحانه أنَّ أهل الكتاب ليسوا على شيء من الدين، حتَّى يقيموا التوراة والإنجيل، وما أُنزل إليهم من ربهم، أي: القرآن العظيم.

الإيمان لا يتجزأ:

بل الإيمان يوجب على كل مؤمن أن يأخذ بدينه كله، ولا يرفض شيئًا أساسيًّا مقطوعًا به من دينه، وإلا فهو مرتد عن دينه، مارق منه، كما يمْرُق السهم من الرَّمِيَّة. وقد عاب القرآن على بني إسرائيل إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض، حين انتقدهم بشدَّة، موبِّخًا لهم على أخذهم من الدين ما يروق لهم، وإعراضهم عمَّا لا يحلو لهم، فأصبحوا هم الَّذين يتحكمون في الدين، وليس الدين هو الَّذي يحكمهم ويضبط مسيرتهم.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

QaradawiBooks.com

يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦].

وعلى هذا الأساس، لو أن المسلم أنكر آية واحدة من القرآن الكريم، أو سورة قصيرة من سوره مثل: الإخلاص، أو العصر، أو الكوثر، أو إحدى المعوذتين، فإنَّه يكون كافرًا مرتدًّا، والعياذ بالله، ولو أنكر حكمًا واحدًا من أحكام الإسلام القطعية، المعلومة من الدين بالضرورة، لكان كافرًا مرتدًّا.

لهذا نكفِّر اليهود والنَّصارى:

فاليهود والنَّصارى كُفَّار في اعتقاد المسلمين؛ لأنَّهم لم يؤمنوا برسالة محمد، الَّذي أُرسل إلى النَّاس كافة، وإليهم خاصة، كما ذكرنا في الآيات الصريحة البينة: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [المائدة: ١٩].

وقد آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، فهم بنص القرآن الصريح: ﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥١].

وهم لم يكتفوا بالكفر برسالة محمد، والإعراض عنها، بل كادوا له، ومكروا به، وصدوا عن سبيله. كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

واليهود والنَّصارى كفار؛ لأنَّهم قالوا على الله بغير علم، وشوهوا حقيقة الألوهيَّة في كتبهم، ووصفوا الله بما لا يليق بجلاله وكماله، ونسبوا إليه نقص البشر، وعجز البشر، وجهل البشر، وهذا ثابت في

QaradawiBooks.com

«أسفار التوراة» الَّتي يؤمن بها اليهود والنَّصارى جميعًا، فكلُّ ما يؤمن به اليهود في شأن الألوهيَّة والنبوَّة يؤمن به النَّصارى؛ لأنَّ التوراة المحرفة الموجودة الآن في أيديهم «كتاب مقدس» عند الطائفتين جميعًا.

ويزيد النَّصارى على اليهود ما انفردوا به في شأن المسيح؛ حيث اعتبروه إلها، أو ابن إله أو واحدًا من ثلاثة أقانيم تكوِّن «الإله».

هذا وقد قرَّر القرآن بوضوح بيِّن، وبيان واضح: أنَّه كفر. كما قال تعالى في سورة المائدة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ في آيتين من السورة [المائدة: ١٧، ٧٢]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وفي سورة التوبة ـ وهي من أواخر ما نزل أيضًا ـ جاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

النَّصارى أبعد عن ملَّة إبراهيم من اليهود:

وأحبُّ أن أنبِّه بعض الإخوة الَّذين يدافعون عن النَّصارى، أو عن المسيحيِّين كما يحبون أن يسموا أنفسهم اليوم، ويريدون أن يضفوا عليهم صفة الإيمان، ويدخلوهم في زمرة المؤمنين بإطلاق، في حين لا يصنعون ذلك مع اليهود.

QaradawiBooks.com

وربَّما ضللهم عن الحقيقة سوء فهمهم لقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢].

فقد فهموا من شدة عداوة اليهود للذين آمنوا وهم المسلمون، وقرب مودة النَّصارى لهم: أن اليهود أبعد عن ملَّة إبراهيم، وأعرق في الكفر من النَّصارى، مع أنه لا تلازم بين الأمرين.

فالواقع أنَّ اليهود ـ وإن وقعوا في التشبيه والتجسيم ـ لم يؤلهوا موسى، كما ألّه النَّصارى عيسى، ولم يقعوا في التثليث، الَّذي سقط فيه المسيحيون.

وفي الشريعة: وجدنا اليهود يختنون أبناءهم، كما هي سُنَّة إبراهيم، أمَّا النَّصارى فلا يختنون.

ووجدنا اليهود يذبحون ما يأكلون من الحيوانات والطيور، في حين لا يذبح النَّصارى، فقد قال لهم بولس: كل شيء طاهر للطاهرين.

واليهود يحرمون أكل الخنزير، والنَّصارى يبيحون الخنزير.

واليهود يحرمون التماثيل، والنَّصارى يجيزون التماثيل للمسيح الَّذي هو إله حق من إله حق، وللأنبياء والقديسين، ولذلك امتلأت كنائسهم بالصور والتماثيل.

تعبير أهل الكتاب لا يدلُّ على الإيمان:

وتسمية القرآن اليهود والنَّصارى بـ «أهل الكتاب» لا يعني أنَّهم مؤمنون، بل يعني أنَّهم في الأصل أهل دين سماوي، فلهم مزية على

QaradawiBooks.com

غيرهم، ونحن نعلم أن القرآن استخدم في التعبير عن اليهود والنَّصارى عدَّة صيغ، بعضها صيغة مدح، وبعضها صيغة ذم، وبعضها يحتمل الأمرين. وهذا قد عُرف بالتتبع والاستقراء.

الصيغة الأولى: صيغة «**الذين آتيناهم الكتاب**»، فهذه صيغة مدح في القرآن.

والصيغة الثانية: صيغة «**الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب**»، فهذه صيغة ذم حيثما ذكرت في القرآن.

والصيغة الثالثة: صيغة «**أهل الكتاب**»، أو «**الذين أوتوا الكتاب**»، فهذه تذكر في موضع المدح حينًا، وفي موضع الذمِّ حينًا آخر.

ولا بأس بذكر ما يدلُّ على ذلك من كتاب الله تعالى.

ففي الصيغة الأولى: نجد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]. فالمقصود بهؤلاء: من هداهم الله إلى الإيمان بمحمد ورسالته وكتابه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٧]. إلى غير ذلك من الآيات.

QaradawiBooks.com

وفي الصيغة الثانية: نجد قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤]. وواضح أن المراد بهم اليهود، فهم الَّذين قالوا هذا القول.

وفي سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢]. وواضح أيضًا أن المراد بهم اليهود، كما دلَّ السياق، ودلت أسباب النزول، حين قال مشركو مكة الوثنيون لليهود: أنحن أهدى أم محمد؟ فقالوا: بل أنتم.

وفي الصيغة الثالثة: نجد في المدح قوله تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

ولكن المدح ـ كما هو واضح ـ لجماعة منهم.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩] والمدح أيضًا لجماعة منهم، هم الَّذين آمنوا بالكتابيْن.

وفي الذم نجد قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

QaradawiBooks.com

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠، ٧١].

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٨، ٩٩].

وسورة آل عمران جاء نصفها الأول في محاجة أهل الكتاب، وخصوصًا النَّصارى، بعد زيارة وفد نصارى نجران للرسول ﷺ، وقد أكرم وفادتهم، وأحسن معاملتهم، حتَّى فرش لهم عباءته، وأدخلهم مسجده، وأذن لهم أن يصلوا فيه. ولكنَّه لم يحكم عليهم بأنَّهم مؤمنون، بل نزلت الآيات تفند شبهاتهم، وتقيم عليهم الحجة البالغة، وتبين بطلان دعاويهم في ألوهيَّة المسيح أو بنوته لله، وجاء في ذلك قوله تعالى في السورة: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦١]، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٣ ـ ٦٥].

QaradawiBooks.com

وفي السورة: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [الآية: ٧٥] وسورة آل عمران أكثر سورة ذكرت فيها كلمة: ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وأطفال المسلمين يحفظون من قصار السور: سورة «البيِّنة» وفيها يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ١ ـ ٢] وفيها أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

نبهت الآيتان هنا، وما شابههما بأنَّ هناك كفَّارًا من أهل الكتاب، وكفَّارًا من المشركين، وكلاهما من أهل الكفر.

ونجد نحو ذلك في صيغة: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، فبعضها فيه مدح، مثل: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وبعضها يحمل الذم، مثل: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ وفيها: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [التوبة: ٢٩].

QaradawiBooks.com

خليط من الأغلاط والأوهام:

تقول الكاتبة: لقد كلَّف الله المؤمنين من أمَّة محمَّد ﷺ بالإيمان بالشرائع الَّتي أوحيت إلى الإنسانية من قبل القرآن الكريم، لدخول ذلك ضمن دائرة استطاعتهم، انطلاقًا من كون القرآن ركز فيما يقارب ثلثيه على قصص الأنبياء والرسل السابقين، خصوصًا قصص إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، والكتاب الحق الَّذي نزل إليهم، والتوراة والإنجيل.

أمَّا المؤمنون أصحاب الشرائع السابقة، فمن المنطق ألَّا يكلفهم تعالى الإيمان بما أنزل إلى الإنسانية من شرعة بعد شرعتهم، أي بشرعة القرآن الكريم، حيث يكون ذلك خارج دائرة استطاعتهم، انطلاقًا من كون قصص القرآن كلها وأحكامه، لم تذكر في كتبهم المقدسة، وما ذكر فيها سوى بشارة ببعثة الرسول الكريم أحمد ﷺ، إلخ.

أقول: هذا الكلام يشتمل على أغلاط وأوهام كثيرة، التبس على صاحبه فيه الحق بالباطل، والهدى بالضلال؛ نحاول إجمالها فيما يلي:

أولًا: كأنَّ الكاتبة تظنُّ أنَّ أمَّة محمَّد هم العرب أو الوثنيون منهم، ناسية أنَّ أمَّة محمَّد هم العالم كله، هم أمَّة الدعوة، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ثانيًا: ترى الكاتبة أنَّ الإيمان بما أنزل الله من كتب وما بعث من رسل، يخرج عن دائرة استطاعة البشر، وهي دعوى لا تستند إلى أي منطق ديني أو عقلي، أي صعوبة في أن يعتقد المرء أن الله لم يدع عباده هملًا، ولم يتركهم سُدًى، وإنَّما بعث إليهم رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا بين النَّاس فيما اختلفوا فيه. هذا هو المطلوب من المكلفين أن يؤمنوا به، فهل في هذا صعوبة، بله الاستحالة؟!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ المهمَّ هنا هو الإيمان بالمبدأ، أمَّا أسماء الرسل، فيؤمن بما جاء به الوحي المعصوم منهم. وأما الإيمان برسالة محمَّد ﷺ، فهو إيمان برسالة قامت البراهين الناصعة على صدقها، وأقرب النَّاس إلى تصديقها هم أهل الكتاب، فقد جاء محمَّد مصدِّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، وفي هذه الكتب السابقة من البشائر والإشارات ما يجعل تصديقه أمرًا قريبًا ومعقولًا جدًّا؛ لأنَّه سيجد دينه وقد صُفِّي وهُذِّبَ وتُمِّمَ، فكيف يعرض عنه؟!

فإذا كان الوثني والمجوسي والملحد، مطالبًا بالإيمان بمحمد، فأولى بذلك أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

ثالثًا: إنَّ الإيمان حقيقة واحدة لا تتغير بتغير العصور؛ لأنه يتضمن الاعتقاد الجازم بحقائق ثابتة عن الله تعالى، وعن الكون المخلوق الَّذي نعيش فيه، وعن الإنسان المستخلف من الله في هذا الكون، وعن مصيره، وعن رسالته، وعلاقته بخالقه وبنفسه، وبما حوله ومن حوله.

وهذه حقائق لا تكذب ولا تتطور، فالمفروض أن يطالب المؤمنون في كل عصر بالإيمان بهذه الحقائق.

رابعًا: كيف يكون من المنطقي ألَّا يكلِّف أصحاب الكتب والشرائع السابقة اتباع شرعة القرآن، والله تعالى لم يتكفل بحفظ كتبهم، بل استحفظها أهلها، ولهذا حرفت تلك الكتب وبدلت، وذلك لأن هذه الشرائع كانت محدودة في المكان وفي الزمان، فكل هؤلاء الرسل بُعثوا إلى أقوامهم، لا إلى النَّاس كافة، وبُعثوا لهم في فترة معيَّنة، لا برسالة خاتمة ولا خالدة، بل كل منهم بَشَّر بنبي يأتي بعده.

QaradawiBooks.com

استدلال بما يدلّ على عكسه:

تقول الكاتبة: إنَّ القرآن يدعو كل أمَّة للعمل بما جاء في شرعتها من مبادئ وأحكام وفرائض، إن كانت راغبة عن شرعة القرآن الكريم.

وكأنَّها تعتبر العمل بشرعة القرآن أمرًا تطوعيًّا أو اختياريًّا، وقد استدلَّت على دعواها بما ينقضها، لا بما يؤيِّدها. فذكرت قول الله تعالى لرسوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

أ ـ فهذه الآية تقرر أن القرآن مهيمن على ما سبقه من الكتب، فهو يحكمها ولا تحكمه، وهو الَّذي يصحح ما دخلها من أغلاط البشر، وأهواء البشر.

ب ـ ثمَّ هي تأمر النَّبيّ ﷺ أن يحكم بينهم بما أنزل الله، أي بحكم القرآن الَّذي حفظه الله من التحريف والتبديل.

ج ـ وهي بعد ذلك تحذره من أن يتبع أهواءهم، ويدع هدى الله سبحانه.

د ـ وقد أكد هذه الآية آيتان تاليتان بعدها تقول: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

وتستدل الكاتبة أيضًا على دعواها بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ

QaradawiBooks.com

﴿كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]. تقول: تطلب الآية من أهل الكتاب إقامة التوراة والإنجيل، وألا يزيدوا على أحكامها، أي الحكم بما جاء إليهم فيهما، إن كانوا راغبين عن اتباع شرعة القرآن الكريم الَّتي أنزلت على محمَّد ﷺ.

وأقول متعجِّبًا: كيف أغفلت الكاتبة هذه الفقرة الواضحة في الآية، وهي قوله تعالى: بعد التوراة والإنجيل: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن الكريم، فليسوا على شيء من الدين يعتد به إذا لم يقيموا ما بقي من أحكام التوراة والإنجيل وما أنزل الله من أحكام القرآن مصدِّقًا ومصححًا ومتمِّمًا.

ولا يقال: كيف يكون القرآن منزلًا إليهم، وإنَّما أنزل إلى أمَّة محمَّد؟ ونقول: هم من أمَّة محمَّد ﷺ، أعني: أمَّة الدعوة، لا أمَّة الإجابة، كما هو معروف عند علماء المسلمين من قديم؛ لأن محمدًا مبعوث إلى النَّاس كافة، وهم منهم، فهم مخاطبون بقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

فهذه آيات محكمات صريحات الدلالة، لا يجوز أن تعرض عنها، وتتعلق بآيات متشابهات، معروف عند أهل العلم المراد منها. مثل قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].

المسيحيون والتثليث:

تريد الكاتبة: أن تُبرّئ المسيحيِّين من تأليه المسيح، ومما هو معروف عندهم من عقيدة التثليث، والقول بأنَّ المسيح ابن الله، وتدلِّل على ذلك بثلاثة أدلة:

QaradawiBooks.com

١ ـ قول الوصية الأولى من الوصايا العشر: «أنا هو الرب إلهك، لا يكن لك إله غيري»[١].

وهذه حجَّة عليهم لا حجة لهم؛ لأنَّهم تركوها وراءهم ظهريا، واتخذوا آلهة أخرى من خلقه.

٢ ـ تقول: إذا كان المسيحيون يصفون السيد المسيح بـ «ابن الله» فإنَّهم يصفون المؤمنين جميعًا بأبناء الله، كما في قول إنجيل متَّى (٥:٩): «طوبى لصانعي السلام؛ لأنَّهم أبناء الله يدعون» ونحن نقرُّ هذا، ولكنهم لا يعترفون بأن المسيح كسائر النَّاس، إنَّه «الربُّ» إنَّه إله الحق من إله حق. ومن المصطلحات المعروفة المكرورة عندهم: الإله الأبُ، والإله الابن.

فهل تكون الكاتبة مَلَكيَّة أكثر من الملك، أو تقوِّل المسيحيِّين ما لا يقولونه؟

تحريف الإنجيل وتبعة المسيحيِّين المعاصرين:

٣ ـ تقول الكاتبة: إذا سلمنا جدلًا أنَّ الأناجيل محرَّفة، فإنَّه يمتنع على عدل الله المطلق أن يعاقب المسيحي اليوم بما اقترف آباؤه وأجداده من تحريف للكتب في قديم الزمان. حيث لا تزر وازرة وزرة أخرى.

وأنا أعجب من قول الكاتبة: إذا سلمنا جدلًا! كأنَّها تنكر ذلك، وقد أثبت المسلمون من قرون مضت تحريف التوراة والإنجيل، وكذلك في العصر الحديث، كما يتجلى ذلك في الكتاب العلمي القيم «إظهار الحقِّ» للشيخ رحمة الله الهندي، وكما وضح ذلك في مناظرات وكتابات

(١) إنجيل متَّى (٦/٥).

QaradawiBooks.com

الشيخ أحمد ديدات، كما أنَّ الباحثين المحايدين من الغربيِّين أنفسهم قد كتبوا في ذلك كتابات لها وزنها.

ويكفي أنَّ الإنجيل الَّذي أنزل الله على عيسى لا يوجد الآن، إنَّما توجد سير له مشتملة على بعض مواعظه، كتبها بعض تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه، أعني الأناجيل الأربعة المعروفة حاليًّا، والمعرفة بأسماء مؤلفيها: متَّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. والَّتي لا توجد نسخها بلغتها الأولى الَّتي كتبت بها، إنَّما توجد ترجمات لها، وهذه الأربعة اختيرت من بين سبعين إنجيلًا، وأحرقت الأخرى.

على كل حال لندع ذلك، ولنبحث في عدل الله في تحميل المسيحي وزر آبائه الَّذين حرَّفوا الكلم عن مواضعه، أقول: هذا بالمنطق المسيحي مقبول. فهم يحمّلون البشرية جمعاء وزر معصية أبيهم الأول آدم ـ حين أكل من الشجرة ـ مع أن هذا حدث منذ ألوف السنين الَّتي لا يعلمها إلَّا الله، ولا شهدها هو ولا آباؤه. ولا أجداده. ومع هذا قال المسيحيون: إن كل آدمي يولد وفي عنقه خطيئة أبيه آدم!

أما بمنطق الإسلام فلا يحمل أحد وزر غيره؛ إلَّا أن يرضى عن ذنبه، أو يتبناه، أو يدافع عنه، أو يستمر في طريقه، ففي هذه الحالة يتحمل وزر نفسه، وإن كان امتدادًا لعمل غيره ممَّن سبقه. وعلى ضوء هذا نجد القرآن يخاطب بني إسرائيل في أيام الرسول، ويحملهم آثام أجدادهم، ويخاطبهم كأنَّهم هم الَّذين اقترفوها؛ لأنَّهم رضوها، بل مضوا على سنة آبائهم، وافتخروا بهم، وعظموهم، فكان لا بدَّ أن يبوؤوا بإثمهم. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ

QaradawiBooks.com

وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥١ ـ ٥٥]. إلى آخر الآيات الَّتي تحملهم جرم آبائهم؛ لأنَّهم على آثارهم مقتدون.

موقف الإسلام من أهل الكتاب والمشركين:

تقول الكاتبة: عندما يصدر الفقه الإسلامي حكما عاما بالكفر أو بالشرك بالله على أهل الكتاب جميعًا، فإن هذا يجعلهم في مرتبة واحدة مع الكفَّار والمشركين، حيث لا ينفع في دين الإسلام منح منزلة خاصَّة لأمَّةٍ ما، مع فساد عقيدتها. ممَّا يعطي التبرير الكافي لأعمال التشدد والعنف، والاقتتال الطائفي ضد إخواننا المسيحيِّين، حيث يطبق عليهم قصار النظر من المسلمين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ...﴾ [التوبة: ٥].

ونقول للكاتبة: ليس علماء الفقه الإسلامي هم الَّذين أصدروا هذا الحكم على أهل الكتاب بالكفر، بل أصدره الله سبحانه في آيات كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولهذا أجمع عليه علماء الفقه، وعلماء التوحيد، وعلماء التفسير، وعلماء الحديث، وكل علماء الأمَّة في شتَّى الاختصاصات.

وقد ترتَّب على هذا الحكم الأصلي فروع كثيرة، كما في الميراث؛ حيث لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، فلا يرث اليهودي والنصراني من المسلم، ولا العكس، وكذلك في الشهادة وفي الجنايات «**لا يُقتل مسلمٌ بكافر**» كما أخذ بظاهره جمهور الفقهاء، وغيرها.

وهذا لا يعني أنَّهم في مرتبة واحدة مع «المشركين»، الَّذين ذكرهم القرآن وعنى بهم «الوثنيين» من العرب وأمثالهم، وهم الَّذين نزلت فيهم آية سورة التوبة: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ...﴾ [التوبة: ٥] الآية.

QaradawiBooks.com

فإنَّ القرآن حرَّم نكاح المشركات، وأجاز نكاح الكتابيَّات، وهذه قمة في التسامح مع المخالفين في العقيدة، لم يرق إليها دين من الأديان.

كما أمر القرآن بجدالهم بالَّتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ثمَّ إنَّ الكفَّار ـ حتَّى المشركين منهم ـ ليسوا في موقف واحد مع الإسلام، فمنهم المسالمون، ومنهم المحاربون. وحسب موقفهم من الإسلام والمسلمين، يتحدد موقف الإسلام منهم. وهذا قد وضحته آيتان في كتاب الله تعالى، تعتبران بمثابة الدستور في معاملة غير المسلمين، يقول تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

قد بيَّن الله تعالى هنا أنه لم ينهَ عن البر بالمخالفين في الدين وإقامة القسط ـ وهو العدل ـ معهم، وإن كانوا مشركين، كالذين نزلت فيهم آيتا سورة الممتحنة. وقد استخدم القرآن لفظة «البِرِّ» وهي الكلمة الَّتي تُستخدم في أعظم الحقوق بعد حق الله، وهو حق الوالدين، فيقال: بر الوالدين. وهذا يرد على قول الكاتبة: لا ينفع في دين الإسلام منح منزلةٍ خاصَّة لأمَّةٍ ما، مع فساد عقيدتها.

وسيأتي مزيد بيان لأسس التسامح الإسلامي مع المخالفين، مع اعتقاد المسلم بطلان دينهم وفساد عقيدتهم.

وقد رأينا كثيرين من المسلمين تزوجوا مسيحيات وبقين على دينهن، وعشن في كرامة وقرة عين مع أزواجهم من المسلمين.

QaradawiBooks.com

الفقه الإسلامي وإباحة الزواج بالكتابيات:

تقول الكاتبة: يواجه الفقه الإسلامي إشكالية حقيقية، حين يعتبر اليهود والنَّصارى كفارًا أو مشركين بالله على وجه العموم، في الوقت الَّذي يبيح فيه زواج المسلم من نسائهم؛ إذ كيف يصح هذا مع تحريم زواج المسلمين من الكفَّار والمشركين والمشركات في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ونقول للكاتبة: إنَّ الفقه لم يواجه أي إشكالية فيما ذكرت. فالقرآن حرَّم زواج «المشركات» ولم يحرم زواج الكتابيات وإن كن كافرات. ولو رجعت الكاتبة إلى القرآن ذاته لوجدته يعبِّر عن «عُبَّاد الأوثان» بالمشركين والمشركات، أو الَّذين أشركوا، وهذا واضح في مثل قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

فقد دلَّ عطف المشركين على الَّذين كفروا من أهل الكتاب: أن المشركين صنف آخر غيرهم؛ إذ العطف ـ كما هو معلوم ـ يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الحج: ١٧]. ذكرت الآية مع الَّذين آمنوا أصحاب الملل المختلفة، من اليهود والنَّصارى من أهل الكتاب، والمجوس عباد النَّار، والذين أشركوا عباد الأوثان. فدلت على أنَّ الَّذين أشركوا صنف آخر غير اليهود والنَّصارى.

وإباحة الإسلام زواج المسلم من كتابية ـ مع أنه يعتقد كفرها ـ يعتبر قمة في التسامح مع المخالفين، ونقلة نوعية في التعامل معهم، وهذا هو الرائع حقًّا: أن يتزوج المسلم من مسيحية، وإن كان يؤمن أن عقيدتها في التثليث وتأليه المسيح وغيرها: باطلة، وأن من اعتقدها فهو كافر، ومع هذا يتخذها شريكة حياته، وربة بيته، وأم أولاده، ويسكن إليها، ويكون بينهما مودة ورحمة، كما شرع الله ﷻ. ثمَّ يترتب على ذلك الزواج قرابة المصاهرة وآثارها، حيث يكون أهل الزوجة أحماء زوجها، وأبوها جد أولاده، وأمها جدتهم، وأخوها خالهم، وأختها خالتهم، وهؤلاء لهم حقوق ذوي القربى، وأولي الأرحام.

هذا ما عليه جماهير المسلمين منذ عهد الصحابة، ولم يخالف في ذلك إلَّا عبد الله بن عمر، الَّذي أنكر زواج المسيحية، واعتبرها مشركة، وقال: وأيُّ شرك أكبر من أن تقول: إن ربها عيسى، وهو عبد من عباد الله[1]؟!

حقائق يجب التنبيه عليها:

وأود أن أنبِّه هنا على جملة حقائق قد يغفل عنها بعض النَّاس، وهي من الأهمية بمكان.

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٨٥).

QaradawiBooks.com

كفر أهل الكتاب ليس كفر إلحاد:

الأولى: أنَّ الكفر الَّذي ننسبه إلى أهل الكتاب ليس هو كفر الجحود بالألوهية، فكفرهم ليس كفر إلحاد، ككفر الشيوعيين، والماديين بصفة عامة، الَّذين ينكرون كل ما وراء الحس، وما وراء المادة، ولا يؤمنون بأي غيب. وذلك أنَّهم يؤمنون بالله في الجملة، أي وإن كان في إيمانهم به شوائب تنكرها العقيدة الإسلاميَّة. كما أنَّهم يؤمنون بالوحي والنبوَّة في الجملة أيضًا، وإن كفروا بنبوة محمَّد عليه الصَّلاة والسلام، وأساؤوا إلى صورة الأنبياء في كتبهم. وكذلك يؤمنون بالآخرة والجزاء الإلهي فيها، وإن دخل على هذه العقيدة ما دخل عليها ممَّا لا يوافق عليه الإسلام.

وهذا هو الَّذي جعل لأهل الكتاب منزلة خاصَّة في الإسلام دون غيرهم من أصحاب الملل الوثنية والوضعية، وأجاز الإسلام مؤاكلتهم ومصاهرتهم، وهذه قمة في التسامح لم يصل إليها دين من الأديان.

ومن أجل هذا نزلت الآيات الأولى في سورة الروم تبين أن الروم ـ وهم نصارى ـ أقرب إلى المسلمين من الفرس، وهم مجوس يعبدون النَّار. فقال تعالى: مبشرًا المسلمين: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ ـ ٥].

ومن أجل ذلك رحبنا بالدعوة إلى الحوار بين الأديان الكتابية، لوجود أرضية مشتركة يمكن أن تجمع بينهم، وتجعل منهم كتلة ضد الإلحاد وضد الإباحية، والانسلاخ من الإيمان والفضائل.

QaradawiBooks.com

مخاطبة اليهود والنَّصارى بأهل الكتاب:

الحقيقة الثانيــة: أنَّنا وإن قلنــا: إنَّ اليهود والنَّصــارى كفَّار بديننا، فلا يجوز أن نناديهــم بـ «يا أيها الكفَّــار» أو «الكافــرون»؛ لأنَّ القرآن الكريم لم ينادِ أي طائفة من طوائف المشركين ولا غيرهم بوصف الشرك أو الكفر، بل يقول في نداء المشركين: «يا أيها الناس» أو «يا بني آدم» أو نحو ذلك.

كما ينادي اليهود والنَّصارى بهذا النداء الَّذي يقرِّب بين القلوب ولا يباعدها: «يا أهل الكتاب».

ولم يجئ في القرآن «يا أيها الَّذين كفروا» إلَّا في آية واحدة في سورة التحريم، حيث يُنادَى بها الكفَّار بعد دخولهــم النَّار، والعياذ بالله، يقال لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التحريم: ٧].

وجاءت آية واحدة تخاطب الرسول بقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] وكان لها مناسبة أراد الله تعالى بها أن تكون حاسمة في سدِّ الباب أمام المشركين، وقطع أطماعهم في استجابة الرســول لهم: أن يعبد آلهتهم فترة من الزمن، ويعبدوا إلهه فترة مماثلة. فاســتخدم هذه اللفظة في تلك المرَّة، ولم تتكــرَّر بعد ذلك في القرآن: مكيِّه، أو مدنيِّه.

أساس التسامح الإسلامي:

والحقيقة الثالثة، هي كيــف نوفِّق بين اعتقادنا بكفــر أهل الكتاب ودعوتنا إلى التسامح معهم؟

وأقول هنا: أن كل ذي دين، بل كل ذي مبدأ: يؤمن بأنَّه على الحق،

QaradawiBooks.com

وأنَّ من عداه على الباطـــل، أي كما قال القرآن: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فهو يؤمن بدينه ومبدئه، ويكفر بما سواه، وإلا كان إيمانه مدخولًا.

فمن آمن بالمادية كفر بالألوهية، ومـــن آمن بالألوهيَّة كفر بالمادية، ومن آمـــن بالرأســـمالية، كفر بالشـــيوعية، ومـــن آمن بالشـــيوعية كفر بالرأسمالية. ومن آمن بالديمقراطية كفر بالدكتاتورية، والعكس بالعكس.

ومن هنا نجد المسيحي يؤمن حســـب عقيدته بأنَّ المسلمين كفار، لا يعني أنَّهم كفار بالله، بل كفار بعقيدته المسيحية بما فيها من التثليث وغيره.

وهذا صحيح، وإذا لم يعتقدوا ذلك في المســـلمين كانوا كاذبين في دينهم، أو مجاملين للمسلمين.

وكذلك يعتقد المســـلم في النَّصارى أو المسيحيِّين بأنَّهم كفَّار، ولا يعني هذا أنَّهم ملحدون، بل كفار بعقيدة الإسلام، وبرسالة محمد.

ولأنَّ المســـيحيِّين يعتبرون المســـلمين كفـــارًا وضالين، يبذلون جهودًا جبارة من أجل تنصيرهم، وإخراجهم من ضلالتهم، ولا يجهل أحد الجهود التنصيرية ـ أو التبشـــيرية كما يسمونها ـ الَّتي بدأت مع عصر الاســـتعمار، وســـارت في ركابه، وتمتعت بحمايته، في البلاد الإســـلاميَّة المختلفة، في آســـيا وإفريقيا، حتَّى إنَّهـــم عملوا لتنصير إندونيسيا ـ أكبر بلد إسلامي ـ في مدة خمسين سنة، ووضعوا لذلك خططهم، وكثَّفوا نشاطهم.

QaradawiBooks.com

ولا زالوا إلى اليـــوم يعملون وينفقون ويحاولون، وقـــد تابعنا مؤتمر المبشرين الأمريكان الَّذي عُقد في ولاية «كولورادو» بأمريكا سنة ١٩٧٨، تحت عنوان «تنصير المســـلمين في العالم» وقدَّم أربعين دراسة في ذلك، وأنشأ معهدًا لذلك سمَّوْه «معهد زويمر» ورصدوا لذلك ألف مليون دولار.

ونحن لا نلومهم لاعتبارنا كفَّارًا ضالِّيـــن؛ لأن هذه طبيعة كل دين، كما قلنا: يعتقد المؤمن به أنَّه وحده على الهُدى، وأنَّ غيره على الضلال، إلَّا إذا نافق أو جامل.

وهنا يتبادر سؤال مهمٌّ يحتاج إلى جواب.

وهو: كيف حلَّ الإسلام هذه العقدة؟ أعني كيف يتسامح المسلم مع من يعتقد أنَّه كافر في دينه؟

هنا تتجلَّى حكمة الإســـلام وعظمته في معاملة غير المســـلم برغم اعتقاد المسلم بكفره. وهذا ما بيَّنْتُه من قديمٍ في كتابي «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، تحت عنوان «أساس التسامح الإسلامي».

ولُبُّ هذا التسامح أنَّ الإسلام زوَّد المسلم بفلسفة معيَّنة أو بمفاهيم فكرية، تزيح من صدره النفور والغضب والضيق بغير المسلمين، وتفتح له باب حسن العشـــرة معهم، والبر بهم، والإقساط إليهم، فإنَّ الله يحبُّ المقسطين.

أهم هذه المفاهيم هي:

١ ـ اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيًّا كان دينه أو جنسه أو لونه؛ قال تعالـــى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإســـراء: ٧٠]. وهـــذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

QaradawiBooks.com

ومن الأمثلة العمليَّة ما رواه البخاري: أنَّ جنازة مرت على النَّبيّ ﷺ، فقام لها واقفًا، فقيل له: يا رسولَ الله، إنَّها جنازة يهودي! فقال: «**أليست نفْسًا؟!**»[1]. بلى، ولكلِّ نفْس في الإسلام حُرمة ومكان. فما أروع الموقف، وما أروع التفسير والتعليل!

٢ ـ اعتقاد المسلم أنَّ اختلاف النَّاس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الَّذي منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. قال المفسرون: أي وللاختلاف خلقهم؛ لأنه منحهم العقل والإرادة، فاقتضت مشيئته أن يختلفوا.

والمسلم يوقن أنَّ مشيئة الله لا راد لها ولا معقب؛ كما أنه لا يشاء إلَّا ما فيه الخير والحكمة، علم النَّاس ذلك أو جهلوه. ولهذا لا يفكر المسلم يوما أن يُجبر النَّاس ليصيروا كلهم مسلمين، كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

٣ ـ ليس المسلم مكلفًا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنَّما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين. قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف.

QaradawiBooks.com

وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

وقد قال عيسى عليه السلام لربِّه يوم القيامة: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي أثر للصراع بين اعتقاده بكفر الكافر، وبين مطالبته ببره والإقساط إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.

٤ ـ إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحبُّ القسط، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، ولو كان الظلم من مسلم لكافر. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وقال ﷺ: «**دعوةُ المظلوم ـ وإن كان كافرًا ـ ليس دونَها حجابٌ**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

---

(١) رواه أحمد (١٢٥٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٣٥): رواه أحمد، وأبو عبد الله الأسدي لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن أنس.

QaradawiBooks.com

موقفنا من اليهود والنَّصارى

س: فضيلة الشيخ، يتهمك بعض الجامدين ومحدودي الأفق بأنك متساهل مع اليهود والنَّصارى الكافرين. بدليل أنك ترى موالاة المسالمين منهم، وتدعو إلى احترام أديانهم السماوية «المحرَّفة» وتقول عنهم: إنَّهم إخوان لنا، كما تقول: إنَّ حربنا مع اليهود ليست من أجل العقيدة، فبماذا ترد على هؤلاء؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ردِّي على هؤلاء واضح وضوح النهار، في الكتب الَّتي نقلوا عنها هذه الدعاوى، ولكنهم ـ وأأسفاه لمرض في قلوبهم ـ يتعامون عن أدلتي الَّتي أذكرها على كل ما أدعيه ويخفونها عن القارئ العادي، الَّذي لم يقرأ كتبي، تضليلًا له، وحجبًا له عن الحقيقة، أو حجبًا للحقيقة عنه، وهذا ليس من أمانة العلم، ولا أخلاق العلماء، وإن كان هؤلاء لا يعدون من العلماء في العير ولا في النفير. كل ما عندهم من العلم كلمات يحفظونها، وعبارات يرددونها ترديد الببغاء، مع طول في اللسان، وقصر في العقل.

QaradawiBooks.com

لقد تعودت ـ وهذا من فضل الله عليَّ ـ ألَّا أذكر قضية إلَّا بدليلها، ولو بالاختصار؛ لأني أعلم أنَّ العلم هـو معرفة الحق بدليله. ولكن آفة هؤلاء أنَّهم لا يـرون إلَّا الأدلَّة الَّتي توافـق هواهم، وتتواءم مع مزاجهم، وقد ضاق أفقهم، فلا يعرفون إلَّا وجهًا واحدًا للقضايا، ورأيًا واحدًا في الفقه، وغاب عنهم ما عرفه أهـل البصيرة من علماء هذه الأمَّة: إن الاختلاف في الفروع وما شـابهها رحمة وضرورة وسعة، كما بينا ذلك في كتابنا: «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم».

ولا غرو أن انتهى هـؤلاء بتفكيرهم المحدود هـذا إلى أن اعتبروا أنفسـهم ـ وهم يمثلون أقل من (١٪) واحد في المائـة من الأمَّة ـ أنَّهم وحدهم هم الفرقـة الناجية، وبقيَّـة الأمَّة هلكى في النَّـار، وأن رأيهم وحدهم هو الصـواب الَّذي لا يحتمل الخطـأ، ورأي غيرهم هو الخطأ الَّذي لا يحتمل الصواب، على عكس ما قاله الأئمَّة الأثبات.

بل هناك من أئمتنا الأعلام من يرى تصويـب آراء كل المجتهدين، وإن كان يخالف بعضهـا بعضًا؛ لأنَّه يـرى أن حكم الله في المسـألة: ما انتهـى إليه رأي المجتهـد، وهؤلاء يُسـمَّوْن في علم أصـول الفقه «المصوِّبة».

وسأتحامل على نفسـي كارهًا لأردَّ ـ بإجمال ـ على دعاوى هؤلاء المرجفيـن، فوالله ما عندي متسـع من الوقت ولا مـن الجهد، ولا من النفس، لأضيعه في الرد على مثل هذه الأقاويل. ولكن عسى الله ﷻ أن يجعل في ابتلائنا بهؤلاء المتنطعين مثوبة وأجرًا، وكفارة عن سـيئاتنا، وما أكثرها!

QaradawiBooks.com

موالاة اليهود والنَّصارى:

يزعم هؤلاء القوم أنِّي متساهل مع الكفَّار من اليهود والنَّصارى واستدلُّوا على ذلك بجملة أشياء، أولها: أنِّي أرى «موالاة المسالمين منهم».

ومفهوم كلام هؤلاء أنَّهم لا يفرقون بين المسالمين وغيرهم، فكل الكفَّار عندهم سواء. ولا أعرف مذهبًا ولا فقيهًا ولا متكلِّمًا، ولا مفسِّرًا أو مُحدِّثًا أو عالمًا من علماء الأمَّة، يُسوِّي بين الكافر المسالم والكافر المحارب.

وعلى كلِّ حالٍ لستُ أنا الَّذي فرَّق بين الصنفين، ولكن فرق بينهما ربنا عز شأنه، في كتابه العزيز في آيتين من كتاب الله تعالى تعتبران دستورًا في علاقة المسلم بغير المسلم، وذلك قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فحدَّدت الآية الثانية هنا صنف الكافرين الَّذين نهت عن موالاتهم: ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾، وهم الَّذين قاتلونا في الدين وأخرجونا من ديارنا، وظاهروا على إخراجنا.

كما حدَّدت الآية الأولى هنا الصنف الآخر، الَّذين لم ينهنا الله تعالى أن نبرهم ونقسط إليهم، وهم الَّذين لم يقاتلونا في الدين، ولم يخرجونا من ديارنا، أي المسالمون لنا. فشرع لنا أن نقسط إليهم، أي نعدل معهم ونبرهم. والقسط أن نعطيهم حقهم، والبر أن نزيدهم فوق حقهم. والقسط: أن نأخذ منهم ما لنا من حق، والبر: أن نتنازل عن بعض ما لنا من حق، وبعبارة أخرى: القسط هو العدل. والبر هو الإحسان.

QaradawiBooks.com

الله سبحانه هو الَّذي فرَّق بين المسالمين من غير المسلمين وغيرهم، سواء كانوا يهودًا أم نصارى أم مشركين، والآيتان في سورة الممتحنة نزلتا في شأن المشركين.

هؤلاء يحرِّمون مجرد المودة للكافر أي كافر، وأنا لا أحرمها إلَّا للكافر المعادي لله ولرسوله وللمسلمين، وهو الَّذي جاء في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أما غيره فمن حقك أن توده وتبش له وتحسن عشرته، ما دام حسن الخلق، حسن المعاملة؛ ومن هنا شرع الله تعالى نكاح الكتابية بقوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

ومن ثمرات هذا الزواج السَّكِينة والمودَّة والرحمة بين الزوجين. كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

أم يريد هؤلاء زواجًا لا مودَّة فيه، وأكثر من هذا: أنَّ مقتضى الزواج أن يثمر المصاهرة، وهي رابطة طبيعيَّة أخرى مع رابطة الدَّم والنَّسب، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

ومن مقتضى هذه المصاهرة: أن يكون أهل الزوجة أصهارًا للزوج، ويكون أبوها جَدًّا لأولاده، وأمُّها جَدَّة لهم، وإخوانها أخوالًا لهم، وأخواتها خالات لهم، وهذه كلُّها توجب لهم حقوقًا من صلة الرحم، وإيتاء ذي القربى.

QaradawiBooks.com

فهل يعارض هؤلاء ما شرعه الله ورسوله، وما استقرت عليه الأمَّة منذ خير قرونها إلى اليوم؟

وأمَّا «غير المسالمين» من اليهود والنَّصارى والمشركين، فلا يستطيع هؤلاء أن يزايدوا عليّ في ذلك. فخطبي ومحاضراتي وكتبي ورسائلي ومقالاتي كلها ألسنة من لهب، وشواظ من نار على أعداء الله وأعداء الأمَّة.

وكل النَّاس يعرفون مواقفي الواضحة من يهود فلسطين، وصرب البوسنة والهرسك وكوسوفو، وهندوس كشمير، والروس في الشيشان.

ولقد وقفتُ ـ ولا زلت ـ ضد مسيرة «الاستسلام» الَّذي يسمُّونه «السلام». و«التطويع» الَّذي يسمُّونه «التطبيع» ورفضتُ الصلح مع إسرائيل الَّذي معناه الاعتراف بها وبشرعية ما اغتصبت من أرض فلسطين.

هنا نحرِّم الموالاة والموادة والمقاربة والمسالمة لهؤلاء المعتدين، حتَّى يحكم الله بيننا وبينهم، إلَّا ما يكون من هدنة بين الطرفين، مدة تقصر أو تطول، إذا اقتضت ذلك مصلحة المسلمين.

احترام أديانهم السماوية:

وأما قولهم: إني أرى احترام أديانهم السماوية «المحرفة» ـ يعنون: اليهود والنَّصارى ـ فلست أنا الَّذي قرر ذلك، إنَّما قرر ذلك الإسلام وأحكامه، حين فرَّق بينهم وبين غيرهم من المشركين عباد الأوثان. وسمَّاهم «أهل الكتاب» وناداهم «يا أهل الكتاب» وجعل لهم من الأحكام ما يميزهم عن غيرهم؛ مثل أكل ذبائحهم، وتزوج نسائهم، كما

QaradawiBooks.com

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

وقد أشرنا إلى ما يقتضيه حل الزواج من نسائهم من روابط المصاهرة، وحقوق الأرحام وذوي القربى.

ومعنى هذا كله: أنَّهم أقرب إلينا من غيرهم من سائر الملل، ولهذا نهانا القرآن أن نجادلهم إلَّا بالتي هي أحسن، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فنحن مأمورون إذن أن نحاورهم بأحسن الطرق، وأرق الأساليب، إيناسًا لهم، وتقريبًا لهم إلى ديننا، إلَّا الَّذين ظلموا كاليهود اليوم، فلا حوار بيننا وبينهم، ولهذا أنكرتُ «لقاء شيخ الأزهر والحاخام اليهودي الإسرائيلي»، الَّذي أراد أن يخترق حصن الأمَّة الثقافي العتيد (الأزهر) بدعوى الحوار الديني، وهو من الَّذين ظلموا وتعدوا الحدود، ونقضوا العهود، وشاركوا في كل عدوان على الأرض والعِرض والمقدسات.

واحترامي لأهل ديانتهم السماوية لا يعني أن عقيدتهم صحيحة، وأن إيمانهم مقبول عندنا، بل هم في اعتقادنا «كفَّار»؛ لأنَّهم لم يؤمنوا برسالة محمَّد ﷺ، وكل من لم يؤمن به فهو كافر؛ إذ القسمة ثنائية، فإمَّا مسلم وإمَّا كافر، وقد كتبت في هذا فتوى مطولة نشرتها الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية، ونشرت في رسالة مستقلَّة: «موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنَّصارى» بيَّنت فيها بما لا يدع مجالًا للشكِّ:

QaradawiBooks.com

أنَّ اليهود والنَّصارى كفار برسالة محمَّد ﷺ، ورددت على الشبهات الَّتي أثارها بعض النَّاس حول هذه القضية.

ولا يعني حكمنا عليهم بالكفر أنَّهم ملاحدة، فهم لا شكّ يؤمنون ـ في الجملة ـ بالله واليوم الآخر، والوحي؛ ولكنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض؛ ولهذا نحن نعتبرهم كفَّارًا بديننا، وهم يعتبروننا كفَّارًا بدينهم. وهذا صحيح، فنحن ـ وإن كنَّا نؤمن بالمسيحية الأصلية ـ نكفر بالمسيحيَّة الحاليَّة بما فيها من تثليث وتحريف.

هل المسيحيون إخوان لنا؟

وأما دعواهم أنِّي أقول: المسيحيون إخوان لنا، فذلك قلته في مقامٍ معيَّن عن المسيحيِّين المصريِّين (الأقباط) فقد قلت: إنَّهم إخوان لنا في الوطن.

وهذا تعبير صحيح ولا غُبار عليه، فالأخوّة أنواع ومستويات، أعلاها بلا ريب: «الأخوة الدينية» الَّتي تقوم على العقيدة الواحدة، وهي الَّتي جاء فيها قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وهي الَّتي امتنَّ الله بها على عباده فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمه**»[(١)].

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ولكن هناك أنواع أخرى غير هذه الأخوة ودون هذه الأخوة، ولكنها موجودة في الحياة، ولها حقوقها وآثارها.

من هذه «الأخـوَّة القوميَّة» الَّتي تقوم على رابطـة العِرق الواحد أو الجنس الواحد، مثل رابطة «العروبة» بين العرب على اختلاف أديانهم.

وهناك «الرابطـة الوطنية» الَّتي تقـوم على أسـاس الوطن الواحد والإقليم الواحد، مثل رابطة المصريين في مصر، والسوريين في سوريا، والعراقيين في العراق، وهكذا.

وهناك «الأخوَّة الإنسـانيَّة» العامَّة، الَّتي تربط البشر بعضهم ببعض؛ باعتبار الآدمية المشتركة.

وأنا حين قلت عن المسـيحيِّين العرب الَّذين يشاركوننا في الانتماء إلى العروبة، أو المصريِّين الَّذين يعايشـوننا في وطـن واحد هو وطننا ووطنهم: إنَّهم إخوان لنا، لم أقصد أنَّهم إخوان في الدين، فديننا ـ قطعًا ـ مختلف. ولكن قصـدت أنَّهم إخوة لنا في الانتمـاء القومي أو الانتماء الوطني، وإطلاق الأخوة بهذا المعنى جائز ومشروع.

وهذا الإطلاق له أصل من القرآن الكريم، هو الَّذي دعاني أن أقول ذلك، منذ سنين، وقد كنت قبل ذلك أتردد في إطلاقه.

هذا الأصل هو أنَّ كتاب الله تعالى وصف أنبياء الله المرسـلين إلى أقوامهم بأنَّهم «إخوانٌ لهم» مع أنَّهم كفـروا بهم، وكذبوهم وعصوهم. نقرأ في هذا قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦].

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشـعراء: ١٢٣، ١٢٤]، ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشـعراء: ١٤١، ١٤٢]،

QaradawiBooks.com

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١]، ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧].

فنجد في هذه الآيات كلها يذكر القرآن تكذيب القوم لرسولهم؛ الَّذي عبر عنه القرآن بتكذيب المرسلين؛ لأن من كذَّب رسولًا واحدًا، فقد كذب المرسلين جميعًا؛ إذ لا فرق بين رسول ورسول، ثمَّ بعد ذلك يقول: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ كيف يكون أخاهم وهم مكذبون برسالته كافرون؟ إنَّها أخوة قومية، أي أن هؤلاء القوم هم قومه، وهو واحد منهم، ولهذا يخاطبهم عادة بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

والملاحظ هنا أنَّ رسولًا واحدًا من هؤلاء الَّذين ذكرتهم سورة الشعراء؛ وهو شعيب، حينما ذكر قصَّته مع «أصحاب الأيكة» خالف في التعبير عن علاقته بهم فلم يقل: «إذ قال لهم أخوهم شعيب» كسائر الرسل المذكورين، بل قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾. وسِرُّ ذلك: أن شعيبًا لم يكن من «أصحاب الأيكة» وإنَّما كان من «مَدْين»، ولهذا حين ذكر قصته في سورة الأعراف، وفي سورة هود، قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥ ـ هود: ٨٤].

فدل هذا بوضوح على أنّ «الأخوَّة» الَّتي وصف الله بها علاقة هؤلاء الرسل بأقوامهم الكافرين بهم، المكذبين لهم، إنَّما هي الأخوة القومية، وهي الَّتي تجعل الرسول يعتمد عليها في تليين موقف قومه وتقربهم منه، حين يخاطبهم بقوله: يا قوم اعبدوا الله، يا قوم لا أسألكم عليه مالًا، إلخ.

هل نحارب اليهود من أجل العقيدة؟

وأما إنكارهم على قولي: إنَّنا لا نحارب اليهود من أجل العقيدة، فهذه حقيقة يصدقها الواقع.

QaradawiBooks.com

فقد عاش اليهود بين ظهراني المسلمين قرونًا طويلة، لهم ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة جماعة المسلمين، محميين في دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، متمتعين بالثروة والجاه والمنزلة عند أهل الحكم من المسلمين. ولم يفكر أحد من المسلمين في حربهم، ولا كان اليهود قادرين على ذلك، أو راغبين فيه في العهود الماضية.

بل رأيناهم حينما طُردوا من إسبانيا وغيرها من أوربا، وسعتهم دار الإسلام وأوطان المسلمين، ووجدوا فيها كهف الأمن، ودار الإسلام.

حتى كان بعض العلماء قديمًا يتحير في معنى الحديث الصحيح المتَّفق عليه: «**لا تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا اليهود...**» الحديث[1] ويقول: كيف نقاتل اليهود وهم في ذمَّتِنا؟!

فمتى بدأت الحرب إذن بيننا وبين اليهود؟

إنها بدأت في القرن العشرين، بعد أن ظهر المشروع الصهيوني إلى حيز الوجود، وأنشأ اليهود لهم عصابات إرهابية معروفة تستخدم القوة والعنف في فرض إرادتها وسيطرتها في فلسطين، وبدأت الهجرات الجماعية المنظمة إلى فلسطين، وبدأ التآمر المبيت لتهويد فلسطين، بمساعدة دولة الانتداب «البريطاني»، الَّتي انتدبتها «عصبة الأمم» لحكم فلسطين، بعد انتصار الحلفاء على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، والاستيلاء على تركة الرجل المريض.

بدأت الحرب مع اليهود مناوشات وصدامات مسلحة مع أهل فلسطين، ثمَّ اتسعت بعد قيام دولة الكيان الصهيوني في سنة ١٩٤٨م؛

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فدخلت الجيوش العربية السبعة المعروفة، ولم تحقِّق للأسف ما كان مرجوًّا منها، وهزمت جيوشنا أمام العصابات الصهيونية. وقامت الدولة الجديدة على الأراضي الَّتي استولت عليها بالدم والرصاص والعنف، أو بالغدر والحيلة، من أرض فلسطين.

ولم تكتفِ بذلك، بل في كل حرب تكسب أرضًا، وتضم أملاكًا، وتقيم مستوطنات، والمعركة مستمرَّة بيننا وبينهم.

ترى لماذا كانت الحرب بيننا وبين اليهود إذن؟ هل حاربناهم لأنَّهم كفروا بالله ورسوله؟ أو لأنَّهم قالوا: العزير ابن الله، أو لأنَّهم حرَّفوا التوراة، أو لأنَّهم قتلوا الأنبياء بغير حق؟ بالقطع ليست الحرب لذلك، إنَّما حاربناهم، ولا زلنا نحاربهم، وسنظل نحاربهم؛ لأنَّهم اغتصبوا أرضنا، وشردوا أهلنا. اغتصبوا أرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث المساجد المعظمة في الإسلام.

ولا يعني هذا أنّ حربنا مع اليهود بعيدة عن الدين. كلَّا، فإنَّ الدفاع عن الأرض الإسلاميَّة فريضة دينية، والقتال لتحريرها من أعظم الجهاد في سبيل الله.

ويفترض الإسلام على أهل كل بلد غزاه الكفَّار ـ فريضة عينية ـ أن يدافعوا عنه: رجالهم ونساؤهم، في نفير عام، لا يتخلف عنه أحد، حتَّى إن المرأة تخرج بغير إذن زوجها، والولد بغير إذن أبيه. وإذا لم يقدر أهل البلد وحدهم على رد العدو المغير عليهم؛ فعلى من حولهم من المسلمين أن ينضم إليهم، الأقرب فالأقرب، حتَّى يشمل المسلمين كافة.

هذا في أي أرض إسلاميَّة، فكيف إذا كانت هذه الأرض أرض النبوات والمقدسات، الأرض الَّتي بارك الله فيها للعالمين؟!

QaradawiBooks.com

إنَّ المعركة ليســت من أجل العقيدة، ولكنها معركــة دينية من غير شك؛ لأنَّها دفاع عن دار الإســلام، بل دفاع عن المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله.

ولا سيما أنَّ أعداءنا اليهود يحاربوننا بدوافع دينية، وأحلام توراتية، وتعاليم تلمودية، وهذا يحتم علينا أن نجعل الدين هو سلاحنا الأول في معركتنا معهم، ولا يفل الحديد إلَّا الحديد.

وقد قلت في أكثر من كتاب لي: إن حديدنا أقوى من حديدهم، فإذا حاربونا بالتــوراة حاربناهــم بالقــرآن، وإذا حاربونا باســم اليهوديَّة حاربناهم باســم الإســلام، وإذا قالوا الســبت قلنا: الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل، قلنا: الأقصى، وإذا ذكروا موســى، ذكرنا نحن موسى وعيسى ومحمدًا، ورسل الله جميعًا، فنحن أولى بموسى منهم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تعقيب على محاورة الأخ الدكتور محمَّد عبد الله الشباني حول العلاقة مع أهل الكتاب

أطلعني بعض الإخــوة الأفاضل على عدد من مجلــة «البيان» الَّتي تصدر في لندن العدد (١١٢) أبريل ـ مايو ١٩٩٧م، وفيها حوار أو مناقشــة لبعض ما لخصه أحد الإخوة بمجلة «المجتمع» الكويتية من تعقيب لي، على محاضرة الأســتاذ الدكتور رجاء جارودي، حينما دُعي إلى جامعة قطر بالدوحة. وكان كاتب المقال هو الدكتور محمَّد عبد الله الشــباني، تحت عنوان: وقفات متأنية مع آراء فضيلة د. القرضاوي، في العلاقة مع أهل الكتاب.

وأنا أشكر للأخ د. الشباني حسن أدبه في تناول الموضوع، وأقدر له غيرته واجتهاده، وإن كنت أخالفه فيما انتهى إليه من آراء تخص موقفي.

التوحيد والأخلاق:

أولًا: أخذ عليَّ الأخ الشباني قولي: إنَّ رسالة الإسلام رسالة أخلاقية في الدرجة الأولى، وكأنه فهم من هذه الجملة أنِّي أعتبر «التوحيد» في الدرجة الثانية أو الثالثة، وطفق يذكر الأدلَّــة على أهمية التوحيد، كأني أنكر ذلك أو أجهله.

والحق أنِّي أعتبر «التوحيد» ـ كما يعتبره كل مسلم ـ أساس الدين، بل أساس الديانات الســماوية كلها، ولكنِّي أيضًا أعتبره من جملة الأخلاق؛

QaradawiBooks.com

لأنَّه من «العدل» الَّذي يعطي كل ذي حق حقه، ولا حق لأحد أن يُعبد غير الله تعالى الرب الخالق المعلم للإنسان. ولا غرو أن اعتبر القرآن الشرك من «الظلم» بل هو ظلم عظيم، كما جاء في القرآن على لسان لقمان؛ إذ قال لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

وقد صحح الرسول الكريم ﷺ للصحابة فهمهم للآية الكريمة من سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] حين قالوا: وأيُّنا لم يظلم نفسه يا رسولَ الله؟ قال: «**ليس كما فهمتم، إنَّه الشرك، ألم تقرؤوا قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾** [لقمان: ١٣]؟»[(١)].

ونجد القرآن الكريم يعتبر الإيمان والشعائر العبادية وعمل الصالحات، وفعل الخيرات والجهاد في سبيل الله ونحوها: من جملة الأخلاق المحمودة، ويصف أهلها من المؤمنين والأبرار والمتقين بصفات أخلاقية مثل «الصدق» وهو فضيلة أخلاقيَّة بلا ريب.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال ﷻ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ومن هنا أثنى الله علـــى أولي العزم من الرســـل، فوصفهم بصفات أخلاقية،

كما قال عن نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

وقال عن إبراهيم الخليل: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

وخاطب خاتم رسله محمدًا بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

ولا غرو أن قال ﷺ: «**إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارم الأخلاق**»(١).

ولقد ذكر الإمـــام ابن القيِّم في «مدارج الســـالكين» ما نقله الكتَّاني عمَّن قبله أنَّهم قالوا: التصوُّف هو الخُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق، فقد زاد عليك في التصوُّف.

وعلَّق على ذلك ابن القيِّم بقولـــه: «الدِّين كلُّه خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق، زاد عليك في الدِّين»(٢).

وقد عرَّف بعضهم التصوُّف فقالوا: هو الصدق مع الحقِّ، والخُلُقُ مع الخَلْق(٣).

ولا يخفى أنَّ الصدق خُلُقٌ أيضًا، فقد أصبح التصوُّف كلُّه خلقًا، بل هذا الدِّين كلُّه: أن تكون مع الله بالصِّدْق، ومع النَّاس بحُسْن الخلق.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٥٠.

(٢) مدارج الســـالكين لابن القيم (٢٩٤/٢)، تحقيق محمد المعتصم البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٣) من كلمات الإمام علي بن عبد الكافي السُّبكي، انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢٩٥/١٠)، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، نشر هجر للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

أو تكون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية مع الله بالتقوى، ومع النَّاس بالإحسان، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وفي ضوء هذه المفاهيم الإسلاميَّة الصحيحة يجب أن يُفهم معنى قولي: إنَّ الإسلام رسالة أخلاقية في الدرجة الأولى. فأنا أدخل في هذا المفهوم: العقائد والعبادات، وعمل الصالحات، والدعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله. وقديما قال علماؤنا: لا مشاحّة في الاصطلاح.

معركتنا مع اليهود:

ثانيًا: علق الأخ الشباني على قولي: إنَّ معركتنا مع اليهود ليست من أجل العقيدة، بل من أجل الأرض الَّتي اغتصبوها، والحرمات الَّتي انتهكوها، والدماء الَّتي سفكوها. وقال: إنَّها تحتمل معنى صحيحًا لا غبار عليه، وهو أنَّ صراعنا مع اليهود في هذه المرحلة من أجل أرض فلسطين. وإذا كان هذا المعنى الصحيح محتملًا، فلماذا نفترض المعنى الآخر؟

والذي جعلني أقول هذا القول أنَّ اليهود يشيعون في أنحاء العالم أنَّهم جنس مضطهد مجني عليه، مظلوم من النَّاس كافة، وأنَّ اضطهاده إنَّما هو من أجل عقيدته وعنصره، أي لأنَّهم يهود، ولأنهم ساميون. ولذا نراهم يتاجرون بمعاداة السامية.

ونحن نريد أن نقول لهم: إنَّنا لن نحاربكم من أجل عقيدتكم اليهوديَّة، ولا عنصريَّتكم السامية، فنحن المسلمين نعتبركم أهل كتاب، حتَّى إنَّ القرآن أباح مؤاكلتكم ومصاهرتكم، ونحن العرب ساميُّون مثلكم، فأنتم أبناء عمومتنا. وبذلك نبطل الدعوى الَّتي يتشدَّقون، ويستدرُّون بها عطف الأمم كافَّة عليهم.

QaradawiBooks.com

على أنِّي إذا قلت: إنَّ المعركة من أجل الأرض الَّتي بارك الله فيها للعالَمين، فهذا لا ينفي الطابع الدِّيني عن المعركة؛ لأنَّها معركة «في سبيل الله» يقينًا، معركة دفاع عن الحقِّ، والأرض والعرض، والشَّرف والدِّين، وكل المقدَّسات. وكل معركة يخوضها المسلم دفاعًا عن أرضه وحرماته هي معركة دينية؛ لأنَّها في سبيل الله لا في سبيل الطاغوت، وقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

فكيف إذا كانت الأرض الَّتي يدافع عنها المسلم تتميَّز بأنَّها أولى القبلتين، وبها ثالث المسجدَيْن المعظَّمين، وهي أرض الإسراء والمعرج، وأرض النبوَّات والبركات، وأرض الرباط والجهاد؟ أجل، إنَّها معركة تحرير القدس وإنقاذ الأقصى!

ولا يتصوَّر من مثلي أن ينفي الطابع الدِّيني عن المعركة بيننا وبين اليهود، وأنا أنادي في كتبي وفي محاضراتي، وفي فتاواي وخطبي؛ منذ سنين طويلة بفرضيَّة الجهاد من أجل فلسطين، وضرورة «إسلاميَّة» المعركة، وأنَّنا لم نهزم إلَّا أنَّنا دخلناها عربًا ولم ندخلها مسلمين.

ويمكن أن يراجع من يشاء كتبي: «درس النكبة الثانية»، و«الحلول المستوردة»، و«أولويات الحركة الإسلاميَّة» وغيرها، وكذلك فتاواي حول الصلح مع إسرائيل، وعن زيارة القدس والصَّلاة في الأقصى في ظل الاحتلال، والمشاركة في انتخابات الكنيست، وردودي على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وغيره، ليعرف منها حقيقة موقفي من إسلاميَّة المعركة مع الصهيونية الباغية المغتصبة.

QaradawiBooks.com

هل هناك أصول مشتركة بيننا وبين أهل الكتاب؟

ثالثًا: أثار الأخ الشباني زوبعة حول ما نُقل عنِّي أنِّي قلت معقِّبًا على موقف جارودي ما معناه: لا مانع من وقوف أتباع الديانات السماوية في خندق واحد. أي في مواجهة الإلحاد والإباحية، وقد يختلفون في بعض الأمور، ولكن بينهم من الأصول المشتركة ما يجمعهم ضد الَّذين ينادون بوحدانيَّة الدولار، ووحدانيَّة السوق، ويعتبرون أنَّه «لا إله إلَّا المادَّة».

أنكر الأخ الكاتب هـذا القول، وزعم أنه يناقض أصول الإسـلام، وحقائق التوحيد. وقـال: ليس بيننا وبين اليهـود والنَّصارى أي أصول مشتركة، فهم مشركون كفرة، وقد حكم الله عليهم بالكفر، إلخ.

ولو كان ما قاله الكاتـب صحيحًا، لم يكن هناك معنى ولا مبرر لأن يميزهم الإسلام عن غيرهم من سائر الكفار، ويعتبرهم «أهل كتاب» وأهل دين سـماويٍّ ويناديهم: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾. وأن يقـول القرآن فيهم: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَـٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَـٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ ﴾ [المائدة: ٥].

فأباح مؤاكلتهم ومصاهرتهم، والمصاهرة أحد الرابطين الأساسـيين الطبيعيين بين البشر: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٤].

فكيف أجاز للمسلم أن تكون شـريكة حياته، وربة بيته، وأم أولاده من أهل الكتاب؟ ومن لوازم ذلك: أن يكـون أبو زوجته الكتابية وأمها جدين لأولاده، وإخوانها أخوالهـم، وأخواتها خالاتهم، ولهؤلاء جميعًا وأولادهم حقوق الأرحام وذوي القربى؟

QaradawiBooks.com

ولا ريب أنَّهم كفار؛ لأنَّهم لم يؤمنوا برسالة محمَّد ﷺ، ولكنهم غير «المشركين» أو «الذين أشركوا» فهم صنف آخر، يُذكر معطوفًا عليهم في القرآن، والعطف يقتضي المغايـرة، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقوله: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

فدلَّت هذه الآيات الكريمة على أنَّ أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى غير المشركين، الَّذين ذكرهم القرآن، ويقصد بهم عُبَّاد الأوثان، كما كان عليه مشركو العرب.

ولو لم تكن هنـاك أصول مشـتركة بين المسـلمين وأهل الكتاب ما أجاز للمسلمين أن يصاهروهم، ولحرم ذلك عليهم كما حرم مصاهرة المشـركين، حيث قال: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢١].

والواقع أنه توجد أصول مشتركة بين المسـلمين وأهل الكتاب في الجملة، منها: الإيمان بالله، والإيمان بوجوب التعبد له، والإيمان بالنبوَّة والوحي، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالقيم الأخلاقية.

ومن ثَمّ يمكـن أن يقف هؤلاء مع المسـلمين في خنـدق واحد،

QaradawiBooks.com

لمقاومة النّـزعات الإلحادية، ودعوات الانحلال والإباحية، والوقوف في وجه المظالم والاعتداءات البشرية.

وهذا ما جعل الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والفاتيكان، يقفون في صف واحد في مؤتمر السكان الَّذي انعقد بالقاهرة في صيف سنة ١٩٩٤م ضد دُعاة الإجهاض والإباحية الجنسية.

وهو ما جعـل الكثيرين مـن عقلاء المسـلمين يرحبـون بالحوار الإسلامي المسـيحي، كما فعل ذلك وفد رابطة العالم الإسلامي برئاسة أمينها العام الشـيخ محمَّد علي الحركان، وعدد من الأسـاتذة الكبار، حيث ذهبوا إلى الفاتيكان، وحاوروا كبار أسـاقفته، ووصلوا إلى نتائج مهمة سجلوها في كتاب نشرته الرابطة.

وكذلك قام حوار في ليبيا شـارك فيه عدد من الشـيوخ والمفكرين المسـلمين، وقُدِّمت فيه بحوث من كلا الطرفين فـي أربعة موضوعات محددة، وانتهوا إلى توصيات مشتركة، أعتقد أنَّها نافعة.

ولو كان أهل الكتاب كالمشركين الأقحاح سـواء بسواء، كما يقول الأخ المعقب، ما حزن المسـلمون من أصحاب رسـول الله ﷺ في مكة حين انتصر الفرس ـ وهم مجوس يعبدون النَّار ويقولون بإلهين اثنين ـ على الروم، وهم نصارى أهل كتاب، على عكس ما كان عليه المشركون من أهل مكة، الَّذين فرحوا بانتصار الفرس على الروم، معتبرين أن الروم أهل كتاب، فهم أقرب إلى المسلمين من المجوس.

وقد نزل في ذلك قرآن يُتلى يبشـر المسلمين بأن هذه الغلبة للفرس لن تدوم، وأن اتجاه الريح سـيتغير لصالح الروم في بضع سنين، وقال

QaradawiBooks.com

تعالى: ﴿الٓمٓ ۝غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ ـ ٥].

إنَّ القرآن الكريم أمرنا ألَّا نجادل أهل الكتاب إلَّا بالتي هي أحسن، وأن نركز على القواسم المشتركة بيننا وبينهم، لا على نقاط التمايز والاختلاف، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وما أحوج الدعاة اليوم إلى هذا الأدب القرآني في عصر تقارب فيه العالم حتَّى أصبح قرية كُبرى كما قال بعض الأدباء! وأنا أقول: إنه أصبح قرية صُغرى، نتيجة ثورة الاتصالات، ورسالة الدُّعاة اليوم يجب أن تركز على تبليغ دعوة الإسلام إلى العالم بلغاته المختلفة، عبر الإذاعات الموجهة، والأقمار الصناعية، وشبكة «الإنترنت»، والرسائل المكتوبة، وترجمة معاني القرآن إلى الألسنة المختلفة، وهذا هو الجهاد الأول اليوم، وهذا كله قد أخفق فيه المسلمون إخفاقًا بينا، ولكنهم نجحوا في استفزاز الآخرين، وإيغار صدورهم، وتخويفهم من ظهور الإسلام، الَّذي لن يعاملهم إلَّا بسل السيف على رقاب الجميع، وإعلان الحرب على البشرية كلها!

أسأل الله أن يرزقنا فقه الدعوة، وفقه الفتوى، حتَّى نفرق بين الثوابت والمتغيرات، فإنَّ الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، والعرف والحال وغيرها، فالدعوة وأساليبها أولى بالتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

علاقة المسلمين باليهود

س: ما حكم التعامل مع اليهود في العالم، الَّذين لا يدعمون إسرائيل، ويرونها كيانًا مغتصبًا؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لقد وضَّحتُ موقفي بكلِّ دقَّة وجلاء من اليهود في مواطن كثيرة، فاليهود من الناحية الدينيَّة: أهل كتاب، أجاز الإسلام لنا في حالات السلم أن نتزوَّج منهم، كما أباح لنا أن نأكل ذبائحهم، كما قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥].

ومنذ عهد الصحابة رضي الله عنهم، بدأ المسلمون يتزوَّجون من اليهوديَّات المحصنات. وأحبُّ أن أؤكِّد أن تهمة معاداة الساميَّة الَّتي يتَّهمُ بها الصهاينةُ من خالفهم، ويُشهرونها سيفًا مُسْلَطًا في وجه من وقف أمام أطماعهم: ليست واردة عندنا بحال؛ لأنَّنا نحن العربَ ساميُّون مع اليهود.

QaradawiBooks.com

نحن إنَّما نحارب ونعادي من يحمل الفكرة الصهيونيَّة الخبيثة، الَّتي تريد أن تطرد الفلسطينيِّين من ديارهم، وتُشَرِّدهم في الأرض، وتقيم دولة إسرائيل على أنقاضهم، وتعمل على هدم المسجد الأقصى.

فمن وقف ضدَّ ذلك من اليهود في أيِّ بلد، وفي أيِّ مكانٍ فنحن معه، ونعتبره واحدًا منَّا؛ لأنَّه يُؤيِّد الحقَّ والعدل، ولسنا ضدَّ كلِّ يهودي في العالم. وأنا شخصيًّا لي عدد من الأصدقاء اليهود الَّذين تجرَّدوا للقيام بالحقِّ، ونصرة العدل، والله يحبُّ المقسطين.

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة

غير مرخصة للطباعة

التقريب بين الأديان

س: ما مدى إمكانية التقريب بين الأديان ـ الإسلام والنصرانيَّة مثلًا ـ وهل الدعوة لمثل ذلك جائز؟ سمعنا أنَّ بعض شيوخ الأزهر ساهموا في ذلك.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

التقريب بين الأديان كلمة تطلق، ويراد بها أكثر من معنى أو مفهوم. بعضها مرفوض، أو يجب أن يُرفض، وبعضها مقبول، أو لا بأس أن يُقبل.

المفهوم المرفوض للتقريب:

فأما المعنى أو المفهوم المرفوض للتقريب بين الأديان، فهو الَّذي يُقصد به: إذابة الفوارق الجوهرية بين الأديان المختلفة بعضها وبعض، كما بيَّن «التوحيد» في الإسلام و«التثليث» في النصرانيَّة، وما بين «التنزيه» في العقيدة الإسلاميَّة و«التشبيه في العقيدة اليهوديَّة».

QaradawiBooks.com

ومن نتائج ذلك: اختلاف النظرة إلى المسيح عليه السلام بين المسلمين والنَّصارى، فالنَّصارى ـ على اختلاف فرقهم ومذاهبهم ـ يعتبرون المسيح إلهًا أو ابن إله، أو ثلث إله، أو عضوًا في شركة ثلاثيَّة من الآلهة: الأب، والابن، والرُّوح القدس.

والمسلمون ينظرون إلى المسيح بوصفه رسولًا، من أولي العزم من الرسل، أنزل الله عليه الإنجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتَّقين، وآتاه البينات، وأيده بروح القدس، وعلمه الكتاب والحكمة، ومنحه من الآيات الكونيَّة والمعجزات الحسيَّة ما لم يُؤتِ غيره من الرسل، وذكر القرآن هنا من الآيات ما لم يذكر في الإنجيل، مثل أن يخلق من الطِّين كهيئة الطير، فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، ومثل المائدة الَّتي أنزلت من السماء، وسمِّيت باسمها «سورة المائدة».

ولكنَّ المسيح ـ مع هذا ـ بشر رسول، وعبد رسول، دعا النَّاس إلى عبادة الله، لا إلى عبادة نفسه. كما قال الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقال سبحانه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]. ومن ضرورة أكل الطعام: الإفراز، فكيف يكون مثله إلها؟!

ومن هنا خاطب القرآن النَّصارى بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

QaradawiBooks.com

كما أنَّ من الفوارق الأساسية بين المسلمين وأهل الكتاب: أنَّ كتاب المسلمين «القرآن» محفوظ من كل تغيير وتبديل، بضمان الله تعالى ووعده الَّذي لا يخلف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ولا عجب أن يحفظه عشرات الألوف من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حتَّى إن الأعاجم ليحفظونه ما يخرمون منه حرفًا، وأكثرهم لا يعرفون معنى كلمة ممَّا يحفظونه.

بخلاف التوراة والإنجيل، اللذين قامت الأدلَّة على وقوع التحريف فيهما بالحذف والزيادة والتغيير، وهذا لم يقله علماء المسلمين وحدهم، بل قاله كثيرون في عصرنا الحديث من علماء الغرب أنفسهم، من يهود ونصارى على اختلاف نحلهم.

وهذا التحريف قد أدى إلى تغيير صفات الألوهيَّة في التوراة الَّتي يؤمن بها الفريقان: اليهود والنَّصارى جميعًا، حيث وصف الإله بما لا يليق بكماله: من الجهل والعجز والحسد والندم، كما يتجلى ذلك في «سفر التكوين» من أسفار التوراة الخمسة، وهذا فارق جوهري بيننا وبين القوم من يهود ومسيحيِّين: فنحن نصف الله تعالى بكل كمال، وننزهه عن كل نقص، وهم لا يبالون أن يصفوا الله بنقائص البشر.

وأدى هذا التحريف كذلك إلى تغيير سورة «النبوَّة الهادية»، فوصف الأنبياء الكرام، والرسل العظام بما لا يليق بكمالهم البشري، حيث هيأهم الله تعالى ليحملوا رسالته وهدايته إلى البشر: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ولهذا نؤمن نحن المسلمين بعقيدة «عصمة الأنبياء» من الخطايا والرذائل الَّتي تنافي تكليفهم هداية البشر، وتنفر النَّاس منهم، وتجعلهم

QaradawiBooks.com

عرضة للانتقـــاد: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

فلا يجوز التقريب بين الأديان بمحاولة مفتعلة وممجوجة، لتذويب الفوارق الجوهرية فيما بينها، فلا نحن نقبل هذا، ولا هم يقبلونه.

ولهذا نرى أنَّ كل دعوة تقوم على أساس التنازل عن أمر من الأمور الجوهرية في الدين، سواء كانت في العقائد أم في العبادات، أم في أمر الحلال والحرام ونحوه، من أمور التشريع الأساسية للفرد أو للأسرة أو للمجتمع، إنَّما هي دعوة مرفوضة شرعًا.

المفهوم المقبول للتقريب:

وأما المفهوم المقبـــول للتقريب بين الأديان؛ وخصوصًا الســـماوية منها، فيراد به التقريب بين أصحاب الأديان في ضوء الحقائق التالية:

الحوار بالتي هي أحسن:

١ ـ الحوار بالحســـنى، فنحن المسلمين مأمورون من ربنا وبنص قرآننا؛ بجدال المخالفين بالتي هي أحسن. وهذا الجدال أو الحوار بالتي هي أحسن هو إحدى وسائل الدعوة الَّتي أمر بها القرآن في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالموافقون لك في الدين تدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، أي بما يقنع العقول، وما يحرك القلـــوب والعواطف. والمخالفون يُجادلون بالتي هي أحســـن. بمعنى أنه لـــو كانت هناك طريقتـــان للحوار: طريقة حسنة، وطريقة أحســـن منها وأجود، فالمسلم مأمور أن يستخدم الطريقة الَّتي هي أحسن وأمثل.

QaradawiBooks.com

وقد اكتفى القرآن مع الموافقين بأن تكون الموعظة حسنة، ولم يرض مع المخالفين إلَّا أن يكون الجدال بالتي هي أحسن!

وقد نصَّ القرآن على ذلك في خصوص أهل الكتاب، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ومن أجل ذلك أفضل أن يكون عنوان الدعوة «الحوار بين الأديان» وليس «التقريب»؛ لأنَّها تفهم خطأ.

التركيز على القواسم المشتركة:

٢ ـ لنا خاصَّة أم ـ التركيز على القواسم المشتركة بيننا وبين أهل الكتاب، ولهذا جاء في تتمة الآية السابقة في مجادلة أهل الكتاب: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ففي مجال التقريب والحوار بالتي هي أحسن: ينبغي ذكر نقاط الاتفاق، لا نقاط التمايز والاختلاف.

وهناك من المسلمين المتشددين من يزعم أنه لا توجد بيننا وبين اليهود والنَّصارى أية جوامع مشتركة، ما دمنا نحكم عليهم بالكفر، وأنَّهم حرفوا وبدلوا كلام الله.

وهذا فهم خاطئ للموقف الإسلامي من القوم. فلماذا أباح الله تعالى مؤاكلتهم ومصاهرتهم؟ وكيف أجاز للمسلم أن تكون زوجته وربة بيته وأم أولاده كتابية؟ ومقتضى هذا: أن يكون أجداد أولاده وجداتهم، وأخوالهم وخالاتهم، وأولادهم من أهل الكتاب. وهؤلاء جميعًا لهم حقوق ذوي الرحم وأولي القربى.

ولماذا حزن المسلمون حين انتصر الفرس ـ وهم مجوس يعبدون

QaradawiBooks.com

النَّار ـ على الروم، وهم نصارى أهل الكتاب؟ حتَّى أنزل الله قرآنا يبشر المسلمين بأن الروم سينتصرون في المستقبل القريب: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [الروم: ٤، ٥].

وهذا يدلُّ على أن أهل الكتاب ـ وإن كفروا برسالة محمَّد ﷺ ـ أقرب إلى المسلمين من غيرهم من الجاحدين أو الوثنيين.

التعاون لمواجهة الإلحاد والإباحية:

٣ ـ الوقوف معًا لمواجهة أعداء الإيمان الديني، ودعاة الإلحاد في العقيدة، والإباحية في السلوك، من أنصار المادية، ودعاة العري، والتحلل الجنسي، والإجهاض، والشذوذ الجنسي، وزواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.

فلا مانع أن نقف مع أهل الكتاب في جبهة واحدة، ضد هؤلاء الَّذين يريدون دمار البشرية بدعاواهم المضللة، وسلوكياتهم الغاوية، وأن يهبطوا بها من أنق الإنسانية إلى درك الحيوانية: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

وقد رأينا الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والفاتيكان يقفون في «مؤتمر السكان» في القاهرة سنة ١٩٩٤م وفي مؤتمر المرأة في بكين سنة ١٩٩٥م في صف واحد، لمواجهة دعاة الإباحية.

مناصرة قضايا العدل والشعوب المستضعفة:

٤ ـ الوقوف معًا لنصرة قضايا العدل، وتأييد المستضعفين والمظلومين في العالم، مثل قضية فلسطين والبوسنة والهرسك،

QaradawiBooks.com

وكوسوفا، وكشمير، واضطهاد السود والملونين في أمريكا وفي غيرها، ومساندة الشعوب المقهورة ضد الظالمين والمستكبرين في الأرض بغير الحق، الَّذين يريدون أن يتَّخذوا عباد الله عبادًا لهم.

فالإسلام يقاوم الظلم، ويناصر المظلومين، من أي شعب، ومن أي جنس، ومن أي دين.

والرسول ﷺ ذكر حلف الفضول الَّذي شارك فيه في شبابه في الجاهليَّة، وكان حِلْفًا لنصرة المظلومين، والمطالبة بحقوقهم، ولو كانت عند أشراف القوم وسراتهم. وقال عليه الصَّلاة والسلام: «**لو دُعِيتُ إلى مثله في الإسلام لأجبتُ**»[1].

إشاعة رُوح التسامح لا التعصُّب:

٥ ـ وممَّا ينبغي أن تتضمنه هذه الدعوة: إشاعة رُوح السماحة والرحمة والرفق في التعامل بين أهل الأديان، لا روح التعصب والقسوة والعنف.

فقد خاطب الله تعالى رسوله محمدًا بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال عليه الصَّلاة والسلام عن نفسه: «**إنَّما أنا رحمةٌ مهداة**»[2].

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة، كما في سيرة ابن هشام (١٣٤/١) تحقيق السقا، والبيهقي في الفيء والغني (٣٦٧/٦)، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٩/٥): هذا مرسل، وقد وصله الواقدي من وجه آخر فقال: عن طلحة، عن عبد الرحمن بن أزهر، عن جبير بن مطعم. ووصله الزبير بن بكار من حديث عائشة.

(٢) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وذمَّ بنـــي إســـرائيل بقولـــه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

وقال لزوجه عائشـــة: «**إنَّ الله يحبُّ الرَّفق في الأمر كلِّه**»(١)، «**ما دخل الرفق في شـــيء إلَّا زانه، ولا نُزِعَ من شيء إلَّا شـــانه**»(٢)، «**إنَّ الله يحبُّ الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**»(٣).

ولا تتنافى روح التســـامح والرحمة والرفق في معاملة أهل الكتاب: ما يعتقده المسلم من كفرهم بدين الإســـلام، وأنَّهم على ضلال، فهناك عناصر أخرى تخفف من هذا الأمر في فكر المسلم وضميره، منها:

١ ـ أنَّه يعتقد أنَّ اختلاف البشـــر في أديانهم: واقع بمشيئة الله تعالى، المرتبطة بحكمته. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] أي خلقهم ليختلفوا؛ ما دام قد منحهم العقل وحرية الإرادة.

٢ ـ أنَّ الحســـاب على ضلال الضالين، وكفر الكافرين ليس في هذه الدنيا، ولكن في الآخرة، وليـــس موكولًا إلينا؛ ولكـــن إلى الله الحكم العدل، واللطيف الخبير؛ كما قال تعالى لرسوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في الآداب (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٣٠٧)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

٣ ـ اعتقاد المسلم بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان. وفي هذا روى البخاري: أنَّ النَّبيَّ ﷺ مروا عليه بجنازة، فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّها جنازة يهودي! فقال: «**أليست نفْسًا؟**»[1]. بلى فما أعظم الموقف! وما أروع التعليل!

٤ ـ إيمان المسلم بأنَّ عدل الله لجميع عباد الله، مسلمين وغير مسلمين، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٨]. وبهذا لا يتحيز المسلم الحق لمن يحب، ولا يحيف على من يكره، بل يؤدي الحق لأهله، مسلمًا أو غير مسلم، صديقًا أم عدوًّا.

(١) سبق تخريجه صـ ٣٠٠.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

خطر التبشير بالنصرانيَّة

س: أرفقتُ لفضيلتكم إحدى الرسائل البغيضة الَّتي يرسلها هؤلاء المشبوهون إلى الدول العربية والإسلاميَّة للأفراد والجماعات والشركات بقصد تنصيرهم وإخراجهم من دين التوحيد إلى دين التثليث، وأنا أعلم أنَّهم لو أرسلوا ملايين الرسائل لأفقرِ مسلم في الأرض ما تحول عن إسلامه، وذلك بسبب شيء بسيط لا يعرفه هؤلاء ولا يدركونه عند المسلم، وهو أن عقيدة التوحيد في وجدان كل مسلم، وأن كل خلية في تكوين المسلم تنطق بالإسلام.

أنا لا أخاف على الأمَّة الإسلاميَّة ولا على أبناء المسلمين، ولكن أريد ـ يا صاحب الفضيلة ـ أن ترد عليهم أنتَ، ليكفوا عن هذه الألاعيب المكشوفة، ويثوبوا إلى رشدهم، فكفاهم غيًّا وضلالًا، ونحن المسلمين نؤمن بديننا السمح وندعوهم للإسلام، الدين الخاتَم والخالد، ندعوهم إلى أن يفوزوا برضا الله تبارك وتعالى، بأن يصححوا ويكملوا دينهم بدين محمَّد ﷺ، نحن لا نريد من يدعونا إلى التصديق بنبي الله عيسى ﷺ؛ لأنَّنا مؤمنون به، وبكل النبيين والمرسلين، لا نفرق بين أحد من رسله، فإيماننا لا يكتمل إلَّا بالإيمان بأنبياء الله صلى الله وسلم عليهم أجمعين، وآخرهم سيدنا محمَّد ﷺ، وهذا جزء من عقيدتنا الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

وقد أرفق الأخ بعض النماذج لهذه الرسائل التبشيرية الَّتي يرسلونها للمسلمين.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أنا أعجب من هؤلاء الَّذين يريدون أن ينصروا المسلمين، وكان الأولى بهم أن يذهبوا إلى الملاحدة، وإلى الوثنيين في آسيا وإفريقيا، بدل أن يذهبوا إلى المسلمين لينصروهم، المسلمون أنعم الله عليهم بالدين الكامل التام، بعد أن حُرِّفت اليهوديَّة والنصرانيَّة، ودخلهما ما ينافي التوحيد الَّذي جاء به إبراهيم، وجاء به الأنبياء جميعًا. بل أولى بهم أن يذهبوا إلى النَّصارى أنفسهم، الَّذين يتخلون عن النصرانيَّة بالملايين، حتَّى أمست الأغلبية العظمى من النَّصارى لا دين لهم. هم مسجَّلون نصارى، ولكن في الواقع لا دين لهم، ولهذا بدؤوا يبيعون الكنائس، ويشتريها منهم المسلمون ويحولونها إلى مساجد أو مراكز إسلاميَّة.

تعالى الله عمَّا يقول اليهود والنَّصارى:

حُرِّفت اليهوديَّة، وحُرِّفت النصرانيَّة، ووجدنا الكتاب المقدس يصف الله بما يوصف به الإنسان، يصفه بالعجز، ويصفه بالجهل، ففي كتابهم المقدس أن آدم اختبأ من الله، وبحث الله عنه في الجنة، فلم يجده، ولم يعرف أين هو، فنادى: أين أنتَ يا آدم؟

وأنَّ الله ـ تعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا ـ بعدما خلق آدم، حسده

QaradawiBooks.com

وغار منه، وخاف أن يأكل من الشجرة؛ لأنَّه إذا أكل من الشجرة سيعرف الخير من الشر، ويكون مثل الآلهة.

وتقول التوراة: إنَّ الرب قابل إسرائيل، ولم يعرف إسرائيل أنه الرب، وتصارعا، فصرع إسرائيل الرب، وبعد أن صرعه عرف أنَّه الربُّ، فأحبَّ أن يستفيد من هذه الفرصة وهو الغالب، فقال له: لن أتركك حتَّى تبارك ذريتي. فقال له: باركت ذريتك.

أي إله هذا؟! فالألوهيَّة ذهب جلالها وكمالها وجمالها في التوراة.

وكذا النبوة، فقد وصفت التوراة الأنبياء بأسوأ ما وُصف به البشر، فالتوراة تتحدث أن منهم من زنى، ومن شرب الخمر، ومن اعتدى على حقوق الآخرين، فتقول ـ مثلًا ـ: إن داود بعث جاره إلى الحرب ليتخلص منه، وليتزوج امرأته من بعده. وحاشاه، فلا يفعل ذلك أسافل النَّاس، فكيف بأنبياء الله! داود موصوف في القرآن والسُّنَّة بصفات عظيمة في معرفة الله تعالى وعبادته وخشيته في عدَّة سور من القرآن، وفي عدَّة أحاديث عن الرسول الكريم.

هل هذا هو الكتاب الَّذي نجد فيه القوة الروحية والطمأنينة؟! عندنا كتاب الله الَّذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. هذا الكتاب العظيم الَّذي وصف الله بأوصاف الجلال والجمال والكمال، لا يمكن أن تجد في كتابهم المقدس من الثناء على الله مثل ما في القرآن الكريم، كمًّا ولا كيفًا.

تفتح المصحف فتجد في أوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٦]. أين هذا ممَّا نجده في الكتاب المقدس

QaradawiBooks.com

عندهم؟ أسفار التوراة كلها أحاديث عن بني إسرائيل، وأمجاد بني إسرائيل، وملك بني إسرائيل، وتاريخ بني إسرائيل، وأعداد بني إسرائيل، وهذا كتاب مقدس عند اليهود وعند النَّصارى، والنَّصارى زادوا على اليهود بأنَّهم ألَّهوا المسيح، منذ سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين ميلادية أصبحت العقيدة الرسمية للنصارى أن المسيح إله حق من إله حق، كانوا في أوَّل الأمر مختلفين، فجاء الملك قسطنطين وجمع القساوسة في مجمع نيقية، وطرد الموحِّدين، وأصبحت العقيدة أن المسيح إله حق، من إله حق.

ولذلك من الألفاظ المكررة والمعروفة عندهم: الإله الأب، والإله الابن، الإله الأب هو الخالق الأعلى، والإله الابن هو المسيح، فهناك إله أب، وإله ابن، وهناك روح القدس، فهي أقانيم ثلاثة، ولذلك القرآن يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢، ٧٣].

فاليهود شطُّوا وانحرفوا في عقيدة الألوهية، وفي عقيدة النبوة، وفي عقيدة الآخرة، والنَّصارى زادوا عليهم، وهم مؤمنون بكل ما يؤمن به اليهود في كتابهم المقدس؛ لأن اليهود عندهم كتاب مقدس، ويزيدون عليهم في الانحراف في الكلام عن ألوهيَّة عيسى وبنوته لله، أو أنه ثالث ثلاثة، وعقيدة الفداء، فهذه هي عقيدة هؤلاء القوم.

وإذا نظرنا في شرائع التوراة نجد شرائع غريبة جدًّا، ولا يتسع المجال لنتحدث عنها، فمثلًا: لو نطح ثور ثورًا، أو جدي نطح جديًا، أو

QaradawiBooks.com

تيس نطح تيسًا، نقتص من الناطح، كأنه مكلَّف، كأنه إنسان بالغ عاقل. وفي شـــرائعهم تفريق بين البشر، واســـتباحة لدماء الكنعانيين، واعتبار الإسرائيليين وحدهم شعب الله المختار!

الله تعالى يقـــول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]. والنبي ﷺ يقول: «**يا أيها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أســـود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتقوى**»[1]. يعني أن البشـــريَّة كلَّها تشترك في: العبوديَّة لله، والبنوَّة لآدم.

المسلمون ليسوا في حاجة إلى التنصير:

هؤلاء الَّذين يريدون أن ينصروا المســـلمين، نقول لهم: المســـلمون ليســـوا في حاجة إلى تنصير، عندهم الدين الخاتم، كان ينبغي لكم أنتم أن تدخلوا في دين الإسلام، الَّذي بشَّر به المسيح عليه السلام، ولا تزال البشائر في الإنجيل والتوراة إلى يومنا هذا، هناك بشـــائر موجودة، كما قال الله تعالى عن عيســـى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصـــف: ٦]. فالبشائر عندهم، والمسيح قال لهم: ســـيأتي من بعدي رجل، هو الَّذي يشهد لي بالحق كما شـــهدت له، وهو الَّذي يفسِّر لكم كل شيء، وهو الَّذي يُبْدي فضائح الأمم، وهو الَّذي يكسر عمود الكفر.

أوصاف لا تنطبق إلَّا على محمَّد ﷺ.

---

(١) رواه أحمـــد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح. وقال الهيثمي فـــي مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. عمَّن سمع خطبة النبي ﷺ.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وفي سنة ١٩٨٦م اجتمع اتحاد الكنائس العالمية في مدينة بازل في سويسرا، وقرروا تنصير العالم، وبعدها بسنة في سنة ١٩٨٧م اجتمعوا في كولورادو، وقرروا تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك مبلغ ألف مليون دولار، وجمعوا الألف مليون دولار في جلسة واحدة، هم يجمعون المليارات، أنا أعرف أنَّ الكنيسة الكاثوليكية ـ على ما أذكر ـ جمعت في سنة ١٩٩٦م ثلاثة وستين مليار دولار، وعندهم مئات الآلاف من المبشرين، قلتُ مرة: إنَّ هناك ربع مليون مبشر، فبعث إليَّ الأخ أبو بدر عبد الله المطوع رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت إحصائيات تقول: إنَّ المبشرين بلغوا أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف مبشر ومبشرة في العالم، أي هم بالملايين، وليسوا بمئات الآلاف، وتأتي لهم أموال، أنفقوا ثلاثة وستين مليار دولار، ما هذه الأموال الهائلة الَّتي تنفق على التبشير بالنصرانيَّة؟!

نحن حاولنا أن نقف أمام هذه الموجة الطاغية، وحينما اجتمع المبشِّرون الأمريكان في «كولورادو»، وقرَّروا تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا ألف مليون، دعونا نحن المسلمين وقلنا: هؤلاء رصدوا ألف مليون لتنصير المسلمين، فلنرصد نحن ألف مليون دولار لحماية المسلمين، لحماية الوجود الإسلامي؛ ودعونا لهيئة خيرية عالمية إسلاميَّة تتبنّى هذا الأمر، وتجمع المليار دولار من المسلمين، والمسلمون أكثر من مليار ونصف مسلم، فلو دفع كل مسلم دولارًا لتمَّ الأمر، وقامت الهيئة في الكويت، ولا زالت تعمل وتنادي.

وهؤلاء ماذا يفعلون؟ هم لا يقنعون مسلمًا بالعقيدة النصرانيَّة، إنَّما يذهبون إلى الفقراء في بعض البلاد، ممَّن لا يعرفون شيئًا عن الإسلام سوى أن أجدادهم مسلمون، ويعطونهم أموالًا وينصرونهم، أو يأخذون

QaradawiBooks.com

التلاميذ الصغار ويعلمونهم في مدارسهم، من أوَّل الأمر، وهم ليس عندهم حصانة، فينشؤون على النصرانيَّة.

ومع كل ما ينفقونه من الأموال، ومع هذا العدد الضخم من المبشرين، ومع هذه المؤسسات والكنائس الَّتي تخطط، فما زال الإسلام بخير، يتوسع وينتشر أكثر، وهم اعترفوا بذلك في صحفهم، قالوا: إن الإسلام أكثر الأديان انتشارًا. رغم ضعف المسلمين، ورغم قلة الدعاة؛ لا يوجد عندنا آلاف وليس ملايين الدعاة، الَّذين يعرفون لغات الآخرين، هم يُعلِّمون المبشِّر لغة القوم الَّذين سيذهب إليهم، إذا كان سيذهب إلى غرب إفريقيا يتعلم اللغة السائدة عندهم: لغات الهوسا والفولاني واللغات المحلية هناك. وإن كان سيذهب إلى شرق إفريقيا فيتعلم اللغة السواحلية، ويعرف المذهب السائد، مثلًا المذهب المالكي أو الشافعي، ويعرف الطريقة الصوفية المنتشرة هناك، إذا كانت الطريقة القادرية، أو التيجانية، أو غيرهما، يعرف كل شيء عن القوم، حتَّى ما هي القبائل المؤثرة، من شيوخ القبائل، ليس عندنا نحن هذه القدرة، ومع هذا الإسلام أكثر الأديان انتشارًا.

احذروا الغزو العقدي:

نحن المسلمين ينبغي أن نتنبَّه إلى هذا الغزو، فنحن كثيرًا ما نتحدث عن الغزو الفكري، ونغفل الغزو الديني، الغزو العقدي، الَّذي يريد أن يقتلع العقيدة الإسلاميَّة من جذورها، وأن يخرج المسلمين من إسلامهم ليدخلوا في النصرانيَّة، هم في منطقتنا العربية لا يطمعون أن يخرجوا مسلمًا من الإسلام ليدخل في النصرانيَّة؛ لأن هذا صعب جدًّا، هم يكتفون بأن يزعزعوا ثقة المسلم بالإسلام، أي يحاولون إخراجه من

QaradawiBooks.com

الإسلام، ولا يدخلوه في أي دين آخر، يبقى إنسانًا متشكِّكًا، وخصوصًا من يسمونهم بالنخبة، الَّذين تعلموا في المدارس الأجنبية، وفي المدارس التبشيرية، ولم يتحصنوا بالإسلام.

التنصير في البلاد غير العربية:

لكن في البلاد غير العربية ينصرون النَّاس، قد رأينا في نيجيريا بعض النَّاس من أسر إسلاميَّة، ومن قبائل إسلاميَّة، ولكنهم نصارى، يذهب الطفل إلى مدارس التبشير في صغره فينشأ نصرانيًّا، وحدث مثل هذا في إندونيسيا، عندما ذهبتُ أوَّل مرة إلى إندونيسيا، في صحبة الشيخ عبد الله الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، سألنا المضيِّفة في الطائرة الإندونيسية: هل أنتِ مسلمة؟ قالت: لا، أنا مسيحية، لكن عائلتي مسلمة. دليل على أنَّها ارتدت، تنصَّرت، والعياذ بالله.

فالتنصير موجود خارج البلاد العربية، وقد كانوا وضعوا خطة لتنصير إندونيسيا في خمسين سنة، وقام الإخوة في إندونيسيا، خصوصًا المجلس الأعلى للدعوة الإسلاميَّة برئاسة الدكتور محمَّد ناصر رَحِمَهُ اللَّهُ بجهد عظيم، على قدر طاقتهم؛ لأن المبشِّرين هناك يملكون مطارات، ويملكون طائرات، حوالي ستين مطارًا يملكها المبشِّرون المسيحيون، والمسلمون يتنقلون بالقوارب بين الجزر الإندونيسية، إندونيسيا بها آلاف الجزر، هم يتنقلون بالطائرات، ونحن المسلمين نتنقل بالقوارب، ورغم إمكانيات المسلمين الضعيفة، لم يستطع هؤلاء تنصير المسلمين، إلَّا قلة قليلة.

أكثر من عشرين سنة من الخمسين الَّتي عملوا فيها على تنصير إندونيسيا كان الأمر بالعكس، تقدمت ـ والحمد لله ـ إندونيسيا من

QaradawiBooks.com

الإسلام أكثر، وظهرت فيها صحوة إسلاميَّة قوية، فحولوا الحرب إلى حرب اقتصادية، كان أخونا: بحر الدين حبيبي، الرجل الثاني في إندونيسيا، وهو رجل تكنولوجيا وصناعة على المستوى العالمي، كان يعيش في ألمانيا، وجاء إلى بلده وبدأ يصنع طائرات، فغيّروا الأزمة الاقتصادية لدول جنوب شرق آسيا، واشترط الغرب والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي على سوهارتو حاكم إندونيسيا وقتها، أن يتخلص من بحر الدين حبيبي، وأن يوقف صناعة الطائرات.

فنحن في الحقيقة أمام حرب صليبية ماكرة فاجرة، يملك القوم فيها أسلحة شتَّى، ونحن لا نملك هذه الأسلحة، هم لا يريدون أن تقوى أي بلد إسلامي.

مبشرات بانتشار الإسلام وانتصاره:

ينبغي أن نكون حذرين للوقوف ضد هذه الحرب الشرسة، الَّتي تريد أن تهدمنا من الأساس، تريد أن تقتلعنا من الجذور، ونحن ـ إن شاء الله ـ لا يمكن أن نُقتلع من جذورنا؛ لأنَّنا نرتكن إلى الدين الحق، الله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. هم كمن يريد أن يطفئ الشمس بنفخة، هل هي شمعة حتَّى تطفئها بنفخة من فمك؟! إنه نور الله، والإسلام هو نور الله، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فنور الله لا بدَّ أن يتمَّ، ولو كره هؤلاء، سيتم نور الله في بلاد الإسلام، سيتم نور الله في السودان، سيتم نور الله في إيران، سيتم نور الله في باكستان، سيتم نور الله في الخليج، سيتم نور الله في مصر، سيتم نور الله في كل هذه البلاد، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾، هذا الإباء الإلهي هو الَّذي يطمئننا.

QaradawiBooks.com

هم يريدون شيئًا والله يريد شيئًا آخر، فهل سيفرضون على الله ما يريدون؟ لا يمكن، لن يستطيعوا هذا، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣]. وعندنا الحديث الَّذي رواه أحمد وغيره: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ليبلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر، إلَّا أدخله الله هذا الدين، بعِزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، عزًّا يُعِز الله به الإسلام، وذُلًّا يذل الله به الكفر**»[(١)].

«**ليبلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنَّهار**». سينتشر هذا الدِّين، سيدخل كل مكان يتعاقب عليه الليل والنهار، في الشرق وفي الغرب، وفي الشمال وفي الجنوب.

«**ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر، إلَّا أدخله الله هذا الدين**». المدر: هو الحجر الَّذي تُبنى به المدن، والوبر: شعر الجمال الَّذي يستعمله البدو. يعني: سينتشر الإسلام في الحواضر والبوادي، في المدن والقرى، في كل مكان سينتشر هذا الدين.

وكان تميم الداري (راوي الحديث، وكان نصرانيًّا) رضي الله عنه يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصغار والجزية.

وقد ورد في مسند الإمام أحمد أنَّ النَّبيَّ عليه الصَّلاة والسلام سئل:

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

أيُّ المدينتين تُفتَح أولًا: قسطنطينية أو روميَّة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**». يعني قسطنطينية[١].

ومدينة روميَّة هي روما عاصمة إيطاليا، عاصمة الدولة الرومانية الغربية. ومدينة القسطنطينيَّة هي الَّتي كانت عاصمة الدولة البيزنطية، مكانها الآن مدينة إستنبول، فالصحابة كأنَّهم قد سمعوا من النَّبيِّ ﷺ قبل ذلك أنَّ كلتا المدينتين ستُفتح، سيدخلها الإسلام وسيفتحها المسلمون، فلذا سألوا: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا؟

وقد فتحت هذه المدينة والحمد لله، فتحت في جمادى الأولى سنة ٨٥٩ هجرية، الموافق الثامن والعشرين من مايو سنة ١٤٥٣م، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح، محمَّد بن مراد، الشهير في التاريخ باسم: محمَّد الفاتح.

قرأ في الأحاديث: «**لتُفتحَنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**»[٢]. فمنذ أن كان عمره تسعة عشر عامًا وهو يدبِّر ويخطِّط لفتح تلك المدينة، ليحقِّق ما بشر به الحديث، حتَّى حقَّق الله له هذا الأمر، الَّذي حاوله الصحابة فلم يستطيعوه، وادَّخره الله لهذا الشاب، الَّذي فتح القسطنطينية وهو ابن ثلاثة وعشرين عامًا، ونشر فيها الإسلام، وأقام دولة الخلافة العثمانية، الَّتي انتشرت في الآفاق.

ومعنى أنَّ الإسلام فتح القسطنطينية، فقد بقي الشق الآخر من البُشرى الَّتي في الحديث، وهو أن تُفتح روما، ومعنى هذا أن الإسلام

(١) سبق تخريجه صـ ٧٢.

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

QaradawiBooks.com

سيدخل أوربا مرة أخرى، سيفتح أوربا، وفي ظني أن هذا الفتح سيكون فتحًا بالدعوة والفكر، فتحًا بالبيان واللسان، سينتشر الإسلام عن طريق الكتاب والرسائل، والتليفزيونات والإنترنت، الآن هذه هي الوسيلة الَّتي تنتشر في أنحاء العالم، وتدخل كل دولة، ولا يستطيع أحد أن يمنعها.

نستطيع نحن المسلمين أن ننشر ديننا بدون جيوش، هل يمنعك أحد أن توجه إذاعة أو تلفزة إلى أوربا أو أمريكا أو آسيا أو إفريقيا؟ الإذاعات والتلفازات والقنوات الفضائية تستطيع أن تغزو العالم، بالإنترنت تستطيع أن تنشر الرسائل بلغات العالم المختلفة، أمامنا الفرصة لنشر الإسلام.

نحن عندنا البشرى بأنَّ الإسلام سيفتح رومية، وعسى الله أن يقر أعيننا، أو أعين الأجيال القادمة بهذا الأمر، ونسأل الله تعالى أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وأن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

الفرق الإسلاميَّة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تكفير أتباع المذاهب والفرق الإسلاميَّة

س: فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد:

وفقًا للمهاتفة الَّتي تمت مع فضيلتكم صباح هذا اليوم (٢٠٠٥/٦/٩م)، أرجو التفضُّل بالإجابة على الأسئلة التالية:

الأول: هل يجوز أن تعتبر المذاهب الَّتي ليست من الإسلام السني جزءًا من الإسلام الحقيقي، أو بمعنى آخر: هل كل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الإسلاميَّة؛ يعني المذاهب السنية الأربعة، والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، والمذهب الظاهري، يجوز أن يعد مسلمًا؟

الثاني: هل يجوز لمسلم أن يُكَفِّر الَّذين يمارسون أي واحد من المذاهب الإسلاميَّة الثمانية، أو من يتبع العقيدة الأشعرية؟ وفضلًا عن ذلك هل يجوز أن يُكفِّر الَّذين يسلكون الطريقة الصوفية الحقيقية والسلفية المعتدلة؟

مع الشكر وجزيل الاحترام لفضيلتكم.

فاروق جرار

الأمين العام المساعد لمؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإجابةً على السؤالين: الأول والثاني، نقول وبالله التوفيق:

من شهد أنْ «لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله» خالصًا من قلبه، فقد أصبح مسلمًا، له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، ونجا بذلك من الخلود في النَّار، وإن قالها بمجرد لسانه، ولم يؤمن بها قلبه، فذلك هو المنافق، الَّذي تجري عليه أحكام المسلمين في الظاهر، وإن كان في الدرك الأسفل من النَّار.

ولهذا جاء في الحديث المتفق عليه: «**أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاس، حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فإذا قالوها فقد عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلَّا بحقِّها، وحسابهم على الله**»(١).

ولهذا قال مَن قال من العلماء: الإسلام الكلمة! أي كلمة الشهادة، فبها يدخل الإنسان الإسلام، ويحكم له بالإسلام.

وعلى هذا تدلُّ أحاديث صحاح كثيرة منها:

١ ـ «**من شهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله: حرَّم الله عليه النَّار**»(٢).

٢ ـ «**من شهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبده ورسوله، وابن أَمَتِه، وكلمته الَّتي ألقاها إلى**

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٢٩)، وأحمد (٢٢٧١١)، عن عبادة بن الصامت.

QaradawiBooks.com

مريمَ ورُوح منه، وأنَّ الجنَّة حــقٌّ، وأنَّ النَّار حقٌّ، وأنَّ البعث حقٌّ؛ أدخله الله الجنَّة ـ على ما كان من عمله ـ من أي أبواب الجنَّة الثمانية شاء»[١].

٣ ـ «من مات وهو يعلم أن لا إله إلَّا الله دخل الجنة»[٢].

٤ ـ «من قال: لا إله إلَّا الله: مخلصًا دخل الجنة»[٣].

٥ ـ «من قــال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يُعبد مــن دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»[٤].

٦ ـ «من مات لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة»[٥].

٧ ـ «من مات لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا، دخل النار»[٦].

كل هذه الأحاديث ـ وجميعها صحاح ـ تدلُّ بوضوحٍ على أنَّ مدخل الإسلام هو الكلمة أو الشهادة، وأن المرء إذا مات عليها صادقًا مخلصًا ـ ولم يقُلْهــا نفاقًا ـ كانت ســبب نجاته من النَّار ودخولــه الجنة، على ما كان من عمل، أي إذا صحت عقيدته أنجته من الخلود في النَّار، وإن كان له من السيئات ما له.

ولا عبرة بالتسميات الَّتي يتســمَّى بها النَّاس، أو يسمي بها بعضهم بعضًا، كقولهم: هذا سلفي، وهذا صوفي، وهذا سني، وهذا شيعي، وهذا

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٥٩.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٢٦)، وأحمد (٤٦٤)، عن عثمان بن عفان.

(٣) رواه أحمد (٢٢٠٦٠)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن حبان في الإيمان (٢٠٠)، عن معاذ.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٢٣)، وأحمد (١٥٨٧٥)، عن طارق بن الأشيم الأشجعي.

(٥) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٨٧)، ومسلم في الإيمان (٩٤)، عن أبي ذر.

(٦) رواه مسلم في الإيمان (٩٣)، وأحمد (١٥٢٠٠)، عن جابر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

أشعري، وهذا معتزلي، وهذا ظاهري، وهذا مقاصدي؛ لأن المدار على المسمَّيات والمضامين، لا على الأسماء والعناوين.

كما أنَّ تلك الأحاديث ترد على من استدلَّ بظواهر أحاديث أخرى تنفي الإيمان عمَّن ارتكب بعض الذنوب مثل: الزنى والسرقة وشرب الخمر وغيرها؛ كحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)]. والمقصود: وهو مؤمن كامل الإيمان، فالنفي للكمال لا للوجود.

وهذا التأويل ضروري: حتَّى لا تضرب النصوص بعضها ببعض، وهو تأويل سائغ في العربية، تقول: إنَّما العلم ما نفع، أي العلم الكامل، إنَّما الأم من ربّت، أي الأم الكاملة، وإن كانت الأمومة المجردة تثبت بالولادة.

ويكفي من دخل في الإسلام: أن يلتزم بأركان الإسلام وفرائضه الأخرى، ويذعن لها، وإن لم يقم بها فعلًا، بدليل أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقبل إسلام من ينطق بالشهادتين، ويعتبره مسلمًا، وإن كان أداؤه لفرائض الإسلام بعد ذلك، حين يأتي وقت الصلاة، وحين يحين أداء الزكاة، وحين يأتي شهر رمضان.

ومن دخل في الإسلام بيقين: لا يخرج منه إلَّا بيقين؛ لأنَّ اليقين لا يُزال بالشكِّ[(٢)]، واليقين المخرج من الإسلام: أن ينكر معلومًا من الدِّين بالضرورة، أو يستحلَّ حرامًا قطعيًّا لا شكَّ فيه، أو يصدر عنه قول أو فعل لا يحتمل تأويلًا غير الكفر، كأنْ يسجد لصنم بغير إكراه، أو

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

(٢) هذه قاعدة فقهية ذكرها ابن نجيم في الأشباه والنظائر صـ ٤٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

يدوس على المصحف الشريف، أو يرميه في القاذورات، أو يسبَّ الله أو رسوله أو كتابه، بعبارة صريحة لا لَبْس فيها ولا شُبهة.

ولا يحل لمسلم أن يخرج مسلمًا من الإسلام بسبب معصية ارتكبها، ولو كانت كبيرة من الكبائر، فإنَّ الكبائر تخدش الإسلام، ولكنها لا تزيله بالكلية، بدليل أن القرآن أثبت أخوّة القاتل مع أولياء دم المقتول، فبعد أن قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ قال بعدها: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وكذلك أثبت الإيمان للمقتتلين من المسلمين، فقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩]، ثمَّ قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وكذلك فرقت الشريعة بين عقوبات الزاني والقاذف، والسارق وقاطع الطريق، وشارب الخمر، وعقوبة المرتد. ولو كانت كل كبيرة كفرًا؛ لعوقب الجميع عقوبة الردة.

وهذا يوجب على أهل العلم أن يتأوَّلوا الأحاديث الَّتي اعتبرت قتال المسلمين بعضهم لبعض كفرًا، أو عملًا من أعمال الكفار: «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1]، ويجب ربط النصوص بعضها ببعض، ورد متشابهها إلى محكمها، وفروعها إلى أصولها.

وكما لا يجوز إخراج المسلم من إسلامه بسبب معصية: لا يجوز إخراجه منه بسبب قول أو رأي أخطأ فيه؛ لأن كل عالم معرض للخطأ،

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وهو مرفوع عن هـذه الأمَّة، فقد وضـع الله عنها الخطأ والنسـيان وما استكرهوا عليه، كما جاء ذلك في حديث ابن عبَّاس[١].

وأصحـاب المذاهب المعروفة فـي العالم الإسـلامي، الَّتي تتبعها جماهير من المسـلمين، كلهم داخلون في مفهوم الإسلام الَّذي ذكرناه، سواء كانت هذه المذاهب فقهية، تعنى بالأحكام العمليَّة، مثل المذاهب السـنية الأربعة المعروفة، ومعها المذهب الظاهـري، أم كانت مذاهب عقدية، تعنى بأصول الدين، أي بالجانـب العقائدي منه، مثل المذهب الأشـعري (المنسـوب إلى الإمام أبي حسن الأشـعري ت: ٣٢٤هـ) أو المذهب الماتريدي (نسبة إلى الإمام أبي منصور الماتريدي ت: ٣٣٣هـ) أم كانت تجمع بين الجانـب العقدي والجانب العملي شـأن المذهب الجعفري (نسبة إلى الإمام جعفر الصادق ت: ١٤٨هـ) والمذهب الزيدي (نسبة إلى الإمام زيد بن علي ت: ١٢٠هـ) والمذهب الإباضي (نسبة إلى عبد الله بن إباض التميمي ت: ٨٦هـ).

فهـذه المذاهب كلهـا تؤمن بأركان الإيمـان الَّتي جـاء بها القرآن (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخـر)، والإيمان بالقدر الَّذي جاءت به السُّنَّة داخلٌ ضمن الإيمان بالله تعالى.

وكلها تؤمن بأركان الإسلام العمليَّة: الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

---

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والطبراني في الأوسـط (٢١٣٧)، والحاكم في الطلاق (١٩٨/٢): وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٦٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وكلها تؤمن بمحرمات الإسلام القطعية من: القتل والانتحار والزِّنَى وعمل قوم لوط، وشرب الخمر، والسرقة والغصب، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات، وغيرها من الموبقات الَّتي جاء النهي عنها، والوعيد عليها في محكمات القرآن والسُّنَّة، وأجمعت عليها الأمَّة[١].

وكلُّها تؤمن بالأحكام القطعية في شريعة الإسلام، في العبادات والمعاملات، والأنكحة والحدود والقصاص، والسياسة الشرعيَّة والمالية وغيرها.

وكلها تؤمن بالاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي الثبوت والدلالة، وهو اجتهاد له أصوله وضوابطه الَّتي ترجع جميعًا إلى أصول الشَّرع، وإن اختلفت طرائق الاجتهاد بين مذهب وآخر، فمنهم من هو أميل إلى النص، ومنهم من هو أميل إلى الرأي، ومنهم من يجنح إلى الظواهر، ومنهم من يهتم أكثر بالمقاصد.

فمن أصاب منهم الحق في اجتهاده فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد؛ لأنَّه بذل جهده، وتحرى الحق، فلم يُحرم من الأجر، وقد صحَّ بذلك الحديث المتَّفق عليه[٢].

---

(١) منها ما روى أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩).

(٢) إشارة إلى حديث: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر». مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنة (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

وسواء كان الخطأ في الأصول أم في الفروع، في المسائل العلمية أم في المسائل العمليَّة، كما بيَّن ذلك المحقِّقون من العلماء.

وتأثيم المجتهد في المسائل العلمية الاعتقادية ـ ناهيك بتكفيره! ـ مناف لما قرره القرآن في خواتيم سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وجاء في الصحيح أنَّ الله تعالى قد استجاب هذا الدعاء[١]، فلو عاقب الله بعد ذلك المجتهد الَّذي استفرغ وسعه ولكنَّه أخطأ الوصول إلى الحق، لكان معاقبًا له على الخطأ وهو مرفوع، ومكلِّفًا له ما ليس في وُسعه، ومحمِّلًا له ما لا طاقة له به.

قال الإمام ابن تيمية: «فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه كائنًا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية العلمية، أو في المسائل الفروعيَّة العمليَّة... هذا الَّذي عليه أصحاب النَّبيِّ وجماهير أئمَّة الإسلام. وأمَّا تفريق المسائل إلى: أصول يكفر بإنكارها، ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها؛ فهذا التفريق ليس له أصل، لا عن الصحابة، ولا عن التابعين لهم بإحسان، ولا عن أئمَّة الإسلام»[٢].

وقال الإمام ابن الوزير: «قد تكاثرت الآيات في العفو عن الخطأ، والظاهر أن أهل التأويل أخطؤوا، ولا سبيل إلى العلم بتعمدهم؛ لأنَّه من

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٢٦)، والتِّرْمِذي في تفسير القرآن (٢٩٩٢)، عن ابن عباس.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤٦/٢٣)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

علم الباطن الَّذي لا يعلمه إلَّا الله تعالى في خطاب أهل الإسلام خاصة: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وصحَّ في تفسيرها أن الله تعالى قال: قد فعلت، في حديثين صحيحين: أحدهما عن ابن عبَّاس[١]، والآخر عن أبي هُرَيْرة[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فقد ذمهم بعلمهم، وقال في قتل المؤمن مع التغليظ العظيم فيه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، فقيد الوعيد فيه بالتعمد، وقال في الصيد: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ [المائدة: ٩٥]، وجاءت الأحاديث الكثيرة بهذا المعنى، كحديث سعد وأبي بَكْرة[٣]، وأبي أُمَامة[٤] ـ متَّفق على صحَّتها ـ فيمن ادَّعى أبا غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فشرط العلم في الوعيد.

ومن أوضحها حُجَّة: حديث الَّذي أوصى لإسرافه أن يُحرق ثمَّ يُذرَّى في يوم شديد الرياح، نصفه في البرِّ، ونصفه في البحر، حتَّى لا يقدر الله عليه، ثمَّ يعذبه، ثمَّ أدركته الرحمة لخوفه، وهو حديث متفق على صحته عن جماعة من الصحابة، منهم حُذَيْفة[٥]، وأبو سعيد[٦]، وأبو هُرَيْرة[٧]،

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٢٥)، وأحمد (٩٣٤٤).

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٣٢٦)، ومسلم في الإيمان (٦٣).

(٤) رواه أحمد (٢٢٢٩٤)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والتِّرْمِذي في الوصايا (٢١٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٩).

(٥) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٦٠).

(٦) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٧).

(٧) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨١)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٦).

QaradawiBooks.com

بل رواته منهم قد بلغوا عدد التواتر، كما في جامع الأصول، ومجمع الزوائد. وفي حديث حذيفة: أنَّه كان نبَّاشًا.

وإنما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله والمعاد، ولذلك خاف العقاب، وأما جهله بقدرة الله تعالى ما ظنه محالًا فلا يكون كفرًا؛ إلَّا لو علم أنَّ الأنبياء جاؤوا بذلك، وأنه ممكن مقدور، ثمَّ كذبهم أو أحدًا منهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وهذا أرجى حديث لأهل الخطأ في التأويل.

ويعضد ما تقدم بأحاديث: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء**»[(١)]، وهي ثلاثة أحاديث صحاح.

ولهذا قال جماعة جلة من علماء الإسلام: إنَّه لا يكفر المسلم بما يبدر منه من ألفاظ الكفر، إلَّا أن يعلم المتلفظ بها أنَّها كفر. قال صاحب المحيط: وهو قول أبي علي الجُبَّائي ومحمد (ابن الحسن الشيباني) والشافعي[(٢)].

وحتى حديث افتراق الأمَّة إلى ثلاثة وسبعين فرقة، الَّذي اعتمد عليه الأكثرون، وأنَّها كلها في النَّار إلَّا واحدة، هي الَّتي سمَّوها «الفرقة الناجية»، حتَّى هذا الحديث ـ على ما فيه من كلام في سنده وفي دلالته[(٣)] ـ يجعل هذه الفِرَق المختلفة ضمن «الأمَّة» أي أمَّة الإسلام، أو أمَّة محمَّد؛

---

(١) رواه أحمد (١٦٠١٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في الرقائق (٦٣٣)، والطبراني (٨٧/٢٢)، والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤٠/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن واثلة بن الأسقع.

(٢) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير صـ ٣٩٢، ٣٩٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

(٣) انظر تخريج الحديث والكلام عليه في كتابنا: الصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤ ـ ٣٨، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

بدليل قوله عليه الصَّلاة والسلام: «**ستفترق أمَّتي**»، فجعلهم في صلب الأمَّة، فلا يجوز إخراجهم منها بالتأويلات والتكلُّفات.

وقد روى البخاري عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتَنا، فذلك المسلمُ الَّذي له ذمَّة الله، وذمَّة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمَّته**»[١].

وروى البخاري أيضًا أنَّ أنسًا سُئل: يا أبا حمزة، ما يُحرِّم دَم العبد وماله؟ فقال: من شهد أن لا إله إلَّا الله، واستقبل قِبْلَتنا، وصلَّى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو مسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم[٢].

ومعنى هذا: أن نحكم بإسلامه، وتجري عليه أحكام الإسلام، وإن اقترف معصية أو أخطأ في بعض مسائل العلم، سواء كانت في الفروع أم في الأصول، على ما حقّقه الراسخون في العلم.

فقد استجاب الله منَّا الدعاء الَّذي علَّمه لنا في ختام سورة البقرة، في رفع إثم النسيان والخطأ عنا: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولم يفصل بين المسائل العلمية والعمليَّة، ولا بين قضايا الفروع وقضايا الأصول.

ويُعضِّد ذلك عمل الصحابة رضي الله عنهم، إنَّهم لم يكفِّروا الخوارج، كما روي ذلك عن عليٍّ[٣] وسعد بن أبي وقَّاص[٤] وغيرهما. قال ابن الوزير:

---

(١) رواه البخاري في الصلاة (٣٩١).

(٢) رواه البخاري في الصلاة (٣٩٣).

(٣) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٦٥٦)، لما قتل علي رضي الله عنه الحرورية قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا.

(٤) رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٨)، وفيه: كان سعد يسميهم (أي الخوارج) الفاسقين.

QaradawiBooks.com

وعدم تكفير عليٍّ للخوارج ثابت من طرق، وكذلك ردُّه لأموالهم، ثابت من طرق، وعن جابر أنَّه قيل له: هل كنتم تدعــون أحدًا من أهل القبلة مشركًا؟ قال: معاذ الله! ففزع لذلك.

قيل: هل كنتم تدعون أحدًا منهم كافرًا؟ قال: لا[1].

نقول عن كبار الأئمَّة في إنكار التوسُّع في التكفير:

وهذا الأمــر الَّذي قرَّرنــاه هنا: قــرره كبار الأئمَّة مــن مختلف المذاهب وشــتى المدارس، ولكي نؤكد هذا الأمــر ونزيده وضوحًا ورسوخًا، ســننقل هنا بعض الفقرات الَّتي تؤيد هذا الاتجاه، وتمنع التوسع في التكفير.

نقول عن الأشاعرة وغيرهم من المتكلِّمين:

في كتاب «المواقف» لعضد الدِّين الإيجي، وشــرحه للسيد الشريف الجُرْجاني، وهو من الكتب الَّتي تُعَدّ عمدة المتأخِّرين من الأشاعرة:

«جمهور المتكلِّمين والفقهاء على أنَّــه لا يُكَفَّر أحد من أهل القبلة. فإنَّ الشيخ أبا الحســن ـ يعني الأشــعري ـ قال في أوَّل كتابه «مقالات الإســلاميِّين»[2]: ضلَّل بعضهم بعضًا، وتبرأ بعضهم من بعض، فصاروا فرقًا متباينين، إلَّا أن الإسلام يجمعهم ويعمهم. فهذا مذهبه، وعليه أكثر الأصحاب، ومن الأصحاب من كفر المخالفين.

(١) رواه أبو يعلى (٢٣١٧)، والطبراني في الأوســط (٧٣٥٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٨): رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير، ورجاله رجــال الصحيح. وقال ابن حجر في المطالب العالية (٢٩٩٨): صحيح موقوف.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشــعري صـ ١، ٢، تحقيق هلموت ريتر، نشر دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، ط ٣.

QaradawiBooks.com

وقد نقل عن الشـافعيِّ أنه قال: لا أردُّ شـهادة أحد من أهل الأهواء ـ البدع ـ إلَّا الخطَّابيَّة؛ فإنَّهم يعتقدون حلَّ الكذب[١].

وحكـى الحاكم صاحب «المختصر» في كتـاب «المنتقى» عن أبي حنيفـة رحمة الله عليه أنه لم يُكَفِّر أحدًا من أهل القِبلة.

وحكى أبو بكـر الرازي مثـل ذلك عـن الكرخي وغيـره. قال: والمعتزلة الَّذين كانوا قبل أبي الحسن ـ أحد رؤوسهم ـ تجادلوا فَكَفَّروا الأصحاب ـ يريد الأشـاعرة ـ في أمـور، فعارضهم بعضنـا بالمثل، فَكَفَّرهم في أمور أخرى. وقد كَفَّر المجسِّـمةَ مخالفوهم من أصحابنا ومن المعتزلة. وقال الأسـتاذ أبو إسـحاق الإسـفراييني: كل مخالف يُكَفِّرنا فنحن نُكَفِّره، وإلَّا فلا»[٢].

وأيَّـد صاحب «المواقـف» وشـارحه رأي جمهـور المتكلِّمين والفقهاء في عدم تكفير أحد من أهل الإسلام، ولو خالف الحقَّ في بعض المسـائل الاعتقادية؛ بأنَّ المسائل الَّتي اختلف فيها أهل القِبْلة مثل: هل الله مُوجدُ فعل العبد أو لا؟ هل له جهة أو لا؟ هل يُرى في الآخرة أو لا؟ هل يريـد المعاصي أو لا؟ ونحو ذلـك من القضايا النظريَّة، لم يكـن النَّبيُّ ﷺ يسـأل مَن دخل في الإسـلام، وحكم بإسـلامه، عن اعتقاده فيها، ولا يبحث عن ذلك، وكذلك الصحابة والتابعون.

---

(١) حلية العلماء للقفال (٢٦٨/٨)، تحقيق ياسـين أحمد إبراهيم درادكه، نشـر مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط١، ١٩٨٨م.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩٣/١ ـ ٩٥)، تحقيق د. محمد رشـاد سـالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

«فعُلِمَ أن صحَّة دين الإسلام لا تتوقف على معرفة الحق في تلك المسائل، وأن الخطأ فيها ليس قادحًا في حقيقة الإسلام؛ إذ لو توقفت صحَّة الإسلام عليها، وكان الخطأ فيها قادحًا في تلك الحقيقة، لوجب أن يُبحث عن كيفية اعتقادهم فيها، لكن لم يجرِ حديث شيء منها في زمانه ﷺ ولا في زمانهم أصلًا»[١].

وقال الإمام الغزالي بعد كلام عن المعتزلة والمشبهة والفِرق المبتدعة في الدين، المخطئة في التأويل، وأنَّهم في محل الاجتهاد: «والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه: الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلًا، فإنَّ استباحة الدماء والأموال من المصلِّين إلى القبلة، المصرِّحين بقول: لا إله إلَّا الله خطأ.

والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم.

وقد قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل النَّاس حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا منِّي دماءهم وأموالهم؛ إلَّا بحقها**»[٢]»[٣].

وقال أيضًا: «لم يثبت لنا أنَّ الخطأ في التأويل موجب للتكفير، فلا بدَّ من دليل عليه. وثبت لنا أن العصمة مستفادة من قول: «لا إله إلَّا الله» قطعًا، فلا يُدفع ذلك إلَّا بقاطع.

---

(١) المواقف لعضد الدين الإيجي (٥٦٤/٣، ٥٦٥)، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٤٩.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي صـ ١٣٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

وهذا القدر كافٍ في التنبيه على أنَّ إسراف مَن بالغ في التكفير ليس عن برهان. فـإنَّ البرهان إمَّا أصـل أو قياس على أصـل. والأصل هو التكذيب الصريح، ومَن ليس بمكذِّب فليس فـي معنى الكذب أصلًا، ويبقى تحت عموم العصمة بكلمة الشهادة»[1] اهـ.

آراء الفقهاء:

نُقول عن الحنفية:

«في «جامع الفصولين» من كتب الحنفيَّة قـال: روى الطحاوي عن أصحابنا: لا يُخـرج الرجل من الإيمـان إلَّا جحود ما أدخلـه فيه، ثمَّ ما تيقَّن أنَّه رِدَّة يُحكم بها، وما يُشَـك أنَّه رِدَّة لا يُحكم بها؛ إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشك، مع أن الإسـلام يعلو... وينبغي للعالِم إذا رُفِعَ إليه هذا، ألَّا يبادر بتكفير أهل الإسلام.

أقول (ابن عابدين القائل): قدمت هذه لتصيـر ميزانًا فيما نقلته في هذا الفصل من المسائل، فإنه قد ذُكر في بعضها أنه كفر، مع أنه لا يكفر، على قياس هذه المقدمة، فليُتأمَّل.

وفـي «الخلاصـة» وغيرهـا: إذا كان في المسـألة وجـوه ـ يعني احتمالات ـ توجب التكفير، ووجه يمنع التكفير، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الَّذي يمنع التكفير، تحسينًا للظنِّ بالمسلم.

وزاد في «البزَّازيَّـة»: إلا إذا صرَّح بإرادة موجـب الكفر، فلا ينفعه التأويل حينئذ.

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد صـ ١٣٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مثال ذلك: إذا شتم رجلٌ دينَ مسلم، فيحتمل أن يكون هذا السبُّ استخفافًا بالدِّين فيكفر، ويحتمل أن يكون مراده أخلاقه الرديَّة، ومعاملته القبيحة، لا حقيقة دين الإسلام، فيحمل كلامه على محمل حسن، وأيضًا إذا كان في كفره اختلاف، ولو رواية ضعيفة. قال العلَّامة ابن نُجَيم في «البحر»: فعلى هذا فأكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يُفتَى بالتكفير بها، ولقد ألزمت نفسي ألَّا أفتي بشيء منها[١]» اهـ.

ونقل ابن عابدين في «رد المحتار» عن الخير الرَّمْلي أنَّه قال تعقيبًا على قول صاحب البحر: ولو كانت الرواية ضعيفة؛ أقول: ولو كانت الرواية لغير أهل المذهب. ويدل على ذلك اشتراط كون ما يوجب الكفر مجمعًا عليه[٢] اهـ.

وقال محقِّق الحنفيَّة كمال الدين بن الهُمَام:

«يقع في كلام أهل المذهب تكفير كثير، ولكنَّه ليس من كلام الفقهاء، الَّذين هم المجتهدون، بل غيرهم، ولا عبرة بغير الفقهاء»[٣] اهـ.

نُقول عن المالكية:

وأما عند المالكية فأكتفي بهذا التحقيق عن الإمام الشاطبي:

فقد ذكر في «الاعتصام» أهل الأهواء والبدع، المخالفين للأمَّة من الخوارج وغيرهم، فقال:

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم (١٣٤/٥، ١٣٥)، نشر دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط٢.

(٢) حاشية رد المحتار (٢٣٠/٤)، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣) المصدر السابق (٢٣٧/٤).

QaradawiBooks.com

«وقد اختلفت الأمَّة في تكفير هؤلاء الفِرق أصحاب «البدع العُظمى» ولكن الَّذي يقوى في النظر، ويُحسب في الأثر، عدم القطع بتكفيرهم، والدليل عليه عمل السَلَف الصالح فيهم.

ألا ترى إلى صُنْع عليٍّ رضي الله عنه، في الخوارج، وكونه عاملهم في قتالهم معاملة أهل الإسلام، على مقتضى قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فإنَّه لما اجتمعت الحرورية وفارقت الجماعة، لم يهاجمهم عليّ ولا قاتلهم. ولو كانوا بخروجهم مرتدِّين لم يتركهم، لقوله عليه السلام: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»[1]، ولأنَّ أبا بكر رضي الله عنه خرج لقتال أهل الرِدَّة، ولم يتركهم، فدلَّ ذلك على اختلاف ما بين المسألتين.

وأيضًا، فحين ظهر «مَعْبَد الجُهَني» وغيره من أهل القَدَر، لم يكن من السلف الصالح لهم إلَّا الطرد والإبعاد والعداوة والهجران. ولو كانوا خرجوا إلى كفر محض لأقاموا عليهم الحد المقام على المرتدين.

وعمر بن عبد العزيز أيضًا لما خرج في زمانه الحَرُوريَّة (الخوارج) بالموصل أمر بالكف عنهم، على ما أمر به عليّ رضي الله عنه، ولم يعاملهم معاملة المرتدِّين.

ومن جهة المعنى: إنَّا وإن قلنا: إنَّهم متبعون للهوى، ولما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فإنَّهم ليسوا بمتبعين للهوى بإطلاق، ولا متبعين لما تشابه من الكتاب من كل وجه. ولو فرضنا أنَّهم كذلك لكانوا كفارًا؛ إذ لا يتأتّى ذلك من أحد في الشريعة إلَّا مع رد مُحكماتها عنادًا، وهو كفر، وأمَّا مَن صدَّق بالشريعة ومَن جاء بها، فيرجع إلى

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠١٧)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الوفاق لظهوره عنده، كما رجع من الحرورية الخارجين على عليٍّ رضي الله عنه، ألفان، وقيل: أربعة آلاف؛ حين جادلهم ابن عباس، وإن كان الغالب عدم الرجوع»[١].

نُقول عن الشافعية:

قد نقلنا قول أبي حامد الغزالي وهو من أئمَّة الشافعية، كما هو من أئمَّة الأشاعرة، ونزيد هنا نقولًا أُخرى في الموضوع عن رجال المذهب.

قال النووي في شرح مسلم:

«اعلم أنَّ مذهب أهل الحق: أنه لا يكفَّر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفَّر أهل الأهواء والبدع (الخوارج، والمعتزلة، والشيعة وغيرهم)، وأن مَن جحد ما يُعلم من دين الإسلام ضرورة: حُكِمَ برِدَّته وكفره، إلَّا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ونحوه ممَّن يخفى عليه، فيعرّف ذلك، فإن استمر حُكِم بكفره. وكذلك مَن استحل الزنى أو الخمر أو القتل، أو غير ذلك من المحرَّمات الَّتي يُعلم تحريمها ضرورة»[٢].

وقال ابن حجر الهيتمي في «التحفة»:

«ينبغي للمفتي أن يحتاط في التكفير ما أمكنه، لعظيم خطره، وغلبة عدم قصده، سيما من العوام، وما زال أئمَّتُنا (يعني الشافعية) على ذلك قديمًا وحديثًا، بخلاف أئمَّة الحنفيَّة، فإنَّهم توَّسعوا بالحُكْم بمُكَفِّرات كثيرة، مع قبولها التأويل، بل مع تبادره منها.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١١٨/٣ ـ ١٢١)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

(٢) شرح مسلم للنووي (١٥٠/١)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

QaradawiBooks.com

قال: ثمَّ رأيت الزركشي قال عمَّا توَّسع به الحنفية: إن غالبه في كتب الفتاوى نقلًا عن مشايخهم. وكان المتورِّعون من متأخري الحنفيَّة ينكرون أكثرها، ويخالفونهم، ويقولون: هؤلاء لا يجوز تقليدهم؛ لأنَّهم غير معروفين بالاجتهاد، ولم يخرِّجوها على أصل أبي حنيفة؛ لأنَّه خلاف عقيدته؛ إذ منها: أن معنا أصلًا محقَّقًا هو الإيمان، فلا نرفعه إلَّا بيقين.

فلينتبه لهذا، وليحذر مَن يبادر إلى التكفير في هذه المسائل منَّا ومنهم، فيُخاف عليه أن يكفُر! لأنَّه كَفَّرَ مسلمًا.

قال بعض المحقِّقين منَّا ومنهم (يعني الشافعية والحنفية): وهو كلام نفيس. وقد أفتى أبو زُرعة من محقِّقي المتأخِّرين فيمن قيل له: اهجُرْني في الله، فقال هجرتك لأألف «الله» بأنَّه لا يكفر إن أراد: لألف سببٍ أو هجرة لله تعالى، وإن لم يكن ذلك ظاهر اللفَّظ، حقنًا للدم بحسب الإمكان، لا سيما إن لم يُعرف بعقيدة سيئة، لكن يؤدَّب على إطلاقه، لشناعة ظاهره»[1].

نُقول عن الحنابلة:

ونكتفي هنا بقول رجل عُرِفَ بأنَّه من أشد النَّاس على المبتدعين والمخالفين، وهو الإمام ابن تيمية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل الَّتي تنازع فيها أهل القبلة.

والخوارج المارقون الَّذين أمر النَّبيّ ﷺ بقتالهم، وقاتلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمَّة الدين من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم، لم يُكَفِّرهم عليّ بن أبي

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج لابن حجر الهيتمي (٨٨/٩)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم عليّ حتَّى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنَّهم كفار، ولهذا لم يسْبِ حريمهم، ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الَّذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع، لم يكفروا، مع أمر الله ورسوله بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الَّذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها مَن هو أعلم منهم؟ فلا يحل لإحدى هذه الطوائف أن تُكَفِّر الأخرى أيضًا. وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ. والغالب أنَّهم جميعًا جهَّال بحقيقة ما يختلفون فيه.

والأصل أنَّ دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرَّمة من بعضهم على بعض، لا تحل إلَّا بإذن الله ورسوله.

وإذا كان المسلم متأولًا في القتال أو التكفير، لم يكفر بذلك، كما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة: يا رسولَ الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّه شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم؟!**»[(١)]. وهذا في الصحيحين.

وفيها أيضًا من حديث الإفك: أنَّ أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنَّك منافق تجادل عن المنافقين... واختصم الفريقان، فأصلح النَّبيّ ﷺ بينهم[(٢)].

فهؤلاء البدريُّون فيهم مَن قال لآخر منهم: إنَّك منافق. ولم يُكفِّر النَّبيّ ﷺ لا هذا ولا ذاك، بل شهد للجميع بالجنَّة.

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٧) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن عليّ.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

فهكذا السَلَف قاتل بعضهم بعضًا من أهل الجمل وصفِّين ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

فقد بين الله تعالى أنَّهم ـ مع اقتتالهم، وبغي بعضهم على بعض ـ إخوة مؤمنون. وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل»[١] اهـ.

نُقول عن الزيدية والأئمَّة المستقلين:

ونقلنا من قبل فقرات مهمة عن الإمام ابن الوزير.

ونذكر هنا ما قاله الإمام الشوكاني في كتابه «السيل الجرَّار» قال:

«اعلم أنَّ الحُكم على الرجل المسلم، بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدِم عليه، إلَّا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أنَّ «**من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[٢].

هكذا في الصحيح، وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: «**من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله. وليس كذلك؛ إلَّا حار عليه**»[٣] أي رجع. وفي لفظ عند أحمد: «**فقد كفر أحدهما**»[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨٢/٣ ـ ٢٨٤).

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان (٦٠)، عن ابن عمر.

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٤٥)، ومسلم في الإيمان (٦١)، عن أبي ذر.

(٤) رواه أحمد (٥٢٦٠)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والبخاري في الأدب المفرد (٤٤٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها، أعظم زاجر، وأكبر واعظ عن الإسراع في التكفير، وقد قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦].

فلا بدَّ من شرح الصدر بالكفر، وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشرك، لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يُرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى مِلَّة الكفر، ولا اعتبار بلفظ يلفظ به المسلم يدلّ على الكفر، ولا يعتقد معناه»[1] اهـ.

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه علّق الشوكاني على قول صاحب «ضوء النهار»:

«والمتأوِّل كالمرتدِّ، وقيل: كالذِّمِّيِّ»، بهذه الكلمات القويَّة المعبِّرة:

«أقول: هاهنا تُسكب العبرات، ويُناح على الإسلام وأهله بما جَنَاه التَّعصّب في الدين على غالب المسلمين منَ الترامي بالكفر لا لِسُنَّة، ولا لِقُرآن، ولا لبيان من الله، ولا لبرهان، بل لمَّا غَلَتْ مَرَاجل العصبية في الدين، وتمكَّن الشيطان الرجيم من تَفْريق كَلِمَة المسلمين، لَقَّنَهم إلزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء، والسَّراب بالقيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة الَّتي هي من أعظم فواقر الدين، والرزية الَّتي ما رُزئ بمثلها سبيل المؤمنين، وأنت إن بقي فيك نصيب من عقل، وبقية من مراقبة الله ﷻ، وحصّة من الغيرة الإسلاميَّة قد علمت وعلم كل من له علم بهذا الدين أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئل عن

(١) انظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني (٥٧٨/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

QaradawiBooks.com

الإســـلام، قال في بيان حقيقته، وإيضاح مفهومـــه: (إنَّه إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجُّ البيت، وصوم رمضان، وشهادة أن لا إله إلَّا الله)[١]، والأحاديث بهذا المعنى متواترة، فمن جاء بهذه الأركان الخمسة، وقام بها حق القيام فهو مســـلم رغم أنف من أبَى ذلك؛ كائنا من كان، فمن جاءك بما يُخالف هذا من ســـاقط القول، وزائـــف العلم، بل الجهل، فاضرب به وجهه، وقل له: قد تَقَدَّم هَذَيانَك هذا برهانُ محمَّد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

دَعوا كُلَّ قَوْلٍ عِند قَـــوْلِ مُحمدٍ فَمَـــا آمِـــنٌ فـــي دِينِـــهِ كَمُخَاطِرِ

وكما أنه قد تقدم الحكم من رســـول الله ﷺ لمن قام بهذه الأركان الخمســـة بالإســـلام، فقد حكم لمن «آمن بالله ومَلَائكته وكُتبه ورُســـله والقَدَر خَيْره وشَره»[٢] بالإيمان، وهذا منقول عنه نقلاً متواترًا، فمن كان هكذا فهو المؤمن حقًّا.

وقد قدَّمنا قريبًا ما ورد من الأدلَّة المشـــتملة على الترهيب العظيم من تكفير المسلمين، والأدلةُ الدالّةُ على وجوب صيانة عِرْض المسلم واحترامه تَدُل بفحوى الخطاب على تجنب القَدح في دينه بأي قادح، فكيف إخراجه عن الملة الإسلاميَّة إلى الملة الكفرية؟ فإن هذه جناية لا تعْدِلها جناية، وجُـــرأة لا تُماثلها جرأة! وأين هـــذا المجترئ على تكفير أخيه من قول رسول الله ﷺ: «**المسْـــلِمُ أَخُو المسلِم لَا يَظْلِمُه ولا يُسْـــلِمُه**»[٣]. ومن قول رســـول الله ﷺ: «**ســـباب المسلم فسوق،**

(١) سبق تخريجه صـ ١٢٩.

(٢) الحديث السابق.

(٣) سبق تخريجه صـ ٣٠٨.

QaradawiBooks.com

وقتاله كفر»[١]. ومن قول رسول الله ﷺ: «**إن دِمَاءَكُم وَأَمْوالكُمْ وأَعْرَاضَكُم حَرَام**»[٢]، وهو أيضًا في الصحيح؟!

وكم يعُدُّ العادَّ من الأحاديث الصحيحة والآيات القرآنية! والهداية بيد الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]»[٣] انتهى.

أطلنا في هذه النقول عن قصد لنسدَّ الطريق على الَّذين لا يبالون بتكفير أهل «لا إله إلَّا الله» فليتَّقوا الله في أنفسهم، وليتقوا الله في المسلمين، وليحذروا من هذه الفتنة، الَّتي يترتب عليها استباحة الدماء والأموال الَّتي عصمتها الشهادتان، لمجرد المخالفة في المذهب أو الوجهة، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

وهنا ينبغي ألَّا نكفِّر إلا من ظهر منه ما يدلُّ على الكفر قطعًا، وألَّا نبدِّع من ظهر إلَّا منه ما يدلُّ على البدعة قطعًا، وألَّا نفسِّق إلَّا من ظهر منه ما يدلُّ على الفسق قطعًا.

وبالله التوفيق.

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القَسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٣) السيل الجرار (٥٨٤/٤، ٥٨٥).

QaradawiBooks.com

الفرق بين المذهب السُّنِّي والمذهب الشِّيعي الإمامي

س: أودُّ أن أعرض على فضيلتكم أمرًا أرجو أن تجيبوني فيه بصراحة تشفي الصدور، وتنقع الغُلَّة.

كنا هنا في مصر لا نعرف شيئًا عن المذاهب الأخرى، غير مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، الَّتي تنتسب إليه المذاهب الأربعة المشهورة، وأئمتها: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وعندنا في مصر منها الثلاثة الأُوَل. مذهب مالك في الصعيد وبعض بلاد الوجه البحري، ومذهب الشافعي في معظم بلاد الوجه البحري، ومذهب الحنفية لدى بعض الخاصة، متوارث من العهد العثماني؛ وكان القضاة يعينون من أتباعه.

وكنا لا نعرف عن الشيعة شيئًا، لعدم احتكاكنا بهم؛ إذ لم يكن يوجد في مصر شيعي واحد على ما أعلم، كل ما نعلمه عنهم أنَّهم يبالغون في حبِّ آل البيت والتعصُّب لهم، رضي الله عنهم. ونحن المصريين ـ كما تعلم ـ نحبُّ آل البيت، ولهم عندنا مقامات معلومة تُزار، ولهم موالد يُحتفل بها، مثل سيدنا الحسين، والسيدة زينب في القاهرة، والسيد أحمد البدوي في طنطا، وغيرهم.

ولم يكن مشايخنا من علماء السُّنَّة يذكرون لنا الشيعة بمدح ولا بقدح؛ ولهذا نشأ جمهورنا في غفلة «شبه أُمِّيَّة» عن الشيعة وأصولها

QaradawiBooks.com

وأفكارها. حتَّى فوجئنا في السنوات الأخيرة أنَّ بعض المصريين قد تخلَّوا عن سُنِّيَّتهم، واعتنقوا مذهب الشيعة، وعندنا منهم مَن يكتب في الصحف، ومَن يصدر النشـــرات، ومَن يؤلف الكتب في انتقاص مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، والدعوة إلى التشيُّع، الَّذي بدا لنا أنَّه يخالف ما كنَّا نفهمه عنه. ووجدنا في بعض المجالس أناسًـــا قالوا لنا: إنَّهم يعملون لحساب إيران، يهاجمون أهل السُّـــنَّة في الماضي والحاضر. واختلط علينا الأمر، فليس عندنا أيُّ ثقافة واقية، على حين أرى الآخريـــن مدرَّبين مجتهدين لإثارة الشـــبهات، وتحريف الكلم عـــن مواضعه، بل اختـــراع المفتريات، لغزو المجتمع السنيِّ، المشغول بنفسه ولقمة عيشه، وخلافاته الداخلية.

فهل هناك فرق واضح بين مذهبي السُّنَّة والشِّيعة؟ وفيم يتجسَّد هذا الفرق؟ وما موقف الشِّيعة حقيقة من القرآن والسُّنَّة والصحابة؟ وما منزلة الأئمَّة الاثني عشر عندهم؟

ولماذا تتركونا ـ معشر علماء السُّنَّة ـ دون حصانة فكرية ثقافية تمثل الحدَّ الأدنى الَّذي يجب على السُّنِّي أن يعرفه عن الشِّيعة؟

أعتقد أنَّ عليكم مســـؤولية كبيرة أمام الله وأمام الأمَّة، وأنت خاصَّة عليك مســـؤولية أكبر؛ لأنَّ النَّاس تثق بعلمك، وتثـــق بإنصافك، وتثق بشجاعتك، وتثق بغيرتك على دينك.

أرجو ـ ومعي كثير من زملائي ـ بيانًا شـــافيًا في الموضوع، يوضِّح الأمور، ويشرح الصدور، والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم.

رجاؤنا ألَّا تهمل الموضوع أو تؤجِّله، حفظكم الله وسدد خطاكم.

د. عبد الله سالم

أستاذ جامعي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فقد نكأ الأخ الكريم برسالته الصريحة القوية المباشرة: جرحًا، طالما سكتنا عليه، وحاولنا أن نكفكف من سيلانه، بالتغطية على الجرح، أو بمداواته بالمسكنات الَّتي لا تُعالج الجرثومة من جذورها. وكنَّا لعقود طويلة نحذِّر ونحذِّر من الدخول في هذه الموضوعات، حتَّى لا نثير خلافًا طائفيًّا، أو نوقظ فتنة نائمة. وتركنا إخواننا من أهل السُّنَّة غُفلًا من أيِّ ثقافة تحصينية، في حين كان هناك «كوادر» تُعَد وتهيَّأ وتُثقَّف وتُدرَّب للتبشير بالمذهب بين أهل السُّنَّة. فلما وُجدت الفرصة اغتنموها بسرعة، ورمَوا شباكهم على فرائسهم، فوقع فيها مَن وقع. صحيح أنَّهم عدد قليل، ولكن القليل قد يكثُر ما دام الباب مفتوحًا، وما دامت الأسباب قائمة. والمسؤولية الأولى مسؤوليتنا نحن علماء السُّنَّة، الَّذين أخذ الله علينا الميثاق أن نبيِّن للنَّاسِ الحقَّ ولا نكتمه. ويتأكَّد هذا الواجب إذا رأينا الخطر يتجسَّد أمامنا في حملات منظمة، يقوم عليها رجال متحمِّسون، وليسوا مجرَّد موظفين، وتحت أيديهم مليارات مرصودة لهذا الغرض، ومن خلفهم دولة عقائدية قوية وغنية تغذيهم وتسندهم.

ولقد اشتركت في مؤتمرات التقريب بين السنة والشيعة، في الرباط، وفي البحرين وفي دمشق، وفي الدوحة، وزرت إيران، ولقيت رئيس الجمهورية، الرجل المثقف السيد محمَّد خاتمي، ولقيت الملالي وآيات الله في أكثر من مدينة. وفي كلِّ هذه اللقاءات كنتُ أؤكِّد على جملة أمور:

QaradawiBooks.com

١ ـ الإعلان بأنَّ القرآن ـ كما هو مطبوع في مصاحف المسلمين ـ هو كلام الله المنزل، وكتابه المحفوظ، الَّـذي لا يقبل الزيادة ولا النقصان، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢ ـ الكفُّ عن سـبِّ الصحابة ﷺ، فهم الَّذين نقلـوا إلينا القرآن، ورووا لنا السُّنَّة، وفتحوا الفتوح، وأثنى الله عليهم ورسوله.

٣ ـ أن نكفَّ عن محاولة نشـر المذهب في البلد الخالص للمذهب الآخر. وهو ما سماه العلامة الشيخ محمَّد مهدي شمس الدين في لبنان: الامتناع عن التبشير بالمذهب في بلاد المذهب الآخر.

٤ ـ الاعتراف بحقوق الأقليَّة، سنيَّة كانت أو شيعيَّة.

ومع تصديق إخواننا الشيعة لمقولتنا نظريًّا، فإنَّهم لم يفوا بها عمليًّا، وخصوصًا بالنسبة للمبدأ الثالث هنا، التبشير بالمذهب، فقد رأيناهم ـ في غفلةٍ منَّا إلى حدِّ السذاجة ـ يخترقون مجتمعاتنا السنية، مستغلين إعجاب أهل السُّنَّة بمواقفهم السياسية والعسكرية، ليتسلَّلوا منها للدعاية للمذهب.

لقد كانت مصر بلدًا سـنيًّا خالصًا، وكذلك السـودان وليبيا والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا، كلُّها ليس فيها شـيعيٌّ واحد، برغم الحكم الفاطمي الَّذي سـيطر عليها قرونًا، ولكن لم يستطع أن يؤثِّر في الشعب، برغم الإغراءات الكثيرة الَّتي كانت تُعرض على النَّاس، فقد كان الشـعار المرفوع عندئذ في مصر: مَن لعن وسـبَّ فله دينـار وأردب. أي مَن لعن الصحابة وسبَّهم فله من النقود دينار ذهبي، ومن الحبوب أردب من القمح!

ومنـذ حكم صلاح الديـن الأيوبي مصر، أصبحت سـنيَّة (١٠٠٪)، وأصبح أزهرها قلعة لمذهب السـنة، ومضت القرون وهي كذلك، حتَّى

QaradawiBooks.com

كانت سنوات الفتنة الأخيرة، وفوجئ النَّاس ـ كما قال الأخ الدكتور في سؤاله ـ بمَن يعلن عن تشـيعه، ومن يدعو إليه. فكان لا بدَّ من البيان، فهذا وقت الحاجة إليه، ولا يجوز تأخير البيان عن وقته. وهنا وجب أن نجيب عن أسئلة الأخ الكريم.

هل هناك فرق واضح بين مذهب السنة ومذهب الشيعة؟ وفيم يتمثَّل ذلك؟

ونقول في الجواب: هناك من الشـيعة من لا نرى بيننـا وبينهم فرقًا يذكر، لا في الأصول ولا في الفروع، مثل الشيعة الزيدية، الَّذين يعيشون في اليمن، والذين يعترفون بكتب أهل السُّنَّة، مثل البخاري ومسلم وبقية الكتب السـتة، والموطأ ومسـند أحمد، وسـائر دواوين كتب الحديث. وبعض كتبهم لا تختلف عن كتبنا في المصادر وفي الاتجاه، مثل «الروض النضير» في شـرح مجموع الإمام زيد ﷺ. وقد يوجد خلاف في بعض فروع العقيدة، مثل بعض ما يوجد بين السـنة والمعتزلـة، ولكن الزيدية يترضّون عن الصحابة، ويؤمنون بأنَّ القرآن لا زيادة فيه ولا نقصان، إلخ.

ولكنَّ الخلاف في هذا المجال هو بين السُّنَّة والشِّيعة الإمامية الاثني عشـرية، وهم الَّذين جاء السـؤال بطلب الفرق بيـن مذهبنا ومذهبهم. والجواب بيِّنٌ واضح.

أمَّا في الأمور الفقهيَّة والأحكام الفرعيـة، فلا يوجد فرق يُذكر من الناحية العمليَّة، والفرق بين مذهب الإمامية أو الجعفرية وبين المذاهب السـنية، كالفرق بين مذاهب السـنة غالبًا بعضها وبعـض، ونجد إمامًا كالشـوكاني يذكر مذاهب آل البيت في كتابه «نيـل الأوطار» ولا يجد السُّنِّي حرجًا من ذكرها، ولا يجد فرقًا كبيرًا بينها وبين غيرها.

QaradawiBooks.com

هناك أشـياء عمليَّة منكرة عند الشـيعة مثل الشـهادات الثلاث في الآذان، بزيادة: وأشهد أن عليًّا وليُّ الله! ولكنَّ علماءهم مجمعون على أنَّ هذه زيادة منكرة عندهم، ولا أصل لها في فقههم، وإنَّما تركوها خشـية هياج العوام!

الخلاف الحقيقيُّ بين المذهبين إنَّما هو في الأصول لا الفروع، في المبادئ لا في التفصيلات. ولذا كان العنوان الأوضح لهذا الخلاف أنَّه بين الفرقتين: أهل السُّـنَّة والجماعة من جانب، والشـيعة الإمامية من جانب، وليس بين المذهبين الفقهيَيْن.

وأهل السُّنَّة مع الشيعة على أقسام ثلاثة: طرفين وواسطة.

مكفِّرو الشيعة:

فالطرف الأول، هم الَّذيـن يكفِّرون الشـيعة، ويخرجونهم من ملَّة الإسـلام، وهو اتجاه السـلفيِّين عامَّة، وخصوصًا الغـلاة منهم، الَّذين يكفِّرون كثيرًا من أهل السُّـنَّة، ممَّـن يخالفونهم في بعـض الآراء، أو يرتكبون بعض المخالفات الَّتي تحتمل التأويل.

ولعلَّ أهم مَن كتب معبِّرًا عن ذلك كتابة علميَّة رصينة، لها اعتبارها، هو العلَّامة السـيد محبُّ الدين الخطيب المـؤرِّخ والمحقِّق، وصاحب مجلتي الفتح والزهراء، اللتين حملتا لواء الإصلاح في زمنهما، ورئيس تحرير صحيفة «الإخوان المسلمون» اليومية، ورئيس تحرير مجلة الأزهر لعدة سنوات.

كتب الأسـتاذ الخطيب رسـالته المركزة الشـهيرة تحـت عنوان: «الخطوط العريضة للأسـس الَّتي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني

QaradawiBooks.com

عشـــرية»، وأثار قضايا خطيرة عن القرآن عند الشـــيعة والقول بتحريفه ونقصه، ومَن ألَّف في ذلك من الشيعة، وخصوصًا كتاب «فصل الخطاب في إثبـــات تحريف كتاب ربِّ الأربـــاب» أي القرآن العظيـــم، للنُّوري الطبرسي، الَّذي احتفل الشيعة بوفاته احتفالًا كبيرًا، ودفنوه بالقرب من قبر الإمام علي رضي الله عنه.

وبيَّن موقف الشيعة من الســـنة، وموقفهم من الصحابة، ومن التقية، ومن عدَّة أمور، باين فيها مذهبهم مذهب أهل السُّنَّة مباينة واضحة قاطعة.

وكتب محـــبُّ الدين الخطيب عدَّة كتب ورســـائل يدافـــع فيها عن الصحابة، مثل تحقيقه وتعليقه ونشـــره للجزء الخاص بموقف الصحابة من كتاب العلامة المالكي القاضي أبي بكر بن العربي، المعروف باسم «العواصم من القواصم». ومثل حواشيه على كتاب «المنتقى» من منهاج الاعتدال للذهبي. كما كتب كتابًا ســـمَّاه «مع الرعيـــل الأول»، أبرز فيه مكانة الصحابة في الدين وجهادهم وجهودهم في نصرة خاتم النبيِّين.

وبعد ذلك بمدَّة، ظهر كتاب العالم الباكســـتاني الشهير إحسان إلهي ظهير، الَّذي وسَّع ما كتبه الخطيب، ودلَّل عليه من كتب الشيعة، ووقف بالمرصاد لردِّ دعاوى الشيعة، وإبطال شبهاتهم، حتَّى انتهى به الأمر إلى اغتياله في أحد الاحتفالات، وقد اتُّهم الشيعة بتدبير اغتياله.

ورأيي أنَّ في هذا الموقف بعض الغلو ضد عموم الشيعة، ولا سيما أن قضية التكفير ـ بمعنى الاتهام بالكفر الأكبر المخرج من الملة ـ قضية خطيـــرة، وقد كتبتُ فيهـــا من زمن طويل: رســـالتي «ظاهـــرة الغلو في التكفيـــر»[1]، وأرى الواجب فـــي هذا المقام وجوب التحـــرِّي والتدقيق

(١) وقد وسعت هذه الرسالة ونشرتها بعنوان: قضية التكفير بين الغلو والضوابط الشرعية، فلتراجع.

QaradawiBooks.com

والأناة وطول البحث والمشـاورة، قبل الحكم على فردٍ بالكفر، فكيف بالحكم على جماعة تُعَد بعشرات الملايين؟!

ومهما يجد العالم المسـلم من ثغرة للتأويل، يُخرج بها خصمه من الكفر فليفعلْ، ولا يُكفِّـر إلَّا بالقطعي الَّذي لا يحتمل غير الكفر بحال، من الأقوال أو الأفعـال. على أن من الإنصاف أن نقـول: إنَّهم يكفرون العموم، ولا يكفرون المعيّن إلَّا بشروط.

وفي هذا الجـزء من الفتاوى فتـوى عن التكفيـر وضوابطه، وهي الفتوى السابقة، فلتراجع.

حتى حديث افتراق الأمَّة إلى ثلاث وسـبعين فرقة كلها في النَّار إلَّا واحدة، نسـب الفرق الهالكة إلى الأمَّة، ولم يخرجهـا منها حين قال: «**ستفترقُ أُمَّتي**»[1].

وأودُّ أن أقول: إنَّ لدى الشيعة أيضًا غلاة مكفِّرين لأهل السُّنَّة، نقلنا بعض أقوالهم في مناسبات أخرى. حتَّى إن منهم من كفر الصحابة ﷺ، ومنهم من كفر الأمَّة كلها إلَّا فرقتهـم، كما في كتاب «الأنوار النعمانيَّة» للشيخ نعمة الله الموسوي الجزائري.

الذين ينظرون إلى الشيعة من خلال مواقفهم السياسية:

والطرف الثاني، المقابل لهـؤلاء المكفِّرين الَّذيـن لا ينظرون إلى الشيعة من خلال معتقداتهم ولا أصولهم، الَّتي خالفوا بها جماهير الأمَّة المسـلمة، ولا موقفهم من القرآن والسُّنَّة والصحابة، ولا إلى قولهم بأن الأئمَّة معصومون ويعلمـون من الغيوب ما لا يعلمـه الأنبياء، ولا إلى

(١) رواه أحمد (٨٣٩٦)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في السنة (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان (٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قولهم بأن إمامة هؤلاء من أصول الدين، ومن أنكرها فهو كافر، ولا إلى سلوكياتهم العجيبة الَّتي تحيِّر الألباب، مثل إحيائهم مأساة الحسين رضي الله عنه، كلَّ عام، بلطم الخدود، وضرب الصدور إلى حدِّ إسالة الدم، وشقِّ الجيوب، وقد مضى عليها أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، ومثل إيمانهم بأن المهدي موجود، وأنه دخل سردابًا لم يخرج منه، منذ أكثر من أحد عشر قرنًا، وهو خلاف سُنَّة الله المعتادة في البشر عامة، وفي هذه الأمَّة خاصَّة.

أغفل هؤلاء كلَّ ذلك ونظروا إلى الإنجازات السياسية الَّتي قامت بها ثورة الإمام الخميني، وأبرز ما فيها تحدِّي أمريكا الشيطان الأكبر، وربيبتها إسرائيل، وتزعُّم «حزب الله» الشيعي المقاومة في لبنان، وتحقيق نصر عليها، خصوصًا في صيف سنة ٢٠٠٦م.

ومن أجل ذلك يجب أن نسكت عن مذهبهم وعن معتقداتهم، وعن خططهم لغزو المجتمعات السنية، وما رُصد لذلك من ملايين، بل بلايين، وما أُعد لذلك من رجال قادرين على النزال، في حين لا يوجد لدى أهل السُّنَّة أيَّ دفاع، كما قال الأخ السائل: إنَّ علماءهم لم يحصِّنوهم بأيِّ ثقافة واقية، وتركوا صدورهم عارية؛ لأيِّ سهام توجَّه إليهم من يمين أو شمال.

وأرى هنا ضرورة التفريق بين الموقف السياسي والمذهب العقائدي، نؤيدهم في موقفهم من أمريكا وإسرائيل، ونساندهم في موقفهم النووي، ونقاوم كلَّ محاولة للتدخل في حرمانهم من حقِّهم في الطاقة النووية، ونقف بكلِّ قوة ووضوح ضد أمريكا إذا هدَّدت بضربة عسكرية. وهو ما أعلنتُه بحمد الله بكل صراحة، وقلت: سنقاتل أمريكا إذا قاتلت إيران. وقد نشرت ذلك أجهزة الإعلام الإيرانية، وأثنوا عليه، واتصلوا بي ليشكروني. وأنا لم أقل إلَّا ما أعتقده حقًّا.

QaradawiBooks.com

ولقد ناصرت حزب الله في حربه مع إسـرائيل، ورددت على العالم السعودي الكبير الشيخ ابن جبرين، في حلقة كاملة من حلقات «الشريعة والحياة». وفي هذا الجزء فتوى حول هذا الموضوع.

ولكن يبقى تحفُّظنا على المذهب قائمًا، ويبقـى موقفنا من أصوله واضحًا، ويبقى موقفنا من نشـر المذهب في ديارنا السـنيَّة ومجتمعاتنا المسالمة جليًّا وثابتًا.

فئة الوسط:

وبين الطرفين المذكورين تقوم الفئة الوسـط، الَّتي تعارض الشيعة فيما تختصُّ بـه من معتقدات وأصول، وما تتفرَّد بها من سـلوكيَّات أو شـعائر. مثل الشـهادات الثلاث في الأذان، ومثل إحياء البلوى بمصيبة الحسين كل عام؛ مع أن الَّذي جاءت به السنة: أن لا عزاء بعد ثلاثة أيام! ولكن هؤلاء لا يصلون بالشـيعة إلى حدِّ الكفر البواح، أو الكفر الأكبر. إلَّا ما لا يحتمل التأويل ويقطع بكفر صاحبه.

وأنا من هؤلاء الَّذين لا يكفرون الشيعة، ولكن يخالفونهم في جملة قضايا أساسية:

١ ـ موقفهم من القرآن:

في موقفهم من القـرآن، وإن كنتُ أكَّدتُ مرارًا أنَّهـم يؤمنون بهذا القرآن الَّذي نحفظه جميعًا، ويعتقدون أنه كلَّه كلام الله، والمصحف الَّذي يطبع في إيران هو نفسـه الَّذي يطبع في مكة والمدينـة والقاهرة، وهو الَّذي يحفظـه أبناؤهم في المدارس، والذي يسـتدل بـه علماؤهم في الأصول والفروع، والذي يفسره شـيوخهم في كتبهم. ولكن لديهم مَن

QaradawiBooks.com

يقول: إن هذا القرآن لا يحوي كلَّ شيء، فهناك أشياء حُذفت منه سيأتي بها المهدي عند ظهوره.

وكثير من مشايخهم ـ بل ربَّما أكثرهم ـ لا يؤمنون بذلك، ولكنهم لا يكفِّرون مَن قال ذلك، وهو خلاف موقفنا أهل السُّنَّة؛ فمن يقول بالنقصان أو الزيادة في القرآن فهو كافر بلا ريب!

ثم إن هذه الأقوال موجودة في كتبهم المعتمدة مثل «الكافي» الَّذي هو كالبخاري عندنا، وهذه الكتب تُطبع وتُترجم، وتُنشر وتُوَزَّع في العالم على نطاق واسع، دون تعليق عليها أو نقد لها. وقد قيل: السَّاكت عن الحقِّ كالنَّاطق بالباطل!

٢ ـ موقفهم من السنة:

وكذلك موقفهم من السُّنَّة، فنحن عندنا: السُّنَّة هي سنة محمَّد رسول الله ﷺ. وهو الَّذي خصَّه الله بالعصمة، وأمر الأمَّة بطاعته بجوار طاعته ﷻ.

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] إلى غيرها من الآيات الكثيرة الوفيرة.

ولكن عند الشيعة: السُّنَّة سُنَّة الرسول والمعصومين، أي سُنَّة الرسول

QaradawiBooks.com

والأئمَّة الاثني عشر أو الأحد عشـــر. فهؤلاء يجب أن يطاعوا، كما يطاع الله ورسوله المؤيد بالوحي. فقد أضافوا إلى ما أمر به القرآن من طاعة الله ورسوله، طاعة مخلوقين لم يأمر الله بطاعتهم.

فضلًا عمَّا نأخـــذه عليهم من الأخـــذ عن غير الثقات المشـــهورين بالعدالة وتمام الضبط.

ولذا لا تُقبل مصادرنا من كتب السنَّة عندهم، لا البخاري ولا مسلم، ولا بقيَّة الكتب الستَّة، ولا الموطأ ولا مسند أحمد، ولا غيرها.

٣ ـ موقفهم من الصحابة:

الموقف من الصحابة: وهو موقف مبدئي وأساسي عند الشيعة، وهو فرع عن أصل ثابت، ونتيجة لمقدمة مســـلمة. هذا الأصـــل أو المقدمة عندهم: أنَّ الرســـول ﷺ نص على أن يخلفه عليٌّ بعـــده، وأن الصحابة أخفوا هذه الوصية، وغصبوا عليًّا حقَّه جهارًا نهارًا، وخانوا رسولهم الَّذي هداهم الله به، وعاشوا حياتهم في نصرته، وفدَوه بأرواحهم، وما ملكت أيديهم. والعجيب أن يجمعوا على ذلك، وأن يسكت عليّ فارس الإسلام عن إعلان حقه، ويبايع أبا بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان. ولم يقل لأي منهم: إن عندي وصية من رســـول الله، فلماذا تتجاهلونها؟ ولمـــاذا تجعلونها شورى في ستة وتشغلون أنفســـكم: من الَّذي يقع عليه الاختيار، والأمر محسوم بالوصية النبويَّة؟ لماذا لم يصدع عليّ بما عنده من أمر؟ ثمَّ إذا كان الحســـنُ بن عليٍّ منصوصًا على خلافته، كيف يتنازل عنها مختارًا، ويســـلِّمها إلى معاوية؟! وهل يكون من حقِّه ذلك إذا كان مكلَّفًا من الله بذلك؟ وكيف يثني رسول الله عليه بتنازله عن مهمته المنصوص عليها؟!

أسئلة لا جواب عليها عند القوم.

QaradawiBooks.com

وهذه الصورة عن الصحابة صورة قاتمة وزائفة، لا تمت إلى حقيقتهم بصلة، وهي مناقضة كل المناقضة لما ذكره الله عنهم في عدد من سور القرآن، مثل أواخر الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، وسورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. حتَّى الَّذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وفي طليعة السابقين الأولين من المهاجرين: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير. وفي سورة الفتح، في وسطها: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. وفي آخرها قوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وسورة الحشر ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩]، وغيرها.

وما ذكرته السُّنَّة المشرَّفة تنويهًا بفضلهم عمومًا وخصوصًا، واعتبار قرنهم خير القرون بعد رسول الله.

QaradawiBooks.com

وما سـجَّلته وقائع التاريخ عنهم، فهم الَّذين حفظوا القرآن، وعنهم تلقته الأمَّة.

وهم الَّذين رووا السُّنَّة، ونقلوها أقوالًا وأفعالًا وتقريرات إلى الأمَّة.

وهم الَّذين فتحوا الفتوح، وقادوا الأمم إلى التوحيد ورسالة الإسلام، وقدَّموا لها النماذج القرآنية الَّتي بها يُقتدَى فيُهتدى.

٤ ـ إمامة عليٍّ والاثني عشـر من ذريته من أصـول الإيمان، ومن لم يؤمن بها فهو كافر:

ومما يخالف فيه الشـيعة الإمامية الاثنا عشرية: أهل السُّنَّة والجماعة، في مجال العقيدة: اعتبارهم إمامة سيدنا علي وبنيه من ذرية الحسين، من أصول الإيمـان، كالإيمان بـالله وملائكته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر. فلا يصح إيمان مسلم، ولا يقبل عند الله تعالى، إذا لم يؤمن بأنَّ عليًّا خليفة منصوص عليه من الله تبارك وتعالى، وكذلك الأحد عشر إمامًا من ذريته. ومن أنكر ذلك أو شكّ فيه فهو كافر مخلد في النَّار. وهذا ما نصوا عليه في رواياتهم المستفيضة في «الكافي» وغيره، وما نصت عليه كتب عقائدهم.

وعلى هذا الأسـاس نرى عامتهم يكفرون أهل السُّـنَّة عامة؛ لأنَّهم يخالفونهم في هـذه العقيدة، بل ينكرونها أصـلًا، ويعتقدون أنَّها باطلة مكذوبة على الله ورسوله.

بل هم يكفرون الصحابة الَّذين لم يعترفـوا بها لعليٍّ رضي الله عنه، ويكفرون الخلفاء الراشدين الثلاثة الَّذين سـبقوا عليًّا: أبا بكر وعمر وعثمان، ومن رضي بهم من صحابة رسـول الله. ونحن نعلـم أنَّ كل الصحابة قد رضي بهم، حتَّى علي نفسـه. تأخر في أوَّل الأمر عن مبايعة أبي بكر، ثمَّ بايعه.

QaradawiBooks.com

وقال له: إنّا لا ننكر فضلك ومنزلتك يا أبا بكر، ولكن كنَّا نرى لنا في هذا الأمر حقًّا، لقرابتنا من رسول الله[١]. ولم يذكر أنَّ لديه نصًّا، من الله ورسوله.

ونحن أهل السُّنَّة والجماعة ـ نرى قضية الإمامة وما يتفرع عنها ـ من فروع الدين العمليَّة، لا من أصوله الاعتقاديَّة، فأولى ما تبحث في كتب الفقه والأحكام العمليَّة، لا في كتب العقائد وأصول الدين. وإن كان أهل السُّـنَّة اضطروا ـ من الناحية الواقعية ـ أن يتكلَّموا عنها في كتب العقائد ليردوا على نظريات الشيعة ومقولاتها فيها.

نقل العلَّامة الشيخ محمَّد عرفة عضو هيئة كبار علماء الأزهر في زمنه من كتب العقائد عند الشيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة: ما يؤكد ما قلناه عنهم:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رجعنا إلى كتب العقائد عندهم، وجدناها توافق الروايات الَّتي قيلت، وها نحن أولاء نهرع إليها، فننقل منها مذاهبهم في أشد ما ذكرناه خطورة، وهي «الإمامة» وما يتعلَّق بها من تكفير الصحابة والخلفاء الراشدين الثلاثة، ومن تكفير المسلمين من يوم توفي النَّبيّ ﷺ، إلى يومنا هذا؛ لأنَّهم لم يقولوا بإمامة علي وإمامة الأئمَّة الاثني عشر، ننقله عن رئيس المحدّثين أبي جعفر الصدوق محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمِّي المتوفى سنة (٣٨١هـ) ـ وهو ثاني المحمدين الثلاثة، وصاحب كتاب: «من لا يحضره الفقيه»، أحد الكتب الأربعة الَّتي يعتبرها الشيعة أصول مذهبهم ـ في «رسالة الاعتقادات» قال: «واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمَّة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧١١، ٣٧١٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الأئمَّة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة نبينا محمَّد ﷺ». وقال في رسالة «الاعتقادات» أيضًا: قال النَّبيُّ ﷺ: «من جحد عليًّا إمامته بعدي فقد جحد نبوَّتي، ومن جحد نبوَّتي فقد جحد اللهَ ربوبيَّتَه».

وقال النَّبيُّ ﷺ: «يا عليُّ، أنت المظلوم بعدي، ومن ظلمك فقد ظلمني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن جحدك فقد جحدني».

وقال الصادق عليه السلام: المنكر لآخِرنا كالمنكر لأوَّلنا.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «الأئمَّة من بعدي اثنا عشر: أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم المهدي القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحدًا منهم فقد أنكرني». وقال الصادق: من شكَّ في كفر أعدائنا والظالمين لنا، فهو كافر[1]»[2].

٥ ـ دعوى الوصية النبويَّة لعلي فيها تهوين للأمَّة:

ثم إنَّ دعوى وصية رسول الله ﷺ، إلى علي بالخلافة، تسلب الأمَّة حقَّ الولاية على نفسها، في اختيار حكامها بنفسها، تحقيقًا لمبدأ الشورى الَّتي جعلها الله من خصائص مجتمع المؤمنين، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وكأنَّ الأمَّة قاصرة أبدَ الدَّهر، حتَّى يعيَّن لها بالنصِّ مَن يحكمها ويقودها. ويتحتَّم أن يكون حكَّامها من بيت معيَّن، ومن فرع خاصٍّ من هذا البيت، مع أن الأصل أن النَّاس جميعًا سواسية، وأن يقودهم مَن يرضونه لقيادتهم، وهو أقدر على تحمُّل المسؤولية، وقيادة السفينة.

(١) وهذا كله باطل موضوع ممَّا صنعته أيديهم.

(٢) رسالة الاعتقادات لابن بابويه القمي صـ ٣٣١ ـ ٣٣٣، نشر مؤسسة الإمام الهادي، ط ٣، ١٤٣٥هـ.

QaradawiBooks.com

أعتقد أن تصوُّر أهل السُّنَّة للدولة الإسلاميَّة هو التصوُّر المعبر عن حقائق الإسلام، الَّتي جاءت بها محكمات القرآن والسُّنَّة الصحيحة، وهو الأقرب لما ينادي به العالم اليوم من حق الشعوب في حكم نفسها، وأبعد عن الحكم الثيوقراطي، أو الحكومة الدينية الَّتي تحكم الأرض باسم السماء، وتتحكَّم في رقاب النَّاس وضمائرهم باسم الدين والكهنوت، الَّذي لا يملك النَّاس أمامه إلَّا أن يُذعنوا ويقولوا: سمعنا وأطعنا.

وقد شاء القدر أن يردَّ على الشيعة بحكم التاريخ والواقع الزمني، فقد اختفى الإمام الثاني عشر، كما زعموا، وبقي النَّاس بلا إمام معصوم أكثر من أحد عشر قرنًا، فكيف ترك الله النَّاس، ولا هادي لهم؟ إن قالوا: عندهم القرآن والسُّنَّة، فنحن نقول هذا من أوَّل الأمر!

٦ ـ تميُّز فئة معيَّنة على سائر الأمَّة:

ثمَّ إنَّ فكرة المذهب الشيعيِّ قائمة على أنَّ فئة معيَّنة من البشر، متميِّزة على خلق الله جميعًا، ولها فضل عليهم جميعًا، بحكم خلقتها، وأنَّها تستحقُّ وحدَها أن تحكمهم وتتولَّى أمرهم وإن لم يختاروها؛ لأنَّها قد اختيرت من السماء.

وهذه الفكرة منافية لفكرة الإسلام العامَّة: أن النَّاس كلَّهم سواسية كأسنان المشط، وأنَّهم جميعًا ينتمون إلى خالق واحد، ويُنسبون إلى أبٍ واحد، وأنَّهم جميعًا خُلقوا من ماء مهين، فلا فضل لأحد منهم على آخر إلَّا بالتقوى. كما أعلن ذلك القرآن بجلاء ناصع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

QaradawiBooks.com

وأنَّ النَّاس إنَّما يتفاضلون بأعمالهم لا بأنسابهم، ومن بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه، والقرآن يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ثمَّ ذكر أن الحَكَم بين النَّاس هو الميزان، الَّذي يوضع يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا. وأن النَّاس هم الَّذين يختارون أمراءهم في إطار الشورى، ويبايعونهم بيعة مشروطة بالالتزام بحدود الله، وحقوق النَّاس.

الرسول الكريم هو وحده الَّذي اصطفاه الله بالوحي، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ومَن عداه فهو بشر من البشر.

ثمَّ إنَّ الواقع التاريخيَّ يدلُّ على أنَّ هؤلاء الَّذين زعموا أنَّهم منصوص على ولايتهم على الأُمَّة، لم يَلُوا من أمرها شيئًا، وعاشوا كغيرهم من النَّاس، يجري عليهم حكم الآخرين، ما عدا عليًّا رضي الله عنه. وهم في العلم لم يُعرف عدد منهم بالتفوُّق والإمامة في العلم، وبعضهم كانوا من سادة الفقهاء كغيرهم من نظرائهم من نوابغ الأمَّة، كالباقر والصادق رضي الله عنهما.

٧ ـ انتشار البدع الشركيَّة بين الشيعة:

ومما يؤخذ على الشيعة: انتشار البدع الشركيَّة بينهم، وتقديس القبور والمزارات والمشاهد لأئمتهم وشيوخهم، والسجود عندها، وطلب الشفاعة منها، وسؤالهم أن يجلبوا الخير لزائريهم، وأن يدفعوا الشر عنهم، فهم يملكون النفع والضر، والإفقار والإغناء، والإسعاد والإشقاء. وقد رأيت بعينَيْ رأسي في مشهد في زيارة قبر الإمام الرضا كيف يسجد الزائرون قبل القبر بعشرات الأمتار، ويزحفون ساجدين إليه، وهذا برضا علمائهم وتشجيعهم.

وهذا بخلاف ما قد يحدث عندنا أهل السُّنَّة من العوام في زيارة قبور

QaradawiBooks.com

الأولياء وآل البيت، فهناك انحرافات موجودة ومنكرة، ولكن علماء السُّنَّة ينكرون على فاعلها، ويغلظون في ذلك، وهذا الفرق المهم بيننا وبينهم: أن ما يقع من العوام عندنا ينكره العلماء عليهم ويشددون النكير، بل قد يوجد من يكفرهم! وما يوجد من انحرافات شركيَّة عندهم، إنَّما هي بتحريض من علمائهم، ورضا من جهتهم.

٨ ـ الشيعة وتشويه التاريخ:

ثمَّ إنَّ مقولة الشِّيعة عن الصحابة وتابعيهم وأتباعهم واتهامهم بكل سوء: يشوه تاريخ الأمَّة في خير قرونها، قرون الفتوحات والانتصارات، وإدخال الأمم في الإسلام، وبناء الحضارة على أسس العلم والإيمان والأخلاق، والأمم الَّتي لها تاريخ مجيد، مثل أمَّة الإسلام، تسعى لبناء نهضتها على أساس من تاريخها، يصل حاضرها بماضيها، ويتخذ من أمجاد الآباء والأجداد سلّما لتحفيز الأبناء والأحفاد.

أمَّا هؤلاء، فتاريخ الأمَّة عندهم ظلمات بعضها فوق بعض، وهذا ما دفعني إلى أن أصدر كتابي: «تاريخنا المُفْتَرى عليه» لأنصف هذا التاريخ، وأرد على المفتريات والشبهات عنه. وهو ما لم يعجب الشيعة، بل أزعجهم، وكتب أحدهم كتابًا يرد عليَّ، سمَّاه «القرضاوي وكيل الله أم وكيل بني أمية؟»[1].

٩ ـ التقيَّة:

ومما يُؤخذ على المذهب الشيعي في السلوك: اتخاذه «التقيَّة» مبدأ وأساسًا في السلوك والتعامل مع النَّاس. فهم يتدينون بهذا: أن يُظهر

(١) ألفه الشيعي المصري د. أحمد راسم النفيس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الشيعيُّ غير ما يبطنه، وأن يكون له وجهان يلقى بأحدهما بعض النَّاس، ويلقى آخرين بالوجه الآخر، وكذلك له لسانان.

وهم يستدلُّون على هذا بقول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

وواضح أن الآية تستثني حالة الضرورة الَّتي يلجأ فيها المسلم إلى مثل هذا الموقف، فرارًا من الهلكة، أو من ضرر كبير يحيق به، فهي حالة استثنائية أشبه بقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

فهذه حالات استثنائية لا تمثل قاعدة في السلوك، بل يُلجأ إليها عند الضرورات الَّتي تبيح المحظورات، وهي تقدر بقدرها، ولا يلحق بها غيرها؛ لأنَّ ما جاء على سبيل الاستثناء يُحفظ ولا يُقاس عليه.

ولكن الشيعة الإمامية جعلوا هذا أصلًا في تعاملهم ونقلوا عن أئمَّتهم ما يبرِّر لهم ذلك، فعن جعفر الصادق أنَّه قال: التقيَّة ديني ودين آبائي. قال ابن تيمية معلِّقًا على هذه الكلمة: وقد نزَّه الله أهل البيت عن ذلك، ولم يُحْوجهم الله إليه، فكانوا من أصدق النَّاس، وأعظمهم إيمانًا، فدينهم التَّقوى لا التقيَّة[1].

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال للذهبي صـ ٧٣، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٣، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

رأي كبار علماء الأزهر في الشيعة:

وأحبُّ أن أقول هنا: إنَّ هذا الَّذي سطرته هنا عن مذهب الشيعة الاثني عشـــريَّة ليس رأيي وحدي، ولكنَّه رأي كبار علماء الأزهر في الشيعة، من أمثال العلامة الشيخ حسنين محمَّد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقا، والشـــيخ محمَّد عرفة عضو هيئة كبار العلماء، ومدير الوعظ والإرشاد في زمنه، والشـــيخ جاد الحق علي جـــاد الحق مفتي مصر، وشـــيخ الأزهر الســـابق، والشـــيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى في الأزهر، والشـــيخ الدكتور عبد المنعم النمر، وكيل الأزهر، ووزير الأوقاف في وقته.

ولا يتَّســـع المجال هنا لأنقل أقوال هؤلاء العلماء الكبار الَّذين كان لهم وزنهم العلمي ودورهم الإصلاحي في حياتهـــم، والذين لا يتوجَّه إليهم اتهامٌ بتحيُّز أو تعصُّب أو انغلاق.

وقد ذكر العلامة الشيخ مخلوف أنواع الشيعة، منهم: الشيعة الإمامية الاثنا عشرية. وأنَّهم يزعمون أنَّ الرسول نصَّ نصًّا جليًّا على إمامة علي بعده، وأنه هو وَصِيُّه، ويطعنون في سائر الصحابة، وخاصَّة الشيخين، بل منهم من يُكَفِّرهـــم. وزعموا انحصـــار الإمامة في الاثني عشـــر وآمنوا بعصمتهم، ورجعة المهدي المنتظر، إلخ.

قال الشيخ: وهذا المزيج لا يقره الدين الصحيح في جملته وتفصيله.

فلا عصمة لغير الأنبياء والرسل من الخلق.

ولا انحصار للإمامة في آل البيت، ولا في الاثنيْ عشر.

ولا وصية من الرسول لعلي؛ لا بنص جلي، ولا بنص خفي.

ولا أصل في الدين لخرافة المهدي المنتظر، الَّذي زعموا أنه اختفى، ولا يزال حيًّا في الأرض، وسيظهر في آخر الزمان.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا أصل لتقديس من عدا الرسول الأكرم من أهل العباء.

ولا أصل لشدِّ الرِّحال إلى كربلاء والنَّجَف وتقديسهما كما يزعمون.

ولا أصل لاتخاذ عاشوراء يوم حزن وعزاء، بل كل ما ورد في شأنه استحباب صومه.

هذا ما قاله العلامة الشيخ حسنين مخلوف، وقال معه مثله أو أكثر منه إخوانه من العلماء الكبار، كما نقل ذلك الدكتور محمَّد يسري في كتابه الَّذي جمع فيه هذه الأقوال تحت عنوان «فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف في الشيعة وفرقها». وقدَّم له الأستاذان الخُشوعي وقريشي من أساتذة الأزهر. وهي فتاوى علميَّة موثقة بالنقل من كتب الشيعة أنفسهم، ومصادرهم المعتمدة، لا من كتب خصومهم. وأنصح القارئ المسلم الَّذي ينشد الحق أن يقرأ هذه الفتاوى لهؤلاء العلماء في هذا الكتاب.

ولكنِّي أكتفي هنا من هذا الكتاب بتسجيل ما نقله عن الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر؛ لأنَّه رجل معروف بانفتاحه على العالم، وانفتاحه على العصر، وقد زار كثيرًا من الأقطار الإسلاميَّة، وعمل مبعوثًا للأزهر في الهند، وألَّف في تاريخ الإسلام في الهند، وكان أوَّل رئيس تحرير لمجلة «الوعي الإسلامي» بالكويت، وله نظرات وكتابات تجديدية. ولذلك لا يُتَّهم بجمودٍ أو تعصُّبٍ.

رأي الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصري السابق في الشيعة:

نقل فضيلة الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصري السابق، في كتابه: «الشيعة، المهدي، الدروز تاريخ ووثائق» الحوار الَّذي دار بينه وبين الشيخ محمَّد علي تسخيري داعية التقريب.

QaradawiBooks.com

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «بسم الله، والصَّلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وبعد: فقد رأيت ـ أخي ـ أن أجعل مقدمة هذه الطبعة الرابعة حديثًا جرى بيني وبين سماحة الأخ الشيخ محمَّد علي تسخيري، أحد علماء إيران الَّذي ينوب أحيانًا كثيرة عن حكومته في المؤتمرات والندوات الإسلاميَّة، وهو رجل وسيم فصيح ولبق، إذا تحدث باللغة العربية كان كأحد أبنائها، ويظهر أنه تلقى تعليمه وقضى شطرًا كبيرًا من شبابه في رحاب المدن المقدسة الشيعية في العراق.

كان هذا اللقاء في «مسقط» عاصمة سلطنة عمان، وفي رحاب جامعة السلطان قابوس الحديثة والفخمة المتسعة في مبانيها، والتي تقع على بعد نحو (٤٠) كيلو مترًا من العاصمة «مسقط» حيث عقدت «ندوة الفقه الإسلامي» الَّتي دعت السلطنة لعقدها في المدة من (السبت ٢٢ شعبان ـ ٩ أبريل إلى الأربعاء ٢٦ شعبان ١٤٠٨هـ ـ ١٣ أبريل سنة ١٩٨٨م) وحضرها كثير من كبار العلماء والمشتغلين بالفقه الإسلامي، والحركة الإسلاميَّة وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق.

التقيت بالشيخ محمَّد علي تسخيري في أوَّل جلسة، وتبادلنا التحية، والمصافحة، وذكرني بأن أوَّل لقاء كان في أحد الملتقيات الفكرية في مدينة قسنطينة بالجزائر في أوائل الثمانينات.

وفي اليوم الثاني خرجنا سويًّا من الجلسة للاستراحة، ودار بيننا حديث بدأه هو، حين قال لي: لقد ظلمتنا حين نسبت إلينا أنَّنا نقول بتحريف القرآن، وأنَّ الصحابة الَّذين جمعوه، قد أسقطوا منه سورًا وكلمات، تثبت حق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الإمامة بعد الرسول.

QaradawiBooks.com

قلت له: نعم؛ ذكرتُ ذلك، معتمدًا على ما جـاء في كتبكم، وذكرت هذه الكتب، وعلى رأسـها كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» الَّذي ألفه عالمكم الكبير «الشيخ حسين النوري الطبرسي» في آخر القرن الثالث عشر الهجري، وطبع في إيران (سنة ١٢٩٨هـ)، ونقلت بعض ما جاء في هذا الكتاب بالنص، فكيف أكـون قد ظلمتكم، وأنا لم أذكر كلمة في ذلك إلَّا من نص كتبكم، وما قـرره علماؤكم، وقد أحطتم مؤلف كتاب «فصل الخطاب» هذا بكل تكريم عند وفاته (سـنة١٣٢٠هـ)، حيث دفن في مشهد الإمام المرتضوي بالنَّجف أشرف البقاع عندكم.

قال: هذا الكتاب لا يساوي شيئًا، وأنا أضعه تحت قدمي. «وضرب الأرض بقدمه» وهو منفعل.

قلت له: ولماذا تبقـون عليه مُعتبرًا عندكـم، إذا كان الأمر كذلك؟ لماذا لم تعلنوا أنكم لا تقرون ما جاء في هذا الكتاب، وتنشروا هذا على نطاق واسـع، حتَّى أعلم أنا وغيري أن هذا الكتاب لا يعبر عن رأيكم، ولا رأي المذهب والمتمذهبيـن به؟ وهل صدر قرار أو بيان على الأقل من المرجع الأعلى للشـيعة وهـو الآن «آية الله الخمينـي» بعدم صحَّة ما جاء في كتبكم، وعلى رأسـها كتاب الطبرسـي هذا، مـن اتهامكم للصحابة الَّذين جمعوا القرآن بأنَّهم حرفوه؟ وذلك حتَّى تقوموا بحذف هذه الاتهامات من هذه الكتب عند إعادة طبعها، أتعجزون عن هذا؟!

لم يحصل منكم شيء من ذلك، وأنا أعرف أن بعض علمائكم يتبرؤون في مجالسـهم من ادعاء تحريف القرآن، لكنَّ الصوت العالي والرواج هو للرأي الَّذي يدعـي أنَّ الصحابة حرفـوا القرآن، فلماذا لم تصـدروا بيانًا للشعب الَّذي يتعلَّم من هذه الكتب، باستنكاركم لهذا الاتهام؟

QaradawiBooks.com

قال لي: وقد تحدثت أيضًا عن قولنا بأن هناك مصحفًا يقال له: «مصحف فاطمة»، ونحن لا نقول بهذا.

قلت له: نعم؛ تحدثتُ عمَّا تقوله أوثق المصادر عندكم من أن الوحي كان ينزل على السيدة فاطمة عليها السلام بعد وفاة والدها، وكان علي رضي الله عنه هو كاتب الوحي، حتَّى تجمع من ذلك ما سمَّيتموه «مصحف فاطمة».

وكان أوَّل علمي بهذا اطلاعي على خطبة للخميني أذاعتها إذاعة طهران، قال فيها حين كان يخطب في اجتماع للسيدات، بمناسبة الاحتفال بذكرى مولد السيدة فاطمة عليها السلام: إنني أجد نفسي عاجزًا عن الحديث عن السيدة فاطمة، ولكنِّي أكتفي برواية مدعمة بالأدلة ذكرها كتاب «الكافي»... وذكر للسيدات هذه الرواية.

وكتاب «الكافي» للإمام الكليني عندكم هو البخاري عندنا، وقد اضطرني هذا إلى أن أذهب للنجف في زيارة أحد علمائكم الكبار، واستطعت أن أطلع في مكتبته على ما ذكره من هذا الكتاب «الكافي» وهو مطبوع في إيران.

وقد أثبتُّ في كتابي الجزء والباب الَّذي ذكر نزول الوحي على فاطمة، ومصحفها بكل صراحة. فهل أكون متجنيًا عليكم وظالمًا لكم، حين أستقي معلوماتي من أوثق المصادر عندكم؟ وأنقلها بالنص من كتبكم؟

قال لي: هذه الكتب لا قيمة لها، ولا يوثق بها.

قلت له: كيف، وأنتم تنشرون كتاب «الكافي» هذا على نطاق واسع في العالم، حتَّى في أمريكا، بل وتترجمونه إلى اللغة الإنجليزية ليقرأه كل من يعرف الإنجليزية في الغرب والشرق، وتحت يدي ملازم من

QaradawiBooks.com

الطبعة الجديدة من الترجمة، فهل يمكن أن يقال عن كتاب «الكافي» هذا إنه لا قيمة له عندكم، وأنتم تبذلون ما تبذلون من جهد ومال في طباعته وترجمته بمئات الآلاف من النسخ؛ لتوزعوه في أنحاء العالم كدعاية لكم ولمذهبكم؟ هل يعقل هذا؟!

قال: إنَّ عندكم كتبًا في التفسير فيها كثير من الإسرائيليَّات، فهل معنى ذلك أنكم تقرونها؟

قلتُ: صحيح أنَّ هناك إسرائيليَّات وأحاديث غير صحيحة، ولكن كان بعض المفسرين ينبهون إليها، ويقررون كذبها، ونحن الآن نحاربها ونؤلف الكتب في بيانها والتحذير من تصديقها، وقام بعض علمائنا بتهذيب هذه الكتب وإبعاد ما جاء فيها من إسرائيليَّات، وأحاديث موضوعة وغير صحيحة. بينما نراكم تعنون بتجديد طباعة كتب تقولون عنها الآن إنَّها لا قيمة لها، بل وتترجمونها وتطبعون الترجمة على أوسع نطاق! فأيهما نُصدِّق؟ الكلام الَّذي ينقصه الدليل ولو ضعيفًا، أو الواقع وهو أقوى دليل؟!

وثاني يوم في الجلسة الصباحية أخبرني أحد الإخوة من العلماء أن سماحة الشيخ قد أصابته حالة مفاجئة في القلب ونقل على إثرها لمستشفى السلطان في جناح خاص، فأسفت أن أكون قد تسببت فيما حصل له، وسارعت إلى زيارته في المستشفى حيث وجدته جالسًا على سريره وقد أفاق، فطمأنني إلى أن ما أصابه كان بسبب قرحة في الاثني عشر اشتدت عليه، وأخذ الدواء المناسب لها، وحضر ـ ونحن نتحدث ـ وزير خارجية إيران «سعادة علي أكبر ولايتي» يزور الشيخ فقام بتعريفنا بعضنا لبعض، وجلست قليلًا. ثمَّ استأذنت لأخلي لهما الجو.

QaradawiBooks.com

وثاني يوم رغب أخي الدكتور محمَّد الأحمدي أبو النور في زيارته فذهبنا سـويًّا، ووجدنا حجرته خالية من الزوار، ورغب في اسـتئناف الحديث. فقلت له: موضوع الحرم، كيف تفعلون فيه؟ هذا الَّذي لم يقبله أحد من المسلمين!

قـال: إنَّ الإمـام الخميني يحتـاج إلى فتوى شـرعية مـن علماء المسلمين، وهو يستجيب لها فورًا.

قلت له: وهـل موضوع أمن الحرم فـي حاجة إلى فتـوى منَّا بعد النصوص الصريحة الَّتي تؤكد ضرورة الأمن فـي الحرم. هل بعد قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمـران: ٩٧]، وبعد أن أمَّن الله كل ما في الحرم، حتَّى الطير والشـجر، وحـرّم مجرد الجدال فيـه، هل بعد هذا نحتاج إلى فتوى مـن أحد؟ وهل جلب المتفجـرات مع حجاج إيران، وتسيير المظاهرات تهتف باسم خميني، تسد الشـوارع، وتؤذي المارة فيها، وتتجه إلى دخول الحرم، وهـو مزدحم غاية الازدحام، وهي تضم عشرات الآلاف من المتحمسـين الثائرين، ونتيجة هذا كله معلومة، هل يتَّفق هذا مع الأمن الَّذي طلب الله منَّا أن نوفره للحرم؟

أخي، حرصتُ على ذكر هذه الوقائع لك لتزداد معرفة بالكتاب الَّذي بين يديك، ولنعرف جميعًا طبائع وسلوك هؤلاء الَّذين نتعامل معهم، نحن المسلمين العرب على الأقل. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

كتاب «كشف الأسرار» للخميني واتهامه للشيخين:

وأمامي الآن الكتاب الَّذي يجادل فيه «رُوح الله خميني» مخالفيه من أهل السُّنَّة، ويسوق الأدلَّة على صحَّة الاعتقاد بالركن الأساس «الإمامة» وضرورة الإيمان به لكل مسـلم، وينتهي إلى الآتـي: مخالفة أبي بكر

QaradawiBooks.com

لنصوص القرآن»، ويبدأ فيتحدث عمَّا جاء في القرآن عن وراثة الملك: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦]، إلخ. ليخرج من هذا بصحة نظريتهم في أن عليًّا رضي الله عنه يرث الملك والحكم عن الرسول ﷺ.

ثم أخذ يسوق أدلَّتَه على أنَّ أبا بكر رضي الله عنه خالف نصوص القرآن حسب هواه وخطته لإبعاد آل البيت عن الحكم، واضطهادهم في معيشتهم حين اخترع حديث: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»[(١)].

ثم ينتقل إلى مخالفة عمر رضي الله عنه لكتاب الله، ويذكر أحداثًا يستنتج منها ما يريده، ويأتي بما حدث من الرسول ﷺ حين طلب أن يكتب لهم كتابا... إلخ، وقول عمر رضي الله عنه في ذلك، ثمَّ يقول بعد أن أورد مصادره: «وهذا يؤكد أن هذه الفرية صدرت من ابن الخطاب المفتري»[(٢)] هكذا!

ثم بعد سطرين يقول عن كلمات ابن الخطاب في هذا: إنَّها «قائمة على الفرية، ونابعة من أعمال الكفر والزندقة»! وفي الصفحة نفسها كتب عنوانًا: «خلاصة كلامنا حول ذلك». قال تحته: «من جميع ما تقدم يتضح أنَّ مخالفة الشيخين للقرآن لم تكن عند المسلمين شيئًا مهمًّا جدًّا»[(٣)]، ويعلِّل ذلك بأنَّهما لم يكونا يستمعان لرأي أحد، ولا كانا مستعدين لترك المنصب، ولا كان أهل السُّنَّة مستعدين للتخلي عنهما، حتَّى لو قال

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)، ومسلم في الجهاد (١٧٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) كشف الأسرار للخميني صـ ١١٤

(٣) المرجع السابق صـ ١١٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عمر: إنَّ الله أو جبريل أو النَّبيَّ قد أخطؤوا في إنزال هذه الآية، كما قاموا بتأييده فيما أحدثه من تغييرات في الدين الإسلامي! إلخ[١].

إلى هذا الحد يكتب «خميني» عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، يكتبه لأتباعه أولًا ليغرس فيهم ـ كما غرس فيهم سابقوه كلٌّ في زمانه ـ هذا الاعتقاد في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهو بالطبع اعتقاد لا نرضاه، ونعوذ بالله ممَّن يصدقه. ولذلك لم يكن عجبًا ولا بعيدًا ما نقل عن أقوال الخميني وكتبه من أنه يطلق على الشيخين: «الجبت والطاغوت» ويسمِّيهما «صنمي قريش»، ويرى كجماعته أن لعنهما ولعن السيدة عائشة، والسيدة حفصة، له ثواب عند الله! (هكذا)، وكذلك الحال بالنسبة للخليفة عثمان رضي الله عنه[٢].

وكذلك لم يكن عجبًا ـ وذلك هو رأي خميني في أبي بكر وعمر ومن ساندهما ـ أن يصدر عنهم نصُّ دعاء يتَّجهون جميعًا به إلى الله يسمُّونه «دعاء صنمي قريش» يقولون فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. اللهمَّ صل على محمَّد وآل محمد. اللهمَّ العن صنمي قريش، وطاغوتيها، وإفكيها، وابنتيْهما، اللَّذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وَقَلَبَا دينك، وحَرَّفا كتابك، وأحبَّا أعداءك، وجحدا آلاءك، وعطَّلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألْحدا في آياتك، وعاديا أولياءك، ووواليا أعداءك، وخرَّبا بلادك، وأفسدا عبادك، اللهمَّ العنهما وأتباعهما، وأولياءهما، وأشياعهما، ومحبِّيهما؛ فقد خرَّبا بيت النبوَّة، وردما بابه، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه، وعالِيَه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيه ووارث علمه [يريدون عليًّا]

(١) كشف الأسرار صـ ١١٧

(٢) كشف الأسرار صـ ١٠٧، وراجع: شهادة خوميني في أصحاب رسول الله للشيخ محمد إبراهيم شقرة خطيب المسجد الأقصى سابقا.

QaradawiBooks.com

وجحدا إمامته، وأشركا بربهما؛ فعظِّم ذنبهما، وَخَلّدهما في سَقَر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر، اللهمَّ العنهم بعدد كلِّ منكر أتوه، وحقٍّ أخذوه، ومنبرٍ علَّوْه، ومنافقٍ ولَّوه، ووليٍّ آذَوْه، وطريدٍ آوَوْه، وصادقٍ طردُوه، وكافرٍ نصروه، وإمامٍ قهروه، وفرضٍ غيروه، وأثرٍ أنكروه، وشرٍّ آثروه، ودم أراقوه، وخير بدَّلوه، وكفرٍ نصبوه، وكذب دلَّسوه، وإرثٍ غصبوه، وفيءٍ اقتطعوه، وسُحْتٍ أكلوه، وخُمُسٍ استحلوه، وباطلٍ أسَّسوه، وجورٍ بسطوه» ويستمرُّون على هذا المنوال إلى أن يقولوا: «اللهم العنهما بعدد كل آية حرفوها، وفريضة تركوها، وسُنَّة غيروها. اللهمَّ العنهما في مكنون السر، وظاهر العلانية لعنًا كبيرًا، دائمًا دائبًا سرمدًا، لا انقطاع لأمده، ولا نفاد لعدده، لعنًا يعود أوَّله، ولا ينقطع آخره. اللهمَّ العنهم ومحبِّيهم ومواليهم والمسلمين لهم والمائلين إليهم، والناهقين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدِّقين بأحكامهم. (قل أربع مرات) اللهمَّ عذبهم عذابًا يستغيث منه أهل النَّار. آمين يا رب العالمين»[1] انتهى.

كلُّ هذا ينصب على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومن معهما وتابعهما!

أعوذ بالله من الحقد والحنق. فماذا أبقى هؤلاء للذين كفروا بالله ورسوله؟!

يا حفيظ! ويتجرؤون حتَّى يقفوا أمام الله يدعونه بهذا الدعاء؟! وعلى رأس هؤلاء الآن «الخميني».

علمًا بأنَّ عمر رضي الله عنه قد زوَّجه عليٌّ رضي الله عنه بابنته «أم كلثوم» بنت «السيدة فاطمة»، وأخت الحسن والحسين، رضي الله عن الجميع. فهل كان الإمام عليٌّ يرى في عمر ما يرون، ثمَّ يزوِّجه ابنتَه؟

(١) كشف الأسرار صـ ٢٤، وتحفة العوام صـ ٤٢٢، ٤٢٣.

QaradawiBooks.com

وأعتقد أنَّ رأي خميني الآن فينا نحن الَّذين نجلُّ الخلفاء الراشدين والصحابة جميعًا، رأيه ظاهر واضح فينا. كفار نستحق اللعنة!

ولذلك لم يكن عجبًا أيضًا أن يعلن في مستهل عهده شعار: «تصدير الثورة للبلاد العربية»، طبعًا ثورته لا في الحكم فحسب ولكن على أساس مذهبه، ليحوِّلنا من الكفر إلى إسلامه هو، ومذهبه هو! ونشترك جميعًا في دعاء لعن صنمي قريش: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليحصل لنا الثواب من الله!

وهذا أمر سيفرضه علينا حتمًا لو انتصر على العراق، وسيطر بجيوشه على البلاد العربية ـ لا قدّر الله ـ وسيأتي مزيد بيان في هذا.

وقد كتب الأستاذ أحمد أمين عن صفات الإمام وخصائصه نقلًا عمَّا ورد في كتاب «الكافي» للكُليني وهو من أوثق كتب الإمامية الاثني عشرية[1] فذكر منها:

ـ اعتقادهم بأنَّ الإمام يُوحى إليه، وإن اختلفت طريقة الوحي عن النَّبيِّ والرسول.

ـ أنَّ من لا إمام له أصبح ضالًّا، ومن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق، قال الإمام الرِّضَا: النَّاس عبيدٌ لنا في الطاعة[2].

ـ الأئمَّة هم نور الله الَّذي قال عنه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [التغابن: ٨]. وليس المراد بالنور هنا القرآن، ولكن الأئمَّة.

ـ الأئمَّة أركان الأرض أن تميد بأهلها.

---

(١) راجع: ضحى الإسلام (١٥٥/٣) وما بعدها، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) هذا القول ومثله كثير ينسبه الشيعة ـ كذبًا وزورًا ـ للرضا.

QaradawiBooks.com

ـ الإمام مطهر من الذنوب، مبرَّأ من العيوب، مخصوص بالعلم.

ـ أعمال النَّاس ستعرض على النَّبيِّ ﷺ وعلى الأئمَّة.

ـ الأئمَّة موضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سر الله في الأرض ووديعته بين عباده.

ـ عند الأئمَّة جميع الكتب المنزلة على الرسل من عند الله ﷻ، وهم يعرفونها بلغتها.

ـ لم يجمع القرآن وعلمه إلَّا الأئمَّة، عن طريق التوارث من علم الإمام علي رضي الله عنه.

ـ إنّهم يعلمون علم ما كان، وما يكون، ولا يخفى عليهم شيء. فالله لم يعْلم نبيه بشيء إلَّا أمره أن يعْلمه عليًّا، ثمَّ انتهى هذا العلم إلى الأئمَّة من بعده.

ـ كان مع رسول الله روح أعظم من جبريل وميكائيل، وهذا الروح مع الأئمَّة.

ـ الملائكة تدخل بيوت الأئمَّة، وتطأ بسطهم، وتأتيهم بالأخبار.

ـ الأرض كلها للإمام، وأهل البيت هم الَّذين أورثهم الله الأرض، كما تقول الآية: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، والعباد الصالحون هم الأئمَّة.

وهذا وإن قرَّرته الشيعة الاثنا عشرية كما جاء في كتبهم، إلَّا أن الفرق الأخرى الإسماعيلية وما تفرع عنها لا تختلف عن ذلك كثيرًا، بل ربَّما كان لها غرائب في أفكارها جعلت الاثني عشرية لا تعترف بها. انتهى.

QaradawiBooks.com

حقيقة موقفي في مؤتمر الدوحة للتقريب بين المذاهب[1]

س: كنَّا ـ نحن الشيعة الإمامية ـ في إيران نعدك من أوائل الدعاة إلى وحدة الأمَّة، والتقريب بين مذاهبها وطوائفها، والمقاومين لمثيري الفتنة، ودعاة التفرقة المذهبية والطائفية والعرقية وغيرها.

وأعتقد أنَّك لمست ما لك من منزلة كبيرة وتقدير عظيم لدى المسؤولين في الجمهورية الإسلاميَّة، ابتداء من رئيس الجمهورية السيد محمَّد خاتمي، الَّذي استقبلك في مكتبه استقبالًا حافلًا، وأبرزت الصحف كلها والإذاعة والتلفاز وكل وسائل الإعلام زيارتك إبرازًا غير عادي، وتحدث الجميع عن أهميتها.

وكذلك كان استقبال آيات الله واحتفاؤهم بك وثناؤهم عليك في طهران، وفي قم، وفي مشهد، وفي أصبهان، وفي كل مكان زرته في طهران.

ولكننا فوجئنا من فضيلتك بموقف جديد، مغاير لمواقفك السابقة، وفيه إشارات، بل اتهامات للشيعة، ولفكرة التقريب، ومؤتمرات التقريب، والتشكيك في إنجازاتها، وهو ما يعتبره الإيرانيون بصفة خاصة، والشيعة بصفة عامة، انقلابًا على اتِّجاهك السابق، وأفكارك الوحدوية والتقريبية السابقة، والمعروفة للجميع.

---

(١) انعقد المؤتمر في ١ ـ ٣ محرم ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٢ يناير ٢٠٠٧م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهو ما جعل عددًا من الشيعة هنا، وفي كثير من البلاد يهاجمونك، وينتقدونك انتقادًا، ربَّما خرج في بعض الأحيان، وبعض المواضع عن الحدود اللائقة.

ورسالتي هذه تخاطب فيك القرضاوي رجل الوحدة الإسلاميَّة، وعالم الأمَّة الإسلاميَّة بكل طوائفها، وكل مذاهبها، لا رجل فئة واحدة، أو مدرسة معيَّنة، راجيًا أن تشرح لنا ولكل متسائل: حقيقة موقفك في مؤتمر الدوحة؟ وهل هو تغير في الموقف أو ماذا؟ فلا زلنا نظنُّ بك خيرًا.

محمد علي

كاتب من إيران

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فأود أن أشير هنا إلى عدَّة نقاط، تبين حقيقة موقفي من قضية التقريب بين المذاهب، والفرق الإسلاميَّة، في ضوء هذه الأمور:

١ ـ أنَّني أومن بوحدة «أهل القِبْلة» وهم الَّذين يُشكِّلون «الأمَّة الإسلاميَّة»، و«الأمَّة الإسلاميَّة» عندي حقيقة وليست وهمًا، وأنَّ اختلاف الأمَّة بين فرق ومذاهب مختلفة لا يمنع أنَّها أُمَّة واحدة، فإن بينها من الجوامع أكبر ممَّا أرى بينها من المفرّقات. فربُّها واحد، ونبيها واحد، وكتابها واحد، وعقائدها الأساسية واحدة، ومصيرها واحد، وعدوها واحد، ومصلحتها واحدة.

QaradawiBooks.com

٢ ـ أنَّني ضد دعاة التفرقة بين أبناء هذه الأمَّة الواحدة، سواء كانت تفرقة طائفية «فِرْقيَّة» أو مذهبيَّة أو عرقيَّة، أو غيرها. وأرى أنَّ الَّذين يوجِّهون هذه التيارات هم أعداء الأمَّة، الَّذين كان شعارهم: فرِّقْ تَسُدْ.

٣ ـ أنَّني منذ اشتركت في مؤتمرات التقريب؛ تبنيتُ التأكيد على أشياء مهمة لا يصلح تقريب، ولا يكون إذا أهملت، أو لم تُعط حقها. وهو ما أكدته بكل وضوح في زيارتي لإيران منذ أكثر من عشر سنوات. وركزت هنا على أمور ثلاثة:

أولها: الاتفاق على اجتناب سبِّ الصحابة؛ إذ لا يمكن أن نلتقي أو نتقارب وأنا أقول: رضي الله عنهم. وأنت تقول: لعنهم الله. فما أعظم الفارق بين الرضى من الله، واللعنة من الله.

ثانيها: عدم محاولة نشر المذهب في البلاد الخالصة للمذهب الآخر. وهو ما رأيت العلامة محمَّد مهدي شمس الدين يعبر عنه بالتبشير بالمذهب.

ثالثها: مراعاة حقّ الأقلية، ولا سيما إذا كانت أقلية معتبرة.

وقد قدمت إلى مؤتمر التقريب في مملكة البحرين بحثًا نشرته بعد ذلك عنوانه: «مبادئ في الحوار والتقريب بين الفرق والمذاهب الإسلاميَّة» ضمنته مقترحاتي النظرية والعمليَّة، ليقوم التقريب على أساس متين، وعلى ركائز قوية.

فهذا موقفي؛ لم أكن يومًا من دعاة «التمييع» أو من المهرولين للتقريب دون شروط وقيود. ولما رأيت هذه المؤتمرات تجتمع وتنفض، ولا تحل مشكلة، ولا تواجه عقبة، وإنَّما هي مجاملات تقابل مجاملات،

QaradawiBooks.com

ولا شيء بعد ذلك؛ أخذت على عاتقي أن أصارح جماهير المسلمين بما في نفسي، وألا أكتم عنهم ما أراه ضروريًّا في العلاقة والتعامل، وهذا من مقتضى الأمانة والمسؤولية والميثاق الَّذي أخذه الله على العلماء: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقد بدأت ذلك بتصريح مطول في نقابة الصحفيين في القاهرة؛ إجابة عن سؤال، ثمَّ بينت ذلك في مؤتمر الدوحة.

وما قلته في مؤتمر الدوحة خشيتُ أن يُحرَّف، أو يفسَّر على غير ما قصدتُ، وإن كان مسجَّلًا، فأردتُ أن أدوِّنه مكتوبًا محرَّرًا بقلمي، ونشرته، وهذا هو مجال إعلانه على الأمَّة، إحقاقًا للحقِّ، وإبطالًا للباطل.

ولا يجوز لإخواني من علماء الشيعة وتلاميذهم وصحفيِّيهم أن يهاجموني لهذا البيان، حتَّى إن بعضهم سماني: «الشيخ الطائفي!» وما كنتُ يومًا ـ ولن أكون إن شاء الله ـ طائفيًّا، ولن أكون إلَّا للأمَّة كلها، وللإسلام وحده، وأرى من التعصُّب الممقوت أن يُعلي المرء الطائفة على الأُمَّة، والمذهب على الإسلام، وكتب المذهب على صريح القرآن والسُّنَّة.

وقد نسي هؤلاء مواقف لي، ينبغي ألَّا تُنسى، مثل رَدِّي على فتوى العلامة الشيخ ابن جبرين، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية: أنَّه لا يجوز تأييد حزب الله في حربه ضد إسرائيل، ولا يجوز الانضمام إليه، ولا مجرد الدعاء له.

وقد كنت في ذلك الوقت في إجازتي في القاهرة، فتصديت للرد عليه في «قناة الجزيرة» وفنّدت مقولته بالأدلة الشرعيَّة والعلمية. ثمَّ رأيت أن أكتبها وأنشرها، وهي موجودة مع هذه الفتاوى.

QaradawiBooks.com

وهذه خلاصة لما قلته في افتتاح واختتام مؤتمر الدوحة للتقريب، ليحيا من حيّ عن بينة، ويَهْلِك من هلك عن بيِّنة[١]:

لقد كان أهل السُّنَّة ـ وهم جمهور المسلمين ـ هم المبادرين بـ «التقريب» والداعين إليه، والمرحبين به. ومن العجب أن يبدأ ذلك في القاهرة، وأن يكون المبادرون من كبار رجال الأزهر المشهود لهم، مثل: الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمَّد المدني، والشيخ عبد العزيز عيسى، وغيرهم. وكان ممَّن يؤيد وجهتهم الإمام الشهيد حسن البنا، رحمهم الله جميعًا.

وقد أُنشئت «دار التقريب» في بلد الأزهر، وقبلة الثقافة الإسلاميَّة: القاهرة، وكان الأمين العام لهذه الدار، أو هذه المؤسسة هو العالم الجعفري الشهير الشيخ تقي الدين القُمّي، أي الَّذي ينتمي إلى الحوزة العلمية في «قُمّ». وقد أصدرت هذه الدار مجلة «الرسالة» الفصلية، الَّتي كان يكتب فيها كبار علماء أهل السُّنَّة، وكتب فيها الشيخ شلتوت مقالاته في التفسير، الَّتي جمعت وظهرت في تفسيره للأجزاء العشرة الأولى.

ولقد استقبل المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة في عهد الإمام البنا: الشيخ القمي، ورحَّب به.

كما استقبل ـ في عهد الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني ـ بعد سنوات زعيمًا شيعيًّا معروفًا، لم يكن من رجال الحوزة، ولكن من رجال الجهاد، هو: «نواب صفوي» زعيم جماعة «فدائيان إسلام» الَّذي كان معارضًا لحكم الشاه، ومغضوبًا عليه منه.

(١) راجع كتابنا: كلمات صريحة في التقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية صـ ٨ ـ ٣٩، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وفي الستينيات من القرن العشرين أصدر العلامة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر: فتوى بجواز التعبد بالمذهب الجعفري. على أســاس أنَّه ـ في الجانب الفقهي ـ قريب من مذاهب أهل السُّــنَّة، إلَّا في أشياء قليلة، لا تخرجه عن جواز التعبد به في الجملة: في الصَّلاة والصيام، والزكاة والحج، والمعاملات. وهذه الفتوى لم أرها في نص مكتوب.

على أنَّ فتوى شــلتوت ـ كما تذكر ـ لم تتدخل فــي قضية العقائد والأصول، الَّتي فيها الخلاف الحقيقي بين السُّــنة والشيعة، مثل: قضية الإمامة والأئمَّة الاثني عشر وعصمتهم وعلمهم بالغيب، ومنزلتهم الَّتي لم يصل إليها ملك مقرب، ولا نبيّ مرســل، واعتقاد أنَّها أصل مهم من أصول الدين، لا يصلح إيمان، ولا يقبل إســلام إلَّا بها، ومنكرها كافر، مخلد في النَّار، ومثل عقيدتهم في الصحابــة، وغير ذلك ممَّا يعتقدونه من أصل دينهم.

ومع هذا لم نرَ من الشيعة من جزى الحسنة بالحسنة، ومن رد التحية بأحسن منها، أو بمثلها، فلم يصدر مرجع شيعي ـ فــي منزلة شلتوت من أهل السُّنَّة ـ في «قمّ» أو «النجف»: فتوى تجيز لأتباعهم التعبد بمذاهب أهل السُّنَّة! على أنَّهم ليسوا في حاجة إلى ذلك. بل رأينا عكس ذلك.

بين الأكثرية والأقلية:

لقد كان الشيعة طوال تاريخهم أقلية تعيش في كنف الأكثرية السنية، آمنة مستقرة، تجمع أتباعها، وتؤلف كتبها، وتنتصر لمذهبها، وتنشر ذلك بين جمهور أهل السُّــنَّة، ولم يتعرض لهم أحد بأذى أو محاولة تصفية، رغم ما في كتبهم من طعن شــديد، وتجريح قاسٍ لأهل السُّنَّة، إلى حدّ التكفير، وإخراجهم من الملة. حتَّى الأئمَّة الأربعة لم يسلموا من طعنهم.

QaradawiBooks.com

هكذا عاشوا في سلطان الدولة العباسية، في عصرها الأول، وعصرها الثاني.

وهكذا عاشوا في عصر الدولة العثمانية، إلَّا ما كان بينها وبين الصفويين من صراع معروف.

بل هكذا عاشوا في عصرنا في ظل الدولة «الوهَّابية» المعروفة بموقفها النظري من الشيعة. فها هم الشيعة في المنطقة الشرقية من المملكة يقومون بأنشطتهم الدينية والدعوية، ولم تفكر الدولة في القضاء عليهم، أو تقليم أظافرهم.

وهكذا عاشوا في الخليج العربي عامة، برغم أنَّ حُكَّامها جميعًا من أهل السُّنَّة. ولهم ثروتهم الاقتصادية، ومكانتهم الاجتماعية، ومشاركتهم السياسية، فمنهم نواب ووزراء وسفراء ومديرو دوائر، ورؤساء جامعات، وعمداء كليات، وشخصيات مؤثرة في المجتمع.

ولم يحاول أهل السُّنَّة في عصر من العصور ـ بوصفهم الأكثرية الساحقة في الأمَّة ـ أن يسحقوا الأقلية الشيعية، أو يضيقوا عليها في شعائرها ومواريثها الدينية المذهبية. مع أن بعض شعائرهم تصادم الحس الديني عند السُّنة، مثل قولهم في الأذان: وأشهد أن عليًّا ولي الله! فأهل السُّنَّة لا يعرفون إلَّا شهادتين لا غير[1].

وإذا كان هذا موقف الأكثرية السُّنية بالأمس واليوم، فما لنا نرى الأقلية الشيعية تستثير الأكثرية السنية، وتتحرش بها، وتستفزها بصورة

(١) علماء الشيعة المحققون يقررون أن هذه الشهادة لم تثبت عندهم، ولكنهم يسكتون عليها، خشية هياج العوام.

QaradawiBooks.com

مكشـــوفة، وبطريقة تهيج غضـــب الحليم، ولو اســـتجيب لأحلامها وتطلعاتها، وأطلـــق العنان لغرائز الغضب والثـــورة: لوقع خطر كبير، وشر مستطير.

غير مرخصة للطباعة

هل هناك تباعد حتَّى نحتاج إلى تقريب؟

والتقريب يعني: أنَّ هناك تباعدًا بين طرفيـــن، ونحن نريد أن نقرب أحدهما من الآخر، أو نقرب كل واحد منهما من صاحبه.

فهل هناك تباعـــد بين الطوائف ـ أو الفـــرق ـ المختلفة حتَّى نحتاج للدعوة إلى التقريب بينهم؟ وخصوصًا بين الطائفتين الكبيرتين: السُّـــنة والشيعة؟

الحق: أنَّ التباعد موجود ـ إذا أردنا أن نصارح أنفسنا ـ على الساحة الفكرية، وعلى الساحة العمليَّة، وعلى الساحة السياسية.

فعلى الســـاحة الفكرية أو العقدية، فإنَّ التباعـــد قائم وخصوصًا في قضية «الإمامة» فهم يرونها من أصول العقيدة وأركانها. ونحن نراها من الفروع لا من الأصول، ومن العمليات لا مـــن العقديات. وهي عندهم أساس المذهب كله، فهو يقوم على: الوصية والإمامة، والغيبة والرجعة.

والشـــيعة يذكرون أمر «الإمامة» بعبارات قويَّة، وأن من لم يؤمن بها إيمانهم، وأنَّها منصوص عليها من رسول الله ﷺ، ابتداء من عليٍّ رضي الله عنه، فالأحد عشر إمامًا من بعده، فإنه لا يعد مؤمنًا.

من نصوص الشيعة في الإمامة:

جاء فـــي أصول الكافـــي عن أبي جعفـــر (الباقر) أنَّه قـــال: بُني الإســـلام على خمس، على الصلاة، والـــزكاة، والصـــوم، والحج،

QaradawiBooks.com

والولاية، ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ النَّاس بأربع، وتركوا هذه ـ يعني الولاية[١].

ويروي الكليني بسنده عن الصادق أنه قال: أثافي الإسلام ثلاثة: الصَّلاة والزكاة والولاية، ولا تصح واحدة منهن إلَّا بصاحبتيها[٢].

وعن زرارة عن أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية. قال زرارة: قلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنَّها مفتاحهن[٣].

والولاية لا رخصة فيها، فعن أبي عبد الله قال: إنَّ الله افترض على أمَّة محمَّد خمس فرائض: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وولايتنا، فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة[٤]!

وفي رواية: بُنِيَ الإسلام على: شهادة أنَّ لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، والحج إلى البيت، وولاية علي بن أبي طالب.

بل هم في الواقع لا يقفون عند أمر الإمامة وحدها، بل يتعدونها إلى أمر «الألوهيَّة» فهم يرون أهل السُّنَّة غير مؤمنين بالإله الَّذي يؤمنون به. وهذه نقطة خلاف أساسيَّة أيضًا، فمن المعلوم: أنَّ الشيعة يتبنَّوْن في

(١) أصول الكافي للكليني (٤٣٤/٢)، نشر دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.
(٢) السابق (٤٣٤/٢).
(٣) السابق (٤٣٥/٢).
(٤) الكافي للكليني (٢٧١/٨)، تحقيق على أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية بطهران، ط ٣، ١٣٨٨هـ.

QaradawiBooks.com

الإلهيَّات مذهب المعتزلة، الَّذين ينفون عــن الله الصفات الثبوتية، مثل: العلم، والإرادة، والقدرة، وغيرها ويقولون: هو عالم بذاته، ولكن ليس له صفة اسمها العلم، وقادر بذاته، ولكن ليس له صفة اسمها القدرة، إلخ.

والمعركة بين المعتزلة وأهل السُّنَّة محتدمة حول هذه القضية، وأهل السُّنَّة يسمُّون المعتزلة «المعطِّلة» أي المعطلة لله تعالى من إثبات صفاته. والمعتزلة يتهمون السُّــنة الَّذين يمثلهم الأشاعرة والماتريدية في وقتهم، بأنَّهم يثبتون «قدماء» مع الله سبحانه.

فأهل السُّنَّة جميعًا يعتبرون المعتزلة «مبتدعين» في اعتقادهم، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النَّار. ومن المقرر: أنَّ بدعة الأقوال أشــد من بدعة الأفعال، بدعة الاعتقاد أشــد من بدعة العمــل. والمبتدع يعد «فاسقًا» ولكنَّه فسق تأويل، لا فسق سلوك وعمل.

ومعنى هذا: أنَّ الشيعة في نظر أهل السُّنَّة مبتدعون في عقيدتهم في شــأن الألوهية. ولكن الاتجاه العام والســائد عنــد أهل السُّــنَّة: أنَّهم لا يكفرون المبتدعين في العقائد، فلا يكفرون المعتزلة ولا المرجئة، ولا الجبرية، بل لا يُكفّرون الخوارج الَّذين صحت الأحاديث بأنَّهم يمرُقون من الدين كما يمرُق الســهم من الرَّمِيَّة[1]، ويبقونهم على أصل الإسلام، ما داموا يقولون: لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله، ويصلون إلى القبلة.

بل وجدنا من المحقِّقين من علماء السُّنَّة: من يعذر المجتهد إذا أخطأ، ســواء في ذلك الأصول والفروع، في العقائد أو الأعمــال، ما دام أهلا للاجتهاد، وما دام هو بذل جهده واستفرغ وسعه في تحري الحق وطلبه، ولكنَّه لم يهتدِ إليه. ولكن هذا وسعه؛ ولا يكلف الله نفسًا إلَّا وسعها.

(١) سبق تخريجه صـ ١٧٠.

QaradawiBooks.com

بل هذا المجتهد عندهم مأجورٌ أجـرًا واحدًا، لما بذله من جهد في الطلب، والله لا يُضِيع أجر من أحسن عملًا. وهذا هو رأي ابن تيمية ومن وافقه[١].

ولكن الشيعة ـ ولا سـيما المتطرفين منهم ـ لا يكتفون بـ «تبديع» أهل السُّنَّة، أو «تفسيقهم» تفسـيق التأويل، بل يكفّرونهم ويخرجونهم من الملة.

يقول نعمة الله الجزائري (ت: ١٢١٢هـ) في كتابـه «الأنوار النُّعْمانيَّة» عن أهل السُّنَّة والجماعة: «إننا لم نجتمع معهم على إله، ولا على نبيٍّ، ولا على إمام. وذلك أنَّهم يقولون: إنَّ ربهـم هو الَّذي كان محمد نبيَّه، وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي. بل نقول: إنَّ الرب الَّذي خليفته (الصواب: خليفة نبيـه) أبو بكر: ليس ربنا، ولا ذاك النَّبيّ نبينا»[٢]!

وإذا كان جمهور أهل السُّنَّة في العقيدة أشاعرة، كما هو معلوم، أي يتبعون الإمام أبا الحسـن الأشـعري (ت: ٣٢٤هـ)، فإنَّ الأشاعرة في نظرهم ـ كما هي عبارة الشـيخ الجزائري المذكـور ـ لم يعرفوا ربَّهم بوجهٍ صحيح، بل عرفوه بوجهٍ غير صحيح، فلا فرق بين معرفتهم هذه ومعرفة باقي الكفار، فالأشاعرة ومتابعوهم: أسوأ حالًا في باب معرفة الصانع، من المشركين والنَّصارى. ولقد تباينا وانفصلنا عنهم في باب الربوبية. فربنا مـن تفرد بالقدم والأزل، وربهم من كان شـركاؤه في القدم ثمانية!

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩/٢٠ ـ ٣٦).

(٢) الأنوار النعمانية (٢٧٩/٢)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت.

QaradawiBooks.com

يقصدون صفات المعاني الَّتي أثبتها الأشاعرة، والماتريدية لله، وهي: العلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام، وأضاف الماتريدية: صفة التكوين.

وما يردده الجزائري هنا: ردده قديمًا المعتزلة، وقالوا: إنَّ النَّصارى كفروا بإثبات ثلاثة قدماء، فكيف بمن أثبت ثمانية؟! وتمحيص هذا القول والرد عليه لا يتسع له هذا المجال، ومجاله علم الكلام.

تقريب بين المذاهب أو بين الفرق:

والتقريب المطلوب أو المنشود بين من يكون؟

عناوين جماعات التقريب ومؤتمرات التقريب، كلها تقول: التقريب بين «المذاهب الإسلاميَّة».

وأرى أن هذا التعبير غير دقيق في دلالته على المقصود؛ إذ إنَّ كلمة «المذاهب» أمست مصطلحًا دالًّا على «المدارس الفقهيَّة» مثل المدارس السنية الأربع المعروفة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، يُضاف إليها مذهب الظاهرية، ومثلها: مذاهب الزيدية، والجعفرية، والإباضية.

والاختلاف بين هذه المدارس أو المذاهب يدور كله حول الأحكام الفرعية والعمليَّة، ممَّا لا يتصل بالعقائد وأصول الإيمان، أو أصول الدين.

وليس أحد من علماء الأمَّة يقيم مشكلة من أجل الخلاف الفقهي، فقد اختلف الصحابة بعضهم مع بعض، واختلف تابعوهم بعضهم مع بعض، واختلف الأئمَّة المتبوعون بعضهم مع بعض، ولم يجرِّح أحد أحدًا، بل اختلفت آراؤهم، ولم تختلف قلوبهم، وصلى بعضهم وراء بعض، وقال منهم من قال: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ

QaradawiBooks.com

يحتمل الصواب. بل هناك من صوَّب رأي جميع المجتهدين في الفروع، ورأى أنَّ الصواب يمكن أن يتعدد. وهم الَّذين يسمونهم في أصول الفقه: «المُصَوِّبة»[1].

وأنا بالفعل قد صلى ورائي عدد من علماء الشيعة حينما زرت إيران في سنة ١٩٩٨م، وصليت أنا وراءهم في مسجدهم بمدرسة الإمام الخميني في «قُم» حين قامت صلاة الجماعة.

فالاختلاف الفروعي أو الفقهي أو العملي ليس هو المؤثر في العلاقة بين السنَّة والشيعة، إنَّما هو «الخلاف العقدي» الَّذي تحدثنا عنه من قبل في كلامنا عن «التقريب». وهو الخلاف الَّذي بسببه نشأت «الفرق» المختلفة من معتزلة وجبرية، ومرجئة وشيعة، وخوارج وأشعرية، وماتريدية وسلفية وغيرهم.

ولهذا يجب أن يكون عملنا ـ إذا أمكن ذلك ـ هو «التقريب بين الفرق لا بين المذاهب» فالمذاهب لا تحتاج إلى تقريب. وإذا تساهلنا وقلنا: «المذاهب» فإنَّما نقصد «المذاهب الاعتقادية» لا الفقهيَّة.

وإن كان أساس هذه التسمية «الفرق» هو الحديث المشهور في افتراق الأمَّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النَّار إلَّا واحدة. وهو لا يثبت عندي، لا سندًا ولا متنًا. وقد بينت ذلك في كتابي: «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم». وفصلت أقوال عدد من المحقِّقين من علمائنا رووا الحديث، ولم يسلموا بقبوله. منهم: ابن حزم، وابن الوزير، والشوكاني وغيرهم.

---

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٢٩٢/٨، ٢٩٣)، نشر دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وقال الإمام ابن حزم: إنَّ زيادة «**كلُّها في النَّار إلَّا واحدة**» موضوعة[١].
وقال الإمام ابن الوزير: احذر زيادة «**كلُّها في النَّار إلَّا واحدة**» فإنَّها من دَسِيس الملاحدة[٢].

ولكن الحديث شاع وانتشر، وألفت على أساسه كتب في «الفِرَق» و«الفَرْق بين الفِرق». وكان من المقررات الَّتي كنَّا ندرسها في كلية أصول الدين: تاريخ الفرق الإسلاميَّة. وحاول كثيرون إحصاء هذه الفرق الثلاث والسبعين، وتكلفوا ما تكلفوا في ذلك.

والمهم: أنَّ الحديث نسب جميع الفرق ـ حتَّى المنحرفة منها ـ إلى الأمَّة، «**ستفترق أُمَّتي**» فلا يجوز إخراج بعضها من الملَّة، إلَّا بقاطع شرعي.

ولهذا أرى أن التركيز ـ فيما يقوله بعض المتحدثين عن التقريب ـ على تدريس «الفقه المقارن» في الجامعات الدينية المختلفة، ليس هو الَّذي يحل المشكلة الفِرَقيَّة أو الطائفية، ويؤدي إلى التقارب أو التقريب الحقيقي، لا الشكلي أو الكلامي. وإنَّما هو أمر أبعد من ذلك، كما سنرى.

مفهوم التقريب الَّذي ننشده:

ما المراد إذن بكلمة «التقريب» حينما نذكرها؟

هل المراد بها: أن تترك كل جماعة معتقداتها ومفاهيمها الأساسية، وتتنازل عنها لتكسب الجماعة أو الجماعات المخالفة لها؟

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١٣٨/٣).
(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير (١٧٠/٣ ـ ١٧٢)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، وانظر: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤ ـ ٣٩.

QaradawiBooks.com

وبعبارة أخرى: أن يتنازل الشيعي عن شـيعيته واعتقاداته ومسلَّماته الدينيـة والفكرية من أجـل خاطر أهل السُّـنَّة؟ أو يتنازل السـني عن معتقداته الدينية، ومسـلّماته الفكرية، وأصوله العقدية، ليكسـب قرب الشيعة منه، ووقوفهم إلى جانبه؟!

أعتقد أنَّ هذا التصور ليس واردًا في ذهن أحد من الفريقين: السنَّة أو الشيعة، وأن أحدًا منهما لا ولن يتنازل عن معتقداته ومسلماته لأي هدف كان. فإن المعتقدات الدينية يضحي الإنسـان في سـبيلها بنفسه وماله، وأهله ووطنه وكل عزيز عليه؛ دون أن يفرط فيها.

التقريب المنشود: هو تقريب أتباع المعتقدات أو المذاهب أو الفرق بعضهم من بعض، وغرس مفاهيم التسامح بينهم، وتوسيع نقاط الاتفاق بين الطرفين ما أمكن ذلك، وقد وضعت في كتابي «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشـروع والتفرق المذموم» عدَّة مبـادئ للتقريب بين المختلفين، كما وضعت في كتابي الآخر: «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلاميَّة» عشرة مبادئ أو قواعد تؤسس وتؤصل لفكرة التقريب والإصلاح.

ومما قلته في مقدمة هذا الكتاب: ليس المقصود بالتقريب أن يتنازل السني عن سنيته، ويندمج في مذهب الشيعي، ولا أن يتنازل الشيعي عن شيعيته، ويندمج في مذهب السني؛ لأنَّ المذاهب ـ أي الاعتقادية ـ الَّتي اسـتمرت منذ قرون، وتوارثها الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، والخلف عن السلف، ونشأ عليها الصغير، وهرم عليها الكبير: ليس من السهل أن يتخلى عنها أصحابها بمقالة تُقرأ، أو بخطبة تُلقى، أو ببحث يُكتب، أو بندوة تُعقد!

QaradawiBooks.com

إنَّما المطلوب من الحوار والتقريب هنا: تصفية الأجواء ممَّا يكدرها من أسباب التوتر وسوء الظن، وفقدان الثقة بين الفريقين، ممَّا يمكن أن يؤدي ـ إذا تفاقم واستمر ـ إلى فساد ذات البين، وفساد ذات البين ـ كما جاء في الحديث ـ «**هو الحالقة، لا تحلق الشَّعْر، ولكن تحلق الدِّين**»[(١)].

ولا أحسب أحدًا ـ سنيًّا كان أم شيعيًّا ـ يحبُّ أن يحلق دِينَه كما يحلق الموسى الشَّعر، بل كل منهما يحبُّ أن يكون دينه محفوظًا موفورًا[(٢)].

التقريب المنشود: ليس هو الَّذي يقوم على مبدأ «التَّقيَّة»:

وإن التقريب المنشود: ليس هو الَّذي يقوم على مبدأ «التَّقيَّة» المقرَّر عند إخواننا الشيعة؛ لأنَّ هذا إذا اتَّخذ أساسًا في التعامل بين دعاة «التقريب» لا يؤدِّي إلى الثقة والاطمئنان بين الأطراف بعضها وبعض، وخصوصًا بالنسبة لأهل السُّنَّة؛ إذ ما يدريني أنَّ الَّذي يُتَّفق معي عليه إنَّما تمَّ «تقيَّة»! إذ التقيَّة تجيز أن تُظهر غير ما تُبطن، وأن تُعلن عن شيء، وأنت غير مؤمن به على الإطلاق.

وأصل مبدأ «التقيَّة» مأخوذ من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

---

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والتِّرْمِذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٢) انظر: مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب صـ ١٣، ١٤، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

ولكن القرآن ذكر التُّقاة ـ أو التقيَّة ـ مع الكفَّار لا مع المسلمين.

وجعلها رخصة على سبيل الاستثناء للضرورة، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾، وما جاء للضرورة وعلى سبيل الاستثناء لا يجوز أن يصبح مبدأً، أو قاعدة للتشريع أو للتربية والسلوك.

كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

التقريب المنشود: هو الَّذي يبتعد عن التكفير:

ولهذا لا يجوز أن ندعو إلى التقارب أو التضامن ـ بلْه الاتحاد ـ وبعضنا يؤمن بكفر الآخر كفرًا صريحًا، وكتبه تتضمَّن ذلك بوضوح وجلاء. فكيف أضع يدي في يدك، وأعتبرك أخًا لي، وتعتبرني أخًا لك: وأنت في قرارة نفسك تؤمن بأن لا رابطة بيني وبينك، وأن ما يجمعنا شيء واهٍ ضعيف، وأما ما يفرِّق بيننا فشيء كثير كثير، وكبير كبير، وأن المشرك أو اليهودي أو النصراني أقرب إليك مني؟!

إنَّ الفكر التكفيري فكر خطر، وهو أبعد ما يكون عن التقريب. فإن من يُكَفِّر أحدًا يُخرجه من الملَّة، ويسلَخه من الأمَّة، فكيف يقترب منه؟

والتكفير موجود عند الطائفتين، وليس عند أهل السُّنَّة فقط، كما يذكر بعض الشيعة، بل إن التكفير عند الشيعة أبشع وأقوى ممَّا عند أهل السُّنَّة. وقد ذكرنا من قبل نموذجًا منه. وهناك نماذج أصرح وأقبح. ولا سيما ما يتعلق بإنكار الإمامة والعصمة.

وكان أبعد النَّاس عن التكفير: سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلم يُكفِّر أصحاب الجمل، ولم يُكفِّر أهل صِفِّين، ممَّن قاتلوه وبغوا عليه.

QaradawiBooks.com

بل لم يُكفِّر الخوارج الَّذين كانوا يُكفِّرونه، واستباحوا أخيرًا دمَه. سُئل عنهم: هل هم كفَّار؟ قال: من الكفر فروا. قيل: هل هم منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلَّا قليلًا. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بالأمس بغوا علينا اليوم[1]! فلم يصفهم بأكثر من البغي، رضي الله عنه. ما كان أبلغه وأصدقه وأعظم إنصافه. وهذا شأن المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل.

التقريب المنشود: الَّذي يتبنى فكر أهل الوسط:

لا بدَّ لنا من أن نتبنى إشاعة فكر أهل الوسطية والاعتدال من الفريقين، مثل أفكار المرجع الشيعي المعروف العلامة السيد محمَّد حسن فضل الله، في تفسيره، وفي كتبه المختلفة، الَّذي يفنِّد فيها الروايات المكذوبة على الصحابة، وفي تفسير القرآن، ويردُّها بالمنطق العلمي الرصين، الَّذي يقوم على النقل الصحيح، وعلى العقل الصريح.

وإن كنَّا نأسف أن وجدنا من الشيعة مَن تخصص في الردِّ عليه، والتشويش على آرائه واتهامه بما لا يليق، حتَّى وجدنا موقعًا على الإنترنت، تحت عنوان «ضلال نت» يتعقَّب مقولات وآراء فضل الله بالتسفيه والردِّ والإنكار.

ومن ذلك: ردُّه على ما قيل من أنَّ السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ماتت شهيدة مقتولة، وأنَّ الَّذي قتلها هو عمر بن الخطاب، ألصقها بالباب، فدخل مسمار في ظهرها، فكان هو سبب موتها، فأيّ باب هذا الَّذي فيه هذا المسمار؟ وهل كانت الأبواب في عصرهم على هذا النحو؟ إنَّما

(١) رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٨٩١٨)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٧٣/٨).

QaradawiBooks.com

كانت ستورًا تُرخَى. ثمَّ كيف سكت زوجها سيدنا علي رضي الله عنه على هذه الجريمة، وهو فارس الأمَّة المغوار، وسيف الإسلام البتَّار؟! بل كيف يصاهره بعد ذلك، ويزوجه من ابنته أم كلثوم وبنت فاطمة؟!

ويسرني أن أسجل هنا كلمة حكيمة قالها أحد رجال الشيعة الواعين المخلصين، ذلكم هو الأستاذ «كامل مروّة» مؤسس صحيفة «الحياة» اللبنانية. فقد زارنا في قطر في أوائل السبعينيات من القرن الماضي (العشرين) والتقاني وعددًا من العلماء والدعاة في قطر، وتحدثنا عن الخلاف بين السنة والشيعة، وإمكانية التقريب بين الفئتين: هل هي مرجوة أو مستحيلة؟ وماذا يرى بحكم تجربته في الصحافة والسياسة واختلاطه بالفريقين؟

وكان جواب الرجل غاية في الحكمة وإصابة المحزّ، فقد قال: كنَّا أمَّة واحدة خلف رسول الله ﷺ؛ لا سنة ولا شيعة ولا غيرها، حتَّى نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ثمَّ حدث الاختلاف بعد ذلك، أي بعد أن كمل الدين وتمت به نعمة الله على الأمَّة.

فخلافنا بعد ذلك، كان على التاريخ، من أحق ممّن؟ ونحو ذلك. وهذا كله تاريخ قد يفرقنا ولا يجمعنا، أمَّا الَّذي يجمعنا فهو القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام العظيم، الَّذي نؤمن جميعًا بأنَّ الله جل شأنه أكمله لنا، وأتمَّ به النعمة علينا، ورضيه لنا دينا.

هذا ما قاله هذا الرجل الحكيم، وإنه لَحَقٌّ، فكل خلافاتنا إنَّما نشأت بعد إكمال الدين، وتمام نزول القرآن، وهي خلافات على أمور تاريخية، لم نشهدها ولم نشارك فيها، ويسعنا فيه قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

QaradawiBooks.com

لكي يؤتي التقريب أُكُلَه:

وأودُّ أن أبيِّن هنا بكلِّ جلاء: أنَّ التقريب ـ لكي يثمر ويؤتي أُكله ـ لا بدَّ فيه من المصارحة والمكاشفة، ووضع النقاط على الحروف، ووضع الأيدي على مواضع الجراح النازفة، وكشف المستور من الحقائق والوقائع، الَّتي تنخر في عظام التقارب الحقيقي، وتضع عوائق بين الفريقين يصعب تجاوزها.

وقد تحدثتُ عن ذلك في كتابي «مبادئ في الحوار والتقريب»، ولا بدَّ لي من تكرار الحديث عن هذا الأمر، وإن كنتُ ممَّن يكرهون التكرار. ولكن إذا كان في التكرار لفت الأنظار، وتأكيد الأفكار، وإشاعة الأنوار، فلا بأس به.

ومن ذلك:

• أن يتجنب بعضنا تكفير بعض، فتكفير المسلم خطيئة كبيرة، لا يجوز للمسلم أن يتورط فيها، إلَّا ما كان كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان.

والأصل: أنَّ من قال: «لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله» فهو مسلم، وقد عصمت هذه الكلمة دمه وماله وحسابه على الله، كما صحَّ في الحديث[1]. ومن دخل الإسلام بيقين لا يخرج منه إلَّا بيقين، واليقين لا يزال بالشك. فكيف يكفِّر المسلم المسلم، وهو يراه مصلِّيًا صائمًا مزكِّيًا حاجًّا، قارئًا للقرآن، ذاكرًا لربه. أليست هذه كلُّها دلائل على إسلامه؟!

ومما لا ينكره منكر: أنَّ هناك تكفيريين من أهل السُّنَّة، يكفرون

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

الشـيعة ويخرجونهـم من الملـة، لاعتبـارات عندهم. ولكـن هؤلاء التكفيريين ـ كما يسمونهم ـ لا يكتفون بتكفير الشيعة، بل يكفرون كثيرًا ممَّن يخالفونهم فـي وجهتهم من أهل السُّـنَّة، ومـن علمائهم. وربَّما أصابني وأصاب بعض إخواني شواظ من نارهم.

ولكنَّ هناك تكفيريِّين معروفين عند أهل الشيعة، يستمدُّون تكفيرهم من مصادرهم الشيعيَّة المعتمدة، ومن مراجعهم المعتبرين، وكثير منهم يكفرون أهل السُّـنَّة، جملة وتفصيلًا. وبعضهم يعتبرهم «نجسًا» وأنَّهم أكفر من المشركين، ومن اليهود والنَّصارى.

فلا بد لدعاة التقريب من الشـيعة: أن ينكروا هذه النزعة التكفيرية المغاليـة، وألَّا يجعلوا هـؤلاء المكفِّرين مراجع لهـم يعتمدون عليها، ويستندون إليها.

• ومن المصارحة المهمَّة هنا، ما ذكرتُه من قبل، وهو: البعد عن مبدأ «التقيَّة» الَّذي هو مبدأ شيعي أصيل في مذهبهم. لأن دخول «التقيَّة» في العلاقات الكبيرة، يُسقط الثقة بكل ما يُقال، وما يُتَّفق عليه؛ إذ ربَّما كان ذلك من باب التقيَّة!

• ومن المصارحة المطلوبة: أن نعتـرف بالحقائق القائمة على وجه الأرض، مثل ما يجري في العراق باسم: «فِرَق الموت»! الَّتي تقتل النَّاس على الهُويَّـة، وتقتل كل من اسـمه عمر أو عثمان! وتذبـح النَّاس في بيوتهم، وتخطفهم من بين أهليهم، ويرى النَّاس رؤوسهم بعد ذلك في الخرائب أو في الطرقات.

وأدهى من ذلك وأمر: أن يرى النَّاس آثار «التعذيب» الوحشـي في أجسادهم، بما تقشـعر منه الأبدان. وإذا كان الإسلام قد نهى عن المثلة

QaradawiBooks.com

بالقتلى من المشركين في الحرب، فكيف نجيز التمثيل بأجساد الأحياء من المسلمين في غير حرب؟!

• ومثل محاولات الاختراق المتكررة للمجتمعات السنية بنشر المذهب الشيعي فيها. وهو غير ما نادى به الحكماء والعقلاء من علماء الفريقين، مثل الإمام محمَّد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، الَّذي دان هذا التوجه، وأنكره بشدة، وأعلن موقفه منه بصراحة وجلاء. رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

• ومن ذلك: وقف الحملات الإعلامية، الَّتي تهاجم السنة، وتدعو إلى التشيع علنًا، عن طريق القنوات الفضائية الكثيرة المنتشرة المدعومة! الَّتي لا هم لها إلَّا التشويش على الإسلام السني، الَّتي تدين به جماهير الأمَّة، وهي قنوات باتت معروفة لدى المتابعين.

التقريب على المحك:

وأود أن أصارح الجميع هنا بحقيقة لا يجوز إخفاؤها.

وهي أنَّ «التقريب» اليوم على المحك. التقريب في امتحان خطير.

أجل إنَّ فكرة التقريب، ودعاة التقريب، وجماعات التقريب، ومؤسسات التقريب: تواجه اليوم امتحانًا خطيرًا، قد ترسَّب فيه الفكرة وينتهي دورها، إذا لم يتدارك المؤمنون بها والمتحمسون لها أنفسهم ومؤسساتهم.

إنَّ «التقريب» على المحكِّ، فإمَّا أن يثبت وجوده على أرض الواقع، ويقوم بدور ملموس فيما قام لأجله، وينتصر على دعاة الطائفية والعصبية الجاهليَّة، وموقدي الفتن، ومشعلي الحرائق، وإمَّا أن تنفضّ سوقه، وتنطفئ شعلته، وتتفرق جماعته، ويصبح أثرًا بعد عين، أو خبرًا بعد أثر.

QaradawiBooks.com

وكل المسلمين يطلبون من دعاة التقريب والمتحمِّسين له أمورًا عدَّة:

الأول: التكاتف لإخماد نار الفتنة العراقية، الَّتي تنذر بحرب طائفية لا تبقي ولا تذر، وقد يصعب إطفاؤها إذا اندلعت، وتطاير شررها، وامتد لهيبها، واشتعل أوارها، واتسع نطاقها.

وهذه الحرب ليس فيها منتصر ومنهزم، بل كلنا فيها منهزمون، حتَّى وإن ظن بعضنا أنه انتصر! المنتصر الوحيد في هـذا المقام هو: الكيان الصهيوني (دولة إسـرائيل) ومعـه أمريكا وغيرها من القـوى المعادية للإسلام وأمته وحضارته.

لقد عاش العراق شـعبًا واحدًا، في وطن واحـد، وفي ظل حكومة واحدة، قرونًا طويلة، وكانت العشـيرة الواحدة تضمُّ في رجالها السنيَّ والشيعيَّ، بل كانت الأُسرة الواحدة تضمُّ الطرفين. فقد كانت المصاهرة متوارثة بينهم.

فما الَّذي جرى اليوم؟ هل كانت عهود العلمانيين أكثر تسامحًا، وأقل تشدُّدًا من الأحزاب الَّتي تنتسب إلى شـعارات دينية، واتجاهات دينية. مثل المجلس الأعلى للثورة، ومثل التيار الصدري، ومثل حزب الدعوة، وغيرها مـن التجمعـات الدينية الشـيعية، الَّتي أصبحـت متهمة لدى الكثيرين بأن لها عصابات مسـلحة، تقتل النَّاس على الهوية، وكل من كان اسمه أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عائشة يقتل فورًا. وأكثر من ذلك أنَّها تعذبهم قبـل موتهم بألوان من العذاب، لم يلـقَ الصحابة مثله من طغاة المشركين وعتاة الكفار!

إنَّ «فِرَق الموت» الَّتي تقتل النَّاس في بيوتهم وعلى أسرة نومهم، أو تخطفهم، ثمَّ تلقي رؤوسهم في الشوارع أو الخرائب، ولهم في كل يوم

QaradawiBooks.com

ضحايا بالعشرات بل المئات: على من يحسبون، وإلى من يُنسبون؟ وهم يرتدون زي الشرطة، ومعهم أسلحة الشـــرطة، ولهم سطوة الشرطة، ولا أحد يقف في طريقهم، وكثيرًا ما يسوقون أسراهم إلى سجون الحكومة!

والثاني: التوقف عن التبشـــير بالمذهب في بلاد المذهب الآخر. وهذا ما ذكرته للإخوة في إيران حينما زرتهم سنة ١٩٩٨م. وهو ما نادى به أهل العقل والحكمة من علمائهم الكبار ممَّن لهم وزنهم وقدرهم، مثل الإمام محمَّد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان رَحِمَهُ اللَّهُ، والعلامة الســـيد محمَّد حســـين فضـــل الله، المرجع الشيعي الكبير.

ولقد قلت لعدد من مراجعهم في إيران أثناء زيارتي لها: لن يستقيم أمر التقريب بيننا وبينكم إذا كنتم تريدون أن تفتنوا أبناءنا عن عقيدتهم، أو نقوم نحن بتحويل أبنائكم عن عقيدتهم، فهذا يفسد الود بيننا، ويزرع المخاوف في الأفئدة، ولا يجعل الثقة تأخذ امتدادها بين الطرفين.

ثم ماذا يفيدكـــم أن تدخلوا بلدًا ســـنيًّا كاملًا، كل أهله شـــافعية أو مالكية، أو نحو ذلك، فتستدرجوا بعض أبنائه ـ بوسيلة أو أخرى ـ حتَّى يدخل في عقيدتكم، وإني أسألكم: كم تكسبون: عشرة أو عشرين؟ مائة أو مائتين؟ ألفًـــا أو ألفين؟ يمكـــن أن يقع ذلك بطـــرق لا تخفى على اللبيب، كما يفعل ذلك التبشير النصراني في بلاد المسلمين.

ولكن حينما يكتشـــف المجتمع الســـني ذلك: ســـيكرهكم ويحقد عليكم، ويصب جام غضبه عليكم، وســـيذمكم ويلعنكـــم ويكيل لكم الاتهامات ما صحَّ منها وما لم يصح، في هذا الجو المشـــحون بالتوتر والسخط والثورة.

QaradawiBooks.com

وقد كان صديقنا الشيخ آية الله التسخيري حاضرًا، وأيَّدني في هذا القول، وقال: صدقت، وحكى قصة مع الإخوة السودانيِّين (ثورة الإنقاذ) تدلُّ على خطر محاولة نشر التشيُّع في أوطان أهل السُّنَّة.

ومثل هذا قائم في نشر التسنن في بلاد الشيعة، ولكن هذا قد يحدث على مستوى فرديٍّ محدود، أمَّا ما يجري من نشر التشيع، فهو أمر مخطط، له رجاله، وله ماليته، وميزانيته المفتوحة، وله برامجه وأهدافه ووسائله، وهو أمر معروف لكل من له صلة بالثورة الإيرانية، وهو ملموس في خارج إيران.

والثالث: ما يتعلق بسبِّ الصحابة ﷺ، فقد قلت ولا أزال أقول: إن من المستحيل أن نتقارب، والمسافة بيننا شاسعة في النظر إلى الصحابة، وخصوصًا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، بنص القرآن الكريم في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. حتَّى إن الآية الكريمة لم تقصر الثناء عليهم، بل أضافت إليهم «الذين اتَّبعوهم بإحسان» ولا ريب أن من هؤلاء السابقين الأولين من المهاجرين: أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ﷺ. وهم الَّذين جاء فيهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. فهؤلاء هم الصادقون بنص القرآن،

QaradawiBooks.com

وقد أمرنا الله في كتابه أن نكون أبدًا مع الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وهؤلاء هم الَّذين بايعوا النَّبيّ تحت الشجرة على الموت في سبيل الله، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وهم الَّذين شهدوا المشاهد مع رسول الله في بدر وفي أحد وفي تبوك وغيرها.

وهم الَّذين شهدت لهم سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٤].

وهم الَّذين ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهم الَّذين نزل فيهم قوله ﷻ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فهم المؤمنون الَّذين نصر الله بهم رسوله ﷺ، وأعز بهم دينه.

وهم الَّذين شهد القرآن لهم جميعًا بأن لهم الحسنى عند الله، وإن كان للسابقين فضل سبقهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

QaradawiBooks.com

حتى الَّذين وقع منهم خطأ في بعض الغـزوات، مثل الَّذين فروا في أحد بعد إشاعة موت رسول الله: أعلن القرآن أن الله تعالى عفا عنهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وهم الَّذين شـهدت لهم الآية الأخيرة من سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ...﴾ [الفتح: ٢٩].

هؤلاء الَّذين شهدت لهم آيات القرآن الكريم، وشهدت لهم أحاديث الرسول العظيم، شهد لهم التاريخ بما لم يشهد لمثلهم.

شهد لهم أنَّهم هم الَّذين حفظوا لنا القرآن المجيد، ونقلوه إلينا سالما من كل تحريف، محفوظًا من كل تبديل.

وهم الَّذيـن رووا لنا الأحاديث النبويَّة، والسـنن القوليـة والفعليَّة والتقريرية، ونقلوا لنا سيرة الرسـول وحياته جامعة مفصلة، بما لم يهيأ لنبي ولا لعظيم من قبله.

وهم الَّذين بلغوا الإسـلام إلى العالـم، وفتحوا الفتـوح، وقاوموا بسيوفهم الجبابرة المتسـلطين على الخلق، ونصرهم الله على الأكاسرة والقياصرة، لينشروا عدل الله في الأرض.

وهم ـ بمقتضـى المنطق والفطـرة ـ أقرب النَّاس إلى نـور النبوة، والتتلمذ عليها، والاستمداد منها، والتأثر بها، والاقتداء بسناها، والاهتداء بهداها. وكان لهم في رسـول الله الأسوة الحسـنة، فكانوا نعم التلاميذ لنعم المعلّم. وحسـبك أنَّهم التصقوا باسـمه، فيقال: أصحاب محمد!

QaradawiBooks.com

فكان هؤلاء الصحابة الكرام ـ بحكم القرآن والسُّنَّة والتاريخ والمنطق ـ أفضل جيل عرفه التاريخ، ولا ريب، فهم تلاميذ سيد البشر، وثمرة تربيته، وغرس يده، ومن طعن فيهم، فكأنَّما طعن في أستاذهم ومربيهم ﷺ، وخصوصًا من كانوا أقرب إليه، وأخصهم به، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القادحين والطاعنين فيهم: إنَّما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النَّبيّ عليه الصَّلاة والسلام؛ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتَّى يُقال: رجل سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين[1].

فلا يمكن أن يتم تقريب فعلي بين السنَّة والشيعة، إذا ظلت عقدة البغض الأسود هي الَّتي توجه السلوك نحو أصحاب محمَّد عليه الصَّلاة والسلام.

نعم، لا يمكن أن نلتقي وأنا أقول: أبو بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، وأنت تقول: أبو بكر لعنه الله، وعمر لعنه الله؛ إذ ما أعظم الفرق بين «رضي الله عنه»، وبين «لعنه الله»!

وأختم كلمتي بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) انظر: الصارم المسلول لابن تيمية (٥٨١/١)، تحقيق محمد عبد الله الحلواني ومحمد شودري، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فضائل الصحابة

س: نرجو أن تلقوا بعض الضوء على موضـــوع الفتنة الكبرى الَّتي وقعت بين الصحابة الكرام، وخصوصًا موقعة الجمل، وموقف كل من أم المؤمنين السيدة عائشـــة، والإمام علي، والصاحبين الجليلين طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين.

(س. م)

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أولًا: يجب أن نحسن الظن بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فهم الَّذين نقلوا الإســـلام إلى العالم، ونقلوا العالم إلى الإسلام، هم تلاميذ المدرسة النبويَّة، تخرجوا في مدرسة رسول الله ﷺ، ورضعوا من لبانها، ونقلوا للأمَّة ســـننه ﷺ، ونقلوا إلينا القرآن الكريم، وهـــم الَّذين فتحوا الفتوح، وكان بسببهم دخول الإسلام إلى البلاد المختلفة.

الله تعالى علَّم رســـوله ﷺ، ورســـوله ﷺ علَّم الصحابة، والصحابة علموا الأمم والشـــعوب الإســـلام، فالصحابة هم خط الدفاع الأول عن

QaradawiBooks.com

الإســـلام، ولذلك الطعن في الصحابة أو إســـاءة الظن بهم: معناه إساءة الظن بتربية رسول الله ﷺ، كأننا نقول للنبي ﷺ: أنت لم تحسن أن تربي أصحابك، حتَّـــى كبار أصحابك الَّذين أحســـنتَ بهم الظـــن ومدحتَهم وأثنيتَ عليهم، لم يكونوا كما ظننتَ.

لذا فعلينا أن نحســـن الظن بالصحابة، وما وقـــع بينهم نحمله على الاجتهاد منهم، والمؤمن إذا تحرى واجتهد فهو مأجور على اجتهاده وإن أخطأ فيه، وإن لم يؤجر فهو معذور؛ لأنَّ خطأه نتيجة اجتهاد، خصوصًا في عصور الفتن الَّتي تختلط فيها الأمور وتلتبس بعضها ببعض، يلتبس الحق بالباطل، ويختلط الحابل بالنابل، ولا تتبيَّن إلَّا بعد ذهابها.

والفتنة الَّتي كانت بين الصحابة دخل فيها عناصر معادية للإســـلام، مثل عبد الله بن سبأ وغيره، فالذي أريد أن أؤكده: أن هؤلاء الصحابة هم خير أجيال الأمَّة، بل هم خير أجيال البشرية جميعًا، لم يعرف لنبي من الأنبياء أو لرسول من الرســـل مثل هذا الجيل النموذجي المثالي، الَّذي للنبي محمَّد ﷺ.

أصحاب موسى قالوا لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. بينما أصحاب محمَّـــد ﷺ قالوا له يوم بدر: والله يا رســـولَ الله، لا نقول لك كما قالت بنو إســـرائيل لموسى: اذهبْ أنت وربك فقاتـــلا إنَّا هاهنا قاعـــدون، ولكن اذهب أنت وربُّـــك فقاتلا، إنَّا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحـــق لنكونن بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، حتَّى يفتح الله عليك[1].

(١) رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٦٠٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وقالوا: يا رسولَ الله، لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئتَ به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسولَ الله لِمَا أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معك ما تخلَّف منَّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنَّا لصُبُر في الحرب، صُدُق في اللقاء، لعلَّ الله يريك منَّا ما تقر به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله[1].

هؤلاء الصحابة الأبطال الَّذين لم ترَ عين الدنيا مثلهم، هم جيل نموذجي في مجموعه، نقرأ في «طبقات ابن سعد»، أو في كتب السير، أو في الأحاديث، أو في كتب الصحابة: «أسد الغابة»، أو «الإصابة»، أو «الاستيعاب»، أو في كتاب «حياة الصحابة» للكاندهلوي، فنرى نماذج رائعة، ولا عجب أن أثنى الله تعالى عليهم في كتابه في آيات شتَّى، ففي أواخر سورة الأنفال قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٤ ـ ٧٥]. وفي سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَ�ٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. حتَّى الَّذين اتبعوهم أصابهم قبس من نورهم، فكان لهم فضل، ولذلك نقول نحن: اللهمَّ ارضَ عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان. كما أمرنا الله في كتابه حين قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٣١ ـ ٣٥)، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة صـ ٢٢٣.

QaradawiBooks.com

وفي آخر آية من سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي سورة الحشر مدح المهاجرين والأنصار: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨ ـ ٩].

القرآن مليء بفضل الصحابة، فلا يمكن أن يثني القرآن على جماعة متهمين أو في موضع التهمة، هؤلاء هم خير أجيال الأمَّة، وكما جاء في الحديث الصحيح: «**خير النَّاس قرني، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم**»[1]. وهذا حديث مستفيض عن عدد من الصحابة.

فأقول للأخ السائل: يجب أن تعلم أن الصحابة هم أفضل الأمَّة، وما أخطؤوا فيه مغفور لهم، وتشفع لهم سوابقهم وحسناتهم، كما قال النَّبيُّ ﷺ لعمر بن الخطاب حينما قال في شأن حاطب بن أبي بلتعة: دعني أضرب عنقه فقد نافق، حينما أرسل حاطب برسالة إلى أهل مكة

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٥٠) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥)، عن عمران بن حصين. ورواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٣)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

يخبرهم أنَّ النَّبيَّ سيفتح مكة، وأنه قد أعد جيشًا عظيمًا، فقال سيدنا عمر: يا رسولَ الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النَّبيُّ ﷺ لعمر: «**إنَّه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟!**»[(١)]. فما بالك بطلحة والزبير وهما من أهل بدر، ومن أهل أحد، ومن أهل بيعة الرضوان، الَّذين جاء فيهم قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. ومن العشرة المبشرين بالجنة؟!

فهؤلاء الصحابة في موضع المغفرة، وسوابقهم تشفع لهم، فهم السابقون الأولون.

وما بالكم بعائشة رضي الله عنها أمُّ المؤمنين، الصديقة بنت الصِّدِّيق، حبيبة رسول الله ﷺ، المبرَّأة من فوق سبع سماوات؟

وهذه الفتنة ـ كما قلتُ ـ دخلت فيها عناصر معادية للإسلام ولأهله، وتسببت فيما حدث، ونحن نقول كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حينما سئل عن هذه الفتن وما جرى فيها من دماء، فقال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا، فلا نلطخ بها ألسنتنا[(٢)]، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٧٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٤/٩).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

سبُّ الصحابة ﷺ

س: نعرف أنَّ سماحتكم من دعاة التقريب بين الفرق والمذاهب الإسلاميَّة، ولا سيما بين السنَّة والشيعة الإمامية الاثني عشرية، ونريد هنا أن نسأل سماحتكم سؤالًا صريحًا، نرجو أن تجيبوا عنه بصراحة بعيدة عن الدبلوماسية، وهو: كيف يتَّفق التقريب بين الفريقين، مع كراهية الشيعة للصحابة ﷺ، وسبهم ولعنهم؟ وخصوصًا أبا بكر وعمر وعثمان، وعائشة والزبير وطلحة ﷺ، ولهذا لا يسمون أولادهم بهذه الأسماء أبدًا، إلَّا أن يوصف ذلك لامرأة لا يعيش لها ولد، أو نحو ذلك.

فما حكم سبِّ هؤلاء الصحابة الكرام، الَّذين أيد الله بهم رسوله، ونصر بهم دينه، وهل هذا يعتبر من الكفر البواح، ولا سيما أنه مخالف لصريح القرآن؛ الَّذي أثنى عليهم فأحسن الثناء؟

وهذا الموضوع من أهم أسباب الخلاف بيننا وبينهم.

نرجو أن تبينوا لنا حقيقة هذا الموضوع، بما حباكم الله به من علم وقوة حجة، ومن معرفة بالتاريخ والواقع، وشجاعة في قول الحق. زادكم الله توفيقا، ونفع بكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

غير مرخصة للطباعة

(وبعد)

فأشكر للأخ الكريم سؤاله الهام، فقد أثار نقطة حساسة، بل في غاية الحساسية بيننا وبين الشيعة، وهي موقفهم من الصحابة الكرام، وكراهيتهم وسوء الظن بهم، واتهامهم بكل نقيصة. وهي القضية الحية والساخنة دائمًا في كل لقاءاتنا التقريبية مع الشيعة، وكانت هي إحدى النُّقطتين[1] اللَّتين أثارتا من التوتر ما أثارتا بيني وبين الشيعة خلال شهر رمضان ١٤٢٩هـ (سبتمبر ٢٠٠٨). وطالما تحدثت مع علمائهم كلما التقينا حول هذه القضية، وطالما سمعتهم يوافقونني على ما أطرحه، ولا أريد أن أتهمهم بأنَّهم يقولون ذلك تقية منهم، ولكن أرى أن التربية الشيعية السائدة تتجاوز ما يقوله العلماء في الملتقيات، فهذا إفراز تاريخ طويل، وإفراز واقع مشحون بالغضب والحقد والتهويل.

على أنِّي أقول: إن من عرف أساس مذهب الشيعة، لم يصعب عليه تفهم موقفهم من الصحابة، ولا سيما الكبار منهم.

ذلك أنَّ أساس مذهب الشيعة الَّذي لا يختلفون عليه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نص أن يكون علي رضي الله عنه الخليفة من بعده، ولكن الصحابة أجمعوا على أن يُخفوا هذه الحقيقة، وأن يخالفوا رسول الله ﷺ عمدًا، وأن يجفوه في أهله الَّذين أوصى بهم خيرا!

(١) النقطة الأخرى هي السعي إلى نشر المذهب الشيعي في مجتمعات أهل السنة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اتفق على ذلك الكبار الَّذين كانوا أقرب النَّاس إلى رسول الله، وأحبهم إليه، وأخلصهم له، وأكثرهم بذلا في سبيل نصرته، ولا غرو أن قربهم إليه، وأثنى عليهم جماعة، وأثنى عليهم أفرادًا، واستفاضت بذلك صحاح الأحاديث في بيان فضائلهم، وتواترت الوقائع والقصص الَّتي تؤكد فضلهم، وعلو مكانتهم، وحسن تأثيرهم في نصرة الله ورسوله ودينه!

ولا ريب أنَّ هذا من ثمرة غرس النَّبيّ ﷺ، وحسن تربيته لهم، ومتابعته الدقيقة لأقوالهم وأعمالهم، ومواقفهم، ومثل ذلك متابعة الوحي الإلهي المتمثل في القرآن، يزكي ما حسن من أعمالهم، وينتقد ما يقع من هفواتهم، ليراجعوا أنفسهم، ويتوبوا إلى بارئهم، ويحسنوا من عملهم، حتَّى كانوا بحق: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وجسَّدوا الأمَّة الوسط الَّتي جعلها الله شهيدة على النَّاس.

واستحقوا بذلك أن يُنزّل القرآن من فوق سبع سماوات ينوه بفضلهم؛ مهاجرين: ﴿أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وأنصارًا نذروا أنفسهم للدفاع عن رسول الله ودعوته بأنفسهم وأموالهم، وهم الَّذين نزل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

هذه هي الصورة الَّتي رسمها أهل السُّنَّة للصحابة، وهي تستمد أجزاءها ومقوماتها من القرآن العظيم، ومن السُّنَّة الصحيحة، ومن وقائع السيرة، ومن شهادة الواقع التاريخي، على خلاف الصورة الَّتي رسمها الشيعة للصحابة. فهي مناقضة تماما لهذه الصورة، وهي لا تُستمد من

QaradawiBooks.com

قرآن ولا سـنَّة، ولا سـيرة ولا واقع. وهذا ما وضَّحه شـيخنا وحبيبنا العلامة السيد أبو الحسـن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ في رسـالته الموجزة المركَّزة: «صورتان متناقضتان».

خلاصة الصورة الأولى عند الشـيعة: أنَّ الرسـول لم يحسن تربية تلاميذه، وأنه خُدع فيهم، وأنَّهم خانوه وضيعوا وصيته من بعده، وغدروا بآل بيته، وجحدوهم حقهم في الخلافة، وتآمروا عليهم.

وخلاصة الصورة الثانية عند السـنة: أنَّ الرسـول كان نعم المربي، ونعم الأسـتاذ، وأنه كان أعـرف النَّـاس بتلاميذه، الَّذيـن قربهم منه، ورشحهم للخلافة من بعده، عن طريق الاسـتخلاف في الصلاة، وغير ذلك.

هذه هي النقطة العمليَّة الَّتي يحصل فيها الصدام المباشر بيننا نحن أهل السُّنَّة مع الشـيعة: أن نقول نحن: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم يقولون: لعنه الله. نقول: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ويقولون: لعنه الله. ونقول: عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويقولون: لعنها الله. وقد برأها الله في آيات خالدة تُتلى ويتعبد بها النَّاس في سورة النور من كتابه العزيز.

ولقد سـاءني أن إخواننا من جنود «حزب الله» فـي أحداث بيروت الأخيرة (٢٠٠٨م) كانوا يدخلون بيوت السنَّة، وهم يهتفون: لعنة الله على الثلاثة! يعنون بذلك الخلفاء الثلاثة: أبا بكر وعمر وعثمان!

وهذا ما حدثني به الثقات الأثبات وهم شهود عيان!

ولقد كتبت في رسـالتي «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلاميَّة» الَّتي سـردت فيها مبادئ أو أصولًا عشرة للحوار أو التقريب، وكان منها: اجتناب «المستفزَّات».

QaradawiBooks.com

وأعني بها الأشياء الَّتي تستفز الآخرين، وتستثير نفوسهم، وتضعهم أمام تحدٍّ يصعب قبوله. وكان في طليعة هذه «المستفِزَّات»: سبُّ الصحابة ﷺ.

ولا بأس أن أنقل هنا بعض ما كتبت هناك، لما فيه من عبرة وعظة، وما يحمل من بيان تقوم به الحجة على كل معاند ومكابر.

ومما قلته: ولذلك تبقى المشكلة في «سبِّ الصحابة» من قِبَل الشيعة، وخصوصًا الكبار منهم، الَّذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، مثل الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان، ﷺ، ومن كان من العشرة المبشرة بالجنة مثل: طلحة والزبير، وهؤلاء جميعًا من السابقين الأولين من المهاجرين، الَّذين كان لهم فضل السبق إلى الإيمان برسول الله، فصدقوه حيث كذبه النَّاس، وآمنوا به حيث كفر به النَّاس، ولذا أثنى عليهم الله تعالى في كتابه، ورضي الله عنهم ورضوا عنه، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومثل ذلك: من برّأها الله من فوق سبع سماوات: الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين عائشة ﷺ، فقد نزلت فيها الآيات الكريمة من سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

وكذلك غيرهم من الصحابة الَّذين هم دون هؤلاء في المنزلة، ولكنهم سعدوا بصحبة محمَّد ﷺ، وكلهم على خير، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وهذه هي النقطة الحساسة، بل الشديدة الحساسية بيننا وبين إخواننا من الشيعة، فليس يمكن أن نتفاهم ونتقارب فيما بيننا، وأنا أقول: أبو بكر رضي الله عنه، وأنت تقول: أبو بكر لعنه الله! فكم من الفرق البعيد بين الترضي عن شخص وقذفه باللعنة.

وقد تحدثت مع عدد من علماء الشيعة؛ ممَّن أعرفهم من ذوي الأناة والحكمة، وقلت لهم: إنَّ هذه القضية هي الحاجز الأول أمام التقارب، ولا بدَّ للعقلاء أن يحاصروها، أو على الأقل يخففوا من آثارها، فإنَّها إذا تركت لغرائز العوام المشحونة بالغضب والحقد: جديرة بأن تأكل الأخضر واليابس، ولا تدع لأهل العلم والحكمة فرصة في التوحيد أو التقريب.

والحق أقول: إنَّ هؤلاء العقلاء ـ أمثال: آية الله محمَّد علي التسخيري، وآية الله واعظ زاده وغيرهما ـ وافقوني تمامًا على ذلك، وأكدوا لي أن هذا الاتجاه يقوى عندهم، وينتشر شيئًا فشيئًا، حتَّى إن المناهج الدراسية الجديدة في إيران تذكر في بعض كتبها مواقف تاريخية لأبي بكر وعمر، فيها تمجيد لهما وثناء عليهما.

قلت لهم: هذا ما يجب أن يُتبنى ويتوسع فيه في مؤسسات التربية الحكومية، وفي مجال التربية الأسرية الخاص، فإنَّ الثقافة الشيعيَّة الشعبيَّة كثيرًا ما تُحمَّل بأوهامٍ ومبالغاتٍ وخزعبلات، لا تثبت أمام النقد العلمي، ولكنها عند العامَّة حقائق ـ أو معتقدات ـ تحرك سواكنهم، وتثير كوامنهم.

والحقيقة أنَّ هذه القضية الخطيرة في حاجة إلى تمحيص ومصارحة، لتصفيتها، وجلاء الغبار عنها، أو على الأقل للوقوف موقفًا إيجابيًّا حكيمًا منها.

QaradawiBooks.com

تنبيهات حول سبِّ الصحابة:

وأحبُّ أن أضع هـذه النقاط أمام إخواني الشـيعة، لا أقصد بها إلَّا ابتغاء وجه الله، وخدمة دينه، وجمع الأمَّة كلِّها عليه.

أولًا: أنَّ هذا الَّذي حدث بين الصحابـة بعضهم وبعض من خلاف ـ وإن دخلته المبالغات، ولوّثتـه الأهواء، وضخَّمته أجـواء الفتن ـ قد أصبـح تاريخًا انتهـى وطويت صفحاته بحلـوه ومُرِّه، وخيره وشـرِّه، وسيسأل الله أصحابه ويجزيهم بأعمالهم ونياتهم، وأولى بنا أن ندع ذلك إلى الله، ولا نكلف أنفسنا حسابهم. وقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وهذا ما جعل الخليفة الراشـد المرضيّ عمر بن عبـد العزيز يقول حينما سئل عن تلك الفتن وما جرى فيها: تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا، فلا نلطخ بها ألسنتا[1]!

ثانيًا: إنَّ من قواعد التسامح بين المختلفين من أهل الديانات: أن حساب الضال منَّا على ضلاله، والكافر على كفره، إنَّمـا هو إلى الله تعالى، وليس إلينا، وأن موعد هذا الحساب إنَّما هو في الآخرة، وليس في هذه الدنيا، كما قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وقال سبحانه لرسوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٣٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فإذا كان هذا شأن المختلفين من أهل الديانات المتباينة، فكيف بالمختلفين من أهل الدين الواحد؟

ثالثًا: إنَّ الأجدر بنا هنا أن نكل هؤلاء المختلفين إلى نياتهم وسرائرهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا.

على أنَّ هؤلاء الصحابة لو سلمنا أنَّهم أخطؤوا أو أذنبوا، لكان لهم من صحبتهم لرسول الله، ومن جهادهم معه ما يشفع لهم عند الله، كما قال الرسول لعمر في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وقد قام بعمل من أعمال التجسس لحساب قريش، قبيل فتح مكة، فقال عمر لرسول الله: دعني أضرب عنقه فقد نافق. فقال رسول الله ﷺ وقد شهد بدرًا: «**وما يدريك يا عمر، لعلَّ الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[1].

وقد قال الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»:

«لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به؛ إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله ﷻ، وهم كلهم لنا أئمَّة، وقد تعبّدنا بالكف عمَّا شجر بينهم، وألا نذكرهم إلَّا بحسن الذكر، لحرمة الصحبة، ولنهي النَّبيِّ ﷺ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم. هذا مع ما قد ورد من الإخبار من طرق مختلفة عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّ طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانًا لم يكن بالقتل فيه شهيدًا. وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ في التأويل وتقصيرًا في الواجب عليه؛ لأنَّ الشهادة لا تكون إلَّا بقتل في طاعة، فوجب حمل أمرهم على ما بيَّنَّاه.

(١) سبق تخريجه صـ٤٣٦.

QaradawiBooks.com

ومما يدلُّ على ذلك ما قد صحَّ وانتشر من إخبار عليّ بأن قاتل ابن صفية في النَّار. وقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بشِّر قاتل ابن صفيَّة**[1] **بالنَّار**»[2].

وإذا كانت كذلك، فقد ثبت أنَّ طلحة والزُّبَير غير عاصين ولا آثمين بالقتال؛ لأنَّ ذلك لو كان كذلك لم يقل النَّبيُّ ﷺ في طلحة: «**شهيد**». ولم يخبر أنَّ قاتل الزبير في النَّار.

وكذلك من قعد ـ أي: عن القتال مع أحد الفريقين ـ غير مخطئ في التأويل، بل صواب أداهم إليه الاجتهاد. وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم، وإبطال فضائلهم وجهادهم، وعظيم غنائهم في الدين، رضي الله عنهم.

وقد سُئل بعضهم عن الدماء الَّتي أُريقت فيما بينهم فقال: ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وسُئل بعضهم عنها أيضًا فقال: تلك دماء قد طهَّر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني. يعني في التحرز من الوقوع في الخطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبًا فيه.

قال ابن فُورك: ومن أصحابنا من قال: إنَّ سبيل ما جرى بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف، ثمَّ إنَّهم لم يخرجوا بذلك عن حدّ الولاية والنبوة، فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة.

---

(١) ابن صفية هو الزبير بن العوام، وصفية عمة رسول الله ﷺ.

(٢) رواه أحمد (٦٨١)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن، والطبراني (١٢٣/١)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٦٧/٣) وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

وقال المحاسبي: فأما الدماء فقد أشكل علينا القول فيها باختلافهم. وقد سُئل الحسن البصري عن قتالهم، فقال: قتال شهده أصحاب محمَّد ﷺ وغِبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا. قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنَّهم اجتهدوا وأرادوا الله ﷻ؛ إذ كانوا غير متّهمين في الدين. ونسأل الله التوفيق»[1] انتهى.

رابعًا: ثمَّ إن علينا ـ من ناحية أخرى ـ أن نشتغل بحاضرنا، بدل أن يشغلنا ماضينا، وحاضرنا مليء بالمصاعب والآفات والعقبات الَّتي تقف في وجوه المصلحين والمجددين، وهي تحتاج منَّا إلى جهود مضنية، كفيلة بأن تشغل عقولنا وقلوبنا وسواعدنا. ولا سيما في هذه المرحلة الَّتي اجتمع علينا فيها المكر الصهيوني، والتجبر الأمريكي.

وقد سمعت شيخنا محمَّد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ يرد على رجل يجادله فيما كان بين الصحابة، ويثير سؤالًا لا معنى له: أيهما كان أحق بالخلافة: أبو بكر أم علي؟

فقال له الشيخ: لقد ذهب أبو بكر وذهب علي، وذهبت الخلافة الراشدة والأموية والعباسية والعثمانية، وألغيت الخلافة نهائيًّا من ديار الإسلام، وأصبح الَّذين يتحكمون فينا هم الخواجات الأجانب، لا أبو بكر ولا علي، فإلى متى نظل في هذه المفاضلات الحمقاء؟

خامسًا: إنَّ مسألة «السبِّ» في ذاتها ليست محمودة شرعًا، فالمؤمن ليس سبَّابًا ولا لعَّانًا، والقرآن ينهى عن سب الأصنام، خشية أن يثير ذلك

(١) تفسير القرطبي (٣٢١/١٦، ٣٢٢).

QaradawiBooks.com

المشـــركين، فيســـبُّوا الله تعالى دفاعًا عن آلهتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ومن قرأ الســـنة النبويَّة وجد جملة من الأحاديث تنهى عن الســـب، ففي صحيح الجامع الصغير وزيادته، تقـــرأ عدَّة أحاديث كلها تنهى عن السب من رقم (٧٣٠٩) إلى (٧٣٢٢)[١] ومنها:

«**لا تسبُّوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه**»[٢].

«**لا تسبُّوا الأموات؛ فإنَّهم أفضوا إلى ما قدَّموا**»[٣].

«**لا تسبُّوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر**»[٤].

«**لا تسبُّوا الدِّيك؛ فإنَّه يوقظ للصلاة**»[٥].

«**لا تسبُّوا الريح؛ فإنَّها من رَوْح الله**»[٦].

«**لا تَسُبِّي الحمَّى؛ فإنَّها تُذهب خطايا بني آدم**»[٧].

---

(١) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٢٢٢/٢، ١٢٢٣).

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومســـلم (٢٥٤٠)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٤) رواه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)، وأحمد (٩١٣٧)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وقـــال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الشـــيخين. وأبو داود في الأدب (٥١٠١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٣١)، عن زيد بن خالد الجهني.

(٦) رواه أحمد (٢١١٣٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والنســـائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٧)، والحاكم في التفسير (٢٧٢/٢)، وصححه على شرطهما، وقال الذهبي: على شرط البخاري، عن أبي بن كعب.

(٧) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٥)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

وأعجب هذه الأحاديث قوله ﷺ: «**لا تسبُّوا الشيطان، وتعوَّذوا بالله من شرِّه**»[١]. حتَّى الشيطان الرجيم لا ينبغي أن نشتغل بسببه، ولكن نتعوَّذ بالله من شرِّه؛ لأن السبَّ عمل سلبي، والاستعاذة من شر الشيطان عمل إيجابي.

والغربيُّون يقولون: بدل أن تسبَّ الظلام أضئْ شمعة. أي أن سب الظلام ولعنه لا يغير من الواقع شيئًا، وخير منه أن تعمل شيئًا يضيء لك الطريق في الظلام، ولو كان شمعة صغيرة.

ثم إنَّ عدم السب واللعن مطلقًا لا يحمل أية مسؤولية، فليس سبّ الأشرار أو الكفَّار ولعنهم واجبًا دينيًّا، إذا لم يقم به المكلَّف كان معاقبًا عليه أمام الله.

حتى قال بعض الأئمَّة: لو عاش إنسان طول عمره، دون أن يلعن فرعون، أو أبا جهل، أو إبليس، ما كان محاسبًا يوم القيامة على ذلك. ولو أنه لعن مرة واحدة من لا يستحق اللعنة، لكان محاسبًا أمام الله تعالى يوم الدين: لماذا لعنه؟

ولذا قال الإمام الغزالي: المؤمن ليس بلعان، فلا ينبغي أن يُطلق اللسان باللعنة إلَّا على من مات على الكفر، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم، دون الأشخاص المعيَّنين، فالاشتغال بذكر الله أولى، فإن لم يكن؛ ففي السكوت سلامة.

قال مكِّيُّ بن إبراهيم: كنَّا عند ابن عون، فذكروا بلال بن أبي بُردة (الوالي) فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه، وابن عون ساكت، فقالوا:

---

(١) رواه أبو طاهر في المخلصيات (١٥٧٢)، وأبو القاسم تمام الرازي في الفوائد (٧٧٨)، ورجح الدارقطني في العلل (١٩٣٦) الموقوف، وصححه المرفوع الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يا ابن عون، إنَّما نذكره لما ارتكب منك! فقال: إنَّما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: «لا إله إلَّا الله»، «ولعن الله فلانًا»، فلأنْ يخرج من صحيفتي «لا إله إلَّا الله» أحبُّ إليَّ من أن يخرج منها «لعن الله فلانًا»[١].

وقال ابن عمر: أبغض النَّاس إلى الله كل طعَّان لعَّان[٢].

ثم إنَّ سبَّ الصحابة خاصَّة غير لائق بالمسلم، لصلتهم برسول الله ﷺ، فهم أصحابه وأخص النَّاس به، فهم قد تخرجوا من مدرسته، وتعلموا في حجره، واقتبسوا من مشكاة نبوته، وشاهدوا تنزيل القرآن، ووقائع السيرة، ومن الطبيعي والمنطقي أن ينالهم قبس من نور النبوة، وأن ينهلوا من فيض الرسالة، ومن سب أقرب تلاميذ الأستاذ إليه، فكأنَّما سب الأستاذ نفسه!

ولهذا كان التابعون أقرب في الفضل إليهم؛ لأنَّهم تتلمذوا عليهم، وأخذوا عنهم، ومَنْ بعد التابعين بعدوا عن نور النُّبوَّة أكثر، وكل عصر يبعد أكثر من غيره.

كما أثنى الرسول عليهم عمومًا وخصوصًا في أحاديث انتشرت واستفاضت وبلغت مبلغ التواتر.

والتاريخ شاهد صدق على فضل هؤلاء، فهم الَّذين حفظوا لنا القرآن ونقلوه إلينا بالتواتر، وهم الَّذين رووا لنا سنن النَّبيِّ وأقواله وأفعاله وتقريراته.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٧٤١).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٦٨٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٦٦٧).

QaradawiBooks.com

وهم الَّذين فتحوا الفتوح، ونشروا الإسلام في آفاق الأرض، فلولاهم ما كنَّا نحن اليوم مسلمين، فهم الَّذين علَّموا الأمم الإسلام، بعد أن تعلموه من رسولهم عليه السلام[1].

ومن قرأ سيرهم وتاريخهم وجد صحائف من البطولات الأخلاقية لا نظير لها في الأمم، خليقة أن تكون نماذج ومثلا لتربية الأجيال. وهذا ما تلمسه في كتاب «حياة الصحابة» المؤلف من عدَّة مجلدات، للشيخ محمَّد يوسف الكاندهلوي.

فضلًا عن الكتب الَّتي عنيت بتاريخهم مثل «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر.

وأنصح بقراءة كتاب السيد محبِّ الدين الخطيب: «مع الرعيل الأول»، وفصل «جيل قرآني فريد» للشهيد سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق»، وعبقريات «العقَّاد» عن عدد من الصحابة، و«أخبار عمر» للشيخ علي الطنطاوي، وكتب د. علي الصلابي.

أما دعوى تكفير الشيعة بسبب موقفهم من الصحابة، فلا أرى ذلك؛ لأن إخراج من قال: «لا إله إلَّا الله». من الإسلام: أمر لا يقدم عليه عالم، فإنَّ «لا إله إلَّا الله» تعصمه من الكفر. وأنا من المتشدِّدين في التكفير، والتهمة وإن كانت كبيرة، فلهم من التأويلات والشبهات ما يمنع من القطع بكفرهم، وكل شكّ هنا يفسر لصالح المسلم الَّذي يجب حمل حاله على الصلاح.

(١) راجع كتابنا: مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية صـ ٤٢ ـ ٥٥.

QaradawiBooks.com

مع دعائنا لهم أن يهديهم الله إلى الحق، ويتوب عليهم. إنه هو التواب الرحيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأمَّا من سبَّ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بيته وغيرهم، فقد أطلق الإمام أحمد أنه يُضْرَب ضربًا نكالًا، وتَوَقَّفَ عن كفره وقتله». وقال عبد الله: سألت أبي: من الرافضة؟ فقال: الَّذين يشتمون ـ أو يسبُّون ـ أبا بكر أو عمر رضي الله عنهما.

وقال في الرسالة الَّتي رواها أبو العباس أحمد بن يعقوب الإصطخري وغيره: «وخير الأمَّة بعد النَّبيّ ﷺ: أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثمَّ أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير النَّاس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قُبِلَ منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة، وخلَّده الحبس حتَّى يموت أو يراجع». وحكى الإمام أحمد هذا عمَّن أدركه من أهل العلم، وحكاه الكِرْمَاني عنه، وعن إسحاق، والحُمَيْدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم.

وهذا قول كثير من أصحابنا منهم ابن أبي موسى، قال: ومن سب السلف من الروافض فليس بكفء ولا يُزوَّج. ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برَّأها الله منه، فقد مَرَقَ من الدين، ولم ينعقد له نكاحٌ على مسلمة؛ إلَّا أن يتوب ويُظهِر توبتَه.

QaradawiBooks.com

وهذا في الجملة قول عمر بن عبد العزيز، وعاصم الأحول، وغيرهما من التابعين. وهو المشهور من مذهب مالك.

قال مالك: من شتم النَّبيّ ﷺ قُتِل، ومن سبَّ أصحابَه أُدِّب.

وقال القاضي أبو يعلى: الَّذي عليه الفقهاء في سبِّ الصحابة: إن كان مستحلًّا لذلك، كَفَر، وإن لم يكن مستحلًّا فسق ولم يكفر، سواء كفَّرهم أو طعن في دينهم مع إسلامهم.

ثم من قال: لا أقتلُ بشتمِ غيرِ النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّه يستدل بقصة أبي بكر رضي الله عنه وهو أن رجلًا أغلظ له ـ وفي رواية: شتمه ـ فقال له أبو برزة: أقتله؟ فانتهره، وقال: ليس هذا لأحد بعد النَّبيّ ﷺ[1]. وبأنه كتب إلى المهاجر بن أبي أُمَيَّة: «إنَّ حدَّ الأنبياء ليس يشبه الحدود»، ولأن الله تعالى ميَّز بين مؤذي الله ورسوله ومؤذي المؤمنين؛ فجعل الأول ملعونا في الدنيا والآخرة، وقال في الثاني: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. ومطلق البهتان والإثم ليس بموجب للقتل وإنَّما هو موجب للعقوبة في الجملة فتكون عليه عقوبة مطلقة، ولا يلزم من العقوبة جواز القتل، ولأن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا يحلُّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلَّا الله إلَّا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زِنًى بعد إحصان، أو رجل قتل نفسًا فيقتلُ بها**»[2].

(١) رواه أحمد (٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. النسائي في تحريم الدم (٤٠٧٦)، والحاكم في الحدود (٣٥٤/٤) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (٤٦٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الديات (٤٥٠٢)، والترمذي في الفتن (٢١٥٨)، وحسنه، والنسائي في تحريم الدم (٤٠١٩)، عن عثمان بن عفان مرفوعا بنحوه.

QaradawiBooks.com

ومطلق السبِّ لغير الأنبياء لا يستلزم الكفر؛ لأنَّ بعض من كان على عهد النَّبيّ ﷺ ربَّما سبَّ بعضهم بعضًا، ولم يَكفر أحدٌ بذلك، ولأن أشخاص الصحابة لا يجب الإيمان بهم بأعيانهم؛ فسب الواحد لا يقدح في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

أمَّا من اقترن بسبِّه دعوى أن عليًّا إله أو أنه كان هو النبي، وإنَّما غلط جبرائيل في الرسالة، فهذا لا شكّ في كفره، بل لا شكّ في كفر من توقَّف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أنَّ القرآن نُقص منه آيات وكُتِمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تُسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك، وهؤلاء يُسمَّون القرامطة والباطنية، ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

وأما من سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن، أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك؛ فهذا هو الَّذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يُكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبَّح مطلقًا؛ فهذا محل الخلاف فيهم؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنَّهم ارتدُّوا بعد رسول الله ﷺ، إلَّا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنَّهم فسَّقوا عامَّتهم؛ فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ فإنَّه مكذِّب لما نصُّه القرآن في غير موضع: من الرِّضى عنهم، والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسُّنَّة كفَّار أو فسَّاق،

QaradawiBooks.com

وأنَّ هذه الأُمَّة الَّتي هي: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وخيرها هو القرن الأول، كان عامَّتُهم كفَّارًا أو فسَّاقًا، ومضمونها أنَّ هذه الأمَّة شرُّ الأمم، وأن سابقي هذه الأمَّة هم شرارها، وكفر هذا ممَّا يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

وبالجملة فمن أصناف السَّابّة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه[1].

وصلى الله على سيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم.

غير مرخصة للطباعة

(١) راجع: الصارم المسلول صـ ٥٧٠ ـ ٥٩٠، بتصرف.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

جماعة الأحباش جدال بلا علم وتطاول بلا أدب

تمهيد:

منذ سنوات سمعت بجماعة ظهرت في لبنان، أزعجت جماهير المسلمين هناك بأقوال شاذَّة، واتجاهات منحرفة، وآراء خطيرة، في مجالات العقيدة والفقه والسلوك، حتَّى أسقطوا الزكاة عمَّن يملك القناطير المقنطرة من النقود الورقية، الَّتي يتعامل بها النَّاس اليوم، وأجازوا التعامل فيها بالربا، بدعوى أنَّها ليست نقودًا شرعية، أي ليست ذهبًا ولا فضَّة، وأجازوا للمسلم أن يعفي نفسه من صلاة الجمعة إذا أكل بصلة، أو وضعها في جيبه! وأباحوا الاختلاط بين الرجال والنساء بلا حدود ولا قيود.

وأشدُّ من ذلك خطرًا: تكفير كل من يخالفهم من المسلمين، من المحدثين أو من القدماء، فكفروا شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيِّم، ومن سار على دربهم من أمثال مجدد التوحيد في الجزيرة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب، كما كفَّروا كثيرًا من العلماء المعاصرين أمثال العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، والمفكر الإسلامي سيد قطب، وغيرهما، وقد ذكرت في كتاب «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرف» أنَّ السقوط في هاوية التكفير، هو أخطر دلائل التطرف والغلو في دين الله.

غير مرخصة للطباعة

وقد زعم هؤلاء الغلاة المنحرفون أنَّهم ينتمون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري اعتقادًا، وإلى الإمام الشافعي فقهًا، وإلى الطريقة الرفاعيَّة الصوفيَّة سلوكًا. وهم في الواقع أبعد ما يكونون عن منهج هؤلاء جميعًا: فكرًا، وأدبًا، وسلوكًا.

هذه الطائفة الَّتي ظهرت أوَّل ما ظهرت في لبنان، أطلق النَّاس عليهم اسم «الأحباش» إذ كان صاحب دعوتهم، وحامل رايتهم رجلًا جاء من الحبشة، من هرر، يدعو بهذه الدعوة الجديدة، الَّتي أكبر همها تفريق المجتمعين، والتشويش على العاملين، وإشعال نار الفتنة في صفوف المسلمين، وتعويق كل عمل بناء لنصرة هذا الدين.

وأنا أعتذر لإخواننا أهل الحبشة الطيبين الأخيار، وإلى سيد أهل الحبشة سيدنا بلال رضي الله عنه، فهؤلاء قد أساؤوا إلى اسم الحبشة والأحباش الحقيقيين، وهم ليسوا منهم في شيء، وهم برآء من آثام هؤلاء ـ الَّذين حملوا اسمهم بغير حق ـ براءة الذئب من دم ابن يعقوب. فهؤلاء أبعد النَّاس عن أدب بلال، وأخلاق بلال رضي الله عنه.

ولقد توقفت في شأنهم أوَّل الأمر، ولم أصدق ما سمعت عنهم، وكففت لساني وقلمي عنهم، فلم أمسهم بكلمة، حتَّى حصحص لي الحق، وتبين الصبح لذي عينين، وأصبحت دعاواهم معروفة هنا وهناك، فلم يسعني السكوت، ومسستهم في بعض كتبي الأخيرة مسًّا رقيقًا، ونقدتهم نقدًا خفيفًا، وأجبت في بعض المؤتمرات عمَّن سألني عن بعض أقوالهم الشاذَّة، مثل إباحة التدخين بإطلاق، وإباحة الاختلاط بلا قيود، وغير ذلك، مبينًا خطأهم في اجتهاداتهم هذه، دون أن أرميهم بكفر أو فسوق، فليس هذا من طريقتي.

QaradawiBooks.com

وكأن هذا النقد الهين اللين أصاب منهم مقتلًا، فهاج هائجهم، وجنَّ جنونهم، فجاؤوا بقضهم وقضيضهم، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم، في غفلة من الزمن، يريدون أن يشوشوا على البرنامج الإسلامي العالمي الَّذي شرق وغرب «الشريعة والحياة» في قناة الجزيرة في قطر، وصوبوا سهامهم من كل صوب، يحاولون أن ينالوا من البرنامج العتيد وصاحبه، ناسين قولَ الشاعر قديمًا[1]:

يا ناطحَ الجبلِ العالي ليُوهِنَهُ أشْفِقْ على الرأسِ لا تُشْفِقْ على الجَبَلِ!

ولما لم تُجدِ هذه المناطحات للجبل شيئًا إلَّا نطْح رؤوسهم، أرسلوا إلى مدير قناة الجزيرة، يطلبون إقامة مناظرة بيني وبينهم، ولو أنِّي قبلت هذا المبدأ لأحلتهم على بعض تلاميذ تلاميذي، ليناظروهم، ولكن هؤلاء أقل وأذل من أن يناظروا، وليس لهم وزن علمي يسمح لهم بدخول حلبة مناظرة، حتَّى مع أصغر التلاميذ.

ولقد قرأ بعض الإخوة الأفاضل من أهل العلم ورقتهم الَّتي أرسلوها للجزيرة لطلب المناظرة، وأفرغوا فيها كل ما في جعبتهم، ممَّا ادعوا فيه أنِّي خرجت به على الشَّرع الحنيف ـ معاذ الله ـ ورجاني هؤلاء الإخوة أن أرد على هذه الدعاوى الَّتي حشدوها في الورقة باعتبارها تمثل أهم ما في أيديهم من مزاعم ومآخذ، فإذا نقضت هذه نقضت كل دعاويهم، ولم يعد لهم ما يتمسكون به.

وبناء على رغبة هؤلاء الإخوة الأحبة، قبلت أن أكتب هذه السطور من باب إرخاء العنان، وإحقاقًا للحقِّ، وإزهاقًا للباطل، ولو كره المجرمون.

---

(١) هو الحسين بن حُميد. انظر: جامع بيان العلم (١١١٣/٢)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

أكتب هذه السطور أو الصحائف، وأنا أتمثَّل بقول الشاعر[١]:

ولـو أنِّـي بُلِيـتُ بهاشـميٍّ خؤولتـه بنـو عَبْـدِ المَـدَانِ
لهـان علـيَّ ما ألقـى، ولكـن تعالوا فانظـروا بمـن ابتلاني!

وكما يقول العرب في أمثالهم: على نفسها جنت براقش[٢]! فهم الَّذين جنوا على أنفسهم، وأشعلوها معركة على كل صعيد، جندوا لها جنودهم، وحشدوا لها جهودهم، وستحرقهم نارها إن شاء الله. فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]، ومن سنن الله: أن على الباغي تدور الدوائر، والبغي مرتعه وخيم.

سأحاربهم وحدي مستعينًا بربي، ثمَّ بقلمي ولساني، وسأفضح سرهم، وأكشف سترهم، والشر بالشر يحسم، والبادئ أظلم.

وكنتُ إذا قـومٌ غزَوْني غزوتُهم فهل أنا فـي ذا يا لَهَمْدَانَ ظالِمُ؟
متى تحمل القلبَ الذكيَّ وصارمًا وأنفًا حميًّا تجتنبكُ الْمَرَاغِمُ[٣]

وأنا ـ بحمد الله تعالى ـ أحمل القلب الذكي، والأنف الحمي، وصارمي هو قلمي الَّذي جندته للحق طول عمري، وسيظل للحق حتَّى الممات بإذن الله.

---

(١) وهو شريك الحارثي. انظر: أخبار الوافدين صـ ٣٧، تحقيق سكينة الشهابي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) انظر: أمثال العرب للمفَضَّل الضبِّي صـ ١٥١، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٣) البيتان لعمرو بن براقة الهمداني. انظر: الوحشيات (٣٢/٣١)، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء صـ ٨١، تحقيق ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

معركة أخوضها على كره:

وما كنتُ ـ والله ـ أحبُّ أن أدخل هذه المعركة، فأنا أخوضها على كره مني، لسببين أساسيين:

الأول: أنِّي مشغول الفكر والقلب والوقت والجهد؛ بالقوى المعادية للأمَّة الَّتي تريد اقتلاع جذورها، من الصهيونية العالمية، والصليبية الغربية، والوثنية الشرقية، وفلسفات الإلحاد والإباحية، والجماعات العلمانية، والمذاهب الانحلالية، وكل قوى الشر والإفساد، المتربصة بأمتنا، فليس عندي متسع لمعاداة أحد من المسلمين، وإن انحرفوا وتجاوزوا.

السبب الثاني: أنَّ الإسلام علمني أن أشتغل بإضاءة الشموع، لا بلعن الظلام، وببيان الحق لا بسب الباطل، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فمنهجي طوال حياتي: أن أبني ولا أهدم، وأن أجمع ولا أفرق، وأدع كل امرئ وما اختار لنفسه، لا ألزم النَّاس برأيي واجتهادي، ولا يلزمونني برأيهم واجتهادهم، وإذا كان الله تعالى قد أمر رسوله الكريم أن يقول للكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، فكيف لا أقول لإخواني المسلمين: لكم اجتهادكم ولي اجتهادي، لي عملي ولكم أعمالكم؟!

ولكن هؤلاء القوم رفضوا أن يكون لي اجتهادي، والعالم المسلم لا يدين الله إلَّا بما انتهى إليه اجتهاده، صوابًا كان أم خطأ، فما كان

QaradawiBooks.com

صوابًا، فهو مأجور عليه أجرين، وما كان خطأ فهو مأجور عليه أجرًا واحدًا. وهذا من روائع هذا الدِّين: أن يؤجر الإنسان على الخطأ ما دام بعد تحرٍّ واجتهاد من أهله في محله.

ومن عجب أن يفرِّغ هؤلاء القوم أنفسهم للتشويش على برامجي التلفزيونية بالمهاترات والافتراءات الباطلة، كما حدث في برنامج «الشريعة والحياة» في قناة الجزيرة، وبرنامج «شعب الإيمان» في قناة قطر الفضائية، وقد قابلت سوء أدبهم ـ في أوَّل حلقة تطاولوا عليّ فيها ـ بالحلم والسكوت والإعراض، على نحو ما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

ولكن هذا جرَّأهم على التمادي، فازدادوا عتوًّا، وظنُّوا الحلم ضعفًا، وما هو والله بضعف، ولكنَّه ضنًّا منِّي أن أضيع الوقت والجهد في تأجيج نار الخلاف بين المسلمين، وهم أحوج شيء إلى الاتحاد والائتلاف، وهذا التمادي في التطاول، والتهجم بالباطل، هو الَّذي دعاني أن أمسك بالقلم؛ لأرد على هؤلاء ليعرفوا حجمهم، ويلزموا جحورهم، وهذا كما قلت على كره مني، ولكن كما قال الله تعالى للرسول ﷺ ولصحابته: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن الغرائب أنَّ هؤلاء الأحباش يتهمونني بأنني وهَّابي متعصِّب لأئمة الوهَّابية، فلا أكاد أتحدث إلَّا عن ابن تيمية وابن القيم ومدرستهما، ويتهمونهما بأنَّهما خالفا الإجماع في كذا وكذا مسألة، في الوقت الَّذي يوزع الإخوة الوهابيون أو السلفيون منشورات تهاجمني في جدة

QaradawiBooks.com

والرياض وغيرهما من مدن المملكة، فلم أرضَ هؤلاء ولا هؤلاء، وكلاهما يردُّ على الآخر. وأنا لست عبدًا لأحد إلَّا لله وحده، ولا أسيرًا إلَّا للكتاب والسُّنَّة، وأحبُّ كلَّ علماء الأمَّة الراسخين، وأقدرهم، ولكن لا أقدسهم، ولا أدعي لهم العصمة.

وأحبُّ أن أؤكِّد أنَّ هذه الهجمة المنظمة من الطرفين لن تثني عزمي عمَّا نذرت له نفسي، ووهبت له عمري، وجندت له فكري ولساني وقلمي، وهو الدعوة إلى «وسطيَّة الإسلام» ولن أتنازل عن منهجي، المشدِّد في الأصول، الميسِّر في الفروع، القائم على التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، والحمد لله، قد تجاوب معي الجمهور الأكبر، والجم الغفير من المسلمين، وخصوصًا المثقفين في أنحاء العالم، ولله الحمد والمنة.

وقد تبجَّح هؤلاء وطلبوا منِّي مناظرتهم، وألحُّوا في هذا الطلب. ولكنِّي ضربت بطلبهم عرض الحائط، فليس كل من طلب شيئًا ـ ولو بغير حقٍّ ـ أجيب إليه. ولن أمكنهم من هذه المناظرة الشفهية الَّتي يشتهونها، وذلك لعدة أسباب:

١ ـ أنَّهم يريدون أن يظهروا على شاشات القنوات الفضائية، على حسابي، ولن أمنحهم هذه الفرصة، بل أقول لهم: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢ ـ أنَّهم يريدون أن يقولوا لمن يعملون لهم من الجهات المشبوهة: ها قد ناظرنا القرضاوي!

٣ ـ أنَّ معظم ما يريدون المناظرة فيه كما سمعت منهم أشياء تتعلق بمسائل في كتبي، وهذه لا تعالج بالمناظرة، بل يرد على الكتاب بكتاب مثله إن استطاعوا.

QaradawiBooks.com

٤ ـ أنَّ المناظرة تقتضي أن تكون بين نظراء، وهؤلاء ليسوا نظرائي، لا في السن ولا في الإنتاج العلمي، فمن بلغ الرابعة والسبعين منهم، وكان له أكثر من مائة كتاب، طبع الكثير منها عشرات المرات، وترجم معظمها إلى اللغات الإسلاميَّة والعالميّة فربما أقبل مناظرته لو رأيت لها فائدة، ولذا يمكنني أن أدع مناظرتهم ـ لو شئت ـ إلى أصغر تلاميذي، وهو قادر ـ بعون الله تعالى ـ أن يهدمهم بضربة واحدة.

٥ ـ أنِّي جربت أسلوب المناظرات، فلم أجده مجديًا، جربته مع العلمانيين، وانتصرنا عليهم بحمد الله، ولكنهم لم يتزحزحوا عن موقفهم قيد شعرة.

٦ ـ أنِّي سأناظرهم بطريقة أخرى: بالقلم لا باللسان. ولهذا كتبت هذه الورقات، لأكشف عن تهافتهم وضحالتهم، وجهلهم المركب، وأبين مدى تناقضهم وكذبهم.

ولا أقول إلَّا ما قال نبيّ الله شعيب: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

رسالة الأحباش إلى قناة الجزيرة ومضامينها

وقبل أن أردَّ على ما أثاره الأحباش، أضع الرسالة الَّتي أرسلوها بالفاكس إلى مدير قناة الجزيرة، مختومة بختم «جمعية المشاريع الخيرية الإسلاميَّة» وموقعة باسم أسامة السيد، أضعها بنصها أمام القارئ الكريم:

QaradawiBooks.com

جناب مدير عام قناة الجزيرة الأستاذ محمَّد جاسم العلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

كنت قد اتصلت بمدير المقابلات الأستاذ نبيل نجم الدين في موضوع، وأحالني على سيادتكم.

فالموضوع هو:

أننا نطلب من سعادتكم تأمين مناظرة لنا على قناتكم بيننا وبين الدكتور القرضاوي؛ لأنَّ هذا الرجل قد خالف الشَّرع الحنيف في مئات المسائل، ونحن إحقاقًا للحقِّ وإبطالًا للباطل، ولأننا نعلم أنكم تحرصون على تقديم الرأي الآخر طلبنا منكم إجراء هذه المناظرة، وهنا سأورد لسعادتكم بعض النقاط الَّتي ستتناولها المناظرة:

١ ـ يمتدح المتطرفين فيقول: إنَّ هذا الغلو الَّذي انتهى بهؤلاء الشباب المخلصين الغيورين على دينهم إلى تكفير من خالفهم من المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم.

وقال في موضع آخر: ولهذا أصر على القول بأنَّهم إخواننا على الرغم من غلوهم وانحرافهم عن جادة الصواب.

٢ ـ ثبت لدينا أنَّه عضو مؤسس ومساهم لما يُسمَّى «بنك التقوى» في جزر البهاما بالإضافة لكبار مسؤولي حزب الإخوان المسلمين في العالم ومعلومٌ أنَّ لهذا البنك نشاطات مشبوهة جدًّا.

٣ ـ وهو يمتدح رموز المتطرفين كسيد قطب وأبو الأعلى المودودي،

QaradawiBooks.com

ويسمي سيد قطب شهيدًا، ويحيل النَّاس لقراءة كتبه، وهو رأس التطرف والإرهاب في القرن العشرين.

٤ ـ وردًّا على سؤال أجاب بأن ما أصدرته محكمة في ألمانيا من تطليق زوجة من زوجها المسلم قال: إن الحكم صحيح. وهذه الفتوى باطلة بالإجماع.

٥ ـ وادعى في موضع آخر أنَّ حق المعلم على الولد أعظم من حق الوالدين. وهذا باطل أيضًا.

٦ ـ يمتدح في كتبه ناصر الألباني ويسمِّيه محدثًا كبيرًا وهو أكبر شاذٍّ ومنحرف في هذا العصر حيث طالب الدولة السعوديَّة بإخراج قبر النَّبيِّ وصاحبَيه من المسجد وأفتى بتكفير وتأثيم أهل الضفة الغربية لأنَّهم لم يخرجوا منها كما خرج النَّبيُّ والصحابة من مكة إلى المدينة.

٧ ـ واعتبر أنَّ الدجاجة المخنوقة تؤكل شرعًا وهذه مخالفة صريحة للآية الكريمة.

٨ ـ ويقول: درهم ربًا يأكله الرجل وهو يعلم أشدَّ من ستٍّ وثلاثين زَنْية، وهذا الكلام مخالف للنقل والعقل والإجماع ولو استدلَّ بحديث ليس صحيحًا، وهو الَّذي تعهَّد بأنَّه لا يستشهد إلَّا بالصحيح.

أخيرًا: إنَّ ما ذكرناه وغيره من مئات المسائل موثق لدينا من كتبه ومن المجلات وغيرها.

فنأمل من سعادتكم إفساح المجال في مناظرة طرفها الأول القرضاوي والطرف الثاني الشيخ أسامة السيد رئيس فرع البقاع في جمعية المشاريع الخيرية الإسلاميَّة رئيس المكتب الإعلامي فيها بالإضافة لمدير فرع الشمال في الجمعية الشيخ غانم جلول. انتهى.

QaradawiBooks.com

الردُّ على شبهات الأحباش

هذه هي رسالتهم الَّتي حشدوا فيها أهم وأبرز ما عندهم من مآخذ، وسأكره نفسي على الرد عليها فيما يلي، والله المستعان.

دعوى امتداح المتطرفين:

١ ـ قال الحَبَشي في بيان المسائل الَّتي خالفت فيها الشَّرع الحنيف، والتي يريد أن يناظر فيها هداه الله: «يمتدح المتطرفين فيقول: إنَّ هذا الغلو الَّذي انتهى بهؤلاء الشباب المخلصين الغيورين على دينهم إلى تكفير من خالفهم من المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم. وقال في موضع آخر: ولهذا أصر على القول بأنَّهم إخواننا على الرغم من غلوهم وانحرافهم عن جادة الصواب» اهـ.

هذه المسألة الأولى الخطيرة الَّتي رأى فيها هذا الحَبَشي المسكين ومَن وراءه من الأحباش أنِّي خالفت فيها الشَّرع الحنيف. وهذه العبارات مأخوذة من رسالتي «ظاهرة الغلو في التكفير» الَّتي تقبلها العلماء والدعاة في العالم الإسلامي كله بقبول حسن، وأثنوا عليها، وترجموها إلى لغات عدة، ونشر منها عشرات الآلاف في سلسلة «صوت الحقِّ» الَّتي كانت تصدرها الجماعة الإسلاميَّة بجامعة القاهرة، ولا أدري ما الَّذي وجد فيها هؤلاء من المخالفة للشرع الَّذي يجهلونه كل الجهل، ولكن آفتهم أن جهلهم جهل مركب، فهم يجهلون، ويجهلون أنَّهم يجهلون.

إنَّ هؤلاء القوم لا يملكون أي حسٍّ دعوي، ولا أي حسٍّ تربوي، ولا أي حسٍّ أبوي، في معالجة ظاهرة العنف، الَّتي تحتاج إلى

QaradawiBooks.com

الحكمة والرفق في التعامل معها. والمثل العربي يقول: أنفك منك وإن كان أجدع، وهؤلاء الغلاة ـ وجلهم من الشباب ـ منا، وإن انحرفوا وشردوا عن سواء السبيل، فلا بدَّ أن نعالجهم بلطف، كما يعالج الطبيب مرضاه.

وقد قال الشاعر:

قومي همُو قتلوا أميمَ أخي ... فإذا رميتُ يصيبنِي سهمِي!
فلئن عفوتُ لأعفونْ جَلَلًا ... ولئنْ رميتُ لأوهننْ عظمِي[1]!

ثم ماذا يَعيبني أن أقول: إنَّ هؤلاء الشباب هم إخواننا، وإن انحرفوا عن جادة الصواب، أيريدون منِّي أن أكفرهم وأخرجهم من الملة كما يفعلون هم؟

إنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكفر الخوارج، برغم أنَّهم كفروه، واستباحوا دمه، وهو فارس الإسلام، وعلم الأعلام؟ ورغم ما جاء فيهم من الأحاديث: «**يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهْم من الرَّمِيَّة**»[2].

ولما سُئل عنهم: أكفَّارٌ هم يا أمير المؤمنين؟ قال: من الكفر فرُّوا. قالوا: أمنافقون هم؟ قال: لو كانوا منافقين لم يذكروا الله إلَّا قليلًا. قالوا: فما هم؟ قال: إخواننا بالأمس، بغوا علينا اليوم[3].

---

(١) وهو الحارث بن وعلة الرقاشي. انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي صـ ١٤٩، تحقيق غريد الشيخ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٧٠.

(٣) سبق تخريجه صـ ٣٥٨.

QaradawiBooks.com

وقال عنهم: ليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه.

بهذه الروح الأبوية يجب أن نتعامل مع هؤلاء الشباب، وهذا سبب قولي عنهم: إنَّهم مخلصون غيورون على دينهم، وأنَّهم إخواننا وإن انحرفوا وتجاوزوا.

وهذا ما وجهني إلى التفكير الجدي في تأليف كتاب في موضوع «التكفير» نظرًا لشدَّة خطورته، وبعد أثره، ولكن لم يقدر لي أن أتم الكتاب، فكتبت البحث الَّذي نشرته مجلة «المسلم المعاصر» في عددها التاسع الصادر في شهر يناير ١٩٧٧ أي قبل أن يتفاقم أمر التكفير ويصل إلى ما وصل إليه؛ من اختطاف وقتل الشيخ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، بحوالي شهرين، وقد بينت في مقدمة البحث خطورة القضية، والأسباب العامَّة الَّتي أدت إلى بروزها، والطريقة الَّتي يجب أن تعالج بها، كما وضعت مجموعة من القواعد أو الحقائق الشرعيَّة، الَّتي يجب الاحتكام إليها، وهي قواعد موثقة بأدلتها المحكمة من الكتاب والسنة، رجوت أن يكون فيها مقنع لمن طلب الحق، ولم يعمه التعصب لرأي، وما أردت بها إلَّا خدمة الإسلام، ومحاولة الأخذ بيد أبنائه المخلصين؛ حتَّى لا يضلوا الطريق، أو يحطمهم الغلو، وقد حذر النَّبيّ ﷺ أمته من الغلو والتطرف. وقال فيما رواه ابن عبَّاس: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدِّين**»[1]، وقال فيما رواه ابن مسعود:

(١) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة في الحج (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في الحج، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصححه على شرطهما، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

«**هلك المتنطِّعون، هلك المتنطِّعون، هلــك المتنطِّعون**»[1]. وهو لا يكرِّر الكلمة إلَّا لعِظَم خطرها، ولتأكيد الاهتمام بمضمونها!

وقلت في هذه الرسالة، في هذا الســياق: «إنَّ هذا الغلو الَّذي انتهى بهؤلاء الشــباب المخلصين الغيورين على دينهم إلى تكفير من خالفهم من المسلمين واستباحة دمهم وأموالهم، هو نفسه الَّذي انتهى بالخوارج قديما إلى مثــل ذلك وأكثر منه، حتَّى إنَّهم اســتباحوا دم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهو من هو، قرابة من الرســول ﷺ، وســابقة في الإسلام، وجهادًا في سبيله.

ولم يكن الخوارج ينقصهم العمل أو التعبد، فقد كانوا صُوَّامًا قُوَّامًا قُرَّاء للقرآن، شجعانًا في الحق، باذلين النفس في سبيل الله، كما وصفهم أحدهم أبو حمزة الشاري فأبدع في الوصف.

ولكن لم ينفعهم العمل وطول التعبد، وحسن النية؛ لأنَّهم ساروا في غير الاتجاه المستقيم، ومن ســار في غير الاتجاه المنشود لم يزده طول السير إلَّا بعدًا عن الهدف، فلا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى!

لقد صحَّ الحديث في ذم الخوارج وفي التحذير منهم؛ من عشــرة أوجه ـ كما قال الإمام أحمد ـ وجاء عدد منهــا في الصحيحين، وفي بعضها: «**يَحقِر أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**». ومع هذا وصفهم بأنَّهــم «**يمرُقون من الدِّين كما يمرق الســهم من الرَّمِيَّة**». وبين علامتهم المميزة، وهــي أنهم: «**يدعون أهل الأوثان، ويقتلون أهل الإسلام**». كما أشار إلى ضحالتهم وسطحيتهم،

(١) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥).

QaradawiBooks.com

وعدم تعمقهم في فهم القــرآن حين قال: «**يقــرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرَهم أو تراقِيَهم**»[١] اهـ.

ورأيي الَّذي أعلنته مــن قديم، ولا زلت أصرُّ عليــه: أنَّ العنف لا يحارب بالعنف وأن من أهم ســبل العــلاج وخطواته: أن نعامل هؤلاء الشــباب بروح الأبوة المشــفقة، بعيدًا عن الفظاظة والغلظة والتطــاول عليهم، أو الاحتقــار لهم، وألا نكلمهم مــن فوق أبراج عاجية، مســتعلين عليهم أو متبرئين منهم، ممَّا يحفــر بيننا وبينهم فجوة واسعة، أو هوة عميقة، فلا يثقون بنا ولا يستمعون لنا، كما أنَّنا لا نســتطيع بذلــك أن نفهمهم، ونعــرف أغوار حياتهــم، وحقيقة مشكلاتهم.

ينبغي ألَّا يكون موقفنا منهم موقف «ممثلي الاتِّهام» كل همنا أن نبرز مساوئهم، ونضخم سلبياتهم، ونشكك في نواياهم، ونطعن في أعمالهم، ونلتمس لهم بذلك أقصى العقوبات!

إنَّما يجب قبل كل شــيء أن نعاملهم بروح الأبوة الحانية، والأخوة الراضية، ونشــعرهم أنَّهم منَّا، وأنَّنا منهم، وأنَّهم فلــذات أكبادنا، وأمل حياتنا، ومســتقبل أمتنــا، وبذلك ندخــل إليهم من بــاب الحبِّ لهم، والإشفاق عليهم، لا من باب الاتهام لهم، والتكبر عليهم.

يجب أن نقف موقــف المحامي عنهم، حيث تصوب إليهم ســهام الاتهام: من أمام ومن خلف، وعن يمين وشــمال، بحق أو بباطل، ومع حسن النيَّة أو سوئها.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٧٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فإذا لم نحسن أن نقف موقف الدفاع، لسبب أو لآخر، فلنقف موقف القضاء العادل، الَّذي لا يُدين إلَّا ببينة، ولا يتحيز لمدعٍ أو مدعًى عليه.

إنَّ من عيوبنا: أنَّنا في القضايا الاجتماعية نتعجل الأحكام، ونعممها، ونصدرها نهائية باتة، لا تقبل النقض ولا الاستئناف، وقد نفعل ذلك دون أن نسمع دفاع المتهمين وحجة الخصوم، وهذا ليس من العدل في شيء!

إنَّ الكثيرين يحكمون على هؤلاء الشباب من بعيد، دون أن يخالطوهم ويتعرفوا عليهم، ويعرفوا كيف يفكرون، وكيف يشعرون، وكيف يسلكون، وكيف يتعاملون.

وكثيرون يحكمون على جميعهم بتصرف عدد محدود منهم، مع أن الأقلية لا تحكم على الأكثرية، ولهذا قرَّر فقهاؤنا أنَّ للأكثر حكمَ الكلِّ، وأنَّ النادر لا حُكْم له.

وآخرون يحكمون على الشخص بتصرف واحد يصدر منه، قد يكون له دوافعه وملابساته الخاصة، وقد يكون له تفسير عند صاحبه لو سمعه من أنكره لرجع عن إنكاره.

ومهما يكن من شيء فلا يجوز أن يقضى بالإعدام الأدبي على امرئ بتصرف أو تصرفين، إنَّما يُقوَّم الإنسان بمجموع أعماله، فمن رجحت كفة حسناته على سيئاته فهو من أهل الخير، وهكذا يعامل الله عباده: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢][1] انتهى.

(١) انظر كتابنا: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف صـ ١٠٥ ـ ١٠٨، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

ولو أنصف هؤلاء الأحبـاش ووضعوا القول الَّـذي قلته عن هؤلاء الشباب في موضعه من الرسالة، ولم يقطعوه عن سياقه، لعلموا أنه قول صادق صائب، راشد بتوفيق الله.

المساهمة في بنك التقوى:

٢ ـ قال الحَبَشي في تعداد المسـائل الَّتي خالفت فيها الشرع: «ثبت لدينا أنَّه عضو مؤسـس ومسـاهم لما يُسـمَّى «بنك التقوى» في جزر البهاما، ومعلوم أن لهذا البنك نشاطات مشبوهة جدًّا»!

هذه هي المسألة الثانية من المسـائل الَّتي ذكرها الحَبَشي المسكين لما خالفت فيه الشَّرع الحنيف، ولا أدري أي مخالفة للشرع الحنيف في المسـاهمة في بنك إسـلامي يقوم نظامه الأساسـي على تحريم الربا، والالتزام بأحكام الشريعة الإسـلاميَّة في معاملاته، بل هذا البنك يتميز بأن هيئة رقابته الشـرعيَّة عرض عليها نظامه الأساسـي قبل أن يصدر، فعدلت فيه وحورت، حتَّى يتطابق مع مبادئ الشريعة وأحكامها.

بطبيعة الحـال، لا يرى الأحبـاش ضرورة للبنوك الإسـلاميَّة؛ لأنَّ مبدأهم أن النقود المعاصرة الَّتي تقوم على الورق، لا يجري فيها الربا، فهم يستحلُّون الربا فيها بفتواهم الضالَّة، كما يستحلُّون عدم إخراج الزكاة منها، فلا غرو أن يتعاملوا مع البنوك الربوية، ويتنكَّروا للبنوك الإسلاميَّة.

وأنا أرى مع سائر علماء الأمَّة ومجامعها الفقهيَّة المعروفة في مصر وفي مكة وجدة والهند وغيرها: أنَّ فوائد البنوك هي الربا الحرام، ولهذا أدعو كما يدعو غيري من علماء الأمَّة: إلى ضرورة التحرر من لعنة الربا، والأذان بحرب الله ورسوله، والسعي إلى إقامة مصارف خالية من الربا، ومن كل المعاملات المحظورة.

QaradawiBooks.com

فما لي لا أشجع بنك التقوى وأساهم فيه، كما ساهمت في مصرف قطر الإسلامي في قطر، وفي بنك فيصل الإسلامي المصري، وفي المصرف الإسلامي الدولي للاستثمار والتنمية في القاهرة؟

إنَّ تشجيع هذه المصارف الإسلاميَّة والمساهمة فيها، والتعامل معها واجب على كل مسلم على قدر استطاعته.

أَمَّا زعم الحَبَشي المسكين أنَّ بنك التقوى له نشاطات مشبوهة جدًّا، فقد كشف لنا القناع عن هوية هؤلاء القوم، ولحسابِ مَنْ يعملون. فقد تعرَّض بنك التقوى في المدَّة الأخيرة لحملات مسعورة من جهات تعمل لحساب الصهيونية والصليبية، تهدف إلى تشويه صورته، والتشكيك في سلامته، وتخويف النَّاس منه، وكانت دعوى هؤلاء: أنَّ البنك يمول الإرهاب والإرهابيين، وهي فرية بلا مرية، فالبنك أبعد ما يكون عن ذلك.

وأسأل الحَبَشي المتعالم المتطاول: هل هذه مسألة علميَّة تطلب فيها مناظرة؟!

على أية حال، كيف يثبت الحَبَشي أنِّي باشتراكي في بنك التقوى خالفت الشَّرع الحنيف؟!

ويا عجبًا، كيف يكون الَّذين يؤازرون البنوك القائمة على الربا الَّذي لعن رسول الله آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه: مع الشَّرع الحنيف، ويكون الَّذي حارب الربا علمًا وعملًا، بلسانه وقلمه وجهده وماله، وساند قيام البنوك الإسلاميَّة تنظيرًا وتطبيقًا مخالفًا للشرع الحنيف؟!

رحم الله البُحتري الشاعر حين قال:

إذا محاسني اللَّاتي أُدِلُّ بها كانت ذنوبي، فقل لي: كيف أعتذرُ[1]**؟!**

(١) ديوان البحتري (٩٥٤/٢)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣.

QaradawiBooks.com

مدح سيد قطب والمودودي:

٣ ـ قال الحَبشي: «وهو يمتدح رموز المتطرفين كسيد قطب وأبو الأعلى المودودي ويُسمِّي سيِّد قطب شهيدًا، ويحيل النَّاس لقراءة كتبه، وهو رأس التطرف والإرهاب في القرن العشرين» انتهى.

وأقول لهذا المتجنِّي: لقد علمنا القرآن أن نعدل في قولنا إذا قلنا، وفي شهادتنا إذا شهدنا، كما قال تعالى في الوصايا العشر في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وأنا لم أقل في المودودي وسيد قطب إلَّا ما أعتقد أنه الحق، فقد كان الرجلان من حملة الدعوة إلى الله، ودعاة الإصلاح والتجديد في الإسلام، في القرن الرابع عشر الهجري، ووقف كلاهما ضد دعاة الجاهليَّة المادية الإلحادية، والجاهليَّة الانحلالية الإباحية، والجاهليَّة اللادينيَّة العلمانية، وشتى الجاهليات الَّتي غزت عقول المسلمين، وأنشأت فيهم مفاهيم غريبة عنهم، دخيلة عليهم فعادوهما بما آتاهما الله من مواهب، بالقلم واللسان، بالدعوة والتربية، بالتجنيد والتجميع، وعاش كلاهما للإسلام، ومات على الإسلام.

ودفع سيد قطب عنقه فداء لدعوته، وثمنًا لإصراره على عقيدته، وصدقت مقولته: ستظل كلماتنا عرائس من الشمع لا إحساس فيها ولا حياة، حتَّى إذا متنا في سبيلها، دبت فيها الروح، وسرت فيها الحياة!

وقف المودودي ضد دعاة النُّبوَّة الجديدة (القاديانية) وحُوكِم من أجل ذلك، وحُكم عليه بالإعدام. وقف ضد خصوم السنَّة، الَّذين زعموا أنَّهم أنصار القرآن، وأفحمهم ببيانه وحججه، ووقف ضد دعاة التغريب، الَّذين أرادوا أن يسلخوا الأمَّة من عقيدتها وشريعتها وقيمها وتراثها، وأن

QaradawiBooks.com

يفرضوا عليها الحضارة الغربية بعجرهـا وبجرها، بما فيها من انحلال، وما فيها من ربا، وما فيها من مظالم وفجور.

ووقف ضد دعاة الجمود والتقليد الأعمـى، وتقديس القبور، وتأليه الأولياء، ونشـر الخرافات فـي العقيـدة، والمبتدعات فـي العبادات، والسلبيات في السلوك.

ووقف ضد الظلمة والطغاة من الحكام، ودعاهـم جميعًا إلى إقامة دولة الإسلام، الَّتي لا تريد علوًّا في الأرض ولا فسادًا.

وكذلك وقف سـيد قطب ضد الجاهليَّـة بكل صورهـا: العقدية، والفكريـة، والسـلوكية، ووقـف ضد العلمانيـة الغازيـة، ووقف ضد الصهيونية الغاصبة، والصليبية المعادية، والدكتاتورية المتسـلطة، وكان قلمه البليغ هو سـيفه المُصلت في هذه المعركة الحامية الوطيس، الَّتي سقط فيها شهيد دعوته الَّتي آمن بها وضحى في سبيلها بأغلى ما يضحي به الإنسان. قد كان يمكن أن يهادن أو يلاين، ولكنَّه ثبت ثبات الجبال، وصبر صبر الأبطال، ولقي ربه قرير العين بما قدم.

وإذا قلت عنه: إنه شهيد؛ فلأنَّه قُتل مظلومًا دفاعًا عن عقيدته ودعوته، ما قتل نفسًـا بغير حق، ولا زنى بعد إحصان، ولا كفر بعد إسلام، إنَّما قال كلمة حق عند سلطان جائر، فأمر بقتله. وفي الحديث: «**سيِّدُ الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله**»[1].

ربما غلا سـيِّد قطب في موقفـه من الجاهليَّة، وفـي تصوير بعض

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٩٥/٣)، وصحَّح إسـناده، وقـال الذهبي: الصفار ـ أحد الرواة ـ لا يُـدرَى من هو. والخطيـب في تاريخ بغـداد (٥٣/٦)، وصححـه الألباني في الصحيحة (٣٧٤)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

المجتمعات الإسلاميَّة المعاصرة، وربَّما أخطأ في بعض اجتهاداته ومواقفه، في تفكيره أو في تعبيره، فما يزعم أحد له العصمة، ولا يزعم هو لنفسه العصمة، وكل أحد يُؤخذ من كلامه ويرد عليه، وكل مجتهد يتأثر بزمانه ومكانه وظروفه الَّتي يعيشها، وقد كتب سيد قطب ما كتب؛ وهو يعاني من القهر في سجون عبد الناصر، ويرى الشيوعيين وأمثالهم يتحكمون في أجهزة الثقافة والتوجيه والإعلام.

ولكن هذا لا يسقط اعتبار سيد قطب، أو ينزل من قيمته، أو يقصر من قامته، أو يخفض من هامته، فالرجل ـ بإجماع من أحبَّه أو كرهه ـ عملاق من عمالقة الدعوة الإسلاميَّة في عصرنا، رضي بذلك من رضي، وسخط من سخط، ولا يشك أحد في إخلاصه وتجرده، ولهذا نزلت كلماته على القلوب كما ينزل الماء العذب البارد على الحلوق الظمأى.

ولقد انتقدت الأستاذ سيد قطب في بعض ما كتب، وناقشته نقاش العلماء والدعاة بعضهم لبعض، دون انتقاص من قدره، أو استخفاف بمقامه، أو تنكر لمودته، فاختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

وذلك فيما أبداه حول الاجتهاد والفقه الإسلامي في كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة».

فأنا وإن كنتُ معجبًا بسيد قطب، ومحبًّا له، ومقدِّرًا لعبقريته وإخلاصه، لا أقدِّسه كما لا أقدِّس المودودي ولا حسن البنا، ولا غيرهم من الكبار المجدِّدين. فأنا آخذ أفضل ما عندهم، وأدع ما أرى أنَّهم خانهم التوفيق فيه، وهو قليل من كثير، وبحسب العالم أن تكون معظم اجتهاداته صوابًا، وهو الواقع والحمد لله.

QaradawiBooks.com

ومن روائع هذا الدين الَّذي أكرمنا الله تعالى به: أنه لم يحرم العالم المجتهد من الأجر، وإن أخطأ فيما اجتهد فيه!

أما الَّذين يسقطون العلماء الأعلام لبعض أخطاء وقعوا فيها، فهؤلاء ليسوا بمنصفين، وليسوا بمصيبين؛ لأنَّهم يطلبون العصمة فيمن ليس بمعصوم، وأي جواد لا يكبو؟! وأي سيف لا ينبو؟! وأي عالم لا يهفو؟!

وقد قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إياك وزَيْغاتِ الحكيم، ولا يثنيك ذلك عنه، فلعلَّه أن يُراجِع[1].

حكم المحكمة في ألمانيا:

٤ ـ قال الحَبَشي في المسألة الرابعة: «ردًّا على سؤال أجاب بأن ما أصدرته محكمة في ألمانيا من تطليق زوجة من زوجها المسلم قال: إنَّ الحكم صحيح. وهذه الفتوى باطلة بالإجماع».

والحَبَشي المسكين يَدَّعي الإجماع في كل أمر، وهو لا يدري معنى الإجماع. وقد بتر كلامي وشوهه في هذه القضية، فنحن في «المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث» نطالب المسلمين أن يوثقوا عقود زواجهم الشرعيَّة ـ الَّتي تعقد في المساجد أو المراكز الإسلاميَّة ـ لدى الجهات الرسمية، حتَّى لا تضيع حقوق أحد من الطرفين عند الخصومة والتناكر، فلو فرض أن زوجة ضارّها زوجها، أو هجرها، أو لم ينفق عليها، أو هرب منها، ولم تعد تعرف له مكانًا، ولم يستطع المسجد أو المركز الإسلامي أن يحل المشكلة بين الطرفين، فليس هناك من حل

(١) رواه أبو داود في السُّنَّة (٤٦١١)، وعبد الرزاق في جامع معمر (٣٦٣/١١)، والحاكم في الفتن (٤٦٠/٤) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٣٨٥٥): صحيح الإسناد موقوف.

QaradawiBooks.com

إلَّا اللجوء للقضاء الرسمي في البلد الَّذي يعيشان فيه، ويخضعان لنظامه وقوانينه. وهنا إذا حكم القضاء بتطليق الزوجة لرفع الضرر عنها، فإنَّ حكمه صحيح.

وأما أنه لا ولاية لكافر على مسلم، فهذا داخل دار الإسلام، وأما خارج دار الإسلام، فليس هذا في وسع المسلم، ولا يُكَلِّف الله نفسًا إلَّا وسعها.

والحقُّ أنَّ هذه الولاية من غير المسلم على المسلم موجودة في أمور كثيرة، ولا يملك المسلم إلَّا أن يخضع لها، بحكم وجوده في دار القوم والتزامه بنظامها العام، سواء كان متجنِّسًا أم مقيمًا.

حقُّ المعلِّم وحقُّ الوالد:

٥ ـ قال الحَبَشي في تعداد مآخذه عليَّ: «وادَّعى في موضع آخر أنَّ حقَّ المعلِّم على الولد أعظم من حق الوالدين. وهذا باطل أيضًا» اهـ.

وأقول: هذا من افتراء الكذب الَّذي يستحلُّه هؤلاء القوم في حق علماء الأمَّة، ولا يبالون! وقد روى عبد الله بن عمرو، عن النَّبيِّ ﷺ: أنه قال: «**أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن: كانت فيه خَصْلةٌ من النِّفاق حتَّى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[1].

فهذه كتبي وخطبي ومحاضراتي مقروءة ومسموعة ومرئية: تؤكد ما أكده القرآن الكريم: أنَّ حق الوالدين بعد حق الله تعالى، وأن الإحسان بهما يأتي بعد التوحيد، وذلك واضح في سورة النساء، وسورة الإسراء، وسورة لقمان، وغيرها من سور القرآن الكريم.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فمن أين جاء هـذا المدعي بدعـواه الكبيرة، ليخرجهـا من كتبي المنشورة، أو من محاضراتي وخطبي المسجَّلة إن كان صادقًا؟

لعله أخذه ممَّا قلته في إحدى حلقات «المنتدى» في أبي ظبي «عن التربية» فذكرت: في فضل المعلم ما حكـي أنَّ أحد الكبراء كان يحترم معلمه أكثر من أبيه، فسُـئل في ذلك، فقال: إن أبي سبب حياتي الفانية (يعني: حياة الجسم) ومعلمي سبب حياتي الباقية (يعني: حياة الروح).

وأن أحد الشعراء أخذ هذا المعنى ونظمه شعرًا فقال[1]:

فهذا مربِّي الرُّوح، والرُّوحُ جوهرٌ وذاك مُرَبِّي الجسمِ، والجسمُ كالصدفْ

وقد علقت علـى هذا بقولـي: إنَّ بعض الآباء لا يكتفـون بتربية أجسـام أبنائهم، وإنَّما يهتمون بتربية عقولهم وأرواحهم، حتَّى ينشؤوا مسلمين حقًّا[2]. وحكاية هذا الكلام لا يعني أنَّ حقَّ المعلَّم مطلقًا أعظم من حقِّ الوالدين.

مدح الشيخ الألباني:

٦ ـ قال الحَبَشي في تعداد ما خالفت به الشَّرع الحنيف: «يمتدح في كتبه ناصر الدين الألباني، ويسميه محدثًا كبيرًا، وهو أكبر شاذٍّ ومنحرف في هذا العصر؛ حيث طالب الدولة السعودية بإخراج قبر النَّبيّ وصاحبيه من المسجد، وأفتى بتكفير وتأثيم أهل الضفَّة الغربيَّة؛ لأنَّهم لم يخرجوا منها كما خرج النَّبيُّ والصحابة من مكة إلى المدينة» اهـ.

---

(١) ذكره بلا نسبة الميهي الشيبيني على شرح الستين المسألة من الفروض الواجبة على مذهب الشافعي للرملي صـ ٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) راجع: حلقة التربية في الإسلام بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وأقول: إنَّ الإسلام علمنا أن نكون قوَّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسنا، أو الوالدين والأقربين، وألَّا يحملنا شنآن قوم على ألَّا نعدل معهم. وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

والمؤمن الحق إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا شهد شهد بما يعلم، لا يخاف في الله لومة لائم.

وأنا أشهد أنَّ الشيخ الألباني محدث كبير ولا شك، يشهد له إنتاجه الغزير، في تحقيق مصادر السنة، وفي تمييز صحيحها من سقيمها، وله في ذلك جهود مقدورة، مثل تحقيقه لمشكاة المصابيح، ولمختصر صحيح مسلم للمنذري، وللسنة لابن أبي عاصم وغيرها، وفي التخريج له سلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث الضعيفة، وإرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وصحيح أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وصحيح الجامع الصغير وزيادته، وإن كنت قد أخالفه في إطلاق التصحيح بكثرة الطرق، وفي عدم الاهتمام بالنظر إلى المتون والمضامين في بعض الأحيان.

ومع هذا أنا أخالف الشيخ الألباني في كثير من استنباطاته الفقهيَّة، وأرد عليه وخصوصًا فيما ينفرد به، وفيما ينزع النزعة الظاهرية.

QaradawiBooks.com

ولهذا لـــم أوافقه على تحريم الذهب المحلق على النســـاء، ولم أوافقه على إســـقاط الزكاة عـــن عروض التجـــارة، ورددت عليه ردًّا مطوَّلًا في كتابي «المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسُّنَّة» ورددت عليه في فتواه فـــي إيجاب هجرة أهل الضفـــة الغربية وغزة، من دار الحـــرب أو دار الكفـــر إلى دار الإســـلام، وهي أعظـــم خدمة تقدم لإســـرائيل: تفريغ البلاد من أهلها. ولكن كان ردِّي شفهيًّا؛ لأنه قال فتواه أيضًا شفهيًّا ولم يكتبها.

أمَّا دعـــوى مطالبتـــه الحكومة الســـعودية بإخراج قبر الرســـول ﷺ وصاحبه من المسجد، فلم أســـمع بها، ولو صحت، فأنا أنكر عليه أشد الإنكار، وكيف يقول هذا ويخالف ما أقره الصحابة والتابعون وتابعوهم وكل قرون الأمَّة إلى يومنا هذا؟ وهل تجتمع الأمَّة على ضلالة؟!

الدجاجة المخنوقة:

٧ ـ قال الحَبَشي: «واعتبر أنَّ الدجاجة المخنوقة تؤكل شرعًا، وهذه مخالفة صريحة للآية الكريمة» اهـ.

وهذا تحريف للكلم عن مواضعه. فهو يقصـــد هنا ما نقلته عن ابن العربي في أكل ذبائح أهل الكتاب، وخصوصًا النَّصارى منهم.

وقد ذكرت رأي جمهور العلماء، وذكرت رأي ابن العربي ومن وافقه من علمـــاء المالكية، وأصل الخلاف هو: هل يشـــترط أن تكون ذكاتهم كذكاتنا، أو يكفـــي ما يعتبرونه هم ذكاة يحل بـــه أكل الحيوان عندهم؟ فالمعروف أنَّهم لا يأكلون الميتة مثل المجوس.

قال الجمهـــور بالاحتمـــال الأول، وقال ابـــن العربي ومـــن وافقه

QaradawiBooks.com

بالثاني[١]. وهو هنا يخصص آية تحريم المنخنقة وما عطف عليها بغير أهل الكتاب وبغير ما لم يقصد تذكيته، ولا تنافي بين الخاص والعام، كما يعرف العلماء.

وعلى ضوء هذا جاءت فتوى الإمام محمَّد عبده المعروفة بـ «الترنسفالية» وهي مذكورة في تفسير المنار، الآية الخامسة من سورة المائدة[٢].

وقد رأينا عددًا من علماء السلف يجيزون أكل ذبائحهم وهم لم يذكروا اسم الله عليها، بل أجازوا أكل ما ذكر عليه اسم غير الله، ولم يعتبروا ذلك ممَّا أهل لغير الله به، واعتبروا آية: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡ﴾ [المائدة: ٥]، مخصصة أو مبينة للآيات الأخرى.

وقد ذكر عبد الرزاق في مصنفه، عن علي وابن عبَّاس أنه قيل لهما: إن أهل الكتاب يذكرون على ذبائحهم غير الله! فقالا: إن الله حين أحل ذبائحهم، علم ما يقولون على ذبائحهم[٣]. وكذلك روي عن عطاء[٤].

وروي عن ابن مسعود قال: إنَّكم نزلتم أرضًا لا يَقْصِب (لا يذبح) فيها المسلمون، إنَّما هم النبَط وفارس، فإذا اشتريتم لحمًا فسلوا، فإنْ كان ذبيحة يهودي أو نصراني فكلوه، فإنَّ طعامهم لكم حلٌّ[٥].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي المالكي (٤٣/٢)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) تفسير المنار (١٦٦/٦) وبعدها.

(٣) رواه عبد الرزاق في أهل الكتاب (١٠١٧٧)

(٤) المصدر السابق (١٠١٨٠).

(٥) المصدر السابق (١٠١٧٦).

QaradawiBooks.com

وقال قتادة: إذا قدَّم إليك اليهودي طعامًا فَأْمُرْه أن يأكل منه، فإن أكل فكل، وإن أبى فلا تأكل منه. ومعنى هذا: أن يطمئن المسلم إلى أن طعامه حلال له في دينه. ولهذا قال قتادة: إذا فسدت عليه ذبيحته فلا تأكل منها[1].

فهل ترى هؤلاء الأئمَّة خالفوا القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]، أو تراهم اعتبروا هذه الآيات مخصصة بآية: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

على أنِّي لم أقل: إن رأي ابن العربي هو الصحيح أو الأصح، بل ذكرته فقط؛ لأنه قد يحتاج إليه مسلم لا يجد غير هذا الطعام من ذبائح أهل الكتاب، وهو يعيش في بلد قصي ليست فيه جالية إسلاميَّة، أو نحو ذلك.

وهذا الكتاب قد ألف لعموم النَّاس، لا لخاصتهم، ومن يكتب للعموم ينبغي له أن يتبنى التيسير لا التعسير، وهذا ما أمرنا به رسولنا الكريم: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[2].

وهذا ما جعلني إذا وجدت قولين متكافئين أو متقاربين، أتبنى الأيسر لا الأحوط، تخفيفًا على الضعفاء من النَّاس، وتحبيبًا للدِّين إليهم، وكان من صفاته ﷺ: أنه ما خير بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في أهل الكتاب (١٠١٨٨).

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسِّيَر (١٧٣٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

والحمد لله، لقد أَلَّفْتُ كتاب «الحلال والحرام» بتكليف من مشيخة الأزهر في عهد إمامه الأكبر الفقيه الشهير الشيخ محمود شلتوت، وبإشراف الإدارة العامَّة للثقافة الإسلاميَّة في عهد مديرها الأستاذ الكبير الدكتور: محمَّد البهي، ليترجم إلى الإنجليزية وغيرها من اللغات، وقد أحالت إدارة الثقافة في الأزهر الكتاب إلى محكّم، فأقره وأثنى عليه، وأقرته مشيخة الأزهر.

وقد انتشر الكتاب انتشارًا منقطع النظير في العالم العربي والإسلامي، ونوه به كثيرون من العلماء المرموقين، حتَّى قال الأستاذ الكبير مصطفى الزرقاء: إن اقتناء هذا الكتاب واجب على كل أسرة مسلمة، وقال الأستاذ محمَّد المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أفضل كتاب في موضوعه، وكان الأستاذ الكبير علي الطنطاوي يدرسه لطلابه في كلية التربية بمكة المكرمة، وعُني الُمحَدِّثُ المعروف الشيخ ناصر الدين الألباني بتخريج أحاديثه.

وفي باكستان نوه به العلامة الأستاذ أبو الأعلى المودودي في رسالة خاصَّة إلى المؤلف، كما اهتمت به الأقسام الأكاديمية للدراسات الإسلاميَّة في جامعتي «البنجاب» و«كراتشي».

ففي أوائل الستينيات قدمت الدارسة جميلة شوكت (د. شوكت بعد ذلك) إلى قسم الدراسات الإسلاميَّة بجامعة البنجاب دراسة عن الكتاب باعتباره نموذجًا جديدًا في كتابة الفقه الإسلامي، وقد حصلت بدراستها تلك على «الماجستير»، وكان المشرف عليها العلامة علاء الدين الصديقي رئيس الجامعة بعد ذلك.

كما قدم طالب آخر من جامعة كراتشي دراسة أخرى عن الكتاب.

QaradawiBooks.com

طبع الكتاب ما لا يقل عن أربعين مرة بالعربية، حيث تطبعه أكثر من دار نشر بالقاهرة وبيروت، والكويت، والجزائر، والمغرب وأمريكا.

هذا عدا الطبعات المسروقة الَّتي يصعب تتبعها وحصرها.

كما تُرجم الكتاب إلى الإنجليزية والفرنسية، والألمانية والإسبانية والإيطالية، والأوردية والفارسية، والتركية والماليزية، والإندونيسية والمالييبارية، والسواحلية والصينية، وعدد من اللغات الهندية وغيرها.

الربا أشد من الزنى:

٨ ـ قال الحَبَشي: «ويقول: درهم ربًا يأكله الرجل وهو يعلم أشدُّ من ستٍّ وثلاثين زنية، وهذا الكلام مخالف للنقل والعقل والإجماع، ولو استدلَّ بحديث ليس صحيحًا، وهو الَّذي تعهد بأنَّه لا يستشهد إلَّا بالصحيح» انتهى كلام الحَبَشي.

وكلام الحَبَشي هنا يدلُّ على جهل غليظ، وعلى كذب أغلظ، ولا أدري كيف ينسب هؤلاء أنفسهم إلى العلم وأهله، والعلم منهم براء. وسأبين ذلك بدلائله:

أولًا: زعم أنِّي أقول: «درهم ربًا يأكله الرجل...» إلخ. وأنا لم أقل ذلك، وإنَّما هو حديث ذكره أئمَّة الحديث في كتبهم، ووثقه جماعة منهم، فاستشهدت به في كتابي «الحلال والحرام» على عظم إثم الربا عند الله تعالى.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده (٢١٩٥٧) عن عبد الله بن حنظلة غَسِيل الملائكة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشدُّ عند الله من ستَّة وثلاثين زَنْية**».

QaradawiBooks.com

وسنده في المسند: ثنا حسين بن محمَّد ثنا جرير ـ يعني ابن حازم ـ عن أيُّوب عن ابن أبي مُلَيْكة، عن عبد الله بن حنظلة.

قال الألبانيُّ: وهذا سند صحيح على شرط الشيخين، ومن أعلَّه بتغيُّر جرير قبل موته فلم يصبْ؛ لأنَّه لم يسمع منه أحد في حال اختلاطه، كما قال ابن مهدي[1].

ورواه الدارقطني أيضًا بهذا الإسناد.

ورواه كل من أحمد والدارقطني عن عبد الله بن حنظلة عن كعب من قوله.

قال الدارقطني: هذا أصح من المرفوع. انظر الحديث (٤٩) من كتاب البدع من سنن الدارقطني (١٦/٣) بتحقيق هاشم عبد الله اليماني.

والعلماء يقولون: الموقوف هنا له حكم المرفوع؛ إذ لا مجال للرأي في التحديد بعدد معيَّن.

وقد ذكر الحافظ المنذري الحديث في كتابه «الترهيب والترغيب» وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح. (انظر: الحديث (١٠٦٠) من كتابنا «المنتقى من الترغيب والترهيب»).

وأورده الحافظ نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال ما قاله المنذري (١١٧/٤).

ونقل العلامة المناوي عن الحافظ العراقي أنه قال: رجاله ثقات (الفيض: ٥٢٤/٣).

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (٢٩/٣) برقم (١٠٣٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ونقل أيضًا عن ابن الجوزي أنه أورد الحديث في «الموضوعات» وجعل الآفة فيه من حسين بن محمد، ونقل عن أبي حاتم أنه قال: رأيته ولم أسمع منه. تعقبه ابن حجر بأنَّه احتجَّ به الشيخان، ووثَّقه غيرهما، وبأنَّ للحديث شواهد. انتهى (الفيض: ٥٢٤/٣).

ومن المعروف أن ابن الجوزي أحيانًا يتوسع في الحكم على الحديث بالوضع.

وفي عصرنا صححه الشيخ الألباني في سلسلة الصحيحة برقم (١٠٣٣)، وفي تخريج كتابنا: «الحلال والحرام» الَّذي سمَّاه «غاية المَرَام» برقم (٢٧٢)، وفي «صحيح الجامع الصغير وزيادته» برقم (٣٣٧٥).

وأنا أخالف الشيخ الألباني كثيرًا، وخصوصًا في استنباطاته الفقهيَّة الَّتي يتفرد بها، ولكن لا أنكر، ولا ينكر منصف أن الرجل من كبار علماء الحديث، وإن كان لي ملاحظات على تصحيحاته. وهناك من علماء الحديث من انتقدوه. ولا حرج في ذلك، ولا ينقص هذا من قدره.

ومن هنا يتبيَّن لنا جهل هذا الحَبَشي المغلَّظ المركَّب، حيث نسب إليَّ أنِّي أقول كذا، وهو ليس من قولي، بل هو حديث مرفوع أو موقوف.

ثانيًا: زعم الحَبَشي المسكين أن هذا الكلام مخالف للنقل والعقل والإجماع!

ولا أدري كيف زعم هذا الإنسان أن هذا مخالف للنقل؟ وأين هو النقل الَّذي يخالفه؟ قرآن أو سُنَّة؟ أو كلام صحابي أو كلام تابعي؟ أو كلام أحد الأئمَّة المجتهدين؟

QaradawiBooks.com

لقد رأينا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في كتابيه: الكبير والأوسط، والدَّارقطني في سننه، وابن عساكر في تاريخه، وارتضاه من أئمَّة الحديث بعدهم: المنذري والعراقي، والهيثمي وابن حجر، والسيوطي والمناوي.

ومثل هذا لا يقال فيه: إنَّه خالف النقل!

وأمَّا زعم الحَبَشي أنَّه خالف العقل، فليت شعري هل يفهم مثله معنى مخالفة العقل؟ إنَّ مخالفة العقل تعني: أنَّه يترتَّب على التصديق به أمر محالٌ عقلًا، كإثبات النقيضين، أو رفعهما معًا.

فأين مخالفة العقل هنا؟!

وإن كان المراد بالعقل: عقل الإنسان المسلم، فالمسلم البصير بدينه، الَّذي يعقل عن الله ورسوله ما أمرا به وما نهيا عنه، لا يجد غضاضة في تقبل هذا الحديث؛ لأنه يسير في ضوء القرآن الَّذي عظم معصية الربا أكثر من أي معصية أخرى، حتَّى جاء في شأنها في كتاب الله تعالى ما لم يأتِ في شأن الكبائر الأخرى، حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وإنما كان الربا أشدَّ من الزِّنى؛ لأنَّ الزنى تدفع إليه شهوة غريزيَّة، أمَّا الربا فيدفع إليه طمع شيطاني في أكل أموال النَّاس بالباطل، وامتصاص الفقراء لحساب الأغنياء، ولهذا عد الرسول الكريم الربا في الموبقات السبع، ولم يعد فيها الزنى، وإن كان كلاهما كبيرة.

وانظر ما نقله المناوي عن الطيبي، والحراني، يتبين لك خطر الربا، يؤكده ما قاله الاقتصاديون في عصرنا من شدة خطر الربا على

QaradawiBooks.com

الاقتصاد، وعلى السياسة، وعلى المجتمع، وعلى القيم والأخلاق، وعلى السِّلم العالمي.

وأعجب من هذا كله: دعوى الحَبَشي أن هذا الحديث أو مضمونه مخالف للإجماع!

ويبدو أن المسكين لا يعرف شيئًا عن الإجماع، لا عن معناه، ولا عن حكمه.

والإجماع في أوضح عبارة: هو اتفاق جميع مجتهدي الأمَّة في عصر من العصور على حكم شرعي.

فأين الحكم الشرعي الَّذي خالفه هذا الحديث؟ وأين مخالفته، حتَّى للمذاهب الأربعة أو لمذهب واحد منها، ناهيك عن مخالفته للإجماع!

إنَّ هؤلاء النَّاس للأسف الشديد، يهرفون بما لا يعرفون، ويقولون على الله وعلى النَّاس ما لا يعلمون. ولله درُّ الشاعر الَّذي قال:

إذا كنتَ لا تدري بأنَّك جاهلٌ فمن لي بأن تدري بأنَّك لا تدري[1]؟!

ثالثًا: إنَّ هذا القول من هؤلاء المتطاولين بالباطل، يدلّ على أنَّهم لا يجدون شيئًا يقولونه، فهم يحاولون أن يتصيدوا أشياء لا معنى لها، لمجرد أن يقولوا كلامًا، ويملؤوا صفحات، ولو بالهراء من القول، والباطل من الدعاوي.

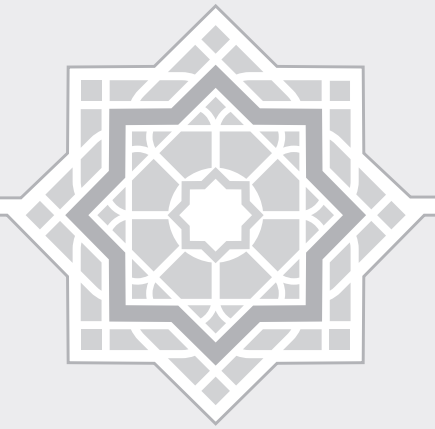
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) من شعر أبي علي البصير، انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (١١٨/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



قضايا عقدية



غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ظاهرة الغلوِّ في التكفير

السؤال: جاءتني الرسالتان التاليتان:

الأولى تقول:

لعلكم قرأتم وسمعتم ما نشرته بعض الصحف، وما تداولته الألسنة حول الظاهرة الدينية الجديدة الَّتي يتبناها من سموهم «جماعة التكفير» أو «جماعة الكهف» أو «جماعة الهجرة» أو غير ذلك من الأسماء، فضلًا عن آخرين لم يعرفوا باسم ولا لقب.

وهذه الظاهرة تمثل اتجاهًا عامًّا يمكن أن يتلخص تحت عنوان «الغلو في التكفير» وإن كان أصحاب هذا الاتجاه يختلفون بعد ذلك، في أسباب التكفير وموجباته عن كل فئة منهم:

فمنهم من يكفر مرتكب الكبيرة، على نحو ما كان يذهب إليه الخوارج من قبل. ومنهم من يقول: أنا لا أكفر مرتكب الكبيرة، بل المصرّ عليها فقط.

ومنهم من يقول: إن جماهير النَّاس الَّذين ينتسبون إلى الإسلام، ويسمون «المسلمين» اليوم، ليسوا مسلمين.

ولهم على ذلك أدلة ومجادلات لعلكم قرأتم بعضها، ورد عليها بعض العلماء في بعض الصحف.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولعلي لا أكون مبالغًا إذا قلت: إن هذا الأمر ليس بالهين كما يتصوره أو يصوره بعض النَّاس، بل هو خطير للغاية، وهو يشغل كثيرًا من الشباب في مجالسهم وحلقاتهم ومنتدياتهم، ويريدون فيه قولًا فصلًا، وحكمًا عدلًا.

ولما كان لنا ثقة بعلمك وفهمك، ودينك وإخلاصك للحق؛ دون تحيز لفريق ضد فريق، أو تعصب لرأي دون رأي، لمجرد التقليد أو العصبية أو إرضاء الجمهور. نريد منك أن تبين لنا موقف الإسلام الحق من هذا الاتجاه في ضوء النصوص والأدلَّة الشرعيَّة المعتبرة عند علماء الأمَّة. راجين أن ينال هذا الأمر منكم ما يليق به من الاهتمام والعناية، مهما يكن لديكم من المشاغل الأخرى. فهذا ـ في رأينا ـ من الأهم الَّذي يجب أن يقدم على المهم. ونحن في انتظار بيانكم، داعين لكم بالتوفيق.

جماعة من الشباب المسلم بالقاهرة

والرسالة الثانية:

من مجموعة أخرى من الشباب المسلم، ولكنها من صنعاء، من اليمن الشمالية، ونصها يقول: ما رأيكم في مسلم يعتقد أنَّ جميع أفراد الأمَّة في اليمن وغيرها «والمجتمع اليمني وغيره»، كفَّار مرتدُّون، سواء من كان منهم ملتزمًا بأركان الإسلام أم لا، وسواء العالم فيهم والجاهل، الذكر والأنثى. وأن الدار دار حرب أو دار ردة، وأن الجمعة والجماعة في المساجد لا تصح لأنَّها صلاة وراء كفار مرتدين، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب في مجتمع مرتدٍّ، وأمَّة مرتدَّة أو كافرة، بل يُدعون إلى «لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله» أولًا.

وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنَّما يلزم في «المجتمع المسلم» و«الأمَّة المسلمة» يعني «دار الإسلام» فقط.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهل هذا المعتقد صحيح، وله سنده الصريح من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، وعقيدة السلف الصالح وإجماع الأمَّة. أم أنه فاسد لفقد سنده من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، وهدي السلف الصالح، وإجماع الأمَّة؟!

نرجو الجواب الكافي.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أشكر لهذه المجموعة وتلك، من الشباب المسلم في القاهرة وصنعاء ثقتهم بي. وأدعو الله أن يجعلني عند حسن ظنهم، ويغفر لي ما لا يعلمون. وأبادر فأقول:

إنَّني أقدر خطر الموضوع الَّذي يسألون عنه، والذي يشغل فكر الكثيرين من أمثالهم. وهو موضوع «الغلو في التكفير».

وقد لمست بنفسي شيئًا من آثاره الفكرية لدى بعض الشباب المخلص النية، السليم الطوية، في أكثر من بلد عربي، وسمعت من بعضهم بعض ما يستندون إليه من أدلة أو شبهات، وقرأت بعضًا آخر. ولكنِّي كنت أود أن أقرأ شيئًا مكتوبًا محددًا يوضح فكرة هؤلاء توضيحًا تامًّا مؤيدًا بالأدلة الَّتي تؤيد وجهة نظرهم. وبهذا يستطيع الفقيه المسلم أن يرد عليهم بما أعلنوه والتزموه كتابة لا مشافهة.

على أن هذا الَّذي وددته؛ إذ لم يتحقِّق، لا يمنع من مناقشة فكرة التكفير والغلو فيه في حدّ ذاتها، دون نظر إلى تفصيلاتها.

QaradawiBooks.com

والقضية لها جذورها في تاريخ الفكر الإسلامي منذ عهد الخوارج، ولعلها أوَّل قضية فكرية شغلت المسلمين، وكان لها آثارها العقلية والعمليَّة «عسكرية وسياسية» لعدة أجيال، ثمَّ لم يلبث الفكر الإسلامي أن فرغ منها. واستقر على ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة.

ولا أكتم الإخوة السائلين أنِّي أعد كتابًا في «قضية التكفير» منذ سنوات، ولم أفرغ من إتمامه بعد. مع إلحاح الكثيرين من الغيورين على وجوب الإسراع بإكماله، ومع شعوري بشدَّة الحاجة إليه، ولكن كثرة المشاغل الآنية من ناحية، وإيماني بوجوب الأناة في تحقيق الموضوع من ناحية ثانية، وحرصي على أن أعرف وجهات من يسمونهم «جماعة التكفير» من ناحية ثالثة ـ كل هذا أخّرني عن إخراج الكتاب للنَّاسِ حتَّى اليوم.

وأسأل الله تعالى أن يمدني بالتوفيق والعون لإتمامه على وجه يرضيه جل شأنه.

ولا يمنعني هذا أن أقول في الموضوع شيئًا سريعًا، قد يبل الغلة، إن لم ينقعها.

ظاهرة تحتاج إلى دراسة لأسبابها:

وأول ما ينبغي أن أقوله هنا: إنَّ هذه الظاهرة ـ ظاهرة الغلو في التكفير ـ تحتاج إلى دراسة لأسبابها وعواملها؛ حتَّى نستطيع علاجها على بصيرة.

أمَّا الَّذين يفكِّرون «من رجال السلطة» في علاجها بالقمع والاضطهاد والاعتقال، وما إلى ذلك من ألوان العنف، فهم مخطئون بلا ريب، لأمرين:

QaradawiBooks.com

أولهما: إن الفكرة لا تقاوم إلَّا بالفكرة، واستخدام العنف وحده في مقاومتها قد لا يزيدها إلَّا توسعًا، ولا يزيد أصحابها إلَّا إصرارًا عليها. إنَّما الواجب أن تعالج بالإقناع والبيان، وإقامة الحجة، وإزاحة الشبهات.

ثانيهما: إنَّ هؤلاء المكفرين ـ في مجموعهم ـ أناس متدينون مخلصون، صوامون قوامون، غيورون، قد هزهم ما يرونه في المجتمع من ردة فكرية، وتحلل خلقي، وفساد اجتماعي، واستبداد سياسي.

فهم طلاب إصلاح، حريصون على هداية أمتهم، وإن أخطؤوا الطريق وضلوا السبيل.

فينبغي أن نقدر دوافعهم الطيبة، ولا نصورهم في صورة سباع ذات مخالب وأنياب، تريد أن تنقض على المجتمع، فتهدمه وتجعله يبابا!

والدارس المتتبع لأسباب هذه الظاهرة يجد أنَّها تتمثل في أمور:

١ ـ انتشار الكفر والردة الحقيقية جهرة في مجتمعاتنا الإسلاميَّة، واستطالة أصحابها وتبجحهم بباطلهم، واستخدامهم أجهزة الإعلام وغيرها لنشر كفرياتهم على جماهير المسلمين؛ دون أن يجدوا من يزجرهم أو يردهم عن ضلالهم وغيهم.

٢ ـ تساهل بعض العلماء في شأن هؤلاء الكفرة الحقيقيين، وعدهم في زمرة المسلمين، والإسلام منهم براء.

٣ ـ اضطهاد حملة الفكر الإسلامي السليم، والدعوة الإسلاميَّة الملتزمة بالقرآن والسُّنَّة، والتضييق عليهم في أنفسهم ودعوتهم. والاضطهاد والتضييق لأصحاب الفكر الحر، لا يولد إلَّا اتجاهات منحرفة، تعمل تحت الأرض، في جو مغلق بعيدًا عن النور والحوار المفتوح.

QaradawiBooks.com

٤ ـ قلة بضاعة هؤلاء الشبان الغيورين من فقه الإسلام وأصوله، وعدم تعمقهم في العلوم الإسلاميَّة واللغوية. الأمر الَّذي جعلهم يأخذون ببعض النصوص دون بعض، أو يأخذون بالمتشابهات وينسون المحكمات، أو يأخذون بالجزئيات ويغفلون القواعد الكلية، أو يفهمون بعض النصوص فهمًا سطحيًّا سريعًا، إلى غير ذلك من الأمور اللازمة لمن يتصدر للفتوى في هذه الأمور الخطيرة، دون أهلية كافية.

فالإخلاص وحده لا يكفي، ما لم يسنده فقه عميق لشريعة الله وأحكامه، وإلا وقع صاحبه فيما وقع فيه الخوارج من قبل، الَّذين صحت الأحاديث في ذمهم من عشرة أوجه، كما قال الإمام أحمد[١]. هذا مع شدة حرصهم على العقيدة والتنسك.

ولهذا كان أئمَّة السلف يوصون بطلب العلم قبل التعبد والجهاد، حتَّى لا ينحرف عن طريق الله من حيث لا يدري.

وقد قال الحسن البصري: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم، ما يفسد أكثر ممَّا يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم، حتَّى خرجوا بأسيافهم على أمَّة محمَّد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا[٢].

تكفير من يستحق التكفير:

ومن هنا ينبغي أن نكفِّر من يجاهرون بالكفر دون استحياء، ونكف عمَّن ظاهرهم الإسلام وإن كان باطنهم خرابًا من الإيمان، فإن هؤلاء

(١) نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٧٩/٣).
(٢) جامع بيان العلم (٥٤٥/١).

QaradawiBooks.com

يسمون في عرف الإسلام «المنافقين» الَّذين يقولون آمنا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، أو لم تصدق أعمالهم أقوالهم. فلهم في الدنيا أحكام المسلمين بمقتضى ظاهرهم، وهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النَّار، بموجب ما يبطنونه من كفر.

فمن الكفرة الَّذين يجب أن يدفعوا بالكفر: دون مواربة ولا استخفاء الأصناف التالية:

١ ـ الشيوعيون المصرّون على الشيوعية، الَّذين يؤمنون بها فلسفة ونظام حياة، رغم مناقضتها الصريحة لعقيدة الإسلام وشريعته وقيمه، والذين يؤمنون بأن الدين ـ كل الدين ـ أفيون الشعوب، ويعادون الأديان عامة، ويخصون الإسلام بمزيد من العداوة والنقمة؛ لأنه عقيدة ونظام وحضارة كاملة.

٢ ـ الحكام العلمانيون، ورجال الأحزاب العلمانية، الَّذين يرفضون جهرة شرع الله، وينادون بأنَّ الدولة يجب أن تنفصل عن الدين، وإذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله أبوا وامتنعوا، وأكثر من ذلك أنَّهم يحاربون أشد الحرب من يدعون إلى تحكيم شريعة الله، والعودة إلى الإسلام.

٣ ـ أصحاب النِّحَل الَّتي مرقت من الإسلام مروقًا ظاهرًا، مثل الدروز والنصيرية، والإسماعيلية، وأمثالهم من الفرق الباطنية، الَّذين قال عنهم الإمام الغزالي وغيره: ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض، وقال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: إنَّهم أكفر من اليهود والنَّصارى؛ وذلك لإنكارهم قطعيات الإسلام وأساسياته، وما علم منه بالضرورة.

ومثلهم في عصرنا: البهائية، الَّتي هي دين جديد قائم برأسه، ويقاربهم القاديانية الَّتي جاءت بنبوة بعد محمَّد ﷺ الَّذي ختم الله به النبيين.

QaradawiBooks.com

وجوب التفرقة بين النوع والشخص المعيَّن:

وهنا أمـــر يجب أن نلفت النظـــر إليه، وهو ما قـــرَّره المحقِّقون من العلماء، من وجوب التفرقة بين الشخص والنوع في قضية التكفير.

ومعنى هذا: أن نقول مثلًا: الشـــيوعيون كفار، أو الحكام العلمانيون الرافضون لحكم الشَّـــرع كفار، أو من قال كذا أو دعا إلى كذا فهو كافر، فهذا وذلك حكم على النوع، فإذا تعلَّق الأمر بشخصٍ معيَّن، ينتسب إلى هؤلاء أو أولئك وجب التوقُّف للتحقُّق والتثبت من حقيقة موقفه، بسؤاله ومناقشته، حتَّى تقوم عليه الحجة، وتنتفي الشبهة، وتنقطع المعاذير.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «إن القول قد يكون كفرًا، فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال هذا هو كافر. لكن الشخص المعيَّن الَّذي قالـــه لا يحكم بكفره، حتَّى تقوم عليـــه الحجة الَّتي يكفر تاركها».

وهـــذا كما في نصـــوص الوعيد. فـــإن الله تعالى يقـــول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

«فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعيَّن لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشـــهد على معيـــن من أهل القبلة بالنـــار، لجواز ألَّا يلحقه الوعيد، لفوات شرط، أو ثبوت مانع؛ فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم... وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة المحرم... وقد يُبتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيع مطاع».

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/٣٤٥ ـ ٣٤٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: «وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد تكون عرضت له شبهات يعذره الله بها».

قال: «ومذاهب الأئمَّة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والمعيَّن».

فإذا كان كل هذا الاحتياط واجبًا في شأن المصرحين بالكفر، فكيف يجترئ مسلم على تكفير الجماهير الَّتي تشهد أن «لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله» وإن خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا؟!

إنَّ الإقرار بالشهادتين، قد عصم دماءهم وأموالهم ـ إلَّا بحقها ـ وحسابهم على الله تعالى. فإنَّما أُمرنا أن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

وقد صحَّ الحديث، بل تواتر عن النَّبيِّ ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاس حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فإذا قالوها؛ فقد عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلَّا بحقِّها، وحسابهم على الله تعالى**»[1].

خطورة التكفير:

والذي ينبغي أن نؤصله هنا: أنَّ الحُكم بالكفر على إنسانٍ ما، حكم جد خطير، لما يترتب عليه من آثار هي غاية في الخطر، منها:

١ ـ أنَّه لا يحلُّ لزوجته البقاء معه، ويجب أن يفرق بينها وبينه؛ لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقن.

٢ ـ أنَّ أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه؛ لأنَّه لا يؤتمن عليهم ويخشى أن يؤثر عليهم بكفره، وبخاصة أن عودهم طريّ. وهم أمانة في عنق المجتمع الإسلامي كله.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٤٩.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣ ـ أنَّه فقد حقَّ الولاية والنصرة على المجتمع الإسلامي، بعد أن مرق منه وخرج عليه بالكفر الصريح، والردة البواح، ولهذا يجب أن يقاطع، ويفرض عليه حصار أدبي من المجتمع حتَّى يفيق لنفسه، ويثوب إلى رشده.

٤ ـ أنَّه يجب أن يحاكم أمام القضاء الإسلامي، لينفذ فيه حكم المرتد، بعد أن يستتيبه ويزيل من ذهنه الشبهات، ويقيم عليه الحجة.

٥ ـ أنَّه إذا مات لا تجري عليه أحكام المسلمين، فلا يغسل ولا يصلي عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث، كما أنه لا يرث إذا مات مورث له.

٦ ـ أنَّه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم.

وهذه الأحكام الخطيرة توجب على من يتصدى للحكم بتكفير خلق الله أن يتريث مرات ومرات، قبل أن يقول ما يقول.

وجوب الرجوع إلى القرآن والسُّنَّة:

ومن هنا يجب أن نرجع إلى النصوص من القرآن والسُّنَّة، لنقرر في ضوئها القواعد أو الحقائق الشرعيَّة الَّتي يجب الاحتكام إليها في مثل هذا الموضوع الخطير في دين الله، وفي حياة النَّاس.

واعتمادنا الكلي إنَّما هو على النصوص الثابتة المعصومة من كتاب الله وسنة رسوله، فهي وحدها الحجة والعمدة بلا نزاع.

وإذا استشهدنا بأقوال بعض العلماء، فليس ذلك لاعتبار أقوالهم حجة بنفسها، ولكن لنستأنس بفهمهم للنصوص، حتَّى لا نتيه في

QaradawiBooks.com

المتشـــابهات، أو نضرب الآيات والأحاديث بعضهـــا ببعض. مع تأكيد أصل مهم هنا، وهو أن سلف الأمَّة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان هم أهدى هذه الأمَّة ســـبيلًا، وأصحها أفهامًا، وأقومها طريقًا، وأفقهها لروح الإسلام، وأحرصها على اتباعه. فما وجدنا لهم هديًا معروفًا لم نعدل عنه إلى ابتداعات من بعدهم، فهم بشهادة رسول الله ﷺ خير القرون.

الحقيقة أو القاعدة الأولى: بماذا يدخل الإنسان في الإسلام؟

الإنسان يدخل الإسلام بالشـــهادتين: شـــهادة أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رســـول الله، فمن أقر بالشهادتين بلســـانه فقد دخل في الإسلام، وأجريت عليه أحكام المسلمين، وإن كان كافرًا بقلبه؛ لأنا أُمرنا أن نحكم بالظاهر، وأن نكِل إلى الله السرائر. والدليل على ذلك:

١ ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقبل الإســـلام ممَّن أقر بالشهادتين، ولا ينتظر حتَّى يأتي وقت الصـــلاة، أو حول الزكاة، أو شـــهر رمضان مثلًا؛ حتَّى يؤدي هذه الفرائض، ثمَّ يحكم له بالإســـلام. ويكتفي منه بالإيمان بها، وألا يظهر منه إنكارها.

٢ ـ حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عند البخاري وغيره: أنه قتل رجلًا شهر عليه السيف فقال: لا إله إلَّا الله. فأنكر عليه النَّبيّ ﷺ أشد الإنكار، وقال: «**أقتلته بعدما قال: لا إله إلَّا الله؟!**». فقال: إنَّما قالها تعوذًا من الســـيف؟ فقال: «**هلَّا شققتَ عن قلبه؟!**»[١]. وفي بعض الروايات: «**كيف لك بلا إله إلَّا الله يوم القيامة؟!**»[٢].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (٩٦).

(٢) رواه أحمد (٢١٨٠٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣ ـ حديث أبي هُرَيْرة: «**أُمِرْتُ أن أُقاتل النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله. فإذا قالوها فقد عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلَّا بحقِّها وحسابهم على الله**»[(١)].

وفي رواية لمسلم: «**حتَّى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به**»[(٢)].

وفي البخاري عن أنس مرفوعًا: «**حتَّى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله**»[(٣)].

والمراد بـ«الناس» في الحديث مشركو العرب[(٤)]. كما قال العلماء، وكما فسره أنس في حديثه؛ لأن أهل الكتاب يقبل منهم الجزية بنص القرآن.

والشاهد هنا: أنَّهم إذا قالوا: لا إله إلَّا الله، دخلوا بها في الإسلام، بدليل عصمة دمائهم وأموالهم؛ لأن العصمة إمَّا بالإسلام أو بالعهد والذمة، ولا عهد ولا ذمة هنا، فلم يبقَ إلَّا الإسلام.

وقد صحَّ هذا الحديث عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة. ولهذا قال الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير»: هو حديث متواتر. قال شارحه المناوي: لأنَّه رواه خمسة عشر صحابيًّا[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٤٩.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٢١)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الإيمان (٣٩٢، ٣٩٣).

(٤) قال القاضي: عياض اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحدوه. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٢٤٥/٨)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) فيض القدير للمناوي (١٨٨/٢)، نشر المكتبة التجارية، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وقد روي عن سفيان بن عيينة ـ أحد أئمَّة الحديث في زمنه ـ أنه قال: كان هذا في أوَّل الإسلام قبل فرض الصَّلاة والصيام والزكاة والهجرة.

وعقَّب العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه «جامع العلوم والحكم» على هذا بقوله: وهـذا ضعيف جدًّا، وفي صحته عن سـفيان نظر. فإن رواة هذه الأحاديث إنَّما صحبوا رسول الله ﷺ في المدينة، وبعضهم تأخَّر إسلامه[١].

ثم قوله: عصموا منِّي دماءهـم وأموالهم، يدلّ على أنه كان عند هذا القول مأمورًا بالقتال، وهذا كله بعد هجرته إلى المدينة.

قال: ومن المعلوم بالضرورة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الإسلام: الشـهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك، ويجعله مسلمًا. فقد أنكر على أسـامة بن زيد قتله لمن قال: «لا إله إلَّا الله» لما رفع عليه السيف، واشتدَّ نكيرُه عليه، ولم يكن النَّبيُّ ﷺ يشترط على من جاءه يريد الإسلام أن يلتزم الصَّلاة والزكاة، بل قد روي أنه قبل من قوم الإسلام واشترطوا ألَّا يُزَكُّوا.

ففي مسـند الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: اشـترطت ثقيف على رسـول الله ﷺ أن لا صدقة عليهـم ولا جهاد، وأن رسـول الله ﷺ قال: «**سيتصدَّقون ويجاهدون**»[٢].

وفيه أيضًا عن نصر بن عاصم الليثي عـن رجل منهم أتى النَّبيّ ﷺ فأسلم على ألَّا يصلي إلَّا صلاتين، فقبل منه[٣].

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢٢٨/١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) رواه أحمد (١٤٦٧٣، ١٤٦٧٤)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الخراج (٣٠٢٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٨٨).

(٣) رواه أحمد (٢٠٢٨٧)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات. وابن أبي شيبة في مسنده (٩٩٥).

QaradawiBooks.com

قال ابن رجب: وأخذ الإمام أحمد بهذه الأحاديث وقال: يصح الإسلام على الشرط الفاسد، ثمَّ يلزم بشرائع الإسلام كلها.

واستدلُّوا أيضًا بأن حكيم بن حزام قال: بايعت النَّبيّ ﷺ على ألَّا أَخِرَّ إلَّا قائمًا[1].

قال أحمد: معناه أن يسجد من غير ركوع. اهـ. كلام ابن رجب[2].

والذي يهمنا من هذه النقول أمران:

الأول: أن الدخول في الإسلام إنَّما يكون بالشهادتين، وإذا اقتصر في بعض الأحاديث على شهادة التوحيد فهو إمَّا من باب الاكتفاء أو الاختصار من بعض الرواة. وإمَّا لأن مشركي العرب المقصودين بكلمة «الناس» في الحديث، لم يكونوا ليقروا بشهادة التوحيد إلَّا إذا شهدوا لمن جاء بها، ودعا إليها، وهو محمَّد رسول الله.

ولهذا جاء عن بعض السلف: الإسلام الكلمة. يعني: كلمة الشهادة.

وأمَّا الصَّلاة والصيام وسائر شرائع الإسلام وفرائضه فإنَّما يطالب بها بعد أن يصبح مسلمًا؛ إذ هي لا تصح ولا تقبل إلَّا من مسلم. أمَّا الكافر فلا صلاة له ولا صيام ولا حج، إلخ؛ لفقدانه شرط القبول، وهو الإسلام.

والثاني: ما دلت عليه الأحاديث الأخيرة الَّتي ذكرها ابن رجب، والتي رواها إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل، من المرونة وسعة الأفق،

---

(١) رواه أحمد (١٥٣١٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره دون قوله: بايعت رسول الله ﷺ على ألا أخر إلا قائمًا. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، والنسائي في التطبيق (١٠٨٤)، والنسائي في الكبرى في التطبيق (٦٧٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٢٩/١).

QaradawiBooks.com

الَّتي كان يعالج بها النَّبيّ ﷺ الأمور، ويواجه بها المواقف. وخصوصًا مع الداخلين في الإسلام.

فقد قبل من بعضهم ما رفضه من غيرهم. فقد جاء عن بَشِير بن الخَصَاصية أنَّه أراد أن يبايع النَّبيَّ ﷺ على الإسلام دون أن يتصدَّق أو يجاهد، فكفَّ يده عنه وقال: «**يا بَشِير، لا جهاد، ولا صدقة، فبم تدخل الجنَّة إذن؟!**»[(١)].

ولكنَّه قبل هذا من ثقيف، لعلمه بأنَّهم لن يجمدوا على هذا الموقف، وأنَّهم إذا حسن إسلامهم سيصنعون ما يصنع سائر المسلمين، ولهذا قال في ثقة عنهم: «**سيتصدقون ويُجاهدون**»[(٢)].

القاعدة الثانية: من مات على التوحيد استوجب الجنة:

من مات على التوحيد (أي على: لا إله إلَّا الله) استحقَّ عند الله أمرين:

الأول: النجاة من الخلود في النَّار، وإن اقترف من المعاصي ما اقترف، سواء منها ما يتعلق بحقوق الله كالزنى، أو بحقوق العباد كالسرقة. وإن دخل بذنوبه النَّار فسيخرج منها لا محالة، ما دام في قلبه مثقال حبَّة خردل من إيمان.

الثاني: دخول الجنَّة لا محالة، وإن تأخر دخوله، فلم يدخلها مع السابقين: بسبب عذابه في النَّار لمعاصٍ لم يتب منها، ولم تكفر عنه بسبب من الأسباب.

---

(١) رواه أحمد (٢١٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات. والطبراني في الأوسط (١١٢٦) وفي الكبير (٤٤/٢)، والحاكم في الجهاد (٧٩/٢) وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن بشير بن الخصاصية.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٠٢.

QaradawiBooks.com

والدليل على ذلك أحاديث صحاح مشهورة، في الصحيحين وغيرهما من دواوين السنَّة؛ منها: عن عبادة بن الصامت، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من شهد أنْ لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم ورُوح منه، وأن الجنَّة حقٌّ، والنار حقٌّ، أدخله الله الجنَّة على ما كان من عمل**»(١).

وعن أبي ذرٍّ قال: أتيتُ رسول الله ﷺ، فقال: «**ما من عبد قال: لا إله إلَّا الله. ثمَّ مات على ذلك إلَّا دخل الجنَّة**»(٢).

«**إنَّ الله حرم على النَّار من قال لا إله إلَّا الله يبتغي بها وجهَ الله**»(٣). أي لم يقلها لمجرد أن يعصم بها دمه وماله، كالمنافقين في عهد النبوة.

وعن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يخرج من النَّار من قال: لا إله إلَّا الله. وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة**»(٤). يعني حبَّة قمح.

وهذه الأحاديث كلها متفق عليها في الصحيحين.

وفي الصحيحين أيضًا، من حديث أبي ذر، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أتاني جبريل فبشّرني: أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**»(٥).

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٥٩.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٢٧)، ومسلم في الإيمان (٩٤).

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٢٥)، ومسلم في الإيمان (٣٣)، عن عتبان بن مالك.

(٤) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤١٠)، ومسلم في الإيمان (١٩٣)، عن أنس.

(٥) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٣٧)، ومسلم في الإيمان (٩٤).

QaradawiBooks.com

وفي صحيح مسلم من حديث الصنابحي، عن عبادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يشهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرَّم الله عليه النار**»(١).

وغير هذه الأحاديث كثير، ودلالتها صريحة على أن كلمة الشهادة موجبة لدخول الجنَّة والنجاة من النَّار.

والمراد بدخول الجنة: دخولها ولو في النهاية، بعد استحقاق العذاب في النَّار زمنًا ما.

وكذلك المراد بالنجاة من النار: النجاة من الخلود فيها. وإنَّما قلنا هذا، جمعًا بين هذه الأحاديث وأحاديث أخرى حرمت الجنة، وأوجبت النَّار على من ارتكب بعض المعاصي. فلا يجوز أن نضرب النصوص بعضها ببعض.

القاعدة الثالثة: نواقض الإسلام:

الإنسان بعد أن يدخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين، يصبح ـ بمقتضى إسلامه ـ ملتزمًا بجميع أحكام الإسلام، والالتزام يعني الإيمان بعدالتها وقدسيتها، ووجوب الخضوع والتسليم لها، والعمل بموجبها. أعني الأحكام النصية الصريحة الثابتة بالكتاب والسنة.

فليس له خيار تجاهها بحيث يقبل ويرفض، ويأخذ أو يدع، بل لا بدَّ أن ينقاد لها مسلمًا راضيًا، محلًّا حلالها، مُحرمًا حرامها، معتقدًا بوجوب ما أوجبت، واستحباب ما أحبَّت، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]،

(١) رواه مسلم في الإيمان (٢٩).

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومن المهم أن نعرف هنا، أن من أحكام الإسلام من الواجبات والمحرمات والعقوبات وغيرها من التشريعات، ما ثبت ثبوتًا قطعيًّا، وأصبح من الأحكام اليقينية، الَّتي لا يتطرق إليها ريب ولا شبهة، أنَّها من دين الله وشرعه، وهي الَّتي يطلق عليها علماء الإسلام اسم «المعلوم من الدين بالضرورة».

وعلامتها أن الخاصة والعامة يعرفونها، ولا يحتاج إثباتها إلى نظر واستدلال، وذلك مثل فرضية الصَّلاة والزكاة وغيرها من أركان الإسلام، وحرمة القتل والزنى، وأكل الربا وشرب الخمر ونحوها من الكبائر، ومثل الأحكام القطعية في الزواج والطلاق والميراث، والحدود والقصاص وما شابهها.

فمن أنكر شيئًا من هذه الأحكام «المعلومة من الدِّين بالضرورة» أو استخف بها واستهزأ فقد كفر كفرًا صريحًا، وحُكم عليه بالردة عن الإسلام. وذلك أن هذه الأحكام نطقت بها الآيات الصريحة، وتواترت بها الأحاديث الصحيحة، وأجمعت عليها الأمَّة جيلًا بعد جيل، فمن كذب بها فقد كذب نص القرآن والسُّنَّة. وهذا كفر.

ولم يُستثنَ من ذلك إلَّا من كان حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة عن أمصار المسلمين ومظان العلم، فهذا يُعذر إذا أنكر هذه الضروريات الدينية، حتَّى يعلم ويفقه في دين الله، فيجري عليه بعد ذلك ما يجري على سائر المسلمين.

QaradawiBooks.com

القاعدة الرابعة: كبائر المعاصي تنقص الإيمان ولكنها لا تهدمه:

المعاصي والكبائر ـ وإن أصرَّ عليها صاحبها، ولم يتب منها ـ تخدش الإيمان وتنقصه، ولكنها لا تنقضه من أساسه، ولا تنفيه بالكلية. والدليل على ذلك ما يأتي:

١ ـ إنّها لو كانت تهدم الإيمان من أصله، وتخرج صاحبها إلى الكفر المطلق، لكانت المعصية والردة شيئًا واحدًا، وكان العاصي مرتدًّا، ووجب أن يعاقب عقوبة المرتد، ولم تتنوع عقوبات الزاني والسارق وقاطع الطريق وشارب الخمر والقاتل. وهذا مرفوض بالنص والإجماع.

٢ ـ إنَّ القرآن نص على أخوة القاتل لأولياء المقتول في آية القصاص حين قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

٣ ـ إنَّ القرآن أثبت الإيمان للطائفتين المقتتلتين في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] فأثبت لهم الإيمان والأخوة الدينية مع وجود الاقتتال، ومع قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعض**»[(١)]، وقوله: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النَّار**»[(٢)]. وبهذا الحديث الأخير استدلَّ البخاري ـ فيما

(١) سبق تخريجه صـ٣٥٢.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

استدلَّ ـ بأنَّ المعاصي لا يكفر صاحبُها[١]؛ لأنَّ الرسول سمَّاهما مسلمَيْن مع توعدهما بالنَّار. والمراد: إذا كان الاقتتال بغير تأويل سائغ.

٤ ـ إنَّ حاطب بن أبي بلتعة ارتكب خطيئة تشبه ما يسمى الآن «الخيانة العظمى»؛ حيث أراد نقل أخبار الرسول وتحركات جيشه إلى قريش قبيل فتح مكة، مع حرص الرسول ﷺ على كتمان ذلك عنهم. وقال له عمر: دعني يا رسولَ الله أضرب عنقه فقد نافق. واعتذر الرسول ﷺ بأنَّه من أهل بدر[٢]، ولم يعتبر عمله ناقلًا له من الإيمان إلى الكفر. ونزل القرآن يؤكد ذلك حيث نزل في شأنه أوَّل سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١] فخاطبه الله فيمن خاطب بعنوان الإيمان، وجعل عدوه سبحانه وعدوهم واحدًا، مع قوله: ﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾.

٥ ـ وقريب من ذلك ما نزل في شأن الَّذين قذفوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومنهم مِسْطَح بن أُثَاثة، وكان من أهل بدر. وكان أبو بكر حلف ألَّا يصله، فأنزل الله في شأنه: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: ٢٢]. وإن قيل: إنَّ مسطحًا وأمثاله تابوا، لكن الله لم يشترط ـ في الأمر بالعفو عنهم والصفح والإحسان إليهم ـ التوبة. كما قال ابن تيمية رحمه الله.

---

(١) باب ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فسمَّاهم المؤمنين. صحيح البخاري (١/١٥).

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

QaradawiBooks.com

٦ ـ ما رواه البخاري من حديث أبي هُرَيْرة، في قصة شارب الخمر، الَّذي أمـــر النَّبيّ ﷺ بضربه فضربـــوه، فلما انصرف، قـــال بعض القوم: أخزاك الله. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان**»[١]. وفي رواية أخرى للبخاري: «**لا تكونوا عونَ الشـــيطان على أخيكم**»[٢]. وفي ســـنن أبي داود في هذه القصَّة زيادة: «**ولكن قولوا: اللهمَّ اغفرْ له، اللهمَّ ارحمْه**»[٣]. فهذه هي النظرة المحمديَّة المتســـامحة إلى شارب أم الخبائث، فهو يأمر بضربه، ولكنَّه لا يرضى بلعنه وطرده من رحمة الله، ولا إخراجه من نطاق المؤمنين، بل يثبت الأخوة بينه وبينهم، وينهاهم أن يفتحوا ثغرة للشيطان إلى قلبه، إذا سبوه وأذلوه علانية، بل يأمرهم أن يدعوا له بالمغفرة والرحمة، ويشعروه بالأخوَّة والمحبَّة، والحرص على هدايته، فعسى أن يردَّه ذلك عن غوايته.

٧ ـ وأكثر من ذلك ما رواه البخاري أيضًا، عن عمر بن الخطاب: أن رجلًا على عهد النَّبيّ ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب «حِمَارًا»، وكان يُضحك رســـولَ الله ﷺ، قد جلده في الشـــراب، فأتي به يومًا، فأمر به فجلد. فقال رجل مـــن القوم: اللهمَّ العنـــه، ما أكثر ما يُؤتَـــى به! فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تلعنوه، فـــوالله ما علمتُ أنَّه يحبُّ الله ورســـوله**»[٤] وفي بعض روايات الحديث: «**لقد علمت أنه يحبُّ الله ورسوله**» وفي بعضها: «**ما علمت إلَّا أنه يحبُّ الله ورســـوله**» فهذا مع إدمانه الشرب، وإصراره عليه، وإنكاره منه، حتَّى نقل ابن حجر في الفتح عـــن ابن عبد البرِّ أنَّه

---

(١) رواه البخاري في الحدود (٦٧٧٧).

(٢) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨١).

(٣) رواه أبو داود في الحدود (٤٤٧٨)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٦٢١).

(٤) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨٠).

QaradawiBooks.com

ضرب خمسين مرَّة، ينهى النَّبيُّ عن لعنه، ويقرِّر أنَّه يحبُّ الله ورسوله.
يقول الحافظ ابن حجر في بيان فوائد هذا الحديث في «الفتح»[١]:

ب ـ فيه الردُّ على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر، لثبوت النهي عن لعنه، والأمر بالدعاء له.

ج ـ وفيه أن لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب؛ لأنه ﷺ أخبر بأنَّ المذكور يحبُّ الله ورسوله، مع وجود ما صدر عنه.

د ـ وأنَّ من تكرَّرت منه المعصية لا تنزع منه محبَّة الله ورسوله.

هـ ـ ويؤخذ منه تأكيد ما تقدم أن نفي الإيمان عن شارب الخمر (أي في حديث: «**لا يشربُ الخمرَ وهو مؤمن**»[٢]) لا يُراد به زواله بالكلية، بل نفي كماله. اهـ. من فتح الباري.

٨ ـ الأحاديث السابقة الَّتي أوجبت لمن قال: «لا إله إلَّا الله» الجنَّة وإن زنى وإن سرق.

٩ ـ ما صحَّ واستفاض عن النَّبيِّ ﷺ أنه سيشفع لأهل الكبائر من أمته. وهذا يدلّ على حكمين كبيرين:

أولهما: أنه لم يخرجهم باقتراف الكبيرة عن حظيرة أمته.

والثاني: أن الله سيرحمهم بهذه الشفاعة، إمَّا بإعفائهم من دخول النَّار أصلًا، وإن استوجبوها بذنوبهم. وإمَّا بإخراجهم منها بعد أن دخلوها وعُذِّبوا فيها زمنًا، فهم غير مخلدين في النَّار قطعًا.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦٤/١).
(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٥٧٨)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القاعدة الخامسة: ما عدا الشرك تحت إمكان المغفرة:

وهي تأكيد للقاعدة السابقة: أن الذنب الَّذي لا يُغفر هو الشرك بالله تعالى، وما عداه من الذنوب ـ صغرت أو كبرت ـ فهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

والمراد بالشرك في الآية وأمثالها: الشرك الأكبر، وهو اتخاذ إله أو آلهة مع الله تعالى، وهو المراد بهذا اللفظ عند الإطلاق. ومثله الكفر الأكبر: أعني كفر الجحود والإنكار.

قال الحافظ ابن حجر: لأنّ من جحد نبوة محمَّد ﷺ مثلًا، كان كافرًا؛ ولو لم يجعل مع الله إلهًا آخر، والمغفرة منتفية عنه بلا خلاف[1]. أمَّا المعاصي الأخرى دون الكفر أو الشرك، فهي تحت سلطان المشيئة الإلهية. من شاء غفر له، ومن شاء عاقبه، كما ذكرت الآيتان السابقتان: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

قال الإمام ابن تيمية: ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب، فإن التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره، كما قال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. فهنا عمم وأطلق؛ لأن المراد به التائب، وهناك خص وعلق[2].

---

(١) فتح الباري (٨٥/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨٤/٧، ٤٨٥).

QaradawiBooks.com

وقد جاء الحديث الصحيح يؤيد مضمون الآية الكريمة في أنَّ ما عدا الشرك من المعاصي موكول إلى المشيئة الإلهية.

ففي حديث عبادة بن الصامت عند البخاري، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على ألَّا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفَّارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثمَّ ستره الله، فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**»[(١)].

والحديث واضح الدلالة على أن ارتكاب المُوبقات الَّتي اشتملت البيعة على اجتنابها لا يخرج صاحبها من الإسلام، بل من عوقب عليها كانت العقوبة طهارة وكفارة له، وإلا فهو في المشيئة.

يقول العلامة المازري: في الحديث ردٌّ على الخوارج الَّذين يكفرون بالذنوب، وردٌّ على المعتزلة الَّذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة؛ لأن النَّبيّ ﷺ أخبر بأنَّه تحت المشيئة، ولم يقل: لا بدَّ أن يعذبه.

وقال الطِّيبِي: «فيه الإشارة إلى الكف على الشهادة بالنار على أحد، إلَّا من ورد النصُّ فيه بعينه»[(٢)].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (١٨)، ومسلم في الحدود (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت.

(٢) فتح الباري (٦٨/١).

QaradawiBooks.com

القاعدة السادسة: انقسام الكفر الوارد في النصوص إلى أكبر وأصغر:

الكفر في لغة القرآن والسُّـنَّة، قد يراد به الكفـر الأكبر، وهو الَّذي يخرج الإنسان من الملة، بالنسبة لأحكام الدنيا، ويوجب له الخلود في النَّار بالنسبة لأحكام الآخرة.

وقد يُراد به الكفر الأصغر، وهو الَّذي يوجب لصاحبه الوعيد، دون الخلود في النَّار، ولا ينقل صاحبه من ملَّة الإسلام. إنَّما يدمغه بالفسوق أو العصيان.

فالكفر بالمعنى الأول، هو الإنـكار أو الجحود المتعمد لما جاء به محمَّد ﷺ أو بعض ما جاء به، ممَّا علم من دينه بالضرورة.

والكفر بالمعنى الثاني، يشـمل المعاصي الَّتـي يخالف بها أمر الله تعالى، أو يرتكب بها ما نهى عنه. وفيه جاءت أحاديث كثيرة، مثل: «**من حلف بغير الله فقد كفر**» أو «**فقد أشرك**»[(١)]، «**سبابُ المسلمِ فسوقٌ، وقتالُه كفـر**»[(٢)]، «**لا ترجعوا بعدي كفَّـارًا يضرب بعضُكم رقـاب بعض**»[(٣)]، «**لا ترغبوا عن آبائكم، فإنَّه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم**»[(٤)]، «**من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[(٥)].

---

(١) رواه أحمد (٦٠٧٢)، وقال مخرِّجوه: رجاله رجال مسلم غير سعد بن عبيدة فمن رجال الشـيخين. وأبو داود (٣٢٥١)، والتِّرْمِـذي (١٥٣٥)، وقال: حسـن. كلاهما في الأيمان والنـذور، وصححه ابن الملقن في البـدر المنير (٤٥٩/٩)، والألبانـي في غاية المرام (٢٥٩)، عن ابن عمر.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٧١.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٥٢.

(٤) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم في (١٦٩١)، كلاهما في الحدود، عن ابن عباس.

(٥) سبق تخريجه صـ٣٦٨.

QaradawiBooks.com

وإنَّما قلنا: إن الكفر الوارد في هذه النصوص وأمثالها ليس كفرًا ناقلًا عن الملة، لأدلة أخرى؛ فقد تقاتل الصحابة، ولم يكفر بعضهم بعضًا بذلك.

والمنقول عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقينًا: أنه لم يُكَفِّر من قاتله في معركة الجمل، أو صفين، وإنَّما اعتبرهم بغاة. وقد صحَّ الحديث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لعمار: «**تقتلُك الفئةُ الباغية**»[(١)]، كما صحَّ الحديث في الخوارج أنَّهم «**تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحقِّ**»[(٢)]، وقد قاتلهم عليٌّ رضي الله عنه ومن معه.

كما أثبت القرآن إيمان الطائفتين المقتتلتين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] وكما أثبت الأخوة الدينية بينهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

ومثل ذلك، حديث: «**من قال لأخيه يا كافر**»[(٣)]، فقد أثبت الأخوة بينهما، وهي لا تثبت بين مسلم وكافر، فدلَّ ذلك على أنَّه لم يخرج من دائرة الإسلام بقوله.

ومثل ذلك قوله: «**من حلف بغير الله، فقد كفر**» أو «**أشرك**»[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٧٢.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٦٨.

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

QaradawiBooks.com

و«**من أتى عرافًا أو كاهنًا، فصدقه بما يقولـه، فقد كفر بما أنزل الله على محمد**»[١] ونحوها.

فلم يعتبره أحد من علماء المسـلمين طَوال القـرون الماضية كفرًا مخرجًا من الملة، وردة عن الإسلام.

وما زال النَّاس في مختلـف الأزمنة يحلفون بغيـر الله، ويصدقون العرافيـن والكهان، فينكـر أهل العلـم والدين عليهـم ويضللونهم أو يفسقونهم، ولكن لم يحكموا بردتهم، ولا فرقوا بينهم وبين نسائهم، ولا أمروا بعـدم الصَّـلاة عليهم عنـد موتهم، أو بعـدم دفنهم فـي مقابر المسلمين. وقد جاء في الحديث المرفوع: أن هذه الأمَّة لا تجتمع على ضلالة[٢].

ولهذا ذكر ابن القيِّـم عددًا من الأحاديث الَّتـي أطلقت الكفر على بعض المعاصي ثمَّ قال:

---

(١) رواه أحمد (٩٥٣٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الطب (٣٩٠٤)، والتِّرْمِذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، كلاهما في الطهارة، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٥٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه التِّرْمِذيّ في الفتـن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجـه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، وضعفه النووي في شرح مسـلم (٦٧/١٣)، ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: فـي تخريج المختصـر، حديث غريـب خرجه أبو نعيم فـي الحلية واللالكائي في السـنة، ورجاله رجال الصحيح لكنه معلول، فقـد قال الحاكم: لو كان محفوظًا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سـبعة أقوال، فذكرها وذلك مقتضى للاضطراب والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد صـ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.

QaradawiBooks.com

«والقصد: أنَّ المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنَّها ضد الشكر، الَّذي هو العمل بالطاعة، فالسعي إمَّا شكر، وإمَّا كفر، وإمَّا ثالث لا من هذا ولا من هذا»[١].

فالكفر بالمعنى الأول ـ أعني الكفر الأكبر ـ يقابله الإيمان. يقال: مؤمن وكافر. كما في مثل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦].

أما الكفر بالمعنى الثاني ـ أعني الكفر الأصغر ـ فيقابله: الشكر، فالإنسان إمَّا شاكر للنعمة، أو كافر بها، غير قائم بحقها، وإن لم يكفر بمنعمها: قال تعالى في وصف الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وقال: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وجاء في صحيح البخاري حديث ذكر فيه سبب دخول النساء النار: أنهن يكفرن! قيل: يا رسولَ الله: يكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان**»[٢].

ولهذا لما نقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي قوله: حيث جاء الكفر في لسان الشارع فهو جحد المعلوم من دين الإسلام بالضرورة الشرعيَّة.

عقب عليه بقوله: وقد ورد الكفر في الشَّرع بمعنى جحد النعم، وترك شكر المنعم، والقيام بحقه، كما تقدم تقريره في كتاب

(١) انظر: مدارج السالكين (٣٤٦/١).

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٢٩)، ومسلم في العيدين (٨٨٤)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

«الإيمان» في بـــاب «كفر دون كفر» في حديث أبي ســـعيد: «**يكفرن الإحسان** ...» إلخ[١].

وذلك أنَّ الإمام البخاري رضي الله عنه وضع في كتـــاب الإيمان عدَّة أبواب للرد على الخوارج الَّذين يكفرون المسلمين باقتراف الكبائر. منها: باب «كفران العشير، وكفر دون كفر»[٢].

وعبارة «كفر دون كفر» هذه وردت عن ابن عبَّاس وبعض التابعين في تفســـير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤][٣].

وهذا يدلُّنا على أن تقســـيم الكفـــر إلى درجات متفاوتـــة بين أكبر وأصغر، تقسيم مأثور عن سلف الأمَّة.

وهذا التقسيم نفسه يجرى في الشرك وفي النفاق، وفي الفسق وفي الظلم. فكل منها ينقســـم إلى الأكبـــر الَّذي يوجب التخليـــد في النَّار، والأصغر الَّذي لا يوجب ذلك، ولا ينقل عن الملة.

وقد ذكر البخـــاري في صحيحه «بـــاب: ظلم دون ظلم» واســـتدل بحديث ابن مسعود لما نزلت آية الأنعام: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢] قال الصحابة: يا رسولَ الله، وأينا لم يظلم نفســـه؟ قال: ليس كما تقولون: لم يلبســـوا إيمانهم بظلم:

---

(١) فتح الباري (٧٥/١٣).

(٢) صحيح البخاري (١٥/١).

(٣) التفسير من سنن سعيد بن منصور (١٤٨٣/٤)، تحقيق ســـعد بن عبد الله آل حميد، نشر دار الصميعي، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، والإيمان للقاســـم بن ســـلام (٤٥)، تحقيق محمد ناصر الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

بشرك. أوَ لم تسمعوا إلى قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣][1].

ووجه الدلالة من الحديث على ما أراده البخاري: أنَّ الصحابة فهموا من قوله «بظلم» عموم أنواع المعاصي، ولم ينكر عليهم النَّبيّ ﷺ ذلك، وإنَّما بين لهم أنَّ المراد: أعظم أنواع الظلم وهو الشرك، فدلَّ على أنَّ الظلم مراتب متفاوتة[2].

القاعدة السابعة: اجتماع بعض شعب الإيمان مع شعب الكفر أو النفاق أو الجاهليَّة:

الإيمان قد يجامع شعبة أو أكثر للكفر أو الجاهليَّة أو النفاق. وهذه الحقيقة قد خفيت على كثيرين في القديم والحديث، فحسبوا أن المرء إمَّا أن يكون مؤمنًا خالصًا أو كافرًا خالصًا، ولا واسطة بينهما، إمَّا مخلصًا محضًا أو منافقًا محضًا. وقريب منه من يقول: إمَّا مسلم محض أو جاهلي. ولا ثالث لهذين الصنفين.

وهذه طريقة كثير من الناس؛ حيث يركزون النظر على الأطراف المتقابلة دون الالتفات إلى الأوساط. فالشيء عندهم إمَّا أبيض فقط أو أسود فقط، ناسين أن هناك من الألوان ما ليس بأبيض ولا بأسود خالص، بل بين بين.

ولا عجب أن نجد فئة من النَّاس، إذا وجدت فردًا أو مجتمعًا لا تتحقَّق فيه صفات الإيمان الكامل، بل توجد فيه بعض خصائص

(١) سبق تخريجه صـ ٣١٥.

(٢) فتح الباري (٩٤/١، ٩٥).

QaradawiBooks.com

النفاق، أو شعب الكفر، أو أخلاق الجاهليَّة، سارعت إلى الحكم عليه بالكفر المطلق، أو النفاق الأكبر، أو الجاهليَّة المكفرة، لاعتقادهم أن الإيمان لا يجامع شيئًا من الكفر أو النفاق بحال، وأن الإسلام والجاهليَّة ضدان لا يجتمعان.

وهذا صحيح إذا نظرنا إلى الإيمان المطلق (أي الكامل) والكفر المطلق، وكذلك الإسلام والجاهليَّة والنفاق.

أمَّا مطلق إيمان وكفر، أو مطلق إيمان ونفاق، أو مطلق إسلام وجاهليَّة، فقد يجتمعان كما دلَّت على ذلك «النصوص» وأقوال السلف رضي الله عنهم.

ففي الصحيح: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «**إنَّك امرؤٌ فيك جاهليَّة**»[(١)]. وهذا هو أبو ذرٍّ في سابقته وصدقه وجهاده.

وفيه: «**من مات ولم يغزُ، ولم يحدِّث نفسه بالغزو، مات على شُعبة من النفاق**»[(٢)].

ورُوي عن حُذَيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: القلوب أربعة: قلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح وذلك قلب المنافق، وقلب أجرد، فيه سراج يزهو، فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيُّهما غلب عليه غلب[(٣)].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، كلاهما في الإيمان.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٠)، وأحمد (٨٨٦٥)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه ابن مبارك في الزهد (١٤٣٩)، وابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا (٣١٠٤٣)، وصححه ابن القيم في إغاثة اللهفان (١٦/١) موقوفًا، تحقيق محمد عزير شمس، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

وقد روي مرفوعًا في مسند أحمد[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا الَّذي قاله حذيفة يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق مغلوب، فلما كان يوم أحد، غلب نفاقهم، فصاروا إلى الكفر أقرب.

وروى عبد الله بن المبارك بسنده عن علي بن أبي طالب قال: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيمانًا ازداد القلب بياضًا، حتَّى إذا استكمل الإيمان ابيضَّ القلبُ كلُّه.

وإنَّ النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب، فكلما ازداد العبد نفاقًا ازداد القلب سوادًا، حتَّى إذا استكمل العبد النفاق اسود القلب. وايم الله، لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب الكافر لوجدتموه أسود[٢].

وقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل[٣].

قال شيخ الإسلام: وهذا كثير في كلام السلف: يبينون أن القلب قد يكون فيه إيمان ونفاق.

---

(١) رواه أحمد (١١١٢٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في الصغير (١٠٧٥)، وقال ابن كثير في تفسيره (١٩٣/١): وهذا إسناد جيد حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٤): في إسناده ليث بن أبي سُليم. وضعفه الألباني في الضعيفة (٥١٥٨)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (١٤٤٠)، والخلال في السنة (١٦٠١).

(٣) رواه الخلال في السنة (١٦٥٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والكتاب والسُّـنَّة يدلان على ذلك. فإن النَّبيّ ﷺ ذكر شعب الإيمان وذكر شعب النفاق، وقال: «**من كانت فيه شعبةٌ منهن، كانت فيه شعبة من النفاق حتَّى يَدَعها**»[١]. وتلك الشُّعبة قد يكون معها كثير من شعب الإيمان.

ولهذا قال: «**ويُخرج من النَّار من كان في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان**»[٢]. فعلم أنَّ من كان معه من الإيمان أقلُّ القليل لم يخلد في النَّار، وأنَّ من كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب على قدر ما معه من ذلك، ثمَّ يخرج من النَّار.

وعلى هذا قال الله تعالى للأعـراب: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] فقد نفى حقيقة دخول الإيمان في قلوبهم، وذلك لا يمنع أن تكون فيهم شُعبة منه، كما نفاه عن الزَّاني والسَّـارق، ومن لا يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسـه، ومن لا يأمن جاره بوائقه، وغير ذلك. فـإنَّ في القرآن والحديث من نُفي عنه الإيمان لترك بعض الواجبات شيء كثير[٣].

وفي موضع آخر عرض ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ للأمـر فقال: «والمقصود أنَّ خير المؤمنين في أعلى درجات الجنة، والمنافقون في الدرك الأسفل من النَّار، وإن كانوا في الدنيا مسلمين ظاهرًا، تجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة. فمن كان فيه إيمان ونفاق يسـمى «مسـلمًا»؛ إذ ليس هو دون المنافق المحض، وإذا كان نفاقه أغلب لم يستحق اسم الإيمان، بل اسم المنافق أحق منه، فإن ما فيه بياض وسواد، وسواده أكثر من بياضه، هو

(١) سبق تخريجه صـ٤٧٧.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥١٠)، ومسلم في الإيمان (١٩٣)، عن أنس.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٣/٧ ـ ٣٠٥).

QaradawiBooks.com

باسم الأسود أحق من اسم الأبيض. كما قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وأما إذا كان إيمانه أغلب، ومعه نفاق يستحق به الوعيد، لم يكن أيضًا من المؤمنين الموعودين بالجنَّة (أي مع السابقين) وإن استحقها بإيمانه بعد العذاب». إن لم يُشفع له أو يعف الله عنه.

قال: «وطوائف أهل الأهواء ـ من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة ـ يقولون: إنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق. ومنهم من يدعي الإجماع على ذلك. ومن هنا غلطوا فيه، وخالفوا فيه الكتاب والسُّنَّة وآثار الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، مع مخالفة صريح المعقول.

بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصل الفاسد، وقالوا: لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب، ومعصية يستحق بها العقاب.

ولا يكون الشخص الواحد محمودًا من وجه، مذمومًا من وجه، ولا محبوبًا مدعوًّا له من وجه، ومسخوطًا ملعونًا من وجه، ولا يتصور أن الشخص الواحد يدخل الجنَّة والنار جميعًا عندهم، بل من دخل إحداهما لم يدخل الأخرى، ولهذا أنكروا خروج أحد من النَّار، أو الشفاعة في أحد من أهل النَّار.

وحُكي عن غالية المرجئة: أنَّهم وافقوهم على هذا الأصل، ولكن هؤلاء قالوا: «إن أهل الكبائر يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار» مقابلة لأولئك.

وأما أهل السُّنَّة والجماعة والصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء وأهل الكلام فيقولون: إن

QaradawiBooks.com

الشخص الواحد، قد يعذبه الله بالنار ثمَّ يدخله الجنة، كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة.

وهذا الشخص الَّذي له سيئات عُذب بها، وله حسنات دخل بها الجنَّة وله معصية وطاعة باتفاق. فإن هؤلاء الطوائف لم يتنازعوا في حكمه، لكن تنازعوا في اسمه.

فقالت المرجئة: هو مؤمن كامل الإيمان.

وأهل السُّنَّة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان. ولولا ذلك لما عُذِّب، كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين.

وهل يطلق عليه اسم «مؤمن»؟ هذا فيه القولان، والصحيح التفصيل.

فإذا سُئل عن أحكام الدنيا، كعتقه في الكفارة. قيل: هو مؤمن. وكذلك إذا سُئل عن دخوله في خطاب المؤمنين أي في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

وأما إذا سُئل عن حكمه في الآخرة قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النَّار، ويدخل به الجنَّة بعد أن يعذب في النَّار، إن لم يغفر الله له ذنوبه. لهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان.

والذين لا يسمونه مؤمنًا من أهل السُّنَّة والمعتزلة يقولون: اسم الفسوق ينافي اسم الإيمان لقوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]».

قال: «وعلى هذا الأصل، فبعض النَّاس يكون معه شعبة من شعب الكفر، ومعه إيمان أيضًا.

QaradawiBooks.com

وعلى هذا ورد عن النَّبيِّ ﷺ في تسمية كثير من الذنوب كفرًا، مع أنَّ صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرَّة من إيمان، فلا يخلد في النَّار. كقوله: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[١]، وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٢].

وهذا مستفيض عن النَّبيِّ ﷺ في الصحيح من غير وجه، فإنَّه أمر في حجة الوداع أن يُنادى به في النَّاس. فقد سمى من يضرب بعضهم رقاب بعض ـ بلا حق ـ كفارًا، ويسمي هذا الفعل كفرًا. ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] فبين أن هؤلاء لم يخرجوا من الإيمان بالكلية، ولكن فيهم ما هو كفر، وهو هذه الخصلة، كما قال بعض الصحابة: كفر دون كفر. وكذلك قوله: «**من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[٣]، فقد سمَّاه أخًا حين القول، وقد أخبر أن أحدهما باء بها، فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه، بل فيه كفر»[٤] اهـ.

القاعدة الثامنة: تفاوت مراتب الأمَّة في الطاعة:

وهي تأكيد للسابعة: أنَّ مراتب النَّاس متفاوتة في امتثالهم لأمر الله تعالى، واجتنابهم لنهيه.

ولهذا تفاوتت درجات إيمانهم وقربهم من الله ﷻ، ومن هنا قرر سلف الأمَّة أن الإيمان يزيد وينقص، ودل على ذلك الكتاب والسنة،

(١) سبق تخريجه صـ٣٧١.
(٢) سبق تخريجه صـ٣٥٢.
(٣) سبق تخريجه صـ٣٦٨.
(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٣/٧ ـ ٣٠٥).

QaradawiBooks.com

فمن الخطأ الفاحش تصور النَّاس جميعًا ملائكة أولي أجنحة، بلا أخطاء ولا خطايا، ناسين العنصر الطيني الَّذي خُلقوا منه، والذي يشدهم إلى الأرض لا محالة.

وهذه الحقيقة ـ حقيقة تفاوت النَّاس في الإيمان والطاعة لله ـ قد قررها القرآن الكريم، كما أكدتها سنة رسول الله ﷺ.

قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

فقد قسّم الله ﷻ الأمَّة الَّتي أورثها الكتاب، واصطفاها من عباده ثلاثة أصناف:

١ ـ ظالم لنفسه، وهو كما قال ابن كثير، المُفرِّط في فعل بعض الواجبات، المرتكب بعض المحرمات.

٢ ـ ومقتصد، وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبَّات، ويفعل بعض المكروهات.

٣ ـ وسابق للخيرات، وهو الفاعل للواجبات والمستحبَّات، التارك للمحرَّمات والمكروهات، وبعض المباحات[1].

فهؤلاء الثلاثة على ما في بعضهم من عوج وتقصير وظلم للنفس داخلون في الَّذين اصطفاهم الله من عباده.

(١) تفسير ابن كثير (٥٤٦/٦).

QaradawiBooks.com

وهؤلاء الأصناف الثلاثة ينطبقون على الطبقات أو المراتب الثلاث المذكورة في حديث جبريل المشهور. وهي: «الإسلام» و«الإيمان» و«الإحسان».

وأخبر الله تعالى عن هؤلاء الأصناف الثلاثة ـ وفيهم الظالم لنفسه ـ بأنَّهم من أهل الجنة.

وصح عن ابن عبَّاس في تفسير الآية قوله: هم أمَّة محمَّد ﷺ؛ ورَّثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يُغفر له، ومُقتصدهم يُحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنَّة بغير حساب[1].

وليس المراد بـ «المحرمات» الَّتي يرتكبها الظالم لنفسه «الصغائر» فقط دون «الكبائر» ولا المراد به التائب من جميع الذنوب؛ لأن هذا وذاك ـ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يدخل في صنف المقتصد أو السابق «فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب، كل من تاب كان مقتصدًا أو سابقًا».

كذلك من اجتنب الكبائر كُفِّرت عنه السيئات، كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه، وموعود بالجنة، ولو بعد عذاب يُطَهِّر من الخطايا[2].

على أنَّ المسلم مهما يكن مقتصدًا أو ظالمًا لنفسه، فعليه أن يكره الكفر والفسوق والعصيان، ولا يرضى بالمنكر الَّذي تطفح به الحياة من

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٦٥/٢٠).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٨٥/٧).

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

حوله. فإن أدنى درجات الإيمان أن يغير المسلم المنكر بقلبه، أي يكرهه ويتألم له ويسخط عليه، وأرفع من ذلك درجة أن يغيره بلسانه إن استطاع، وأرفع من هذه أن يغيره بيده إن استطاع. وهذا ما جاء به الحديث الصحيح المشهور على الألسنة «**من رأى منكم منكرًا فليُغيِّره بيده، فمن لم يستطعْ فبلسانه، فمن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان**»[١].

فإذا كان التغيير بالقلب ـ بالمفهوم الَّذي شرحناه ـ أضعف الإيمان، فمعنى هذا أن من فقد هذه الدرجة ـ درجة أضعف الإيمان ـ فقد الإيمان كله، ولم يبقَ له منه شيء.

وهذا ما صرح به الحديث الآخر الَّذي رواه مسلم عن ابن مسعود عن النَّبيِّ ﷺ: «**ما من نبيٍّ بعثه الله في أمَّة قبلي إلَّا كان له من أُمَّته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنَّته، ويقتدون بأمره، ثمَّ إنَّه يخلُف من بعدهم خُلُوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل**»[٢].

فالحديث الشريف يصرح بأنَّ من لم يجاهد هؤلاء الفسقة والظالمين بقلبه ـ أي يكره أعمالهم وظلمهم وفسقهم ـ ليس عنده من الإيمان حبَّة خردل. وبعبارة أخرى، ليس عنده أقل القليل من الإيمان.

غير أنَّ هذا الأمر مرده إلى ضمير المسلم وقلبه، فهو الَّذي يستطيع أن يحكم على نفسه: أهو راضٍ عن المنكر، أم هو ساخط عليه؟ وإن كان راضيًا عن صاحب المنكر: أهو راضٍ عنه لأجل فسقه وظلمه وانحرافه

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١١٥٠)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه مسلم (٥٠)، وابن حبان (١٧٧)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

عن شرع الله، أم لأجل شيء آخر، مثل مصلحة أصابها منه، أو قرابة بينه وبينه، أو غير ذلــك. وإن كان الواجب على المؤمن أن يكون مناط قربه أو بعده من الناس: هو مدى اتصالهم بالإسلام، أو انفصالهم عنه.

خاتمة:

بعد هذا البيان في ضوء ما ذكرناه من قواعد جامعة، ونصوص قاطعة، وأدلة ناصعة، يتبين لكل ذي عينين مدى الخطأ الجسيم، والخطر العظيم، الَّذي سقط فيه «إخواننا» الَّذين أسرفوا في «التكفير» حتَّى غدوا يكفرون الأفراد والمجتمعات بالجملــة، معرضين عن كل ما يخالف وجهتهم من نصوص الشَّــرع وأدلته، متذرعين بالتعسف في التأويل، والاستدلال بما ليس بدليل، مُخطِّئين كل مــن لا يوافقهم من علماء الأمَّــة وأئمتها في القديــم والحديث، زاعمين لأنفســهم أنَّهــم قد بلغوا درجــة «الإمامة» والاجتهاد المطلــق، وأن لهم أن يخالفوا الأمَّة كلهــا، وما أجمعت عليه سلفًا وخلفًا. وهذا ـ والعياذ بالله ـ من العُجب المهلك، والغرور الموبق، والغلو الضار، وليس لهذا مصدر إلَّا الجهل بالله تعالى، والجهل بالناس، والجهل بالنفس، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه، وفي الحديث الصحيح: «**إياكم والغلوَّ، فإنَّمــا أهلك من كان قبلكم الغلــوُّ**»[1] وفي حديث آخر: «**هلك المتنطِّعون**» قالها ثلاثًا[2]. ومــع هذا كله، لا أريد أن أقع فيما وقع فيه هؤلاء الإخوة المســرفون، فأكفرهم كما كفروا النَّــاس، وإن جاءت الأحاديث بتكفير من كفر مســلمًا؛ لأن هذه الأحاديث فيمن كفر مسلمًا بغير تأويل، وهؤلاء لهم تأويلهم، وإن كان مرفوضًا. ولهذا اختلف السلف

(١) سبق تخريجه صـ٤٦٧.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٦٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في تكفير الخوارج، برغم ما ورد في ذمهم من أحاديث مرفوعة صحاح، والثابت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه لم يكفرهم، ولم يبدأهم بقتال، ولما قيل له: أهم كفار؟ قال: من الكفر فرُّوا[1]!

ولهذا أصرُّ على القول بأنَّهم «إخواننا» على الرغم من غلوهم وانحرافهم عن جادة الصواب في أفكارهم. ويقيني أنَّ الكثيرين منهم سيرجعون عن فكرتهم في التكفير إذا قرؤوا بروح الحيدة والإنصاف، والإخلاص في طلب الحق، والبراءة من العصبية، والتحرر من الخوف من ملامة زملائهم، أو تهديد رؤسائهم، الَّذين يعتبرونهم «مرتدين» بمجرد اختلافهم معهم، أو رجوعهم عن رأيهم، ويفتون بوجوب قتلهم؛ لأنَّهم بدَّلوا دينهم.

وإني لأعلم علم اليقين أن هذه الجماعات المتطرفة شبابًا مخلصين، لا يريدون إلَّا وجه الله والدار الآخرة، ونصرة الإسلام، ولكنهم لم يتحصنوا، بثقافة إسلاميَّة أصيلة، وفقه إسلامي عميق، فصادفت هذه الأفكار قلوبًا خالية، فتمكنت منها.

وأعلم أن عددًا من هؤلاء الشباب تبين له الحق فرجع إليه، غير مبال بالتهديد ولا بالوعيد، بل تعرضوا للإيذاء فصبروا وصابروا.

وأعلم أن هذه الظاهرة نتيجة لخلو الميدان من حركة إسلاميَّة واعية ناضجة تعمل في النور جهرة، وفي وضح النهار، فلاذ هؤلاء بالسراديب والكهوف يعملون في الظلام، ويوم تشرق شمس الدعوة إلى الإسلام المتكامل، وترسل أشعتها في الآفاق، ويعلو صوتها بلا خوف ولا إرهاب: لن يكون هناك مكان لأهل السراديب من الغلاة والمتطرفين، ولعلَّنا نعود إلى هذا الموضوع الخطير مرة أخرى إن شاء الله تعالى.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٢١.

QaradawiBooks.com

شبهات من ترك الصَّلاة في مساجد المسلمين

س: سبق أن بعثت إلى فضيلتكم برسالة باسمي واسم مجموعة من الشباب المسلم الغيور على دينه، والذي ربطت بينهم العقيدة الإسلاميَّة، رغم اختلاف أوطانهم، ما بين المحيط والمحيط.

وقد طلبنا من فضيلتكم الرد العاجل والجواب الشافي، عن السؤال الَّذي بلبل فكر فئة منا، وكاد يمزق وحدتنا، نظرًا لتعصب كل فريق منَّا لرأيه.

والسؤال ـ كما أشرت لفضيلتكم في الرسالة السابقة ـ يتعلق بأمر في غاية من الخطورة؛ وهو الصَّلاة في مساجد المسلمين، فقد وُجِدَ من المتطرفين الَّذين يرفضون الصَّلاة في هذه المساجد، مصرّين على اعتزالها، والاكتفاء بالصَّلاة في البيوت، واعتبار ذلك جزءًا من مقاطعة المجتمع الجاهلي بكل مؤسساته، وإن اتخذت صبغة دينية.

ويستند هؤلاء الإخوة في ذلك إلى ما قرؤوه في «الظلال» عند تفسير الآية (٨٦) في سورة يونس، وفيها يقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧].

فقد جاء في تفسيرها ما نصُّه: «هذه التجربة الَّتي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة ليست خاصَّة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية

QaradawiBooks.com

خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة، وتجبر الطاغوت، وفسد النَّاس، وأنتنت البيئة ـ وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة ـ وهنا يرشدهم الله إلى أمور:

١ ـ اعتزال الجاهليَّة بنتنها وفسادها وشرها ـ ما أمكن ذلك ـ وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتَّى يأتي وعد الله لها.

٢ ـ اعتزال معابد الجاهليَّة، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد، تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعًا من التنظيم في جو العبادة الطهور»[1] اهـ.

ومن إيحاء هذه العبارات اتخذ هؤلاء الإخوة قرارهم، وجعلوا بيوتهم قبلة لهم. مقاطعين المساجد والجوامع، الَّتي يؤمُّها سائر المسلمين.

والآن قد رضي الجميع بالاحتكام إليك في هذه القضية، حيث رفضوا رأي أي عالم هنا، وأعلنوا أن ما تفتي به سيقبلونه، فأصبح لزامًا عليك شرعًا ألَّا تَدَعَنا في حَيْرة من أمرنا، وتنازع فيما بيننا، وأن ترد علينا بما ينير طريقنا، قبل أن يتزايد الخطر، ويتطاير الشرر، وقد رضي حكمك المعتدلون والمغالون؛ لثقتهم بعلمك ودينك، وحسن فهمك للإسلام وللحياة معًا، وتحرِّيك الحق فيما تكتب. نحسبك كذلك، والله حسيبك، ولا نزكي على الله أحدًا!

وإنَّا لفي انتظار هذا الجواب على أحرّ من الجمر، وفقكم الله ونفع بكم.

(م. أ. ش)

كلية الشريعة ـ جامعة الأزهر

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١٨١٦/٣) نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أخي الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كنت مترددًا في الكتابة إليك؛ تاركًا الأمر لسلامة فطرتكم، وسابق دراستكم للإسلام، وسؤالكم لمن عندكم من أهل العلم، ولكن لما تكرر سؤالك خشيت على نفسي لجام النَّار، الَّذي توعد به النَّبيّ ﷺ من يكتم علمًا سئل عنه: «**من سُئل عن علمٍ فكتمه أُلْجِمَ يومَ القيامة بلجامٍ من نار**»[1].

كما خشيت على الحركة الإسلاميَّة الَّتي أفنيت فيها شبابي، ووهبت لها عمري: أن تهب عليها أعاصير الفتن الداخلية، فتلوي زمامها عن «البينات» والواضحات إلى «متشابه» من القول والآراء: لا تشفي غليلًا، ولا تهدي سبيلًا، ولهذا توكلت على الله وبدأت أسطر إليك وإلى من معك هذه الكلمات، الَّتي أرجو بها وجه الله، وبيان الحق، وهو أحق أن يتبع.

حقائق بين يدي الموضوع:

قبل أن أجيبك عن الموضوع بتفصيل، أحبُّ أن أضع بين يديك هذه الحقائق لتكون على بينة من الأمر:

---

(١) رواه أحمد (٧٥٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٥٨)، والتِّرْمِذي (٢٦٤٩)، وقال: حسن. كلاهما في العلم، وابن ماجه في المقدمة (٢٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٤)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأولى: أنَّه لا حجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ؛ فهو وحده المسدد المعصوم، الَّذي لا ينطق عن الهوى، ولا يقره الله على خطأ. وكل أحد سواه يُؤخذ من كلامه ويُترك. وهذه حقيقة لا خلاف عليها.

الثانية: أنَّ كل مؤمن اجتهد في طلب الحق واستفرغ وسعه في معرفته؛ فهو مأجور على اجتهاده ونيته، وإن أخطأ في النتيجة؛ وخطؤه مغفور له كائنًا ما كان.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

الثالثة: أنَّ الخطر ليس على العالم المجتهد إذا أخطأ وزلّ، ولكن على من اتبعه في خطئه وزلته بعد تبينها. ولهذا أُمرنا أن نتقي زلة العالم.

وقال عمر: ثلاث يهدمن الدين: زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، وأئمَّة (أي حكام) مضلُّون[١].

وقال سلمان الفارسي: كيف أنتم عند ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم؟ فأمَّا زلة العالم، فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم، تقولون: نصنع مثلما يصنع فلان، وننتهي عمَّا ينتهي عنه فلان. وإن أخطأ فلا تقطعوا إياسكم منه، فتُعينوا عليه الشيطان... الحديث[٢].

وقال معاذ لأصحابه يومًا في وصية له: إياكم وما ابتُدع، فإنَّ ما ابتدع ضلالة، وأحذِّركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق!

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨٦٧).

(٢) المصدر السابق (١٨٧٣).

QaradawiBooks.com

فقال بعض أصحابه: وما يدريني ـ رحمك الله ـ أنَّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: بلى، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات، الَّتي يقال له: ما هذه؟! ولا يثنينك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلقّ الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورًا.

وفي رواية أنَّ الزهري قال: «المشبهات» مكان «المشتهرات». وفسرها في رواية، قال: بلى، ممَّا تشابه عليك من قول الحكيم، حتَّى تقول: ما أراد بهذه الكلمة[1]؟

وفي بعض الروايات في تفسير «زيغة الحكيم»: هي كلمة تَرُوعكم وتنكرونها، وتقولون: ما هذه؟!

وهذا توجيه رائع من معاذ رضي الله عنه؛ وهو أعلم الصحابة بالحلال والحرام كما جاء في الحديث[2].

لقد بيَّن أنَّ الحكيم قد يزيغ ويخطئ، فيجب علينا أن نجتنب زيغته وزلته، ولا يثنينا ذلك عن الاستفادة منه بعد ذلك. وعن ابن عبَّاس قال: ويلٌ للأتباع من عثرات العالم. قيل: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئًا برأيه، ثمَّ يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه، فيترك قوله، ثمَّ يمضي الأتباع[3].

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٧٦.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٠٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والتِّرْمِذي في المناقب (٣٧٩١) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (١٥٤)، عن أنس.

(٣) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٨٣٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨٧٧).

QaradawiBooks.com

الرابعة: أنَّنا مأمورون عند التنازع أن نرد ما اختلفنا فيه إلى الله ورسوله. كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]. ومعنى ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة. فماذا يقول هذان المصدران المعصومان في قضيتنا؟ لنتأمل ما يلي:

أولًا: ماذا في القرآن؟

(أ) في سورة النور مدح الله تعالى المساجد وروادها بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] وليس بعد هذا الثناء على أهل المساجد قول لقائل.

(ب) وفي سورة التوبة يقول تعالى أيضًا: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]. وعمارة المساجد هنا ليس معناها البناء والتشييد كما يتوهم، بل عمارتها بالصَّلاة والدعاء، وذكر الله وإقامة شعائره. فشهد الله لعمار المساجد بالإيمان كما قال ابن كثير في تفسيره. واستشهد لذلك بما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [1].

---

(١) تفسير ابن كثير (١١٩/٤). والحديث رواه أحمد (١١٦٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والتِّرْمِذي في الإيمان (٢٦١٧)، وقال: غريب حسن. وابن ماجه في المساجد والجماعات (٨٠٢)، وابن خزيمة في الإمامة (١٥٠٢)، وابن حبان في الصلاة (١٧٢١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٩).

QaradawiBooks.com

(ج) في سورة البقرة يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]. وهو وعيد شديد لمن يسعى في خراب المساجد من المصلين الذاكرين لله.

(د) وأكثر من ذلك أنَّ القرآن الكريم قرر حرمة المعابد الدينية لأهل الأديان السماوية جميعًا كما قال تعالى في أوَّل آيات نزلت في شأن الجهاد: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] وقد قال بعض المفسرين: إن جملة: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾. تعود على كل ما ذكر من الصوامع وما بعدها.

فإذا كان الإسلام يشرع القتال للدفاع عن حرية العبادة، وعدم الاعتداء على أماكنها وإن تكن لغير المسلمين، فكيف بمساجد المسلمين الَّتي تُقام فيها الصلوات، ويرفع من منائرها الأذان، ويجهر فيها بالشهادتين والتكبير؟!

ثانيًا: ماذا تقول السنة؟

هذا أهم ما جاء في كتاب الله العزيز عن المساجد وهو كاف شاف.

وبقي أن نرجع إلى السنَّة، وهي البيان القولي والعملي للقرآن.

١ ـ قد ذكرنا حديث: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان**».

QaradawiBooks.com

٢ ـ يؤيِّد هذا ما رواه البزار وعبد بن حميد بسندهما، عن أنسٍ مرفوعًا: «**إنَّما عُمَّار المساجدِ هم أهل الله**»[١].

٣ ـ وروى الإمام أحمد بسنده، عن معاذ بن جبل: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الشيطانَ ذئبُ الإنسان كذئبِ الغنم، يأخذ الشاةَ القاصيةَ والناحية، فإيَّاكم والشِّعاب، وعليكم بالجماعة والعامَّة والمسجد**»[٢].

٤ ـ وروى عبد الرزاق بسنده، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: أدركت أصحاب محمَّد ﷺ وهم يقولون: إنَّ المساجد بيوت الله في الأرض، وإنَّه حقٌّ على الله أن يكرم من زاره فيها[٣].

٥ ـ وروى أبو داود والترمذي[٤] وابن ماجه والحاكم[٥] عن النَّبيِّ ﷺ: «**بشِّر المشَّائين في الظُّلَم إلى المساجد، بالنُّور التامِّ يوم القيامة**».

٦ ـ وروى الشيخان وأحمد، عن أبي هُرَيْرة، عن النَّبيِّ ﷺ: «**من غدا إلى المسجد وراح، أعد الله له نزلًا من الجنَّة كلما غدا أو راح**»[٦].

٧ ـ وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: من سمع النداء بالصَّلاة فلم يجب، ولم

---

(١) رواه عبد بن حميد (١٢٩١)، والبزار (٦٩٤١)، والطبراني في الأوسط (٢٥٠٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٣٠): فيه صالح المري؛ وهو ضعيف. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٦٨٢).

(٢) رواه أحمد (٢٢٠٢٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره، والطبراني (١٦٤/٢٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٥٨٤)، وابن المبارك في الزهد (٢/٢).

(٤) رواه أبو داود (٥٦١)، والتِّرْمِذي (٢٢٣) وقال: حديث غريب. كلاهما في الصلاة، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥٧٠)، عن بريدة الأسلمي.

(٥) رواه ابن ماجه في المساجد (٧٨١)، والحاكم في الطهارة (٢١٢/١)، وقال: فيه راوٍ مجهول. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٠٠/١): إسناده ضعيف. عن أنس.

(٦) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٢)، ومسلم في المساجد (٦٦٩)، كما رواه أحمد (١٠٦٠٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يأتِ المسجد ويصلي فيه، فلا صلاة له، وقد عصى الله ورسوله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

ذكره ابن كثير عن ابن مردويه، قال: وقد روي مرفوعًا من وجه آخر[١]، وله شواهد من وجوه أُخَر؛ ليس هذا موضع بسطها[٢].

٨ ـ وروى مسلم في صحيحه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادَى بهن (يعني في المساجد)؛ فإنَّ الله شرع لنبيِّكم ﷺ سنن الهدى، وإنَّهنَّ من سُنَن الهدى، ولو أنَّكم صليتم في بيوتكم، كما يصلِّي هذا المتخلِّف في بيته، لتركتم سُنَّة نبيِّكم، ولو تركتم سُنَّة نبيِّكم لضللتُم، وما من رجلٍ يتطهَّر فيُحسن الطُّهور، ثمَّ يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلَّا كتب الله له بكل خطوةٍ يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطُّ عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلَّف عنها (أي الجماعة)، إلَّا منافقٌ معلوم النِّفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادَى بين الرجلين (لمرضه أو ضعفه) حتَّى يُقام في الصفِّ[٣].

ثالثًا: شبهة معتزلي المساجد وإبطالها:

هذا بعض ما جاء في القرآن والسُّنَّة عن مكانة المساجد، وأهمية صلاة الجماعة فيها، وهي أدلة عامة ناصعة، ونصوص محكمة ساطعة، لا تدع تأويلًا لمتأوِّل في هجر المساجد، واعتزال جماعة المسلمين،

---

(١) كما في رواية ابن ماجه: عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «من سمع النداء فلم يأته، فلا صلاة له، إلا من عذر». رواه ابن ماجه في المساجد (٧٩٣)، وابن حبان في الصلاة (٢٠٦٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والطبراني (٤٤٦/١١)، والحاكم في الطهارة (٢٤٥/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير ابن كثير (١٢٠/٤).

(٣) رواه مسلم في المساجد (٦٥٤)، وأحمد (٣٦٢٣)، والنسائي في الإمامة (٨٤٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

فكيف ندع هذه المحكمات ونتبع المتشـابهات الَّتـي لا تعطي مفهومًا محددًا، ولا يرتفع بها خلاف؟!

وترك الواضحات إلى المتشـابهات هو أحد أسباب الانحراف؛ كما بيّن ذلك الإمام الشاطبي في كتابيه الجليلين: الموافقات، والاعتصام.

ومن هذه المتشابهات الاعتماد على آية سورة يونس في قصة موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وتفسـيرها بما يفيد مضمونه: أن تعتزل العصبة المسلمة مساجد المسلمين، وتتخذ بيوتها مساجد تنطوي فيها على نفسها، وتحس فيها بالانعزال عن الجاهليَّة؛ اقتداء بما فعله موسى وهارون وقومهما، من اعتزالهم معابد الجاهليَّة، واتخاذ البيوت مُصلى وقبلة.

وهذا التفسير أو الاستنتاج لمثل هذا الحكم الخطير من الآية الكريمة خطأ ظاهر، ولا يثبت أمام التمحيص والنقد العلمي الهادئ السليم.

ونحن نبيّن خطأه من وجوه:

١ ـ إنَّ هذا التفسير غير مسـلم لمن قال به، وهو مجرد رأي، لا أقل ولا أكثر، وليس مأثورًا عن النَّبيِّ ﷺ، ولا عن صحابي أو تابعي.

والمروي عن سـادات التابعين فـي ذلك ما ذكره ابـن كثير[1] عن إبراهيـم في قولـه: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]. قال: كانوا خائفين؛ فأمروا أن يصلوا في بيوتهـم. وكذلك قال مجاهد وأبو مالك، والربيع بن أنس والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبوه أسلم. وذكر ابن كثير عن ابن عبَّاس ما يؤيد هذا.

(١) تفسير ابن كثير (٢٨٩/٤).

QaradawiBooks.com

وقال الفخر الرَّازي: ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوهًا ثلاثة[١]:

الأوَّل: أن موسى عليه السلام ومن معه كانوا في أوَّل أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة. لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم. كما كان المسلمون على هذه الحالة في أوَّل الإسلام في مكة.

الثاني: قيل: إنه تعالى لما أرسل موسى إليهم، أمر فرعون بتخريب مساجد بني إسرائيل ومنعهم من الصلاة، فأمرهم الله تعالى أن يتَّخذوا مساجد في بيوتهم ويصلُّوا فيها خوفًا من فرعون (وهذا لا يخرج عن الوجه الأول).

الثالث: أنَّه تعالى لما أرسل موسى إليهم وأظهر فرعون تلكم العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى وهارون وقومهما باتِّخاذ المساجد على رغم الأعداء، وتكفَّل تعالى أن يصونهم عن شرِّ الأعداء، وهذا يعني أنَّ المراد بالبيوت في قوله: ﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]. هي المساجد كقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦].

وعلى هذه الوجوه كلها ليس في الآية أدنى حجة على اعتزال المساجد في حالة الاختيار والسعة قط.

٢ ـ على أنَّ بعض المفسرين ـ كالإمام سعيد بن جُبَيْر ـ فسَّر البيوت بالمساكن المعتادة، وفسَّر «اجعلوها قِبْلة» أي متقابلة، يقابل بعضها بعضًا، قال الرَّازي: والمقصود منه حصول الجمعية، واعتضاد البعض

(١) تفسير الرازي (٢٩١/١٧)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

بالبعض[١]. وقال صاحب «المنار»: وحكمة هذا أن يكونوا مستعدين لتبليغهما إياهم، ما يهمهم ويعينهم ممَّا بُعثا لأجله، وهو إنجاؤهم من عذاب فرعون بإخراجهم من بلاده[٢].

«وبهذا تخرج الآية عن موضوع الاستدلال نهائيًّا».

٣ ـ ومع هذه الاحتمالات الَّتي تسقط الاستدلال بالآية على ما قاله المغالون، يبقى هنا أمر آخر يجب التنبيه عليه، وهو الاستدلال بأمر كان في شريعة من قبلنا، إن افترضنا صحَّة التفسير والاستنتاج الَّذي استند إليه المجادلون: هل يصحُّ أم لا؟

لقد اختلف الأصوليُّون في اعتبار شرع من قبلنا مصدرًا أو دليلًا شرعيًّا لنا نحن المسلمين، فمنهم من رده ردًّا مطلقًا، ومنهم من قبله بشرط ألَّا يَرِدَ في شرعنا ما ينسخه.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال ﷺ: «**لو كان موسى حيًّا ما حلَّ له إلَّا أن يتبعني**»[٣].

وهنا نجد أنَّ شرعنا قد دعا إلى الصَّلاة جماعة في المساجد، وجعلها أفضل من الصَّلاة في البيوت بخمسٍ أو سبعٍ وعشرين درجة، بل إنَّ بعض الأئمَّة كأحمد بن حنبل اعتبر صلاة الجماعة فرضَ عينٍ على كل رجل إلَّا من عذر، وله على ذلك أدلة كثيرة.

---

(١) تفسير الرازي (٢٩١/١٧).

(٢) تفسير المنار (٣٨٥/١١).

(٣) سبق تخريجه صـ٥٩.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

١ ـ ممَّا استدلَّ به: أنَّ النَّبيَّ ﷺ همَّ أن يحرق على قوم بيوتهم لتخلُّفهم عن الجماعات[١].

٢ ـ استأذنه ابنُ أمِّ مكتوم وكان رجلًا أعمى ليصلِّي في بيته، فقال: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم. قال: «**لا أجد لك رخصةً**»[٢].

٣ ـ ما ذكرناه قبل عن ابن مسعود وابن عبَّاس رضي الله عنهما.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لو لم يمكنه الذهاب إلى المسجد إلَّا بمشيه في مِلْكِ غيره فعل، وإن كان بطريقه منكر، لم يدع المسجد، وينكره.

ومن لم يعتبر صلاة الجماعة من الأئمَّة فرضَ عينٍ، فهو يعتبرها فرض كفاية، أو سُنَّة مؤكِّدة على الأقلِّ.

فهل يسوِّغ لنا أن ندع هذه الأحاديث والآثار الصحاح المبينة لشريعة محمَّد ﷺ؛ جريًا وراء تأويل محتمل لعمل في شريعة موسى عليه السلام؟

رابعًا: وأكثر من ذلك أنَّ رسولنا محمدًا ﷺ كان يصلي عند الكعبة وحولها الأصنام من كل جانب؛ حتَّى قدرت بثلاثمائة وستين، وقد نهاه أبو جهل عن الصَّلاة هناك؛ فانتهره النَّبيُّ ﷺ وهدَّده. فقال له: أتهدِّدني وأنا أكثر أهل الوادي ناديًا؟ فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩ ـ ١٠] الآيات[٣].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٤٤)، ومسلم في المساجد (٦٥١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٥٤٩٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الصلاة (٥٥٢)، والنسائي في الإمامة (٨٥١)، وابن ماجه في المساجد (٧٩٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥٦١)، عن ابن أم مكتوم.

(٣) تفسير ابن كثير (٤٣٨/٨).

QaradawiBooks.com

فهل رأيت أبلغ من هذا وأوضح في الدلالة؟! محمَّد رسول الله ﷺ يصلي في بيت الله، والأصنام من حوله؛ لأنَّه لم يشأ أن يحرم من الصَّلاة في مسجد الله الحرام؛ فكيف نعتزل نحن الصَّلاة في مساجد الإسلام؟!

خامسًا: وشيء آخر أذكره هنا، وهو ما ذكره الإمام البخاري في كتاب الصَّلاة من صحيحه؛ حيث عقد فيه «باب الصَّلاة في البيعة» وهي كنيسة النَّصارى أو صومعة الراهب. وفي هذا الباب أورد عن عمر رضي الله عنه قوله: إنَّا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل الَّتي فيها «الصور» قال: وكان ابن عبَّاس يصلي في البِيعَة إلَّا بِيعَة فيها تماثيل[1] اهـ.

وعندما فتح عمر[2] بيت المقدس لم يرضَ أن يصلي في كنيسة القيامة؛ خشية أن يقول المسلمون من بعده: هنا صلَّى عمر، ويظنُّون أنَّ لهم بذلك حقًّا في الكنيسة.

ومعنى هذا أنه يجوز الصَّلاة في الكنيسة، فكيف يرتاب مسلمٌ بعد ذلك في مشروعية الصَّلاة في المسجد؟!

خاتمة:

أخي، أظنُّ المقام قد اتَّضح بما فيه الكفاية، ولو لم توجد هذه النصوص والأدلَّة المتظاهرة المتضافرة، لكانت الفطرة وحدها كافية في ردِّ هذا الغلوِّ، الَّذي يتبنَّاه بعض إخوانك هداهم الله وغفر لنا ولهم.

---

(١) رواهما البخاري تعليقًا قبل الحديث (٤٣٤).

(٢) تاريخ ابن خلدون (٢٦٨/٢)، تحقيق خليل شحادة، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

فإنَّ رواد المساجد ـ في مجموعهم ـ هم بقية أهل الخير، وهم الرصيد لأصحاب الدعوات، وهم أقرب إلى الاستجابة من غيرهم. والصَّلاة هي آخر العُرَى الباقية لهذا الدين؛ كما جاء في الحديث: «**لتُنْقَضَنَّ عُرى الإسلام عروةً عروة، فأوَّلها نقضًا: الحكم وآخرها الصلاة**»[1].

وأخيرًا أحسبك لا تجهل أنَّ هذا الموضوع فرعٌ صغير من أصل كبير، هو النظرة إلى جمهور المسلمين في بلاد الإسلام وحكمنا عليهم: هل هم كفَّار جاهليُّون أم مسلمون متفاوتون: فمنهم ظالمٌ لنفسه، ومنهم مقتصدٌ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله؟! فمن كفَّر المسلمين لم يرَ جواز الصَّلاة في مساجدهم، ومن أبقاهم على أصل الإسلام وإن عصوا وانحرفوا ـ كما هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ـ لم ير أفضل من الصَّلاة في المساجد، خلف كلِّ برٍّ وفاجر. والله أعلم.

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وابن حبان في التاريخ (٦٧١٥)، والحاكم في الأحكام (٩٢/٤)، وقال: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه. عن أبي أُمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

هل الإنسان خليفة الله في الأرض؟

س: قرأت في مجلة إسلاميَّة مقالًا لكاتب إسلامي تحت عنوان: «هل الإنسان خليفة الله في الأرض؟» وقد أجاب الأستاذ عن هذا السؤال بالنفي، منكرًا بشدَّة ما شاع على ألسنة الباحثين المعاصرين وفي كتاباتهم أن الإنسان خليفة الله في الأرض؛ قائلًا: «ولا شكَّ أنَّ فكرة خلافة الإنسان لله في الأرض مأخوذة عن نظرية الحلول والاتحاد، ونظرية القطب والغوث لغلاة الصوفية».

فهل توافقون على هذا الرأي؟ وهل ممَّا ينافي الإسلام أن نقول: إن الإنسان خليفة الله في الأرض؟ فقد كنَّا نحسب أن فكرة خلافة الإنسان لله فكرة مُسَلَّمة في الدين، ولا حرج في القول بها، حتَّى قرأنا هذه المقالة فشككنا في الأمر. لذا نرجو توضيح وجهة نظركم في هذه القضية مع الأدلَّة المقنعة، نفع الله بكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

لا ريب أنَّ للموضوع خطره وأهميته في الفكر الإسلامي القديم والحديث؛ حيث يتعلق بتحديد مكانة الإنسان في نظر الإسلام، وتعيين درجته في سلم الكائنات، وهو أمر تعرض له المتكلِّمون والفلاسفة والمفسِّرون والمتصوِّفون في مناسبات شتَّى، كما جرى في هذا العصر على ألسنة العلماء والأدباء والباحثين الإسلاميِّين. حتَّى أصبح كالحقيقة، كما أنَّ بعض المستشرقين المتعصِّبين حاولوا أن ينفثوا سمومهم في هذه القضية؛ مستغلين بعض العبارات؛ ليتهموا الإسلام بالتحقير من شأن الإنسان.

ومن هنا أرى الأمر يحتاج إلى إيضاح لحقيقته، وكشف لغوامضه، حتَّى يكون السائل على بينة من الأمر.

وأودُّ أن أذكر السائل وقبله الكاتب الفاضل أن هذا القول «خلافة الإنسان لله في الأرض» ليس من مبتكرات الأدباء الإسلاميِّين المعاصرين، وليس أيضًا من مخترعات الغلاة من الصوفية، بل هو مروي عن سادات المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو أحد الرأيين أو الآراء المذكورة في معنى الخلافة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ولم يكد يخلو من ذكره كتاب من كتب التفسير في القديم أو الحديث. وأكتفي هنا بمقالين من كتب التفسير القديم:

الأول: ما ذكره ابن الجوزي في تفسيره: فقد ذكر في معنى خلافة بني آدم قولين أحدهما:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أنَّه خليفة عن الله تعالى في إقامة شـــرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه، وهذا قول ابن مسعود[١].

والثاني: ما قاله الفخر الرَّازي: القول الثاني: إنَّما ســـماه الله خليفة؛ لأنَّه يخلف الله في الحكم بين المكلَّفين من خلقه، وهو المروي عن ابن مســـعود وابن عبَّاس والســـدي، وهذا الرأي متأكـــد بقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦] [٢] اهـ.

وإذا كانت الآيات الكريمة تتحدث عن قصة آدم فإنَّ الســـياق يدلُّ على أن المرشح للخلافة هو وذريته من بعده، بدليل قول الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فإنَّهم لا يقصدون بقولهم هذا آدم عليه السلام، بـــل يقصدون به هذا النوع الجديد مـــن الخليقة بوجه عام بما عرفوا من طبيعة تكوينه، أو بقياســـه على من سبقه من سكان الأرض، أو بإعلام من الله لهم ـ على اختلاف الأقوال والاحتمالات في الموضوع.

ولست أريد هنا أن أرجح أحد القولين أو الأقوال في معنى «الخليفة» في الآية الكريمة؛ وإن كان سياق القصة، من إعلان الله لملائكته، مقدم هذا المخلوق الجديد قبل وجوده، وتعليمه الأسماء كلها، وإظهار تفوقه على الملائكة في اختبـــار علني، وأمر الملائكة بالســـجود لهذا الكائن الفريد، وجعل هذا السجود مرتبًا على قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] وطـــرد إبليس من رحمة الله، وتجليله

(١) زاد المســـير في علم التفســـير لابن الجوزي (٥٠/١)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) تفسير الرازي (٣٨٩/٢).

QaradawiBooks.com

باللعنة إلى يوم الدين، حين أبى أن يستجيب لأمر الله بسجود التحية والتكريم لهذا المخلوق. كل هذا قد يجعل النفس أميل إلى أن الإخبار الإلهي للملائكة بأنَّه جاعل في الأرض خليفة، لا يدلّ على أنه مجرد مخلوق يخلف من كان قبله من سكان الأرض، بل نختار ما قاله السيد صديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان» بعد أن ذكر الأقوال في المراد بالخلافة والخليفة: «والصحيح أنه إنَّما سُمِّي خليفة؛ لأنَّه خليفة الله في أرضه، لإقامة حدوده وتنفيذ قضاياه»[١].

ومعروفٌ أنَّ السيِّد صِدِّيق أحد المستمسكين بالسلفيَّة، وهو من علماء أهل الحديث المستقلِّين.

أقول: لست في مقام الترجيح، وحسْبي أنَّ هذا الرأي مأثور ومتكرر في مصادر التفسير، ولم يطعن فيه أحد ـ فيما أعلم ـ قبل الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم رحمهما الله، وإن كان ابن القيِّم أدنى إلى الرفق والاعتدال في القضية من شيخه. فقد عرض للمسألة في كتابه «مفتاح دار السعادة» وهو يشرح الحديث الَّذي رواه أبو نعيم وغيره، عن كميل بن زياد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في فضل العلم وأهله وحملته وفيه: أولئك خلفاء الله في أرضه ودعاته إلى دينه[٢].

قال: «قوله: أولئك خلفاء الله في أرضه؛ حجَّة أحد القولين في أنَّه يجوز أن يقال: فلان خليفة الله في أرضه» وساق حجج أصحاب هذا القول من القرآن والحديث، ثمَّ ساق دليل الطائفة الَّتي منعت هذا

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان (١٢٦/١)، نشر المَكتبة العصريَّة، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦١/١).

QaradawiBooks.com

الإطلاق ـ وهي الَّتي سنذكرها ونناقشها بعد ـ ثمَّ قال: «إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفة عنه، فالصواب قول الطائفة المانعة منها، وإن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممَّن كان قبله، فهذا لا يمتنع فيه الإضافة؛ وحقيقتها: خليفة الله الَّذي جعله خلفًا عن غيره. وبهذا يخرج الجواب عن قول أمير المؤمنين: أولئك خلفاء الله في أرضه»[(١)] اهـ.

وأنا من أكثر النَّاس إعجابًا بشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه المحقِّق ابن القيِّم، وبالثروة العلمية العظيمة الَّتي خلفاها لهذه الأمَّة، كما أقدِّر دوافعهما النبيلة الَّتي جعلتهما ينكران هذه الفكرة «خلافة الله» بعد أن غلا فيها بعض المتصوفة غلوا أفسدها، ولكنِّي أرى أن الأدلَّة الَّتي اعتمدا عليها في منع القول بخلافة الإنسان لله في الأرض، ليست قاطعة ولا راجحة.

وعمدة أدلَّتهما هنا أمران:

أحدهما: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه حين قالوا له: يا خليفة الله، قال: لست بخليفة الله، ولكنِّي خليفة رسول الله ﷺ، حسبي ذلك[(٢)].

الثاني: أنَّ الخليفة من يقوم مقام غيره... والله تعالى لا يجوز أن يكون أحد خلفًا عنه؛ لأنَّه لا سَمِيَّ له ولا كفء، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره. كما في حديث: «**اللهمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل**»[(٣)].

وبالنظر في الدليل الأول نجده قيل في مقامٍ معيَّن له خصوصية ينفرد بها عن سواه؛ ذلك هو مقام الإمام الأعظم الَّذي بويع رئيسًا للدولة بعد

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١٥٢/١).

(٢) رواه أحمد (٥٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٣) رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣١١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

رسول الله؛ ومظنة الغلو في مثل هذه الحالة قائمة ومعروفة لدى كثير من الأمم، الَّتي ورث المسلمون ملكهم، وأقربهم الفرس: الَّذين يُضفون على ملوكهم ورؤسائهم نوعًا من التقديس والتأليه، وأبو بكر رضي الله عنه ـ مع أنه رئيس دولة ـ صاحب عقيدة، يريد لها أن تسود وأن تظل سليمة من التشويه والتحريف، وتخصيصه وحده ـ دون المسلمين جميعًا ـ بأنَّه خليفة الله، يخشى منه أن يكون غلوًّا في التعظيم الَّذي ينفرد به الحُكَّام عادة. لهذا رفضه رضي الله عنه، واكتفى بأنَّه خليفة رسول الله ﷺ ولهذا قال: «حسبي ذلك» فهذا التعقيب منه يدلّ على ما ذكرناه. وقد ورد أن أحد الشعراء خاطب أبا بكر بقوله:

أخليفةَ الرحمنِ إنَّا معشرٌ حُنفاءُ نسجدُ بكرةً وأصيلَا
عَرَبٌ نَرَى لله في أموالِنا حقَّ الزكاةِ مُنزَّلًا تنزيلَا[1]

وسواء بلغ هذا الشعر أبا بكر أم لم يبلغه، فقد قيل في عصر أبي بكر، ولم يُنقل إلينا أنَّ أحدًا من الصحابة أنكره.

وبذلك يَبِينُ لنا أنَّ عبارة أبي بكر ليست نصًّا في إنكار خلافة الله العامَّة لكلِّ البشر؛ لأنَّها سيقت في مناسبة خاصَّة لغرضٍ خاصٍّ.

ونظير هذا ما رُوي عن أبي ذرٍّ أنَّه أنكر على معاوية أن يُسمي مال الخزانة الإسلاميَّة «مال الله» وأصرَّ على أن يُسمِّيه «مال المسلمين» مع أنَّ إضافة المال إلى الله تعالى واردة في القرآن الكريم: ﴿**وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ**﴾ [النور: ٣٣]، ولكنَّه هنا خشي أن تهون كلمته «مال الله» من حق أفراد الجماعة في المال، فتمتدُّ إليه يد وليِّ الأمر في غير مصلحة المسلمين: أصحاب المال الحقيقيِّين.

(١) من شعر عبيد الراعي. انظر: جمهرة أشعار العرب صـ ٧٣٦، نشر نهضة مصر.

QaradawiBooks.com

والذي يعنينا هنا أنَّ العبارة، قد تكون جائزة في نفسها، ولكن يأتي اعتبار معقول، يمنع استعمالها في مقام معيَّن.

وبالنظر إلى الدليل الثاني: لا نسلم أنَّ الخلافة عن الله تستلزم أن يكون الإنسان سميًّا لله وكفوًا، تعالى الله عن ذلك؛ فإنَّ الخليفة هو الوكيل والنائب، ولله تعالى أن يوكل من يشاء من خلقه فيما شاء من أمره، كما وكل ملائكته في بعض شؤون خلقه، وكما أناب الإنسان في تنمية المال وإنفاقه، على ما يرضي الله سبحانه مالك المال وصاحبه الحقيقي، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

قال الزمخشري في تفسير الآية: يعني أن الأموال الَّتي في أيديكم إنَّما هي أموال الله؛ بخلقه وإنشائه لها، وإنَّما موَّلكم إياها وخوَّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلَّا بمنزلة الوكلاء والنوَّاب[1] اهـ.

وقد شاع بين جمهور المسلمين حديث قدسي يقول: «**المال مالي، والفقراء عيالي والأغنياء وكلائي، فإذا بخل وكلائي على عيالي أذقتهم وبالي ولا أبالي**» وليس لهذا الحديث سند يعرف، ولكن معناه لا غبار عليه، وتلقيه بالقبول يدلُّ على أن فكرة الاستخلاف في مال الله عميقة الجذور في عقليَّة المسلمين.

وقد أصبحت هذه الفكرة أساسًا لما عليه المفكرون الإسلاميون في هذا العصر، لتوضيح معالم نظرية الإسلام الاقتصادية.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم الزمخشري (٤/٤٧٣)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

QaradawiBooks.com

وابن القيم نفسه بعد أن رجَّح عدم الجواز بأن يقال: «إن أحدًا وكيل الله؛ لأن الوكيل من يتصرف عن موكله بطريق النيابة، والله ﷻ لا نائب له» عاد فقال: «على أنَّه لا يمتنع أن يطلق ذلك باعتبار أنَّه مأمورٌ بحفظ ما وكله فيه ورعايته والقيام به»[١].

والخلاصة: إنَّ القول بالخلافة لله في حدِّ ذاته ليس خطأً ولا خطرًا، ولا يؤدِّي إلى كلِّ هذا الانزعاج، وإن في استطاعتنا أن ننتفع بهذه الفكرة، ونجرِّدها من تحريف الغلاة من الصوفيَّة، ونبرز بها نظرة الإسلام إلى الإنسان، وموضعه الرفيع في هذا الكون، في مقابل النظرات المادية الحديثة الَّتي هبطت به إلى أسفل سافلين، وجعلته من أحفاد القردة، وأقارب الخنازير.

إنَّ الخلافة عن الله توحي بأمور أربعة ليس منها، ولا في واحد منها ضرر ولا خطر على الإنسان، بل فيها الخير الكثير لمن تدبَّرها:

أولها: أنَّ الإنسان ليس مطلق التصرف في هذا الكون، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يُسأل عمَّا يفعل، ولا يُحاسب على ما يحكم، إنَّما هو مخلوق مُستخلَف من خالق الكون وخالقه، مُوكَّل بأن يَعْمُره ويتصرَّف فيه؛ وَفْق أمر موكِّله وإرشاد مستخلِفه.

ثانيها: أنَّ الله قد أعطاه شرفًا عظيمًا بهذه المنزلة، الَّتي خصَّه بها دون سائر المخلوقات العلويَّة والسفليَّة، شرفًا غبطته عليه الملائكة المقرَّبون، وعبَّر عنه الإمام الرازي بقوله: إن الله جعل آدم خليفة له[٢]. ومعلوم أن أعلى النَّاس منصبًا عند المَلِك من كان قائمًا مقامه في الولاية والتصرُّف وكان

(١) مدارج السالكين (١٢٦/٢).
(٢) تفسير الرازي (٤٤٣/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

خليفة له... وهذا متأكد بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ثمَّ أكَّد هذا التعميم بقولـه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقـرة: ٢٩]، فبلغ آدم في منصب الخلافة أعلى الدرجات، فالدنيا خلقت متعة لبقائه، والآخرة مملكة لجزائه، وصارت الشـياطين ملعونين بسـبب التكبُّر عليه، والجنُّ رعيته، والملائكة في طاعته والسـجود والتواضع له، ثمَّ صار بعضهم حافظين له ولذريته، وبعضهم منزلين لرزقه، وبعضهم مستغفرين له.

ثالثها: أنَّ هذا الإنسـان المسـتخلَف لا بدَّ أن يكـون قد أُعطي من الطاقات والمواهب وهُيِّئ له من الأسباب والمُعِينات والآلات ما يمكنه من القيام بحق هذه الخلافة، وإلا كان اسـتخلافه في هذه الأرض عبثًا يتنزه عنه الإله العليم الحكيم.

ولعلَّنا نلمح من هذه المواهب موهبة العلم والمعرفة الَّتي برزت في تعلم آدم للأسماء كلها بتعليم الله ﷻ.

كما نجد الوسائل المُعِينة على مهمة الخلافة في مثل قوله تعالى في الآية السـابقة لقصة اسـتخلاف آدم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، أو في آيات أخرى مثل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

رابعها: أنَّ الإنسان الَّذي لا يقوم بحق هذه الخلافة ولا يرعى أمانتها، لا يستحق أن يحظى بشرف اسمها، وحمل عنوانها، ووجب أن يسحب منه لقب «خليفة الله» فخلفاء الله هم المؤمنون الصادقون المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

QaradawiBooks.com

وأخيرًا: فإنَّ في ديار العرب والمسلمين اليوم من المذاهب المنحرفة، والأفكار الهدَّامة، والعقائد المستوردة، والفرق الباطنية المناوئة للإسلام وأُمَّته، ما هو أولى بأن توجه إلى مقاومته جهود العلماء والكتَّاب والمفكِّرين، من الغيورين على عقيدة الإسلام، وشريعة الإسلام، وأمَّة الإسلام.

نسخة مجانية
غير مخصص للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

أسئلة من إيران حول قضايا عقدية وفكرية حساسة

السؤال الأول: مع أنَّ التقليد أو أنَّ ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٤]، في الاعتقادات في الإسلام ممنوع، هل يخلي الإسلام الإنسان ونفسه أن يتفكر في الأديان السماوية وينتخب منها دينًا، أي دين، يذعن بأن الله خالق واحد، ويطالب أبناءه أن يكونوا كالبنيان المرصوص، معتقدين بيوم الآخرة؟

إن قلت: لا، فتضاد وتصادم مع حرية الإنسان والعقل، ومع الآيات الدالة على حرية الأديان كالآية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨]، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، وغيرها.

السؤال الثاني: إن كان أحدٌ تجدد له النظر في «أمر مجمع عليه في الدين» مثلًا ـ رجم المحصنين والمحصنات ـ أو في قطع يد السارق والسارقة، أو في قصاص الأعضاء والأنفس، أو أمثال تلك، ثمَّ يقول بتفسيرات أخرى وأنكر الأولى. لماذا يُحكم الإسلام عليه بالردة، ويُضرب عنقه؟ مع أنه جُوزي بمجازاة تناسب الوضع الحالي لتلك الجريمة. وما رأيكم فيما قاله العالم الشيخ: سيد سابق في كتابه: «فقه

QaradawiBooks.com

السنة» بما خلاصته: أنَّ الإسلام دين ونظام. ومخالفة النظام في كل دولة (الشيوعية أم الرأسمالية) ثورة عليه وخيانة مجازاتها الإعدام اهـ.

فهذا التوجيه كما نشاهد (مع وجود الأحزاب المخالفة للأنظمة الموجودة حاليًا في الدول الراقية) سفسطة منه رَحِمَهُ اللَّهُ، لا يعفى عنها اهـ.

وإذا كان ترك الصَّلاة متعمدًا أو الزكاة كذلك يكفر صاحبه ويحكم عليه بالردة ويقتل، فما معنى الحرية في هذا الدين؟ فما عدد القتلى منهم؟ فقد يزيد على الملايين، وما الحكمة من تلك المجازاة؟ مع أن التشديد في النفسيات والمعنويات، حسب التحقيقات السيكولوجية: يثير النفور والانزجار، ويخلق المنافقين والمنافقات حفظًا لأنفسهم.

السؤال الثالث: هل يبعث «ولي المسلمين» كلَّ سنة عدَّة مسلحين إلى بلاد الكفرة للجهاد. فإن آمنوا وإلا فالجزية، إن قلتم: نعم. أليس معنى هذا أنَّ الإسلام دين لا يستطيع أن يتعايش سلميًا، وما أخذ بالسيف فبالسيف يردّ؟

أليس هذا منافيًا لحرية العقل، وحرية الإنسان، وحرية الأديان؟

السؤال الرابع: أسس العالم الحديث النُّظم الثقافية والاجتماعية، والاقتصادية وغيرها. وإن قدمت المعتزلة العقل والشرع؛ هل يرخص للعقل أن يتجاوز الخطوط المعيّنة قبل ألف ونيف من الزمن؟ إن قلتم: لا. فما تجيبون عن أنّ الإسلام دكتاتورية، يقيد أبناءه في حصار. دين ركود وقعود، ويعيِّن في المسألة الحالية الموجودة الآن: حُكما وضعه منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة. فلمثل هذا يرى المعاندون أن البلاد الَّتي استولى عليها الإسلام بسبب حكومة تلك القوانين السالفة اللامتغيرة، تعيش بدوية عارية عن الحضارة والتقدم؛ فقيرة، بقيت على

QaradawiBooks.com

كسوة العصر الحجري. إن شـئت قايس البلاد مع بلاد الكفرة: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك: ٣، ٤].

سماحة الشيخ برجاء التكرم بالإجابة على هذه الأسئلة مكتوبة؛ لأنَّها أسئلة وشبهات تؤرقنا وتضعف عقيدة البعض منا. جزاكم الله خيرًا.

(س. ع. ل)

طهران

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

جواب السؤال الأول:

التقليد والحرية في أمور العقيدة:

من قرأ القرآن بتدبـر وعناية؛ اتضح له بكل جـلاء؛ أنَّه يعمل على إنشـاء العقلية العلمية الَّتي ترفض اتباع الظن، واتبـاع الهوى، والتقليد الأعمى، سـواء كان للآباء أم الكبراء أم لعامة النَّاس، والتي تقوم على إعمال النظر في ملكوت السـماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، والتفكر في خلق السـماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، ومصاير الأمم، وآيات الله في الأنفس والآفاق.

ولهذا ذهب المحقِّقون من علماء التوحيد إلى أنَّ إيمان المقلد تقليدًا مطلقًا لا يُقبل في باب العقائـد وأصول الدين، بل لا بدَّ أن يعلم الدليل

QaradawiBooks.com

ولو كان إجماليًّا، ولو لم يحسن ترتيبه والتعبير عنه بلغة أهل العلم، وهو ما لمسته لدى كثير من العوام، فعندهم أدلة إجمالية على عقائدهم.

ولا يقبل القرآن أن تؤسس العقائد الأصلية على الظن، بل ذم المشركين على ذلك حين قال: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وفي مقام آخر: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦].

ولهذا نادى القرآن المشركين وأهل الكتاب قائلًا: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١، النمل: ٦٤].

وإذا كان هذا هو توجيه القرآن لإعمال العقل والفكر في البحث عن الحقيقة، فماذا يكون الموقف إذا واصل العقل بحثه وتفكيره وتأمله، حتَّى انتهى به إلى أن التثليث الَّذي جاءت به النصرانيَّة هو الصواب، والتوحيد الَّذي جاء به الإسلام هو الخطأ؛ وأن التشبيه الَّذي جاءت به اليهوديَّة هو الحق، وأن التنزيه ـ أي تنزيه الله عن مشابهة خلقه ـ الَّذي جاء به الإسلام هو الباطل؛ وأن ما جاءت به التوراة الحالية من تلويث صورة الأنبياء وسيرتهم هو الهدى، وما جاء به الإسلام من عصمة الأنبياء هو الضلال، وأن أسفار التوراة وما فيها من تحريفات أثبتها أحرار الأوربيين أنفسهم: كتاب حق، وأن القرآن الَّذي نزل على محمَّد كتاب باطل. إذا افترضنا أنَّ باحثًا انتهى إلى هذه النتائج، بعد طول دراسةٍ وتأمُّل وتحليلٍ وموازنة، فهل يُقِرُّه الإسلام على ما وصل إليه من نتائج، أو يعتبره كافرًا مأواه جهنم وساءت مصيرًا؟

بل أكثر من هذا إذا انتهى بالباحث بحثه إلى أنَّ الوثنية خير من التوحيد، وأن عبادة البقر، أو عبادة الحجر، أو غيرها من الآلهة هي

QaradawiBooks.com

الدين الحق، وأن عبادة الله الواحد هـي الدين الباطل؟! بل إذا انتهى به البحث إلـى التعطيل والجحـود المطلق، وأن لا ربَّ للكـون، ولا إله للعالم، وأن الأديان السماوية والوضعية كلها باطل في باطل، ماذا يكون الموقف؟ وهل هذا الإنسان ناج في الآخرة، أو لا؟!

لم يتصور جمهور علماء المسـلمين أن ينتهـي البحث بعالم مفكر متأمل منصف إلى هـذه النتيجة أبدًا؛ لأن الإسـلام فـي نظرهم يمثل الحقيقة الجلية الَّتي لا يرتاب فيها عقل، وهي ملائمة للفطرة السـليمة، موافقة للعقل الصريح، ويؤيده المنطق السليم.

ومع هذا افتـرض بعضهم: أن يصل واصل إلى هـذه النتيجة، فقال الجاحظ[1] علَّامة المعتزلة وأديبهم: إن بذل جهده، واسـتفرغ وسعه في البحث عن الحقيقة في العقائد والأصول، أو العقليات ـ كما يسـمونه ـ ولكنَّه أخطأ الوصول إليها، فلا إثم عليه؛ إذ لا يكلَّف غير ما في وسعه؛ إنَّما الإثم على من عرف وعاند.

فعنده أنَّ الحق واحد في هذه الأصول، ولكن المخطئ فيها غير آثم، كما قال الزركشي.

كما حكوا عن القاضي عبيد الله بن الحسـن العنبـري أنه قال: كل مجتهد في العقليات مصيب.

قال ابن السـمعاني: وكان العنبـري يقول في مثبتـي القدر: هؤلاء عظموا الله، وفي نافي القدر: هؤلاء نزَّهوا الله، وقد استُبشـع هذا القول منه، فإنه يقتضي تصويب اليهود والنَّصارى، وسائر الكفَّار في اجتهادهم،

(١) النقل من إرشاد الفحول، وسـيأتي العزو إليه، وذكره أيضا الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه (٢٧٦/٨) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

قال: ولعله أراد أصول الديانات الَّتي اختلف فيها أهل القبلة، كالرؤية، وخلق الأفعال، ونحوه.

وأمَّا ما اختلف فيه المسلمون وغيرهم من أهل الملل، كاليهود والنَّصارى والمجوس؛ فهذا ممَّا يقطع فيه بقول أهل الإسلام.

قال القاضي في «مختصر التقريب»: اختلفت الروايات عن العنبري، فقال في أشهر الروايتين: إنَّما أصوب كل مجتهد في الدين تجمعهم الملة، وأما الكفرة فلا يصوبون. وفي رواية عنه أنه صوَّب الكافرين المجتهدين دون الراكبين البدعة.

قال: ونحن نتكلَّم معهما ـ يعني العنبريَّ والجاحظ ـ فنقول: أنتما **أولًا**: محجوجان بالإجماع قبلكما وبعدكما.

ثانيًا: إن أردتما بذلك مطابقة الاعتقاد للمعتقد؛ فقد خرجتما عن حيز العقلاء، وانخرطتما في سلك الأنعام، وإن أردتما الخروج عن عهدة التكليف، ونفي الحرج، كما نقل عن الجاحظ؛ فالبراهين العقلية من الكتاب والسُّنَّة والإجماع، الخارجة عن حدّ الحصر ترد هذه المقالة.

أما تخصيص التصويب بأهل الملة الإسلاميَّة فنقول: ممَّا خاض فيه المسلمون القول بخلق القرآن، وغير ذلك ممَّا يعظم خطره، وأجمعوا قبل العنبري على أنه يجب على المرء إدراك بطلانه.

وقد حكى القاضي أيضًا في موضع آخر عن داود بن علي الأصفهاني، إمام مذهب الظاهر، أنه قال بمثل قول العنبري.

وحكى قوم عن العنبري والجاحظ أنهما قالا ذلك فيمن علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق، من أهل ملتنا وغيرهم، وقد نحا الغزالي قريبًا من هذا المنحى في كتاب «التفرقة بين الإسلام والزندقة».

QaradawiBooks.com

وقال ابن دقيق العيد: ما نُقل عن العنبري والجاحظ... إن أراد أنَّ كلَّ واحد من المجتهدين مصيب لما في نفس الأمر؛ فباطل، وإن أريد به أن من بذل الوسع، ولم يقصر في الأصوليَّات؛ يكون معذورًا غير معاقب؛ فهذا أقرب؛ لأنَّه قد يعتقد فيه أنه لو عُوقب، وكلف بعد استفراغه غاية الجهد؛ لزم تكليفه بما لا يطاق[١].

قال: وأما الَّذي حُكي عنه من الإصابة في العقائد القطعية؛ فباطل قطعًا، ولعلَّه لا يقوله إن شاء الله تعالى.

وأمَّا المخطئ في الأصول كالمجسِّمة: فلا شكَّ في تأثيمه وتفسيقه وتضليله.

واختلف في تكفيره. وللأشعري قولان. قال إمام الحرمين وابن القُشَيري وغيرهما: وأظهر مذهبه ترك التكفير، وهو اختيار القاضي في كتاب «إكفار المتأوِّلين».

وقال ابن عبد السلام: رجع «الإمام أبو الحسن» الأشعري عند موته عن تكفير أهل القبلة؛ لأنَّ الجهل بالصفات ليس جهلًا بالموصوفات[٢].

قال الزركشي: وكان الإمام أبو سهل الصعلوكي لا يكفِّر، فقيل له: أَلَا تكفِّر من يكفِّرك؟ فعاد إلى القول بالتكفير. وهذا مذهب المعتزلة، فهم يكفرون خصومهم، ويكفر كل فريق منهم الآخر.

وقد حكى إمام الحرمين عن معظم أصحاب الشافعي ترك

(١) إرشاد الفحول (٢/٢٢٨، ٢٢٩)، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) البحر المحيط (٨/٢٨٠).

QaradawiBooks.com

التكفيـــر، وقالوا: إنَّما يكفر من جهل وجود الـــربِّ، أو علم وجوده، ولكن فعل فعلًا، أو قال قولًا أجمعـــت الأمَّة على أنه لا يصدر ذلك إلَّا عن كافر[١] انتهى.

والذي أراه في هذه القضية: أنَّ الجاحظ لم يحد عن الصواب فيما ذهب إليه؛ إذ ليس على المكلف إلَّا أن يبذل وسعه، كما قال القرآن الكريم: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقـرة: ٢٨٦]، ولا يكلف الإنسان أن يؤمن بغير ما اقتنع به عقله واطمأن إليه قلبه، فهو معذور، حتَّى وإن أخطأ الطريق إلى الحق؛ لأنه عمـــل ما عليه. وإلا كلفنـــاه بما لا يطيق، وقـــد كان من أدعية المؤمنيـــن في خاتمـــة ســـورة البقـــرة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وصحَّ في الحديث أنَّ الله سبحانه قد استجاب هذا الدعاء[٢].

وإنَّما أنذر القرآن بعذاب الله: من عرف الحق بأدلته وأماراته، ثمَّ حاد عنه عامدًا صـــادًّا عن ســـبيله، متَّبعًا لهـــواه، أو مؤثرًا لدنيـــاه، أو لغير ذلك من الدواعي، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فهذا لم يستحقَّ أن يَصْلَى جنَّهمَ إلَّا من بعد مشاقته للرسول، من بعد ما تبيَّن له الهدى، واتِّباعه غير سبيل المؤمنين.

ومثله من كفر مـــن أهل الكتاب بعـــد ظهور الحق لـــه جليا بأدلته وبراهينه، كالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

---

(١) إرشاد الفحول (٢/٢٢٩، ٢٣٠).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٢٥)، وأحمد (٩٣٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

على أنَّ هذا كله في أمور الآخرة والنجاة والعذاب، أمَّا في أحكام الدنيا فكل من لم يؤمن برسالة محمَّد ﷺ فهو كافر في نظر المسلمين؛ لأنَّنا نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

جواب السؤال الثاني:

مجالات الاجتهاد وحدوده:

يرحِّب الإسلام بتجديد الدين والاجتهاد فيه، وقد ثبتت شرعية التجديد بحديث رسول الله ﷺ الَّذي رواه أبو داود وغيره عن أبي هُرَيْرة: «**إنَّ الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمَّة من يجدِّد لها دينها**»[(١)].

كما أنَّ باب الاجتهاد في استنباط أحكام الشريعة لا يزال مفتوحًا إلى يوم القيامة؛ لأنَّه بابٌ فتحه الله ورسوله، لا يملك أحد أن يغلقه.

ولا يزال المسلمون يحتاجون إلى من يجتهد لهم فيما يجدُّ من مشكلات، مراعيا جزئيات النصوص، وكليات المقاصد، كما يراعي الواقع المعيش، فيحقِّق باجتهاده مقاصد الشَّرع، ومصالح الخلق.

ومن روائع هذا الدين: أنَّه لم يؤثم من اجتهد فأخطأ، بل هو معذور فيما أخطأ فيه، وأكثر من ذلك: أنه مأجور فيما أخطأ فيه أجرًا واحدًا، كما ثبت في الحديث الصحيح[(٢)]. ولا أحسب دينًا يحثُّ على الاجتهاد مثل هذا الحث، حتَّى إنَّه ليثيب المجتهد المخطئ.

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٥٤.

QaradawiBooks.com

ومن هنا يرحِّب الإسلام بتعدد الاجتهادات فيه، واختلاف المدارس والمذاهب في فقه الشريعة، فهناك مدرسة الرأي والنظر، وهناك مدرسة الحديث والأثر، وهناك المدرسة الظاهرية. وكلها وسعها الفقه الإسلامي، ووسعتها الشريعة الإسلاميَّة.

ولقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان، واختلف بعدهم الأئمَّة المتبَعون، فما ضرهم هذا الاختلاف شيئًا، ولا أدى بهم إلى العداوة والبغضاء أو التفرق المذموم، بل ظلوا إخوة متحابين، يحبُّ بعضهم بعضًا، ويوالي بعضهم بعضًا، ويصلِّي بعضهم وراء بعض، ويقفون صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص في مواجهة أعداء الإسلام.

ولقد قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في اختلاف الصحابة: ما وددت أن الصحابة لم يختلفوا؛ لأنَّهم لو كانوا قولًا واحدًا لكان النَّاس في ضيق[1].

كل ما يُهمُّنا أن ننبِّه عليه هنا: أن الاجتهاد المشروع هو المطلوب في الدين: لا بدَّ أن يكون من أهله وفي محله.

وهذا قيد مهم، وليس من التحكم ولا من الدكتاتورية، أو من تسلط رجال الدين، أو احتكارهم، كما يحاول البعض أن يصوره.

فكل علم في الدنيا له أهله المتخصصون فيه، المعبرون عنه، العارفون بدقائقه، المميزون بين حقائقه وأباطيله، ولا يقبل هؤلاء أن يأتي بعض الدخلاء أو المزورين، فيقتحم عليهم عرينهم، ويفتي فيما هم أهله، بلا بينة.

(١) الاعتصام للشاطبي (٩٦/٣).

QaradawiBooks.com

لا يقبل المهندسون أن يفتي في شؤونهم الأطباء أو الاقتصاديون أو المحامون، ولا يقبل الأطباء أن يفتي في طبهم المهندسون أو غيرهم من المهنيين.

بل لا يقبل طبيب جراح أن يفتي في أمر جراحته طبيب باطني، بل لا يقبل جراح الأعصاب، أن يتدخل في فنه جراح المسالك البولية، فقد توسع الطب حتَّى أصبح اختصاصات شتّى، كل منها علم برأسه.

فلماذا يُسمح لعلم الدين أو علم الشريعة وحده: أن يفتي فيه كل من هبَّ ودبّ ودرج من الناس؟

فمن هم أهل الاجتهاد؟

هذا أمر بحثه الأصوليُّون وفصَّلوه في «علم أصول الفقه»، هذا العلم الَّذي ابتكره المسلمون ـ على غير مثال سبق ـ ليضبطوا به الاجتهاد فيما فيه نص، أو فيما لا نص فيه، وكان لهم في هذا العلم صولات وجولات، منذ عهد الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) فما بعده، ووضعوا فيه من القواعد العلمية واللغوية والشرعيَّة: ما يعد من مفاخر التراث الإسلامي، حتَّى إن الشيخ مصطفى عبد الرازق ـ وهو يؤرخ للفلسفة الإسلاميَّة ـ اعتبر علم أصول الفقه، أدل على الفلسفة الإسلاميَّة الحقة من فلسفة الكندي والفارابي وابن سينا وغيره من تلاميذ «المدرسة المشائيَّة الإسلاميَّة».

اشترط علماء الأصول في «المجتهد»: أن يكون عالمًا ـ بل راسخ العلم ـ بالقرآن والسُّنَّة، فهما المصدران الأساسيان للإسلام، وأن يكون عالمًا ـ بل راسخ العلم ـ باللغة العربية؛ لأنَّها لغة القرآن والسُّنَّة، وأن يكون عالمًا بأصول الفقه ومقاصد الشريعة، وخصوصًا القياس والعلة وسائر الأدلَّة مثل: الاستحسان والمصلحة المرسلة والاستصحاب والعرف وغيرها.

QaradawiBooks.com

وأن يكون ممارسًا للفقه، غوَّاصًا فيه، مطلعًا على اختلاف العلماء، وتعدُّد مشاربهم، وسبب اختلافهم، فقد قال السلف: من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه[١].

وبهذا يكسب معرفة مواضع الإجماع الفقهي، فلا يخرج عنها، ومواضع الاختلاف فيتخير منها، ويرجح بالدليل ما يراه أرجح ميزانا، كما يكتسب من هذه الممارسة وهذا الغوص: ملكة الفقه. وهذه لا تأتي لكل من قرأ بعض الكتب؛ دون أن يتعمق ويغوص في أسرارها.

فأما ومَن لم يعرف قرآنًا ولا سنة، ولم يتذوق أسرار العربية، ويعرف نحوها وصرفها ومفرداتها، ومَن لم يعرف أصول الفقه، ولا مقاصد الشريعة، ومَن لم تتكون عنده ملكة الفقه والاستنباط فكيف يعتمد عليه في فهم دين الله؟

وكيف يؤخذ برأيه في المسائل العويصة؟

هذا بالنسبة للشق الأول من القيد الَّذي قيدنا به الاجتهاد، وهو أن يكون من أهله.

بقي الشق الثاني، وهو أن يكون في محله، ومحل الاجتهاد هو: الظنيات من الأحكام، أمَّا «القطعيَّات» فلا مجال للاجتهاد فيها[٢]؛ لأنَّها تمثِّل «الثوابت» الَّتي ترجع إليها المتغيرات، سواء كانت ثوابت فيما يتعلق بالعقيدة، أم فيما يتعلق بالشريعة، أم فيما يتعلق بالقيم الأخلاقية.

(١) الموافقات للشاطبي (١٢٢/٥)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) انظر: شرح التلويح على التوضيح، لسعد الدين التفتازاني (٢٣٦/٢)، نشر مكتبة صبيح، مصر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة رقمية
QaradawiBooks.com

وكل دين وكل نظام، لا بدَّ له من «ثوابت» يحوطها بأسوار منيعة، لا يجوز اختراقها، ومن فضل الإسلام: أن قلل الثوابت، وضيق دائرتها، فهي قليلة جدًّا، ولكنها مهمة جدًّا، ولولاها لغدا الإسلام عجينة طرية يشكلها من يشاء كما يشاء، ولم يعد لدينا إسلام واحد، بل إسلامات متعددة، بتعدد البيئات، وبتعدُّد الأعصار، بل بتعدد الأشخاص، فكلما أُعجب الإنسان برأي تمسك به وضمه إلى الإسلام بهواه، وهذا خطر ماحق.

فلا بدَّ للنَّاسِ من أصول يتمسكون بها، وقواطع يحترمونها، وأساسيات يرجعون إليها، ومصادر قطعية يحتكمون إليها إذا اختلفوا.

فإذا كان المرء من أهل الاجتهاد، فلن يخرج على الأصول المتفق عليها في البحث والاستنباط ومنها: عصمة الأمَّة في مجموعها، وخصوصًا في عصورها الأولى. وإن كان له رأي شاذٌّ عرضه على الراسخين من علماء الأمَّة، فإن قبلوه فبها، وربَّما عدّلوه وحوّروا فيه حتَّى يُقبل، وإن رفضوه وجب أن يحترم إجماع أهل الذكر: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

أمَّا مَن لم يكن من أهل الاجتهاد، وأقحم نفسه فيما لا يحسنه، فلا بدَّ أن نبين له خطأه، وأنه قال على الله بغير علم، وأنه ينبغي أن يحتفظ برأيه لنفسه، ولا يدعي عصمة نفسه، وخطأ الأمَّة جميعًا، وعليه أن يعود إلى أولي الذكر والخبرة: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

QaradawiBooks.com

جواب السؤال الثالث:

غزو المسلمين لبلاد الكفار:

غزو بلاد الكفَّار المجاورين للمسلمين، في كل سنة مرة: أمر قال به جمهور الفقهاء، واعتبروه فرض كفاية على الأمَّة، وهو الَّذي يسمُّونه «جهاد الطلب» أي طلب العدو في عقر داره، بخلاف جهاد الدفع، وهو الجهاد الَّذي يدفع به المسلمون عدوًّا غزا بلادهم أو هددها، ويعد فرض عين على كل أهل البلد، والآخر كما قلنا فرض كفاية. وهذا الغزو أو الجهاد بالنسبة للكفار الَّذين ليس بينهم وبين المسلمين عهد، والذين يُخاف من شرهم وكيدهم للمسلمين، فهو نوع من «الحرب الوقائيَّة» كما تُسمَّى اليوم.

وكان هذا من الفقهاء الَّذين قالوا به، نزولًا على حكم الواقع الَّذي يعيشه العالم في ذلك الوقت، كالمناوشات الَّتي كانت تقع بين المسلمين وبين دولة الروم البيزنطية، لإشعارهم أنَّ المسلمين أقوياء، وأن لحمهم مرٌّ، وأن حماهم لا يستباح.

فإذا تغيرت هذه الأوضاع إلى أوضاع أخرى، كما نشاهد في عصرنا، حيث دخلت دول العالم ـ ومنها الدول الإسلاميَّة ـ «ميثاق الأمم المتحدة» الَّذي يقرِّر فيما يُقرِّر: احترام سيادة الدولة الإقليمية، ويفرض على كل المشاركين في هذه المنظمة: حل النزاعات فيما بينها بالطرق السلمية. حينئذ لم يعد مجال لما قال به جمهور الفقهاء؛ لأنّ ميثاق الأمم المتحدة الَّذي رضيه المسلمون، وانضووا تحت لوائه: لا يجعل هناك مجالًا لغزو الآخرين، وإرسال مسلحين للدخول في أرضهم بغير إذنهم.

QaradawiBooks.com

وقد قال المحقِّقون من علمائنا: أنَّ الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، والحال والعرف وغيرها[١]، وقالت مجلة الأحكام في إحدى موادها: لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان[٢].

على أنَّ هنا حقيقتين مهمتين يجب أن أسجِّلهما وأجليهما:

الأولى: أنَّ القول بأنَّ «جهاد الطلب» فرض كفاية على الأمَّة: أن تقوم به في كل سنة مرة؛ ليس أمرًا مجمعًا عليه، وإن اشتهر عند المتأخِّرين حتَّى كأنَّه الرأي الوحيد أو الإجماع الثابت، فالواقع: أنَّ هناك من الصحابة والتابعين من رأى هذا النوع من الجهاد مجرد تطوَّع ونافلة، وليس فرضًا بحال، منهم: عبد الله بن عمر من الصحابة، وعمرو بن دينار من التابعين، وابن شبْرُمة والثوريُّ من الفقهاء[٣].

ولا حرج علينا إنْ رجَّحنا رأي هؤلاء، ووجدنا أنه هو الأقرب إلى النصوص والأليق بتحقيق مقاصد الشَّرع، ومصالح الخلق.

وهو ما نقلته ـ والحمد لله ـ في كتابي «فقه الجهاد» الَّذي أكرمني الله تعالى بتأليفه.

الثانية: أنَّ هناك من الفقهاء من فسَّر تحقيق فرض الكفاية الَّذي قال به الجمهور؛ بما يغنينا عن إرسال جنود مسلحين إلى أرض الكفَّار كل سنة، وهذا ما وضحه فقهاء الشافعية المعتمدون في كتبهم المشهورة في المذهب، أمثال الإمام الرافعي في كتابه الشهير: «فتح العزيز في شرح

---

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية (١٥٧/٤)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) انظر: المادة (٣٩).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب للنووي (٢٦٨/١٩، ٢٦٩)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

الوجيز» الَّـذي اختصره الإمام النووي وعقب عليـه في كتابه المعروف «روضة الطالبين».

كما قرَّره النووي في كتابه «منهاج الطالبين» الَّذي أصبح العمدة في المذهب الشافعي للمتأخرين، وشرحه الكثيرون، من أبرزهم العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه: «تحفة المحتاج في شرح المنهاج» وبعده العلامة شمس الدين الرملي في كتابه «نهاية المحتاج شرح المنهاج».

وهؤلاء جميعًا ذكروا: أنَّ فرض الكفاية في الجهاد يتحقَّق بامتلاك قوة عسـكرية ترهب الأعداء، بحيث يوجد في الثغـور الَّتي على حدود بلاد الأعداء: قوات حربية ملائمة، معها أسلحة مكافئة لسلاح الأعداء، مدربة على اسـتخدامها، قادرة على ردعهم لو فكروا في غزو المسـلمين. فهذا «الوجود العسكري» القوي المرهوب يكفي لإثبات وجود القوة الإسلاميَّة، ويغني عن إرسـال مسلحين في كل عام لمناوشـة الكفار، والدخول إلى أراضيهم. وهذا ما وضحته أيضًا بحمد الله في كتابي «فقه الجهاد».

جواب السؤال الرابع:

مهمة العقل من الشرع:

أؤكد للأخ السائل: أنَّ المعتزلة والشيعة الإمامية، والزيدية والإباضية، شأنهم شأن أهل السُّنَّة جميعًا، أشاعرة وماتريدية وحنبلية وغيرهم؛ كلهم يؤكدون أنَّ الحاكمية العليا لله ﷻ، فمن حقه وحده أن يشرع لعباده، وأن يحلل لهم، ويحرم عليهم. بحكم ربوبيته لهم، وخالقيته سبحانه.

ومهمة العقل هنا: أن يفهم عن الله تعالى خطابه، ويحسـن فقه أمره ونهيه، بربط الفروع بأصولها، والظواهر بمقاصدها، وهذا فيما فيه نص ثابت عن الله ورسوله.

QaradawiBooks.com

وأما ما لا نص فيه، فيستطيع أن يملأه بالقياس على المنصوص؛ إذا وجدت العلة المشتركة، وتوافرت الشروط، أو بالعمل بالاستحسان، أو بالاستصلاح أو بمراعاة العرف، أو المقاصد العامة، والقواعد الكلية للشريعة.

وليس من شأن العقل أن يتطاول إلى ما ليس من اختصاصه، فيسقط ما فرض الله، أو يحرِّم ما أحل الله، أو يحل ما حرَّم الله، أو يشرع في الدين ما لم يأذن به الله.

وقد رأينا الغربيين حين أطلقوا العنان لعقولهم ـ بغير هدى من الله ـ كيف استحلوا الموبقات، واستباحوا كبائر الإثم والفواحش، الَّتي حرمتها كل رسالات السماء، واستنكرتها كل أخلاقيات الأرض.

ومن فضل الله علينا ـ نحن المسلمين ـ أنه لم يجعل الدِّين قيدًا يعوقنا، بل منارة تهدينا، فليس هناك في الإسلام دكتاتورية دينية أو كهنوتية، تحجر على النَّاس أن يفكروا ويبحثوا، ويبدعوا ويتطوروا.

ولقد رأينا الَّذين تبنوا العِلمانية في تركيا، يبررون توجههم بمذكرة كتبوها في هذا الصدد.

أَنَّها تتركز حول محور أساسي هو أن القوانين الشرعيَّة أساسها الدين، والدين ثابت لا يتغير، وعدم التغيير فيه ضرورة من ضروراته. وليس الأمر كذلك بالنسبة للحياة، فهي معرضة لتحولات مستمرة، ولهذا يجب أن يبقى الدين «وجدانيًّا» أي علاقة بين ضمير الإنسان وربه، ولا صلة له بالحياة والمجتمع والدولة، وأن تكون نظم الحياة مستلهمة من مقتضياتها في التحول والتطور؛ وليست قائمة على أسس دينية جامدة تحول دون ترقي الأمَّة وتطورها، وتمشيها مع مقتضيات المدنية الحاضرة.

QaradawiBooks.com

فهل هذا التعليل أو التبرير أو التفسير صحيح من وجهة نظر العقل والعلم المحض؟

نستطيع أن نقول: لا، بملء أفواهنا، ومنطق العقل والعلم والتاريخ والواقع يؤيدنا.

لقد افترض التقرير أن أحكام الدين كلها ثابتة، لا مجال فيها لتغير أو تطور بحال من الأحوال.

كما افترض أن الحياة كلها متغيرة متحولة، لا مجال فيها للثبات بوجه من الوجوه. والحق أن كلا الافتراضين مردود.

الثابت والمتغير من أحكام الدين:

ونقتصر هنا على مناقشة الأمر الأول: فليس صحيحًا أنَّ كل أحكام الدِّين ثابتة دائمة وغير قابلة لدخول الاجتهاد فيها، وطروء التغير عليها.

فمن أحكام الدين ما يتعلَّق بالعقائد الَّتي تحدد نظرة الدين إلى المبدأ والمصير، إلى الله والكون والحياة والإنسان، أو ما يسميه علماء العقائد عندنا: الإلهيات والنبوات والسمعيات، وهذه حقائق ثابتة لا تتغير.

ومنها: ما يتعلَّق بشعائر العبادات الرئيسية الَّتي تحدد صلة الإنسان العمليَّة بربه. وهي الَّتي تعتبر أركان الإسلام، ومبانيه العظام، وهذه في أسسها العامَّة ثابتة، وإن كان الاجتهاد يدخل عليها في كثير من التفاصيل.

ومنها: ما يتعلَّق بالقِيَم الخُلُقية، ترغيبًا في الفضائل، وترهيبًا من الرذائل، وهذه تتميَّز بالثبات أيضًا في مجموعها.

وهذه الثلاثة لا يحتاج النَّاس إلى تغيرها، بل إلى ثباتها واستقرارها، لتستقر معها الحياة، وتطمئن العقول والقلوب.

QaradawiBooks.com

بقي أمر نظم الحياة المختلفة، مثل نظام الأسرة والمواريث ونحوها، ونظام المعاملات والمبادلات المالية، ونظام الجرائم والعقوبات، والأنظمة الدستورية والإدارية والدولية ونحوها، وهي الَّتي يُفصِّل أحكامها الفقه الإسلامي بمختلف مدارسه ومذاهبه.

وهذه ذات مستويين:

مستوى يمثل الثبات والدوام، وهو ما يتعلق بالأسس والمبادئ والأحكام الَّتي لها صفة العموم، وهو ما جاءت به النصوص القطعية الثبوت، القطعية الدلالة. الَّتي لا تختلف فيها الأفهام، ولا تتعدد الاجتهادات، ولا يؤثر فيها تغير الزمان والمكان والحال.

ومستوى يمثل المرونة والتغير، وهو ما يتعلق بتفصيل الأحكام في شؤون الحياة المختلفة، وخصوصًا ما يتصل بالكيفيات والإجراءات ونحوها، وهذه قلَّما تأتي فيها نصوص قطعية، بل إمَّا أن يكون فيها نصوص محتملة، أو تكون متروكة للاجتهاد، رحمة من الله تعالى، غير نسيان، وقد عرضتُ لهذه القضية في بحث لي عن «الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد»[1]، يحسن بي أن أنقل منه هذه الفقرات:

«من النَّاس من يرتاب أو يتوجس خيفة من المناداة بالرجوع إلى الفقه الإسلامي واتخاذه أساسًا تشريعيًّا وقضائيًّا.

ومصدر هذا الارتياب والتوجُّس هو: الأساس الربانيُّ، والصفة الدينيَّة للفقه الإسلاميِّ، فمن المتَّفق عليه أنَّ المصدرين الأساسيين لهذا الفقه هما: كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ.

(١) ألقي في المؤتمر التاريخي عن «الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد» الذي أقيم في بيروت سنة ١٩٧٤م، ونشرته أخيرا دار الصحوة، بالقاهرة.

QaradawiBooks.com

وهذا يقتضي ـ في نظرهم ـ أن يتسم هذا الفقه بالثبات أو الجمود، وأن تقف العقول البشرية أمامه وقفة التسليم والاتباع، لا وقفة الابتكار والإبداع؛ إذ لا مكان للعقل أمام الوحي، ولا مجال للاجتهاد في مورد النص، وهذا ما يجعل أسباب المرونة وقابلية التطور معدومة أو ضعيفة داخل هذا الفقه.

مجال الثبات والتطور في الفقه:

والعارفون يعلمون تمام العلم أنَّ من يقول هذا الكلام لا علم له بالفقه الإسلامي وخصائصه ومميزاته، الَّتي هي ثمرة لخصائص الإسلام نفسه، فإنَّ من أبرز هذه الخصائص: أنه يجمع بين الثبات والمرونة معًا في تناسق محكم، وتوازن فريد. فلم يمل مع القائلين بالثبات المطلق في كل شيء، فلم يسمحوا بأي قدر من المرونة والتطور، كذلك لم يمل مع الغلاة من «التطوريين» الَّذين لم يجعلوا لقيمة ولا لمبدأ، ولا لشيء ما ثباتًا أو خلودًا، بل كان وسطًا عدلًا بين هؤلاء وهؤلاء[1].

فالأصول الكلية ثابتة خالدة، شأنها شأن القوانين الكونيَّة، الَّتي تمسك السماء والأرض أن تزولا، أو تضطربا، أو تصطدم أجرامهما.

والفروع الجزئية مرنة متغيِّرة، فيها قابلية التطور، شأن ما في الكون والحياة من متغيرات جزئية، لازمة لحركة الإنسان وحركة الحياة.

وهكذا كان في الفقه الإسلامي منطقة مغلقة لا يدخلها التغيير أو التطوير، وهي منطقة «الأحكام القطعيَّة» وهذه هي الَّتي تحفظ على الأمَّة وحدتها الفكرية والسلوكية.

---

(١) انظر كتابنا: الخصائص العامة للإسلام صـ ٢١٣ ـ ٢٥٨، فصل: الجمع بين الثبات والمرونة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

ومنطقة مفتوحة هي منطقة «الأحكام الظنيَّــة» ثبوتًا أو دلالة، وهي معظم أحكام الفقه، وهي مجال الاجتهاد، ومعترك الأفهام، ومنها ينطلق الفقه إلى الحركة والتطور والتجديد.

غير مرخصة للطباعة

أسباب المرونة في الشريعة الإسلاميَّة:

وقد كتبتُ بحثًا مســتقلًّا عن خصيصة المرونــة أو قابلية التطور في الشريعة الإسلاميَّة[١]، وحسبي هنا أن أشير إلى عناوينه أو خطوطه البارزة.

أولًا: أنَّ الشــارع الحكيم لم ينص على كل شــيء، بل ترك منطقة واســعة خالية من أي نص ملزم، وقد تركها قصدًا للتوســعة والتيســير والرحمة بالخلق، وهي الَّتي سمَّيناها «منطقة العفو» اقتباسًا من الحديث: «**ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفْو، فاقبلوا من الله عافيته، فإنَّ الله لم يكنْ لينسى شيئًا**»[٢]، ثمَّ تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وأشــار إليها الحديث الآخر: «**وترك أشــياءَ رحمةً بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها**»[٣].

---

(١) نشر في العدد الثاني من حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة قطر تحت عنوان: عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، ونشرته مكتبة وهبة، بالقاهرة، فليُرجع إليه.

(٢) رواه البزار (٤٠٨٧) وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

(٣) رواه الدارقطني في الرضاع (٤٣٩٦)، والطبرانــي (٢٢١/٢٢)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وحسَّــنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثلاثون، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٥٠/٢): حسنه أبو بكر السمعاني في أماليه. عن أبي ثعلبة الخشني. والعمدة هو: حديث أبي الدرداء السابق.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ثانيًا: أنَّ معظم النصوص جاءت بمبادئ عامة، وأحكام كلية، ولم تتعرَّض للتفصيلات والجزئيات إلَّا فيما لا يتغيَّر كثيرًا بتغيُّر المكان والزمان، مثل شؤون العبادات وشؤون الزواج والطلاق والميراث ونحوه. وفيما عداها اكتفت الشريعة بالتعميم والإجمال، مثل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]، «**لا ضرر ولا ضرار**»[1].

ثالثًا: أنَّ النصوص الَّتي جاءت في أحكام جزئية قد صيغت صياغة معجزة. بحيث تتسع لتعدد الأفهام والتفسيرات، ما بين متشدد ومترخص، وما بين آخذ بحرفية النص، وآخذ بروحه وفحواه، وقلَّما يوجد نص لم يختلف أهل العلم في تحديد دلالته وما يُستنبط منه، وهذا راجع إلى طبيعة اللغة، وطبيعة البشر، وطبيعة التكليف.

رابعًا: أنَّ ملء منطقة الفراغ التشريعي أو العفو؛ يمكن أن يتم بوسائل متعددة يختلف المجتهدون في اعتمادها وتقدير مدى الأخذ بها، ما بين مضيِّق وموسِّع، فهنا يأتي دور القياس والاستحسان، أو الاستصلاح ومراعاة العُرف أو غيرها، من أدلة ما لا نصَّ فيه.

خامسًا: تقرير مبدأ تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال والعرف، وهو مبدأ تقرر منذ عهد الصحابة، الَّذين كانوا أكثر النَّاس رعاية له، وبخاصة عمر، في موقفه من المؤلفة قلوبهم، ومن قسمة الأرض المفتوحة، ومن طلاق الثلاث وغيرها.

بل بدأ تقرير هذا المبدأ حقيقة منذ عهد النَّبيّ ﷺ كما في منع ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاث؛ لطروء بعض الوافدين على المدينة في أحد

(١) سبق تخريجه صـ ٢٣٠.

QaradawiBooks.com

الأعياد، وإباحته بعد ذلك في الظروف العادية[١]، وما روي من ترخيصه لرجل في القُبْلة للصائم، ومنعه آخر منها[٢]، حيث كان الأول شيخًا، والثاني شابًّا.

سادسًا: تقرير مبدأ رعاية الضرورات والأعذار، والظروف الاستثنائية، بإسقاط الحكم أو تخفيفه، تسهيلًا على البشر، ومراعاة لضعفهم، أمام الضرورات القاهرة، والظروف الضاغطة، ولهذا قرر الفقهاء أن الضرورات تبيح المحظورات، وأنَّ الحاجة تنزل منزلة الضرورة، مع قيد أنَّ «ما أبيح للضرورة يُقَدَّر بقدره»[٣].

بقي ما قاله الأخ السائل من الحُكم بالردة، وضرب رقاب المرتدين الَّذين قد يبلغون الملايين، إلى آخر ما قال.

وأقول له: إنَّ الإسلام قد حكم بلادًا شتَّى قرونا طويلة، وكانت كلمته هي العليا، وكان القضاء كله لا يحكم إلَّا بالشريعة، فلم نسمع أن ملايين، ولا ألوفًا، بل ولا مئات، بل ولا عشرات حُكم عليهم بالرِّدَّة، وضربت أعناقهم.

بل الردة في دار الإسلام أمر نادر، وقلما يوجد من يرتد عن هذا الدين بعد أن تخالط بشاشته القلوب.

وأمر الردة فيه كلام كثير، في ثبوت جريمة الردة، وفي الحكم الَّذي يستحقه المرتد، وقد حقَّقنا في ذلك في رسالة لنا «جريمة الردَّة وعقوبة المرتدِّ» ورجحت قول النخعي والثوري: أنَّ المرتد لا يُقتل، بل يستتاب

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (٥٥٦٩)، ومسلم (١٩٧٤)، كلاهما في الأضاحي، عن سلمة بن الأكوع.
(٢) رواه ابن ماجه في الصيام (١٦٨٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣٦٩)، عن ابن عباس.
(٣) راجع كتابنا: بيّنات الحل الإسلامي صـ ٧٥ ـ ٧٧، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٥، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

أبدًا، وهو مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . كما أنَّ ترك الصَّلاة وغيرها من الفرائض ـ إذا لم يكن عن إنكار أو استخفاف ـ لا يعد من الردة عند جمهور علماء الأمَّة.

وهناك أمر آخر مهم، أود أن أنبِّه عليه السائل، وهو أنَّنا لسنا ملزمين أن تكون فلسفتنا في الحياة مثل فلسفة الغرب، ومنهجنا مثل منهجهم، فلهم دينهم ولنا ديننا، ونحن سادة أنفسنا، بل نحن نعتبر أنفسنا أساتذة العالم، وموجهي الأمم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فإذا كان الغرب يبيح الزِّنَى والشذوذ الجنسي، ويبارك زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وإذا كان يشفق على المجرم أكثر ممَّا يشفق على الضحية، ويرى القصاص من القاتل المتعمد قسوة لا تليق، ولا يبالي بعائلة المقتول الَّتي تمتلئ قلوبها حنقًا وغيظًا، فلسنا مطالبين أن نكون أذيالًا للغرب، نمشي وراءه شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع.

بل نحن نرى الغرب مريضًا وعندنا دواؤه، وضالًّا وفي أيدينا هداه. فكيف ننزل من قممنا إلى حضيضه، وندع ما عندنا من الحق، لا لشيء إلَّا لنرضيه ونسير في ركابه؟!

وبهذا نعلم أن الله قد وضع في صلب شريعته من الأسباب ما يكفل لها الخلود والصلاحية لكل زمان ومكان.

واستبعاد السائل أن يصلح حكم جاء من ألف وأربعمائة عام لهذا العصر ليس مسلَّمًا، فهذا إنَّما يقبل في الأحكام الجزئية التفصيلية الجامدة، الَّتي تقيد النَّاس في كل بيئة وفي كل زمن، وهذا لا يوجد في الإسلام؛ لأن هذا النوع من الأحكام طبيعته المرونة والقابلية للاجتهاد

QaradawiBooks.com

والتطور؛ لأنَّه من الأحكام الظنية الَّتي تختلف فيها وجهات النظر الاجتهادية، ولهذا اختلفت فيها المذاهب، وتعددت الأقوال والمشارب، وفي هذا متسع للاختيار والترجيح من الأقوال المختلفة. والأخذ منها ما يناسب الوقت والحال.

أمَّا ما يضع للنَّاسِ المبادئ والأسس والقيم، فهذا هو الَّذي من شأنه الثبات، ولا يتغير بتغير الزمان والمكان، وما جاء من قبل أربعة عشر قرنا تظل له أصالته وجدته، ولا يبلى كما تبلى الثياب، ولا يخرب كما تخرب المباني، قد يصيبه بعض التغير نتيجة سوء الفهم أو سوء التطبيق، فيحتاج إلى تجديد، وهنا نجد نصوص الدين نفسه تعلمنا شرعية التجديد: «**إنَّ الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمَّة من يُجدِّد لها دينها**»[1].

إنَّ مُضي القرون وتطاول الأزمان: لا يغيِّر الحقائق، ولا يهدم القيم العليا، ولا يجعل الباطل حقًّا، ولا الحق باطلًا، ولا الخير شرًّا، ولا الشرَّ خيرًا.

وإنَّنا لنقرأ لفلاسفة كبار مرَّ على وجودهم أكثر من ألفي سنة، ونقتبس كثيرًا من أفكارهم؛ لأنَّ مضي الزمن لا يميتها.

ودعوى أنَّ هذه القوانين غير المتغيِّرة جعلت البلاد الإسلاميَّة تعيش عيشة بدوية، عارية من الحضارة والتقدم دعوى باطلة من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ البلاد الإسلاميَّة ـ إلَّا ما ندر ـ لا تحتكم إلى قوانين الإسلام، ولا تجعل الشريعة أساسًا لها، بل كلُّها ـ أو جلُّها ـ تعمل وَفْق قوانين وضعية استوردتها من الغرب، فلا يحمل الإسلام وزر تخلفها.

(١) سبق تخريجه صـ٥٦٤.

QaradawiBooks.com

الوجه الثاني: أنَّ المسلمين يوم تمسكوا بقوانين شريعتهم، ولم يكن يحكم قضاتهم إلَّا بها، ولم يكن تسير حياتهم إلَّا في ضوء هداها: ملكوا زمام الحضارة، وكانوا على رأس القافلة البشـــرية، وظلوا معلمي العالم ـ شرقه وغربه ـ ثمانية قرون. كانوا هم العالم الأول والأمَّة الأولى، كما يشهد بذلك مؤرخو الحضارات، ومؤرخو العلم.

بل كان الإسلام هو الدافع الأول لإنشاء هذه الحضارة، الَّتي تميزت بالربانية والإنسانية، والأخلاقية والعالمية.

والحمد لله رب العالمين.

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

التماثيل البوذية في أفغانستان وهل يجب هدمها فورًا؟

أثار الخبر الَّـذي أذاعتـه وكالات الأنباء عن عـزم حكومة «حركة طالبان» الإسـلاميَّة الأفغانيـة على تدميـر التماثيل القديمـة للبوذيين وغيرهـم: ضجة فـي العالم، وفـي الأمـم المتحدة، وطالبـت منظمة «اليونسكو» البلاد الإسلاميَّة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، للتدخل لدى حكومة طالبان لوقف هذا القرار أو تأجيله.

وقد اتصلت بي جهات إعلامية عدة: تليفزيونية، وإذاعية، وصحفية؛ تطلب منِّي الرأي في هذه القضية الخطيرة، وهل من الضروري شرعًا أن تسارع حكومة طالبان بتنفيذ هذا القرار الَّذي تستفز به العالم ضدها، في وقت هي أحوج ما تكون إلى إعطاء فكرة عن تسامحها في النظر إلى هذه الأمور؟ وهل يمكن للحركة أن تتعامل بطريقة أخرى مع هذه القضية؟

فكتبت هذه الصفحات، استجابة لطلب الطالبين، راجيًا من إخواننا في حكومة طالبان؛ وهم أهل دين وعلم شرعي: أن ينظروا في الأمر من خلال مقاصد الشَّرع الكلية، ومآلات الأفعال، فإنِّي لا أريد لهم إلَّا الخير لو كانوا يعلمون[1].

(١) ذهبنا بعـد ذلك في وفد من العلماء نظمتـه دولة قطر التي ترأس الـدورة الحالية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ولقينا المشايخ هناك، وأصدرنا بيانًا نشرته الصحف في ذلك.

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ قرار هدم التماثيل القديمة، الَّذي أعلنت عنه إمارة أفغانستان الإسلاميَّة، أو ما يعرف عند العالم بـ «حكومة طالبان» قرار يتعلق بما يعرف في الفقه باسم «السياسة الشرعيَّة». وهي السياسة الَّتي تجعل النَّاس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، دون أن تصادم الشَّرع نصًّا أو رُوحًا.

والسياسة الشرعيَّة ـ كما هو معلوم للمشتغلين بالفقه والغواصين في بحاره ـ لا يكفي فيها المعرفة بالمنصوص في الكتب وحدها على أهميته، بل يجب أن يضم إليها فقه الواقع المعيش.

كما لا يكفي فيها: فقه النصوص الجزئية وحدها، بل لا بدَّ من المزاوجة بينها وبين المقاصد الكلية، فتفهم الجزئيات في ضوء الكليات، وفي ضوء فقه المآلات، وفقه الأولويات، وفقه الموازنات.

وكذلك لا ينفع فيها حفظ المسائل ومعرفتها وحدها، بل لا بدَّ معها من معرفة القواعد الشرعيَّة في الأصول والفقه، لإدراج المسائل الجزئية تحت القواعد الكلية. فالفقيه الحق ـ ولا سيما في باب السياسة الشرعيَّة ـ لا يستغني بحال عن الرجوع إلى القواعد وتحكيمها.

وعلى الأخص في عصرنا، الَّذي تشابكت فيه الأمور، وتطوَّرت

QaradawiBooks.com

الحياة تطوُّرًا هائلًا، يستدعي من أهل الاجتهاد طول النظر، وتوسيع الأفق، وبخاصة ما كان له أثر خطير في عالم اليوم، الَّذي تقارب حتَّى أصبح وكأنه قرية صغرى.

على ضوء هذا التمهيد ننظر في هذا القرار الَّذي يتعلق بتماثيل لـ «بوذا» أقيمت قبل الإسلام، وفتح المسلمون منذ القرن الأول الهجري أفغانستان وقد كانت قائمة. وربَّما كانت تُعبد أو تقدس قديمًا، حين كانت أفغانستان بوذية، أمَّا بعد أن مَنَّ الله عليها بالإسلام، فلم يعد أحد من أهل البلاد يتوجه إلى هذه التماثيل بالعبادة.

مستندات طالبان في وجوب الهدم:

اعتمد قرار الإخوة في أفغانستان على عدَّة أدلة في وجوب هدم التماثيل فورًا، وعدم جواز تأجيلها:

١ ـ أنَّ الإسلام حرم التماثيل، وقد أجمعت الأمَّة على ذلك.

٢ ـ أنَّ سيدنا إبراهيم حطم الأصنام، وجعلها جذاذًا، كما حكى القرآن الكريم، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣].

٣ ـ أنَّ سيدنا موسى حَرَّق «العجل الذهبي» الَّذي صنعه لهم السامري، وقال له موسى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ﴾ [طه: ٩٧].

٤ ـ أنَّ سيدنا رسول الله ﷺ حطم الأصنام عندما فتح مكة، ومكَّن الله له فيها، ونحن مكَّن الله لنا في أفغانستان، فلا يسعنا السكوت عليها.

٥ ـ أنَّ سيدنا علي رضي الله عنه قال لأبي الهيَّاج الأسدي: أبعثك على

QaradawiBooks.com

ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**لا تدع تمثالًا إلَّا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سوَّيته**»(١).

وسنناقش هذه المستندات ونفندها في ضوء نصوص الشريعة السمحة، ومقاصدها العامة، وقواعدها الكلية. وبالله التوفيق.

١ ـ تحريم التماثيل الَّتي يصنعها المسلمون أو تصنع لهم:

أمَّا ما يتعلق بتحريم التماثيل، فأقول:

للإسلام حكم معروف في «إقامة التماثيل» أو صنع «الصور المجسَّمة» وهو التحريم، الَّذي صحت به أحاديث نبويَّة كثرت واستفاضت، واتفق عليها علماء الأمَّة السابقون، ولا سيما الصور المعبودة من دون الله. وإن اختلفوا في الصور غير المجسمة (أي لا ظل لها حسب تعبيرهم).

وهذا كله في «التماثيل» الَّتي يصنعها المسلمون ـ أو تصنع لهم ـ بعد أن مَنَّ الله عليهم بالإسلام، وعرفوا منه الحلال من الحرام.

أما التماثيل الَّتي صنعها الأقدمون قبل الإسلام، فهي تمثل تراثًا تاريخيًّا، ومادة حية من مواد التاريخ لكلِّ أمَّة؛ فلا يجب تدميرها وتحطيمها، باعتبار أنَّها محرمات أو منكرات يجب تغييرها باليد، بل هي دلالة على نعمة الله تعالى على الأمَّة الَّتي هداها للإسلام، وحررها من عبادة الأصنام، الَّتي وقع فيها آباؤهم الأقدمون.

ومن الدلائل على عدم وجوب هدمها: أنَّ المسلمين قد فتحوا أفغانستان منذ القرن الأول الهجري، وكانت فيها هذه الأصنام، ولم

(١) رواه مسلم في الجنائز (٩٦٩)، وأحمد (٦٨٣)، وأبو داود (٣٢١٨)، والتِّرْمِذي (١٠٤٩)، والنسائي (٢٠٣١) ثلاثتهم في الجنائز، عن علي.

QaradawiBooks.com

يفكروا في إزالتها وتدميرها، وهم خير قـرون الأمَّة من الناحية الدينية، كما كانـوا أعظم قوة عسـكرية في العالـم يومئذ، ومع ذلك وسـعهم السكوت على هذه المخلفات الأثرية القديمة. فقد كان المهم عندهم هو تحرير العقول والأنفس من عبادة غير الله تعالى.

وكذلك فتح المسلمون مصر في عهد عمر بن الخطاب، وفيها معابد وآثار وصور شتَّى، في الجيزة وفي الأقصر والكرنك وغيرها، فلم يشغل عمرو بن العاص ومن معه من الصحابة (أمثال الزُّبَير بن العوَّام وعُبَادة بن الصامت) أنفسهم بإزالة آثار الوثنية المصرية في المعابد، بل اتجهوا إلى تحرير البشر أولًا، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ولا يكاد يخلو بلد فتحه المسلمون من بلاد الحضارات القديمة ـ في فارس والعراق والشـام ـ من وجود آثـار جاهليَّة فـي معابده وقصوره التاريخية. ومع هـذا لم يهتم المسـلمون الفاتحون ـ وهـم خير منَّا ـ بمحوها وإزالتها، كما يفكر بعض المسلمين اليوم.

وإنَّما يطلب هدم هـذه التماثيل وأشـباهها؛ إذا كان من ورائها فتنة دينية يخاف شرها على عقيدة أبناء الأمَّة؛ فالواجب حماية الأمَّة من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

فلو كانت هذه التماثيل في أفغانسـتان أو غيرها من بلاد المسلمين تُشَـكِّل خطرًا عليهم في عقيدتهم، ويخشـى أن تفتن النَّاس عن عقيدة التوحيد، وتردهم إلى الوثنية القديمة الَّتي حررهم الإسـلام منها، لقلنا: يجب هدم هذه التماثيل وإزالتها، حفاظًا على عقيدة الأمَّة وتوحيدها.

ولكن من المؤكد: أنَّ المسـلمين اليوم في أفغانسـتان لا ينظرون إلى هذه التماثيل إلَّا أنَّها من آثار إبداع الأقدمين في فن «النحت» ونبوغهم فيه.

QaradawiBooks.com

كما ينظر المصري المسلم إلى «تمثال رمسيس» المنصوب في قلب القاهرة[١] إلى أنه مجرد أثر من آثار الحضارة الفرعونية القديمة، الَّتي تفننت في صناعة التماثيل، كما تفننت في علم التحنيط، وفي بناء الأهرام وغيرها، ولا أحسب أن هناك مصريا واحدًا ينظر إلى هذا التمثال وغيره في الجيزة أو الأقصر أو الكرنك أو غيرها نظرة فيها رائحة للعبادة أو التقديس.

وقد ناقشنا أحد العلماء في حركة طالبان، ممَّن كان متحمِّسًا لتحطيم كل التماثيل. بدعوى أنَّ كلَّ تمثال إنَّما هو صنم.

وقلنا له: إنَّ الصنم هو ما يعبده النَّاس بالفعل، أو ما أعد ليعبد. وكثير من التماثيل إنَّما يعدها النَّاس «تحفًا» ولا يخطر ببالهم تقديسها أو عبادتها.

وليس أدلُّ على ذلك من قوله تعالى في شأن جِنِّ سليمان عليه السلام: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

ولا يُتَصوَّر أن يعمل الجنُّ لسليمان أصنامًا، ويذكرها الله في القرآن في معرض الامتنان على آل داود!

ولهذا نصحت إخواننا في «حركة طالبان» أن يراجعوا أنفسهم في هذا القرار الَّذي اتخذوه، لعِظَم خطره، وبُعْد أثره من عدَّة نواح، أهمها ناحيتان:

الأولى: أنَّه يتضمن الإنكار على من سبقهم من المسلمين في أفغانستان من عصر الفتح الإسلامي إلى اليوم، وقد كان فيهم العلماء

(١) قد نقل إلى ميت رهينة بالجيزة.

QaradawiBooks.com

الربانيون، والرجال الصادقــون، ولم يزيلوا هذه الأشــياء الَّتي يريدون إزالتها اليوم، وقد كانت موجودة من غير شك.

الثاني: أنَّ العالم يعتبر هذه الآثار القديمة من الكنوز البشرية النفيسة، الَّتي لا تقدر قيمتها، ولا بمليارات الدولارات، كما يعتبرها مِلْكًا للبشرية جمعاء؛ ولهذا تسارع منظمة «اليونســكو» بالإسهام في إنقاذ ما يتعرض منها لخطــر التلف أو الغــرق، أو عوامل طبيعية، أو غيــر ذلك، حماية للتراث الحضاري الإنساني.

٢. فعل إبراهيم وموسى في الأصنام:

وما استند إليه المشــايخ في حركة طالبان: من تحطيم سيدنا إبراهيم للأوثان وجعلها جذاذًا، ومن تحريق سيدنا موسى لعجل السامري، ونسفه في اليمِّ نســفًا، فمن المعلوم أنَّ فعل الأنبياء ـ ولــو كان فعل نبينا ﷺ ـ لا يدلُّ على الوجوب، إنَّما يــدلُّ على الجواز، وهــم لا يكتفون بالقول بجواز الهدم، بل يقولون بوجوبه؛ إذ الجائز للمكلف أن يفعله، وأن يتركه.

على أنَّ سيدنا إبراهيم عليه الصَّلاة والسلام إنَّما حطم أصنامًا يعبدها أهلها من دون الله، وقد حاجهم في ذلك وأفحمهم: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

ومع هذا لم يحطم كل الأصنام، بل استبقى كبيرهم لمصلحة قدرها، وهو استخدامه في مجادلتهم، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

ومثل ذلك تحريق سيدنا موسى عليه السلام لعجل السامري؛ لأنه غدا صنمًا يعبده السامري ومن تبعه من بني إســرائيل، الَّذين قالوا لسيدنا هارون: ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١].

QaradawiBooks.com

ولا أريد أن أعــرض هنا للخلاف المعروف في قضية «شــرع من قبلنا» أهو شرع لنا أم لا؟ لأني أرجح أنه شرع لنا؛ ما لم يرد نسخ في شرعنا له.

١ ـ تحطيم النَّبيّ للأصنام يوم الفتح:

ومن أهم وأبرز ما اســتدلَّ به الإخوة الأفغــان، ومن انتصر لهم من العرب: تحطيم النَّبيّ ﷺ للأصنام الَّتي كانت حول الكعبة، وكانت نحو ثلاثمائة وســتين صنمًا كما قيل، وقد كان يضربهــا برمحه، وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

ولكن نلاحظ هنا جملة أمور:

الأول: أنَّ هذه الأصنام كانت في المســجد الحرام، وحول الكعبة البيت الحرام، ولا يجوز أن يبقى في مســجد من مساجد المسلمين وثن يُعبد، فكيف بأعظم مســاجد الله، وبأول بيت وضع في الأرض للتوحيد؟

بخلاف التماثيل المذكورة، فهي ليست في مسجد من المساجد، بل هي منحوتة في الجبال، وليس حولها مساكن ولا أحد يعبدها.

الثاني: أنَّ جزيرة العرب لها شــأن خاص، حيــث يريد الله تعالى أن تكون معقلًا للإســلام ولتوحيد الله في الأرض، ولهذا نهى أن يكون بها دينان، وكان لها وضع خاص في الإسلام، ولا سيما الحجاز منها، وعلى الأخص مكة المكرمة، والمسجد الحرام.

الثالث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّما كسر الأصنام يوم فتح مكة، حين مكَّن الله له في الأرض، وأصبح سيد الجزيرة بلا منازع، فلا خوف من فتنة، ولا خشية من أذى.

QaradawiBooks.com

ولهذا رأيناه قبل الفتح بعام واحد ـ العام السابع للهجرة ـ يدخل هو وأصحابه مكة معتمرين «عمرة القضاء» والأصنام حول الكعبة قائمة لم يمسها بسوء؛ لأنَّ الأمر لم يكن قد اكتمل له، فصبر على ذلك حتَّى عام الفتح.

٢ ـ حديث طمس التماثيل وتسوية القبور:

ومن الطريف الَّذي يذكر هنا: أن بعض العلماء الأفغان قد استدلَّ بالحديث الَّذي رواه مسلم وغيره عن أبي الهيَّاج الأسديِّ أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال له: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**لا تدع تمثالًا إلَّا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سوَّيته**»[1].

قال: ونحن ننفذ وصية النَّبيِّ لعليٍّ، ووصية عليٍّ لأبي الهيَّاج: ألَّا ندع تمثالًا إلَّا طمسناه.

قلت له: ولماذا تنفذون جزءًا من الوصية دون الآخر؟ لماذا لا تنفذون الشق الآخر من الوصية، وتهدمون القبور المشرفة: الأضرحة والمزارات وغيرها، وهي موجودة ومعروفة في أفغانستان وغيرها من بلاد الإسلام؟

قال العالم الأفغاني: اعتراضك صحيح، ولكنا لم نستطع تنفيذ هذا الجزء من الحديث أو هذا الشق من الوصية النبويَّة؛ لأنَّنا لو أقدمنا على ذلك لأشعلنا فتنة لا يعلم مداها ونتائجها إلَّا الله؛ لأنَّ عوام المسلمين سيثورون علينا، يؤيدهم شيوخ وأشباه شيوخ من دعاة البدع، ومروجي الضلالة، فاتقاء لهذه الفتن سكتنا عن هذا الشق من الأمر النبوي.

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٨٥.

QaradawiBooks.com

قلت له: هذا الرد منك حجة عليكم؛ لأنَّكم سكتم على إبقاء ما أمر الحديث النبوي بإزالته، خشية الفتنة المحلية، وهي خشية لها اعتبارها شرعًا، ولكن يجب أن توضع في الاعتبار الخشية من «الفتنة العالمية» وما يمكن من هياج العالم عليكم، واعتباركم أناسًا متعصِّبين، وأنكم معادون للحضارات والثقافات الأخرى. وقد يطالبون بمحاكمتكم، وحصاركم، وقد، وقد... وهذه كلُّها مفاسدُ ومضارُّ يجب أن تُتَوقَّى شرعًا، كما تقرَّر القاعدة الشرعيَّة الَّتي تقول: «الضرر يُدفع بقدر الإمكان».

على أنَّ حديث عليٍّ رضي الله عنه إنَّما أمر بـ «طمس التماثيل»: أي تشويه معالمها، ولم يأمره بهدمها تمامًا. وقد كان في دوس صنم يسمى «ذو الخُلَصة» وبعث النَّبيّ ﷺ من يقضي عليه، وكان «بيتًا» يسمُّونه «الكعبة اليمانية» فعاد الصحابي المكلَّف بالإزالة، وقال: تركته يا رسولَ الله، كالجمل الأجرب[1]!

ومعنى هذا: أنَّه لم يهدمه تمامًا، بل اكتفى بطمسه وتشويهه، وهذا ما نرى أنَّه كان قد تمَّ بفعل بعض المسلمين الأفغانيين في العصور الماضية، فإن وجه التمثال مطموس من فوق، ومكسور من تحت. وبهذا يتحقَّق ما أمر به الحديث النبوي من الطمس.

وفي بعض الأحاديث أنَّ جبريل امتنع من دخول بيت النَّبيِّ ﷺ؛ لأنه وجد فيه تمثالًا، فلم يدخل، حتَّى أمر الرسول الكريم برأس التمثال فقطع. وهذا يدلُّنا على أن الإزالة كاملة ليست ضرورية.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٧٦)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٦)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

قاعدة التدرج:

ومن القواعد الَّتي تذكر هنا في مجال السياسة الشرعيَّة: قاعدة «التدرُّج» في معالجة الأمور، ومواجهة المخاطر، وتنفيذ السياسات.

ومن المعلوم أنَّ التدرج سنة كونيَّة، وسنة شرعية. وأحوج النَّاس إلى استخدامها أهل السياسة الشرعيَّة.

وقد رأينا الشارع الحكيم تدرج بالناس في فرض الفرائض، وفي تحريم المحرمات، ولم يأخذهم بها دفعة واحدة، مراعاة لهذه السنة أو هذه القاعدة.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ذكره الإمام الشاطبي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أنَّه حين تولى الخلافة، أخذ يرد الحقوق بأناة وحكمة، وهذا ما لم يعجب ابنه الشاب التقي المتحمس عبد الملك بن عمر، الَّذي قال له يوما: يا أبت، ما لي أراك تتباطأ في إنفاذ الأمور؟! فوالله ما أبالي لو غلت بي وبك القدور في سبيل الله! فقال له أبوه الخليفة الفقيه البصير: يا بني، لا تعجل، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، ثمَّ حرمها في الثالثة. وإني أخشى أن أحمل النَّاس على الحق جملة، فيدعوه جملة، ويكون من وراء ذلك فتنة[1]!

يعني أنه رضي الله عنه يريد أن يقود النَّاس إلى العدل والرشد خطوة خطوة، ويُجرِّعهم الحقَّ المُرَّ جرعة جرعة. وهذه هي السياسة الحكيمة، الَّتي تراعي سنة التدرج في التغيير والإصلاح.

---

(١) انظر: الموافقات (١٤٨/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ضرورة النظر في مآلات الأفعال ونتائجها:

ومن هنا نبَّــه المحقِّقون مــن العلماء ـ مثل الإمام الشــاطبي ـ إلى ضرورة النظر في مآلات الأفعال قبل الإقدام عليها، أي إلى ما تنتجه من آثار، وما تخلفه من منافع أو مضار، وما ينشــأ عن الإتيان بها أو تركها من مصالح أو مفاسد، قد تكون مضادة لشرعيتها أساسًا.

يقول الإمام الشاطبي في «موافقاته»:

«النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة. وذلك أن المجتهد لا يحكــم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام؛ إلَّا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل؛ «فقد يكون» مشروعًا لمصلحة فيه تســتجلب، أو لمفسدة تُدْرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه؛ وقد يكون غير مشــروع لمفسدة تنشأ عنه، أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك.

فإذا أطلق القــول فــي الأول بالمشــروعية؛ فربما أدى اســتجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعًا من إطلاق القول بالمشــروعية؛ وكذلك إذا أطلق القــول في الثاني بعدم المشــروعية؛ ربَّما أدى اســتدفاع المفسدة إلى مفسدة تســاوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشــروعية. وهو مجــال للمجتهد صعب المورد؛ إلَّا أنه عذب المذاق، محمود الغِب، جارٍ على مقاصد الشريعة»[1].

واستدل الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه القاعدة الكبيرة بأدلة عامة مهمة لا مجال هنا لتفصيلها، ثمَّ قال:

---

(١) الموافقات (٥/١٧٧، ١٧٨).

QaradawiBooks.com

«وهذا ممَّا فيه اعتبار المآل على الجملة. أمَّا في المسألة على الخصوص فكثير؛ فقد قال في الحديث حين أشير عليه بقتل من ظهر نفاقه: «**أخاف أن يتحدَّث النَّاسُ أنَّ محمـدًا يقتل أصحابه**»[١]، وقولـه: «**لولا قومُك حديثٌ عهدُهم بكفر لأسَّسْـتُ البيتَ على قواعد إبراهيم**»[٢]. وبمقتضى هذا أفتى مالك الأمير حين أراد أن يرد البيت على قواعد إبراهيم، فقال: لا تفعل لئلا يتلاعب النَّاس ببيت الله. هذا معنى الكلام دون لفظه.

وفي حديث الأعرابي الَّذي بال في المسجد أمَرَ النَّبيّ ﷺ بتركه حتَّى يُتِمَّ بوله وقال: «**لا تُزْرِمُوه**»[٣]. وحديث النهي عن التشـديد على النفس في العبادة خوفًا من الانقطاع.

وجميع ما مرَّ في تحقيق المنـاط الخاص ممَّا فيه هذا المعنى حيث يكون العمل في الأصل مشـروعًا، لكـن ينهى عنه لما يـؤول إليه من المفسـدة؛ أو ممنوعًا، لكن يترك النهي عنه لما في ذلك من المصلحة، وكذلك الأدلَّة الدالة على سد الذرائع كلها، فإن غالبها تَذَرَّع بفعل جائز إلى عمل غير جائز، فالأصل على المشروعية، لكن مآله غير مشروع.

والأدلة الدالة على التوسـعة في رفع الحرج كلها، فإنّ غالبها سماح في عمل غير مشروع في الأصل؛ لما يؤول إليه من الرفق المشروع. ولا

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٨٦)، ومسلم (١٣٣٣)، كلاهما في الحج، عن عائشة.

(٣) ونصه: بينا نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ؛ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ مَهْ مَهْ. فقال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه، دعوه». فتركوه حتى بال، ثم إنّ الرسول ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنَّما هي لذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن». وأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشـنه عليه. رواه مسلم في الطهارة (٢٨٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

معنى للإطناب بذكرها لكثرتها واشتهارها. قال ابن العربي حين أخذ في تقرير هذه المسألة: اختلف النَّاس بزعمهم فيها، وهي متَّفق عليها بين العلماء فافهموها وادَّخروها»[1].

كما بني على هذه المسألة عدَّة قواعد، منها: قاعدة سد الذرائع، وقاعدة الحيل، وقاعدة الاستحسان وغيرها، فليرجع إليه.

وهذه القاعدة الشرعيَّة المهمَّة «النظر في مآلات الأفعال» هي الَّتي دعتنا إلى أن نطلب من الإخوة الأفغانيين من علماء حركة طالبان: أن ينظروا في نتائج إقدامهم على هدم تماثيل بوذا ومآلاتها عليهم وعلى دولتهم من ناحية، وعلى إخوانهم من الأقليات الإسلاميَّة الَّتي تعيش في مجتمعات بوذية، من ناحية أخرى.

أمَّا عليهم وعلى دولتهم، فإنَّ «الغرب» ـ وخصوصًا أمريكا ـ قد ناصبهم العداء، فليس من الحكمة أن يسْتَعْدوا «الشرق» ويستفزوه بالأعمال الَّتي تثيره عليهم. ولا سيما أنَّ أتباع بوذا يُعدُّون بالبلايين.

وهم في حاجة إلى دول كبرى تساندهم ضد الغرب مثل الصين واليابان، فهم في حاجة إليها، وإلى مساندتها سياسيا في مجلس الأمن والهيئات الدولية، وإلى مساندتها اقتصاديا لعلاج مشكلاتهم المزمنة، والنهوض ببلدهم زراعيا وصناعيا.

وأمَّا على الأقليات من إخوانهم، فإن من المعلوم أن هناك أقليات لها وزنها وأهميتها تعيش في سريلانكا وتايلند، وبورما والصين والهند، وهناك إسلام ناشئ في كوريا واليابان وغيرهما، وكلها بلاد بوذية.

(١) الموافقات (٥/١٨٠ ـ ١٨٢).

QaradawiBooks.com

ويُخْشَى على هذه الأقليات أن تُضَار وتُؤْذَى من جراء هذا العمل، ولا سيما من العوام والغوغاء، الَّذين قد يثيرهم بعض المتعصِّبين ضد المسلمين. وقد نشرت وكالات الأنباء: أن بعض هؤلاء أحرقوا المصحف انتقاما من المسلمين.

ولهذا يثير هذا القرار الخطير العالم الإنساني كلَّه ضد إخوتنا في «طالبان» ويعتبر حركتهم خارج إطار العصر، ويقود حملة تشنيع عليهم، بالإضافة إلى الحملات القائمة بالفعل. والعاقل لا يفتح على نفسه باب شر يمكنه إغلاقه بشيء من الحكمة.

ومن هنا شرع الإسلام قاعدة «سد الذرائع» وذكر ابن القيِّم في بيان شرعيتها تسعة وتسعين مثالًا على رعايتها وإعمالها، في كتابه الشهير: «إعلام الموقعين»[1]. وقال تعالى في كتابه: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فنهى المسلمين عن سب الأصنام، حتَّى لا يرد عليهم المشركون بسَبِّ الله تبارك وتعالى.

ومن المعروف لدى أهل العلم: ما ثبت في الصحيحين، أنَّ النَّبيَّ ﷺ ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، حفاظًا على مشاعر القرشيين، الَّذين سينكرون ذلك، وهم حديثو عهد بالإسلام، فترك ذلك رعاية لخواطرهم[2].

وقرر العلماء لهذا وغيره من الأدلة: أنَّ المنكر لا يُزال إذا خُشي من وراء إزالته فتنة أو منكر أكبر منه. وقد سكت سيدنا هارون ـ إلى حين ـ على عبادة قومه العجل، خشية أن يمزق شمل الجماعة، حتَّى يعود أخوه

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١١٠/٣).

(٢) سبق تخريجه صـ٥٩٤.

QaradawiBooks.com

الأكبـــر، ويتصرَّفا في الأمر. ولما رجع موســـى ووجد قومـــه قد عبدوا العجـــل الذهبي الَّذي صنعه لهم الســـامري، كان غضبان أَسِـــفًا، وألقى الألواح، وأخذ بـــرأس أخيه يجره إليه، وقال لـــه: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۞ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤].

فقه الأولويات:

ومن قواعد السياسة الشرعيَّة الحكيمة، بل من ركائز الفهم الصحيح للإسلام: مراعاة ما عبَّرنا عنه بـ «فقه الأولويات» بمعنى: أن نقدم الأهم على المهم، والمهـــم على غير المهم. فنقدم المصالـــح الضروريَّة على المصالح الحاجيَّة، ونقدِّم المصالح العاجلة علـــى المصالح الآجلة، أو الَّتي تحتمل التأجيل.

ولا يشك مطلع على أحوال أفغانســـتان أنَّ هناك قضايا أهم وأخطر من هدم هذه التماثيل، الَّتي لا يعبدها أحد في أفغانســـتان، والتي ورثها الأفغان من عهود ما قبل الإسلام، والتي سكت عليها المسلمون منذ عهد الفتح إلى اليوم.

ولدى حكومة طالبان من القضايا الخطيرة، والمشكلات الكبيرة، الَّتي تتطلب الحل والعلاج الناجز: الكثير الكثير. فأَوْلى بها ثمَّ أولى: أن تجعل أكبر همها في علاج هذه المشـــاكل، وتوفيـــر الطعام لكل جائع، والكساء لكل عار، والإيواء لكل مشرد، والدواء لكل مريض، والعمل لكل عاطل، والتعليم لـــكل جاهل، والأمن لكل خائف، وأن تعمل على وقف نزيف الدماء الَّذي لا يزال يسيل إلى اليوم بين أبناء أفغانستان الحبيبة.

QaradawiBooks.com

هذا ما أنصح به إخواننا المشـايخ في حركة طالبـان: أن يهتموا به اليوم، ويجعلوه شغلهم الشاغل، ويدعوا هذا الَّذي فكروا فيه أو قرروه، أو ـ على الأقل ـ يؤجلوه إلى وقت لاحق، يدعون فيه إلى مؤتمر علمي إسـلامي عالمي، يمثل علماء الأمَّة، وهو الَّذي يقرر هذا الأمر الخطير؛ بدل أن يتحملوا مسؤوليته وحدهم.

أسأل الله أن ينير بصائرهم، ويهديهم إلى الَّتي هي أقوم.

حقائق يجب أن تُعرف وتوضح:

وأودُّ أن أذكر هنا بعض الحقائق المهمة تبصرة وتذكرة:

الأولى: أنَّ لدى أفغانستان نحو أربعين ألف أثر من الآثار التاريخية المسجَّلة في اليونسـكو، لم تزل موجودة، ومحافظًا عليها، ولم يمسَّها أحد بسوء.

الثانية: أنَّ في أفغانستان أقلية هندوسية وسيخية، لديها من التماثيل والأصنام الكثير في معابدها، وفي بيوتهـا، وهي تعبد وتقدس بالفعل. ومع هذا لم يفكر مسلم من طالبان ولا من غيرهم أن يمسها بأذى؛ لأن أهلها يعيشـون في كنف المسـلمين ولهم ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة جماعة المسلمين، وقد أُمر المسلمون أن يتركوهم وما يدينون.

الثالثة: أنَّ في أفغانستان من خطر المجاعة، نتيجة الجفاف المتواصل لثلاث سنوات، ونتيجة الحصار الجائر لشـعبها الجاهد المجاهد، ومن الأمراض الَّتي تهددهم، وتهـدد أطفالهم، حتَّى أعلنت الجهات الصحية الدولية: أن أكثر من أربعمائة طفل يموتون يوميا من شدة البرد.

الرابعـة: أنَّ العالم بدولـه وهيئاته ومؤسسـاته المختلفة، يجب أن

QaradawiBooks.com

يتحمل مسؤولية ما حدث في أفغانستان من حركة طالبان، الَّتي تسيطر على ٩٠٪ تسعين في المائة من أرض أفغانستان، ومع هذا لم يعترف العالم بها، وعاش البلد معزولًا عن الدنيا. وأعتقد أنه لو كان في أفغانستان سفارات لدول العالم، وسفراء وقناصل لهم، ما أقدموا على هذه الخطوة الَّتي تنبئ عن تحدٍّ من ناحية، وعن يأس من ناحية أخرى. وفي حالة اليأس قد يرتكب الإنسان من الحماقات ما لا يرتكبه ـ بل لا يفكر فيه ـ في حالة الأمل والأمان.

الخامسة: أنَّ العالم والأمم المتحدة، واليونسكو قد ثار ثائرها، وأقامت الدنيا وأقعدتها من أجل التماثيل، ولكنها لم تفعل مثل ذلك ولا بعضه ولا قريبًا منه، فيما فعل بمقدسات المسلمين. وفي فلسطين المحتلة حيث محيت من الوجود (٤٢٠) أربعمائة وعشرون قرية في فلسطين المحتلة (إسرائيل) بمساجدها وكل ما فيها.

وفي البوسنة والهرسك حيث حطم وأحرق (٨٠٠) ثمانمائة أثر إسلامي، وخرب أعظم مساجدها أكثر من ستين مرة.

وفي الهند «مسجد بابري» الَّذي أقيم منذ (٥٠٠) سنة وفي كشمير «مسجد شرار شريف» الَّذي حوصر ستِّين يومًا ثمَّ تمَّ هدمه.

كل هذا تمَّ على مرأى ومسمع من الأمم المتحدة، ومن هيئة اليونسكو، وقد قال لي مندوب اليونسكو حين زارني في قطر: إنَّنا احتججنا على هدم مسجد بابري.

قلت له: ربَّما احتججتم بصوت خافت لم نسمعه، ولم يسمعه غيرنا، أمَّا الآن فأنتم تحتجون بصوت صارخ، وتتحركون وتحركون غيركم. والصوت الخافت ينيم اليقظان. أمَّا الصوت الصارخ فيوقظ النائم.

QaradawiBooks.com

ولهذا يناشد المسلمون عامة، والعرب خاصة: الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة، كما عُنِيَت بحماية التاريخ والتماثيل القديمة، وغضبت لها: أن تبدي مثل هذه العناية للبشر الأحياء، من أطفال فلسطين وأهلها جميعًا، الَّذين يعانون من قسوة الحصار، وطغيان إسرائيل، وعتاة الصهيونية الَّذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد. فلا يشك إنسان ذو قلب أنَّ العناية بالأحياء أولى من الأموات، وأن الاهتمام بالبشر مقدم على الاهتمام بالحجر. كما يناشدونها أن تهتم بمقدسات المسلمين، كما اهتمت بمقدسات غيرهم.

فلكي يكون نداء الأمم المتحدة مقبولًا عند الشعوب كافة، لا بدَّ أن تتعامل مع القضايا الحية بمعيار واحد، هو معيار القسط والعدل، الَّذي قامت به السماوات والأرض.

نسخة مجانية
غير مصرح بطباعتها
QaradawiBooks.com

تجزؤ الإيمان والمحافظة على الدين في الحياة العصرية

س: هل الإيمـــان يتجزأ؟ فمثلًا من يصـــوم ولا يصلي، فيه جزء من الإيمان، وليس فيه جزء آخر؟

وهل يستطيع الإنسان أن يسير بنفســـه وزوجته وأولاده على الطريق المستقيم، دون أن يكون شاذًّا في نظر المجتمع؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الإنســـان إذا آمن إيمانًا صادقًا كاملًا صحيحًا، يظهر أثر الإيمان في حياته كلها، في سلوكه الشخصي، وفي ســـلوكه مع عائلته، وفي سلوكه مع زملائه، وفي ســـلوكه العام، وفي وظيفته، يظهـــر الإيمان في حياته كلهـــا، كمـــا قـــال تعالـــى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]؛ لأن الإيمـــان ليس في الجامع فقط، أو في رمضان فقط، فبعض النَّاس في رمضان يحافظ على الصَّلاة والقرآن والصدقات ومكارم الأخلاق، فإذا خرج رمضان، ترك الصـــلاة، وهجر المصحف، وأطلق لنفســـه الحبل على غاربه، وكأنه يعبد رمضان، وكأن رب شوال

QaradawiBooks.com

ليس رب رمضان. ونحن نقول دائمًا: من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد فات، ومن كان يعبد الله تعالى، فإن الله حي لا يموت.

لكن أحيانًا يضعف الإيمان أمام بعض المغريات، فتجد الإنسان يرتكب بعض ما حرم الله، أو يضعف أمام بعض تقاليد المجتمع، ومثل هذا الإنسان لا نجرده من الإيمان كلية، فنقول: إنه كافر أو مرتد. ولكن في مثل هذه الحالة نقول: إنه ضعيف الإيمان.

وأقول للسائل: تستطيع أن تعيش مؤمنًا وأن تتمتع بالحياة، فالإسلام يطلب منك أن تبتعد عن الحرام، والله من رحمته لم يحرم إلَّا ما فيه الضرر، أباح الطيبات وحرَّم الخبائث، قال تعالى واصفًا النَّبيَّ ﷺ ورسالته ودعوته: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]. ولم يكلف الله الإنسان شيئًا إلَّا وهو يستطيعه، فإذا أمره بأمر فهو يستطيع فعله، وإذا نهاه عن شيء فهو يستطيع أن ينتهي عنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولو تأملتَ لوجدتَ أن الله تعالى بهذه المحرمات الَّتي حرمها يحفظ الفرد جسميًّا، ويحفظه عقليًّا، ويحفظه خُلقيًّا، ويحفظه روحيًّا، ويحفظه اجتماعيًّا، يحفظ دنياه ويحفظ آخرته، فأقول للأخ السائل: عليك فقط أن تَصْدُق العزم، لتعيش مسلمًا صادق الإسلام، وفي الوقت نفسه تتمتع بطيبات الحياة، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]. أي هي في الدنيا للذين آمنوا أصالة، ولغيرهم بالتبع، وفي الآخرة تكون الطيبات خالصة للمؤمنين.

QaradawiBooks.com

فالإنسان يستطيع أن يعيش مسلمًا وأن يتمتع بالحياة؛ لأن الإسلام لم يحرم علينا طيبات الحياة، ولم يأمرنا أبدًا أن نكون رهبانًا في دير، أو دراويش في تكية أو زاوية، منقطعين عن الحياة، وقد كان من دعاء النَّبيّ ﷺ: «**اللهمَّ أصلح لي ديني الَّذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي الَّتي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي الَّتي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعلِ الموت راحةً لي من كلِّ شرٍّ**»[1]. والقرآن يمتدح من يدعو بحسنتي الدنيا والآخرة: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. والقرآن يقول: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص: ٧٧]. فلا مانع أبدًا من أن يأخذ الإنسان حظه من الحياة ومتعها الطيبة، وأن يكون مسلمًا ملتزمًا بإسلامه.

عليك فقط أن تبتعد عن المنكرات والمحرمات، فالحياة العصرية جزءان، جزء مقبول، وهذا لم يمنعنا منه الإسلام، فأستطيع أن أُلبس ابنتي ملابس طيبة وجميلة، وتكون مع هذا سابغة وساترة، وأستطيع أن أسمع أغنية لطيفة ليس فيها ما يدعو إلى الحرام، أو أرى منظرًا جميلًا في التليفزيون، أو أتريض، أو أخرج في نزهة، أو أمازح أصدقائي وأولادي، كل هذا مباح لي ولزوجتي وأولادي، لكن ليس معنى هذا أن من أجل أن تعيش ابنتي حياة عصرية أن أسمح لها أن تراقص فتى أجنبيًّا، أو لا تلتزم بالثوب الشرعي، أو أسمح لزوجتي أن تراقص الأجانب، لأكون رجلًا عصريًّا، لا، فليس هذا مقبولًا.

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأقول لأخي السائل: ليس معنى أن يحيا المسلم حياة عصرية أن يأخذ هذه الحياة العصرية بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، وما يحل منها وما يحرم ـ كما قال بعض النَّاس في وقت من الأوقات: نأخذ الحياة الغربية بعجرها وبجرها ـ ولا أن ينسلخ من دينه وأخلاقه وقيمه، لا، بل لا بدَّ لنا أن ننتقي فنأخذ ما يلائمنا، وندع ما لا يلائمنا، هذا هو الطبيعي، فليس كل ما في الحضارة الحديثة والحياة العصرية يلائمنا؛ لأن منظار المسلم غير منظار الإنسان الغربي. للمسلم فلسفة في الحياة غير فلسفة الغربي، وله أهداف غير أهدافه، وله تقاليد غير تقاليده، فإذا كنتَ مسلمًا حقًّا فلا بدَّ أن تأخذ من الحياة ما يلائمك، وتدع ما لا يلائمك.

أمَّا أن تسلم نفسك للتيار يدفعك حيث يشاء، وأنتَ لا إرادة لك، فهذا لا ينبغي، بل للمسلم شخصيته النابعة من اعتزازه بدينه، وإيمانه بربه، كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن النَّاس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا. ولكن وطِّنُوا أنفسكم إن أحسن النَّاس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا**»[1].

تستطيع أن تتمتع بالحياة، وتستعمل أحدث ما أنتجته الحياة العصرية من التكنولوجيا الحديثة، والحياة العصرية، بشرط البعد عن الحرام، ودائرة الحرام دائرة محدودة جدًّا، ودائرة الحلال لا حدّ لها، أو كما قال الفقهاء: الأصل في الأشياء الإباحة، ويستطيع المسلم أن يستغني بالحلال عن الحرام، وبالطاعة عن المعصية.

(١) رواه التِّرْمِذيّ في البر والصلة (٢٠٠٧) وقال: حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنه يتماشى مع القواعد العامة والمبادئ الكليَّة في الإسلام.

QaradawiBooks.com

موالاة المؤمنين

س: يقــول الله تعالــى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، فكيف نوالي المؤمنين والمؤمنات، ونحن لا نعرف من هم أهل الإيمان؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الآية وضَّحت وبيَّنت صفات هؤلاء المؤمنين والمؤمنات الَّذين يجب علينــا أن نواليهم، فهم الَّذين قــال الله فيهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾، فمن اتصف بهذه الصفات فهو المؤمن.

نحن لم نؤمــر أن نفتش عن القلــوب، إنَّما لنا الظاهــر والله يتولى السرائر، لذلك قال عمر رضي الله عنه: إنَّ أناسًا كانوا يُؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنَّما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكــم، فمن أظهر لنا خيــرًا، أَمِنَّاه وقربناه، وليس إلينا من ســريرته

QaradawiBooks.com

شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة[١].

فمطلوب مِنَّا أنَّ من عمل هذه الأشـياء نواليه، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائـدة: ٥٦]. وألا نتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، كشـأن المنافقين الَّذين يقول الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، يوالون الكافرين ويتركون المؤمنين. ويقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

(١) رواه البخاري في الشهادات (٢٦٤١).

QaradawiBooks.com

الرغبة في دفع الوساوس من دلائل الإيمان

س: أنا شابة أخشى على نفسي الرِّدة عن الإسلام، والعياذ بالله، فدائمًا ما تأتيني الهواجس والوساوس، من قبيل كيف أنَّ الأوربيين ليسوا على الحق وهم يحيون هذه الحياة الراقية؟ أو هواجس عن اليوم الآخر وإمكانية حدوثه، لكني أستعيذ بالله من الشيطان، وأذهب لأشتكي حالي وضياعي في هذه الدنيا لإحدى الفتيات معي في المدرسة ممَّن أعرف عنها التقوى والصلاح، فتقول لي: عندما تأتيكِ هذه الأفكار والهواجس قولي: لا إله إلَّا الله، لا حول ولا قوة إلَّا بالله، واستعيذي بالله من الشيطان الرجيم، ثمَّ استمعي للقرآن الكريم ممَّن عرفوا بالقراءة الخاشعة، وحاولي الابتعاد عن سماع الأغاني، وجاهدي نفسك أن تصلي بخشوع.

فأردُّ عليها قائلة: لا أستطيع ذلك، لا أحس بالقدرة على ما تقولين، حتَّى إنني أشكُّ في رفع يديَّ، لمَنْ أرفعها؟ ومن أدعو؟ إيماني ضعيف، أرجو من فضيلتكم أن تساعدونا على الوصول إلى الحقيقة.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

هذه الأخت يصيبها ما قد يصيب النَّاس، فقد اشتكى بعض أصحاب النَّبيّ ﷺ مثل هذا، جاء ناسٌ من أصحاب النَّبيّ ﷺ فسألوه: إنَّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «**وقد وجدتموه؟**». قالوا: نعم. قال: «**ذاك صريح الإيمان**»[(١)].

فهؤلاء صحابة رسول الله كانت ترد على خواطرهم مثل هذه الوساوس والهواجس. حتَّى إن أحدهم قال ـ كما في رواية ابن عبَّاس ـ: إنَّه يقع في نفسي الأمر لأن أكون حِمَمَةً أحبُّ إليَّ من أن أتكلم به. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**الحمد لله الَّذي ردَّ أمرَه إلى الوَسْوَسة**»[(٢)]. أي: أمر الشيطان. وفي رواية ابن مسعود: سألنا رسول الله ﷺ عن الرجل يجد الشيءَ، لو خرَّ من السماء فتخطفه الطير، كان أحبَّ إليه من أن يتكلَّم به. قال: «**ذلك محْضُ الإيمان**». أو: «**صريح الإيمان**»[(٣)]. كانوا رضي الله عنهم يتحرجون من هذه الوساوس، الَّتي ترد على خواطرهم، والشكوك الَّتي ترد عليهم نحو الله، ونحو الآخرة، ونحو الأمور الغيبية، فيستحُون من ذكرها، فطمأنهم النَّبيّ ﷺ إلى أن ذلك محض الإيمان، أو صريح الإيمان.

لم يقل: أنتم كفرتم، أو خرجتم من الملَّة. بل اعتبر هذه الوساوس الَّتي تعتريهم من دلائل الإيمان، فكراهيتهم لتلك الوسوسة، ودفعهم لها، وتحرُّجهم منها دليل على الإيمان، ودليل على أن العقل يرفض ما يرد عليه.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٣٢)، وأحمد (٩٦٩٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٣١٦١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الأدب (٥١١٢)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٤٣٦).

(٣) رواه مسلم (١٣٣) مختصرا، وأبو عوانة (٢٢٩)، وابن حبان (١٤٩)، ثلاثتهم في الإيمان.

QaradawiBooks.com

يقول رسول الله ﷺ: «**لا يزال النَّاس يتساءلون، حتَّى يقال: خَلَقَ الله الخلْقَ، فمن خلق اللهَ؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقلْ: آمنتُ بالله**»[١]. أي يرد هذه التساؤلات والوساوس والظنون والشكوك إلى برد الإيمان وسلامة اليقين.

وأقول لابنتي السائلة: أنت ترفضين هذه الوساوس، ولذلك سألتِ من تستريحين إليها، وتثقين في دينها وإيمانها، فأنت موقنة أن هذا الدين دين حق، نزل به الوحي من السماء، وأنَّ محمدًا ﷺ صادق بما ادعاه من النبوة، وأنَّ القرآن كلام الله، ولكن تعتريك هذه الوساوس، الَّتي قال عنها النبي: «**صريح الإيمان**»[٢].

كثرة القراءة في الدلائل تقوي الإيمان:

ولا بد أن تحاولي تقوية إيمانك، بأن تكثري من القراءة في الدلائل المقوية للإيمان، تقرئي مثلًا كتاب «العلم يدعو إلى الإيمان» الَّذي ألفه أحد العلماء الأمريكان الكبار، وهو كريسى موريسون رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك، وترجمه د. محمود صالح الفلكي، وقدَّم له د. أحمد زكي: العالم الأديب المعروف، فهذا كتاب مهم، بيَّن فيه الكاتب أنه لا يمكن أن يكون هذا الكون وُجِدَ عبثًا، أو وجد صدفة، وبين بالدلائل العلمية أنه لا بدَّ أن يكون وراء هذا الكون مكوِّن، ووراء هذا الخلق خالق، ووراء هذا الإبداع كله مبدِع، فأنا أنصح الأخت أن تقرأ هذا الكتاب.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٣٤)، وأبو داود في السنة (٤٧٢١)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهناك كتاب آخر اسمه: «الله يتجلَّى في عصر العلم»، وهو من تأليف ثلاثين عالمًا أمريكيًّا، وهناك كتاب «مع الله في السماء» للدكتور أحمد زكي، وكتاب «الله والعلم الحديث» للدكتور عبد الرزاق نوفل، وأنا لي كتاب «الإيمان والحياة»، أدلل فيه على أن الإيمان ضرورة للفرد، وضرورة للمجتمع. ولي رسالة اسمها «وجود الله»، أُقيم الدلائل على وجود الله ﷻ، وهناك كتاب لأخينا الشيخ سعيد حوَّى رَحِمَهُ اللَّهُ، اسمه «الله جَلَّ جَلَالُهُ».

فأنصح الأخت أن تقرأ هذه الكتب، ليتقوى إيمانها، وأن تشغل نفسها بما يفيد، ولا تدع نفسها للفراغ، فأحيانا الفراغ هو الَّذي يسبب هذه الوساوس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حكم من قال: لا أومن بالأديان

س: أعرف رجلًا لا يصلي ولا يصوم، ويقول: إنَّه لا يؤمن بأديان، وهو متزوج، وله أبناء وبنات، وعمره يقارب الخمسين سنة، فهل نعتبره كافرًا أو مرتدًّا، ويجب أن يرفع أمره إلى القضاء ليستتاب؟ أم نعتبره مسلمًا عاصيًا؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إذا كان هذا الرجل مجرد تارك للصلاة والصيام تكاسلًا غير منكر لوجوبهما أو مستخفٍّ بهما، كنَّا سنعتبره مسلمًا عاصيًا، وإن كان مِن العلماء مَن يُكفِّر تارك الصَّلاة عمدًا، فالقول بتكفيره رواية عن أحمد، وهو مذهب إسحاق بن راهويه وبعض السلف.

أمَّا المنكرُ لوجوب الصَّلاة والصيام والمستخفُّ بهما، فهو كافر بالإجماع، فلو أن إنسانًا ترك الصلاة، ثمَّ دعي إليها، فقال مستخفًّا بها: نحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، وما زلتم تتحدثون عن الصَّلاة والصيام؟! أو لو قال: هذه الصَّلاة ليست فرضًا، وكل إنسان حر في تأديتها أو تركها! فهو كافر بالإجماع.

QaradawiBooks.com

وهذا الرجل الَّذي تسأل عنه أختنا السائلة، ليس مجرد تارك للصلاة والصيام فقط، بل هو تارك للدين، غير مؤمـــن بأي دين، فهذا ـ والعياذ بالله ـ ملحد جاحد، فظاهر حاله هذه أنه رجل كافر ومرتد عن الإسلام.

لهذا يجب أن يرد إلى بعض العلماء الراسخين، الَّذين يجمعون بين النقل والعقل، ويقدرون على الحوار مع هؤلاء، فلعلَّه بالمناقشة والحوار يتوب ويرجع إلى الدين الحق، لعله إن كانت عنده شبهة، فيحاول العالم أن يزيلها عنه أو يدله على بعض الكتب الَّتي تهديه وتشرح صدره، فإنْ لم يجد فيه خيرًا قط، ووجده مصرًّا على باطله، أوصي أن يُرفع أمره إلى القضاء، ليستتيبه القاضي، فإذا استتابه ولم يتب وأصر على موقفه حكم بكفره، وفرق بينه وبين زوجته، ويُضم أولاده الصغار إلى أمهم أو جدهم أو عمهم، أو أقرب العصبات إليهم، فهو ليس أمينًا على نفسه، فقد خان الله ورســوله ونفســه والمؤمنين، ويُخشــى أن يؤثر فيهم تأثيرًا سلبيًّا، فينشــئهم على طريقته، بعيدين عن الدين أو مارقيــن منه، والعياذ بالله، والشاعر يقول:

وينشــأُ ناشِــئُ الفتيــانِ منَّــا على مــا كان عــوَّدَهُ أبُــوه[1]

وليس لنا إلَّا أن نسأل اللهَ ﷻ له الهداية والتوبة، ولعله لو رفع أمره إلى القضاء، ورأى أن الأمر جِدَّ ونوقش، يثوب إلى رشــده، ويرجع إلى ربه، وما ذلك على الله بعزيز.

(١) من شعر أبي العلاء المعرّي، كما في اللزوميات (٤١٣/٢)، تحقيق أمين الخانجي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

المنامات المزعجة

س: أنا فتاة في التاسعة عشــرة من عمري، وأعاني من مشكلة سببت لي أزمة في حياتي، فأنا أرى دائمًا في المنام أنِّي أقص شعري، وأن شعري يتساقط بصورة هائلة بلا ســبب، بمجرد لمســه يقع، وعندما سألتُ عن تفسير هذا الحُلم، أُخْبِرْتُ بأن هذا إنذار بحدوث حادث سيئ في حياتي ينتظرني في المســتقبل، وهو ما جعل حياتي خوفًا وقلقًا واضطرابًا، ممَّا جعلني أنتظر حدوث أي مشــكلة أو أي بلوى في أي لحظة، إضافة إلى ذلك كله أنِّي أصبحت أخاف أن أنام خشية أن أرى هذه الرؤيا المزعجة.

ابنتكم

(ل. م. م)

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أقول للأخت السائلة: لا داعي لهذا القلق، فالأحلام والرؤى وما يراه المرء في منامه رموز لا يُعــرف تأويلها وتعبيرها بشــكل يقيني، وإنَّما التعبير ظن واجتهاد مــن المعبِّر، قد يحتمل ما قالــه وقد يحتمل غيره،

QaradawiBooks.com

فمفسر الأحلام أو المعبر يجتهد ليعبِّر هذا الرمز، ويجتهد، مثلا: قصَّ الشعر هو من أركان الحج والعمرة، كما قال الله: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وكما قال لرسوله وصحابته: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. فالمعبِّر يحاول ويجتهد أن يستجلي المعنى الرمزي، ويعبره من قبيل الظنِّ والتخمين، فليس لتعبير الرؤى أُسس يقينيَّة.

فالذين فسَّروا للأخت إنَّما هو اجتهاد قد يصيب وقد يخطئ، وسيدنا يوسف عليه السلام على الرغم من أنَّ الله علمه من تأويل الأحاديث، لمَّا فسر للذَيْن كانا معه في السجن، أن أحدهما سيصلب وتأكل الطير من رأسه، وأن الآخر سينجو، أي: ستثبت براءته ويخرج من السجن، وسيعود إلى عمله كما كان يفعل في الماضي، يسقي ربه «سيده» الملك الخمر، قال: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]. قال القرآن بعد ذلك: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. لأن تأويل الأحلام ليس فيه يقين، رغم أن المفسر هذا يوسف الصديق، الَّذي علمه الله تأويل الأحاديث: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]. فتأويل الأحلام يعتبر نوعًا من الظن والتخمين، وليس على سبيل القطع واليقين، هو يقول بالغالب على ظنه، فما بالنا بغير يوسف؟

الرُّؤى أنواع ثلاثة حسب المصادر والمنابع:

والرؤى أنواع ثلاثة: هناك رؤيا منبعها منبع نفساني، حديث نفس، كما يقولون في المثل: «الجوعان يحلم بسُوق العَيْش» (الخبز).

QaradawiBooks.com

وهناك رؤيا منبعها منبع رحماني، وهي الرؤيا الصادقة، الرؤيا الَّتي يراها الإنسان أو تُرى له، وتتحقَّق هذه الرؤيا.

وهناك رؤيا منبعها منبع شيطاني، الَّتي تريد أن تحزن الإنسان المسلم، وتجلب عليه القلق والخوف والإزعاج. فعن جابر: أن أعرابيا جاء رسول الله ﷺ، فقال: إنِّي حلمت أن رأسي قطع فأنا أتبعه. فزجره النَّبيّ ﷺ وقال: «**لا تخبر بتلعُّبِ الشيطان بك في المنام**»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوَّة. والرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا ممَّا يُحدِّث المرء نفسَه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقمْ فليصلِّ، ولا يحدِّث بها الناس**»[(٢)].

فعلى المسلم إذا رأى رؤيا يخاف منها ألَّا يحدِّث أحدًا بما رأى، وفي حديث آخر: «**الرؤيا الصالحة من الله، والحُلُم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حُلْمًا يخافه، فليبصق عن يساره، وليتعوَّذ بالله من شرِّها، فإنَّها لا تضرُّه**»[(٣)]. هذه هي السُّنة في مثل ما رأت الأخت.

ونحن لا نعرف هذه الرؤيا من أي هذه الأنواع الثلاثة هي، ليس عندنا يقين من أي نوع من هذه الرؤى، هل هي حلم من الشيطان؟ أو حديث نفس؟ أو رؤيا صادقة من الرحمن؟ الله أعلم.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٦٨)، وأحمد (١٤٣٨٣).

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في التعبير (٧٠١٧)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦٣)، عن أبي هريرة.

(٣) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٢)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦١)، عن أبي قتادة.

QaradawiBooks.com

أنا أنصح الأخت أن تضرب بتفسير المفسرين هذا عُرض الحائط، وتترك الأمر لله، وتسلم أمرها له سبحانه، ولا تعش في خوف وقلق وانتظار للمصائب، فانتظار البلاء بلاء فوق البلاء.

لا تخلو الحياة من الابتلاء:

والحياة لا تخلو من بلاء ومصائب، فلستِ وحدَكِ المعرَّضة للمصائب؟! كلنا معرضون للمصائب، ومن ذا الَّذي يخلو من البلوى؟ وإذا افترضنا أنه سيصيبك بلاء، فهل يمكن أن تخلو حياة الإنسان من الابتلاء؟ مستحيل أن تخلو حياة الإنسان من الابتلاء، الشاعر يقول عن الدنيا:

جُبِلَتْ على كدر وأنت تريدها ... صفْوًا من الآلام والأكدار
ومكلِّفُ الأيامِ ضدَّ طباعِها ... متطلِّبٌ في الماء جذوةَ نارِ[1]

هذه طبيعة الدنيا، الإنسان فيها معرض إمَّا لمصيبة نازلة، أو لنعمة زائلة، أو لمنيَّة قاتلة، هكذا قال السلف رضوان الله عليهم. وقالوا: الحياة بالبلاء معروفة، وبالغدر موصوفة. فلماذا نخاف من الابتلاء؟ الله تعالى يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾، بهذا القسم وهذا التوكيد، يقولون في اللغة العربية: اللام للقسم، والنون للتوكيد، ربنا يقسم، ومن غير أن يقسم قول الله حق:

---

(١) من شعر أبي الحسن التهامي، يرثي ولده. انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب (٣٥/١)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م، وانظر: ديوانه صـ٣٠٨، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الربيع، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. ولكن أقسم أنَّه لا بدَّ أن يصيبنا شيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ولكن البشرى للصابرين، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧].

فلماذا تنزعج الأخت هذا الانزعاج، والأصل في الدنيا أن كل النَّاس مبتلَوْن، فالدنيا لا تخلو من البلاء، سئل سيدنا علي: صف لي الدنيا يا أمير المؤمنين. فقال: ماذا أصف لك من دارٍ أوَّلها بكاء، وأوسطها عَناء، وآخرها فناء[1]؟!

عندما ينزل الجنين من بطن أمه يبكي، فأولها بكاء، وأوسطها عناء، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]. أي: في مشقة. منذ أن يولد في مكابدة للحياة وآلامها. وآخرها فناء، كما قال الله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

فهذه هي طبيعة الدنيا، فأنصح الأخت الكريمة ألَّا تنزعج هذا الانزعاج، ولو فرض أن التعبير الَّذي عُبِّر لها صحيح: فما على الأخت إلَّا أن تستسلم لقضاء الله وقدره، وتكون صابرة ومحتسبة، وعندما ينزل بلاء تلقاه بصبر جميل، وبالرضا والتسليم، وتقول كما علمنا القرآن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وكم في المحن من منح، والله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦].

(١) رواه القالي في الأمالي في لغة العرب (١٢٠/٢)، نشر دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

التخوّف من الرياء

س: لدي مشكلة، وهي أنِّي أحس دائمًا أن أغلب أعمالي رياء، وأتمنى أن أخلص فيها، وأن أؤديها على أكمل وجه يتقبله الله تعالى ويرضاه، فما قولكم في هذا الشعور؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذا شعور طيب، خوف الإنسان أن يكون عمله فيه رياء، أو خالطه الرياء، ينبغي أن يكون هذا هو حال المسلم، ينبغي أن يفتش عن دخائل نفسه، ماذا يريد بهذا الأمر؛ لأنَّ كثيرًا من الأشياء يفعلها الإنسان ويظن أنه تعبد بها لله، والحقيقة أنه أراد بها شهوة نفسه، حقَّق ذاته هو، مثل الثلاثة الَّذين ذكرهم الحديث الصحيح عند الإمام مسلم وغيره: «**إنَّ أوَّل النَّاس يقضى يوم القيامة عليه: رجلٌ استشهد، فأُتِي به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استشهدت. قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يقالَ: جريء. فقد قيل. ثمَّ أمر به فسُحب على وجهه حتَّى ألقي في النَّار.**

QaradawiBooks.com

ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأتي به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمْتُ العِلْمَ، وعلَّمْتُه، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمْتَ العِلْمَ ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل. ثمَّ أمر به فسُحب على وجهه حتَّى أُلقي في النَّار.

ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تُحِبُّ أن يُنْفَقَ فيها إلَّا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنَّك فعلتَ ليقال: هو جواد. فقد قيل. ثمَّ أمر به فسُحب على وجهه، ثمَّ أُلْقِيَ في النَّار»[1].

هؤلاء ما عملوا شيئًا لله، إنَّما عملوه لدنياهم، الله تعالى يقول: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦]. فتحرير النيَّة وتجريدها لله هذا أمر في غاية الأهمية، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

تجريد النيَّة لله:

فلا بدَّ للإنسان أن يحرِّر نيته وإرادته وعمله، حتَّى يكون كله لله ﷻ، لا شريك له، لا يدخل فيه شرك، ولذلك سيدنا أبو موسى الأشعري قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**أيها النَّاس، اتقوا هذا الشرْك؛ فإنه**

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أخفى من دبيب النمل». فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسولَ الله؟ قال: قولوا: «**اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم**»[١].

الرياء: هو الشِّـــرك الخفيُّ، هو أخفى من دبيب النمل على الصفا، على الصخرة الملســـاء، لا يُرى ولا يُحس ولا يُسمع، يتسلل إلى نفس الإنســـان من حيث لا يدري، فيحبط العمل، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إذا جمع الله ﷻ الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عَمَلٍ عَمِلَه لله أحدًا، فليطلبْ ثوابه مـــن عند غير الله ﷻ، فإنَّ الله أغنى الشـــركاء عن الشـــرك**»[٢]. ويقول: «**يقول الله تبارك وتعالـــى: أنا أغنى الشـــركاء عن الشـــرك، من عمل عملًا أشـــرك فيه معي غيـــري، تركته وشِرْكه**»[٣]. فعلى الإنسان أن يحرِّر نيته لله.

كان بعض الســـلف يخشـــى على نفسه الشـــرك ويقول: طوبى لمن صحَّت له خطوة لا يريد بها إلَّا وجه الله.

وكلَّما كان الإنســـان علـــى صفاء مـــع الله، ومعرفة بعيـــوب النفس ومداخل الشيطان إليها: يخاف على أعماله أن يكون قد دخلها الرياء وهو لا يدري، بعض السلف مرض، فزاره بعض أصحابه، فوجدوه يبكى بكاء شـــديدًا، فقالوا له: ما يبكيك يا فلان، لقد عملتَ مـــن الصالحات كذا

---

(١) رواه أحمد (١٩٦٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في الأوسط (٣٤٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٦٩): رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوســـط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان. عن أبي موسى الأشعري.

(٢) رواه أحمد (١٥٨٣٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والتِّرْمِذي في تفســـير القرآن (٣١٥٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٠٣)، عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري.

(٣) رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٥)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

وكذا؟ فقال لهم: وما يدريني أن شيئًا من ذلك قد قُبل، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

فالقبول لا يكون إلَّا من أهل التقوى، فتوجُّس الأخت من الرياء هو توجُّس صحيح، ولكن لا ينبغي أن يصبح مرضًا، الإنسان يخاف من الرياء، ولكن مع ذلك يفتِّش عن مكنونات نفسه، ويحاول أن يطهرها من الرياء، يحاول، ويدعو الله أن يرزقه الإخلاص، وأن يبعد عنه الرياء.

بقدر الإمكان نجد الأعمال الَّتي ليست فرائض يحاول الإنسان أن يخفيها: «**ورجل تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها، حتَّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[1]. أمَّا الفرائض فيعلنها، يصلي الصَّلاة المكتوبة، في جماعة ويراه النَّاس. يزكي، فيدفع زكاته للإمام أو لجمعية خيرية، لا بدَّ أن يُعرف أنه يزكي، حتَّى لا يسيء النَّاس به الظن، ولا يتهمونه أنه رجل فاسق لا يؤدي فرائض الله، وحتى يقتدي به الآخرون، ولا يقولوا: فلان هذا ما رأيناه يصلي، أو ما رأيناه يزكي، لا، الفرائض يعلَن بها، أمَّا النوافل فيحاول الإنسان أن يخفيها بقدر الإمكان، إلَّا إذا كان ينوي بإظهارها تعليم الآخرين، ليتعلموا منه ويقتدوا به، ونحو ذلك.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

البدع والمحدثات

QaradawiBooks.com

مفهوم البدعة

س: قلتم في إحدى الندوات: إنَّ البدع تكون فقط في العبادات، فهل من البدع قول الشخص لآخر بعد الحلاقة أو بعد الاستحمام: نعيمًا؟ وهل من البدع جعل يوم للعلم، أو يوم للشجرة، أو يوم للشرطة، أو للنظافة، أو للأم، أو نحو ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أن تقول للشخص بعد الحلاقة أو بعد الاستحمام: نعيمًا. أو تقول له بعد أن يأكل: هنيئًا. أو بعد أن يشرب: هنيئًا مريئًا. أو لما يصحو من النوم تقول له: صحَّ النوم. أو عندما يرجع من سفر: حمدًا لله على سلامتك. وأمثال هذا ممَّا اعتاده النَّاس في مثل هذه المواقف؛ لا شيء فيه؛ لأنَّها لا تقال على وجه التعبد، وإنَّما تقال على وجه المجاملة، والمجاملة مطلوبة من المسلم للمسلم.

والإسلام سنَّ لنا أدعية في كثير من المواقف، فإذا عطست تقول:

QaradawiBooks.com

الحمد لله. فيقول لك من حولك: يرحمك الله. فترد عليهم: يهديكم الله ويصلح بالكم. هذا نوع من المجاملة.

وإذا ذهبت مثلًا لزيارة مريض تقول له: لا بأس طهور. أو تقول له: اللهمَّ رب النَّاس أذهب الباس واشف، أنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا. وعندما يتزوج تقول له: بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير. سن لنا الإسلام المجاملة، بالدعاء الجميل، والكلام الرقيق.

وأرى أنه لا مانع شرعًا من أن يتعارف النَّاس على كلام طيب يقولونه في مثل هذه المجاملات، لكن لا يقال ذلك على سبيل التعبد والتدين، إنَّما من باب مجاملة النَّاس بعضهم لبعض، فهذه المجاملات لا تدخل في العبادات، وهي جائزة، ويبتكر النَّاس منها ما شاؤوا، ما دامت لا تشتمل على شيء محرم، فلو أن إنسانًا يعمل شيئًا محرمًا لا يجوز أن نقول له كلمة فيها تشجيع له على فعل هذا المحرم، مثلًا إنسان يستحم في حمام فيه رجال ونساء، لا تقل له: نعيمًا. هذا ليس نعيمًا، بل هو شقاء وجحيم. أو امرأة خرجت من حمام السباحة أمام الرجال، فلا تقل لها زميلتها: نعيمًا. فإذا لم يكن الأمر مشتملًا على معصية، فلا مانع أن يقول الشخص ما تعود النَّاس أن يقولوه، وليس هذا من البدع، بل أرى أن الشَّرع يحبِّذ مثل هذا؛ لأنَّها توثق الصلة بين النَّاس بعضهم وبعض.

وأما جعل يوم للعلم، أو للتشجير، أو للشرطة، أو للأم، أو للطفل... أو نحو ذلك، أو الأسابيع الَّتي يقيمونها كأسبوع منع التدخين، أو أسبوع منع المسكرات، فهذه كلها لا حرج فيها.

QaradawiBooks.com

في قطر هنا يجعلون يومًا للعلم، يحيُّون فيه الَّذين تخرجوا، فتحيِّي الجامعات فيه خرِّيجيها، وتعطيهم هدايا تشجيعية، لتشجيع النَّاس على العلم، وهو أمر مرغوب فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ويجعلون يومًا للشجرة، لإغراء النَّاس بالتشجير، وهذا شيء يرغب فيه الإسلام، فالنبي ﷺ يقول: «**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلَّا كان له به صدقة**»(١). ويقول ﷺ: «**من قطع سِدْرةً صوَّب الله رأسَه في النار**»(٢). أي: من قطع الشجرة المثمرة، وحرم النَّاس من ظلها وثمرها بدون مبرر: صوَّب الله رأسه في النَّار. فمثل هذه الأيام وهذه الاحتفالات أشياء طيبة، ولا مانع منها، ومن ذلك يوم الشرطة.

لكن الشيء الَّذي أتوقَّف فيه «يوم الأم»؛ لأنَّ يوم الأم هذا يعمله الغربيون؛ لأن عندهم ـ للأسف ـ عندما يكبر الفتى أو الفتاة يترك أمه وأباه، وتمر السَّنة ولا يرى أباه ولا أمه، فجاؤوا إلى يوم في السَّنة وجعلوه يومًا للأم أو يوما للأب، وبعض الأبناء حتَّى في هذا اليوم ربَّما لا يذهب لزيارة أمه أو أبيه، ويرسل لهما الهدية بالبريد، أمَّا نحن فلسنا في حاجة إلى هذا؛ لأن الواجب أن يكون كل الأيام عيدًا للأب، وعيدًا للأم، لسنا في حاجة إلى هذا اليوم، الإسلام أمرنا ببر الوالدين، وجعل حقهما أعظم

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٢٣٩)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٥٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦١٤)، عن عبد الله بن حبشي. والمراد بالسدرة: شجرة السدر (النبق) التي يكثر وجودها في البراري.

QaradawiBooks.com

الحقوق بعد حق الله، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ولذلك نحن لسنا في حاجة إلى يوم للأم أو للأب، ولا يكفي أن يكون يوم واحد في السَّنَة للأبِ أو للأمِّ، بل ينبغي أن يبرَّهما في كل يوم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة

س: ما قولكم فيما ذهب إليه الإمام الكبير: العز بن عبد السلام، في كتابه القيم «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» من تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام، حسب الأحكام الشرعيَّة الخمسة. فهناك بدعة واجبة، وبدعة مستحبَّة، وبدعة محرَّمة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة. وضرب مثلًا لكل واحدة من هذه البدع، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

البدعة: فعل ما لم يُعهد في عصر رسول الله ﷺ. وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة، والطريق في معرفة ذلك: أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة: فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة.

وللبدع الواجبة أمثلة:

أحدها: الاشتغال بعلم النحو الَّذي يفهم به كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وذلك واجب لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلَّا بمعرفة ذلك، وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب.

المثال الثاني: حفظ غريب الكتاب والسُّنَّة من اللغة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المثال الثالث: تدوين أصول الفقه.

المثال الرابع: الكلام في الجرح والتعديل لتمييز الصحيح من السقيم.

وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية، فيما زاد على القدر المتعين، ولا يتأتى حفظ الشريعة إلَّا بما ذكرناه.

وللبدع المحرمة أمثلة. منها: مذهب القدرية، ومنها مذهب الجبرية، ومنها مذهب المرجئة، ومنها مذهب المجسمة، والرد على هؤلاء من البدع الواجبة.

وللبدع المندوبة أمثلة. منها: إحداث الرُّبُط والمدارس، وبناء القناطر.

ومنها كل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها: صلاة التراويح، ومنها الكلام في دقائق التصوف، ومنها الكلام في الجدل في جمع المحافل للاستدلال على المسائل إذا قصد بذلك وجه الله سبحانه.

وللبدع المكروهة أمثلة. منها: زخرفة المساجد، ومنها تزويق المصاحف، وأما تلحين القرآن بحيث تتغير ألفاظه عن الوضع العربي، فالأصح أنه من البدع المحرمة.

وللبدع المباحة أمثلة. منها: المصافحة عقب الصبح والعصر، ومنها التوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، ولبس الطيالسة، وتوسيع الأكمام.

وقد يختلف في بعض ذلك، فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة، ويجعله آخرون من السنن المفعولة على عهد رسول الله ﷺ فما بعده، وذلك كالاستعاذة في الصَّلاة والبسملة[1].

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/٢٠٤، ٢٠٥).

QaradawiBooks.com

وقد خالفه في ذلك العلامة المالكي الإمام أبو إسحاق الشاطبي، ورأى أن البدعة لا تنقسم إلى هذه الأقسام، فالبدعة لا تكون إلَّا محرمة، ومشى على دلالة الحديث الظاهرة: «**كل بدعة ضلالة**»[1].

فإلى أيِّ الرأيين تميل؟ وما دليلك على هذا؟ وفقكم الله.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ الحكم بين اثنين من فحول الأمَّة، ومن الراسخين في علم الشريعة، وممن أصّلوا فقه مقاصد الشريعة، وقيامها على مصالح الناس؛ ليس بالأمر الهيّن، ومن أنا حتَّى أحكم بين علمين من أعظم أعلام الإسلام، من الربانيين الَّذين علِموا وعملوا وعلَّموا؟!

كل ما أستطيع قوله هنا: إنَّهما متفقان على النتائج، وإن اختلفوا في التسميات والمصطلحات.

ويمكننا أن نقول: إن خلافهما في «المنهج» وإن اتفقا في نتائج الأحكام.

فليس هناك شيء ممَّا يعتبره ابن عبد السلام حرامًا، يعتبره الشاطبي حلالًا، وليس هناك شيء ممَّا يعتبره الأول فرضًا يعتبره الثاني مباحًا أو مستحبًّا. إنَّما خلافهما في تحديد مفهوم البدعة عند كليهما.

---

(١) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، وأحمد (١٤٣٣٤)، عن جابر بن عبد الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فابن عبد السلام يعتبر كل ما لم يكن في عهد رسول الله، فهو بدعة، وهو مفهوم أقرب ما يكون إلى البدعة اللغوية، وهي الَّتي تقسم إلى الأقسام الخمسة الَّتي ذكرها الشيخ الإمام عز الدين.

على حين نظر الشاطبي إلى «البدعة الشرعيَّة» الَّتي قال فيها الحديث: «**كلُّ بدعة ضلالة**»[١]. فعرَّفها تعريفًا يُخرج كثيرًا ممَّا ذكره عز الدين أن يكون منها، وإن لم يتغير حكمها.

فتعلُّم النحو والعربية، وتدوين أصول الفقه والفقه نفسه، إلى غيرها من العلوم الشرعيَّة واللغوية وغيرها، كلها فرض كفاية على الأمَّة، ولكنَّها لا تدخل في البدعة عند الشاطبي؛ وذلك أنه عرف البدعة بأنَّها «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعيَّة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبُّد لله سبحانه»[٢]. وسنشرح فيما يلي هذا التعريف.

١ ـ **فأوَّل أركان البدعة ومقوماتها**: أن تكون في الدين، أمَّا ما كان في أمور العادات وشؤون الدنيا، فلا يدخل فيه الابتداع، بل أقول: إن الابتداع والابتكار مطلوب فيه. وفيه جاء الحديث الصحيح: «**مَن سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كُتب له مثل أجر مَن عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومَن سنَّ في الإسلام سنة سيئة، فعُمل بها بعده: كُتب عليه مثل وزر مَن عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[٣].

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (٤٧/١).

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ولهذا مَدَحوا عمر بما كان في عهده من ابتكارات سمَّوها «الأوليات» فهو أوَّل من مصَّر الأمصار، وأول من دوَّن الدواوين، وأول من اتَّخذ تاريخًا خاصًّا بالمسلمين، وأول من اتخذ دارًا للسجن، إلخ.

على خلاف أمر الدين فهو قائم على الاتباع، وهذا ما صرح به الحديث المتفق عليه عن عائشة مرفوعًا: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ**»[1]، ومعنى «**أمرُنا**» أي أمر ديننا، ومعنى «**فهو ردٌّ**» أي مردود عليه غير مقبول منه.

ولهذا لم يكن مقبولًا من بعض النَّاس أن يرفضوا وسيلة «الانتخابات» لمعرفة أصلح النَّاس لينوب عنهم في مجلس النواب، أو الشورى، بأنَّ هذه بدعة محدثة، لم تكن على عهد رسول الله، وإنَّما كان عدم قبول ذلك الرأي؛ لأنَّ الموضوع ليس في أمور الدين والعبادات، بل من أمور الدنيا والعادات.

٢ ـ **الركن الثاني**، أو المقوّم الثاني للبدعة: أن تكون هذه الطريقة مضاهية للطريقة الشرعيَّة، بحيث يمكن أن تلتبس بها، وتلحق بزمرتها، لشبهها بها بوجه من الوجوه.

كأن يضاف إلى الآذان جملة أو جُمَلًا ليست منه، كالذين أضافوا شهادة ثالثة، بعد الشهادة لله بالوحدانية، ولمحمد بالرسالة، وقالوا: وأشهد أنَّ عليًّا ولي الله، وهو لا شكَّ ولي الله بشهادة رسول الله له، وشهادة الأمَّة، والشهادة للأولياء بالولاية قريبة الشبه من الشهادة للرسول بالرسالة، فهذا وجه الالتباس، ولكنها مرفوضة لأن الأصل في العبادات

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الشـــعائرية هو المنع والتضييق فيها، إلَّا ما أذن به الشـــارع فيها، وحدد صورته وكيفيته، حتَّى لا يشرع النَّاس في الدين ما لم يأذن به الله.

ومثل أن يشرع الله في الصَّلاة التكبير للانتقال بين الأركان، ويحوله النَّاس إلى التسبيح أو التهليل أو التحميد، باعتبار كلٍّ منها ذكرًا لله، وهذا مردود على من فعله أو ارتآه؛ لأنَّ الله لم يشرعه في كتابه ولا على لسان رسوله.

٣ ـ والركـــن الثالث في البدعة كمـــا عرفه الشـــاطبي: أن يقصد بها المبالغة في التعبد والتقرب إلى الله تعالى.

وهذا يؤكد صلة البدعة بالجانب الديني، ولهذا يقصد أصحابها من هذه «الزوائد» الَّتي يلصقونها بالدين، ويضيفونها إليه، المبالغة في التعبد: كأنما لم يكفهم ما شـــرع الله لهم، فاستحســـنوا بهواهم أن يزيدوا على ما شرعه من عند أنفسهم أشياء أخرى، تشبع نهمهم فيما ظنوا، وفتحوا على أنفســـهم باب «الزيادة في الدين»، وهذا باب شر إذا فُتح لم يغلق، بل ظل من دخله يتوســـع فيه فيصبح الدين شـــيئًا آخر غير ما شرع الله، وألحق النَّاس به من الأحـــكام والتكاليف ما تنوء به الظهور، وتضيق به الصدور، وما تعجز طاقة الإنسان العادي عن حمله إلَّا بمشقة غير معتادة، ولذا علّم الله المسلمين أن يدعوا ويقولوا: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وهؤلاء كأنَّمـــا يعاكســـون ما جاء بـــه محمَّد عليه السلام من التيســـير في التكاليف، وتشريع الرخص، وإباحة المحظور عند الضرورات، واستثناء أصحاب الأعذار وغيرها، ولذا كان عنوان رسالته في كتب الأقدمين أنه:

QaradawiBooks.com

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهكذا زُمر المبتدعين في ديـــن الله؛ يناقضون ما جاء به محمَّد ﷺ، فهو ييسر وهم يعسّرون، وهو يقلل التكاليف وهم يُكثرون، وهو يخفف عن الخلق وهم يُثقلون، وقد قـــال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

أعتقـــد أنَّ منهج أبي إســـحاق الشـــاطبي فـــي بحث قضيـــة البدعة وتحديدها: كان أدق وأضبط من منهج الإمام عز الدين، ولكل فضيلة ونية.

ولقد أدار الشاطبي كتابه الفريد «الاعتصام» كله حول موضوع البدعة وتأصيله وتحقيقه، وإن لم يكمله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حكم ما يسمى «البطاقة المحمدية»

س: أمرنا نبيُّنا محمَّد ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ونظرًا لحدوث أمرٍ جلل ومن أبشع المنكرات، ألا وهو ظهور بعض الجهلة الَّذين يدَّعون العلم والمعرفة، بقول جاهل وخاطئ: أن نجعل لنبينا جواز سفر وبطاقة شخصية تتماشى والعصر، وتبع هذا الأحمق الغبي والجاهل بعض الجهلة، الَّذين لا حظَّ لهم بالعلم، ولا يعرفون قدر نبينا ﷺ، وهذا القول ليس اجتهادًا أبدًا؛ لأن الاجتهاد لا يصدر إلَّا من العلماء الكبار، والذين بلغوا منزلة عليا وعظيمة بالعلم والمعرفة، وكذلك لا يكون الاجتهاد في الأمور العقائدية والأصولية، بل في الأمور الفرعية الَّتي تحتمل أكثر من رأي، وهذا سيؤدِّي إلى الانتقاص من قدر النَّبيّ ﷺ، الَّذي أمرنا ربنا بتوقيره وتعزيره بقوله: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩][(١)]، وهذا لا يدلُّ على توقير ولا تعزير، وهي من البدع المنكرة، لقوله ﷺ: «**كلُّ بدعة ضلالة**»[(٢)].

وهي إساءة للأدب بحقِّ هذا النَّبيِّ الكريم ﷺ، حيث سيجعل كلُّ من هبَّ ودبَّ، يجعل له ﷺ «ما أسماه البطاقة العائلية والجواز، بصيغة

(١) الأولى أن يستدلَّ بالآية الكريمة: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ لأن الضمائر في آية الفتح تعود كلُّها إلى الله ﷻ فيما نرجِّحه.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٣٠.

نسخة مجانية

العصر الَّذي نعيش فيه». وقد تركَنا النَّبيُّ ﷺ على المحجَّة البيضاء، وترك لنا الكتاب والسُّـنَّة، حيث قال وبيَّن ﷺ: «**إنِّي قـد خلفتُ فيكم ما لن تضلُّوا بعدهما، ما أخذتم بهما، أو عملتم بهما: كتاب الله وسنَّتي**»[١].

وهذه صورة مشـوهة بحقِّ النَّبيِّ ﷺ، والمزعومة علـى أنَّها بطاقة شخصية وجواز سفر له ﷺ، يعدُّ من الكذب عليه ﷺ، لقوله عليه الصَّلاة والسلام: «**مَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار**»[٢].

وزعم هذا المبتـدع صاحب الفكرة: أنَّ فكرتـه لقيت رواجًا ما بين الدول، وذكر منهـا الكويت، وبلغات فرنسـية وتركيـة وماليزية، بعد صدورها باللغة الإنجليزية.

وأنهى السـائل رسـالته بأن هذا العمـل: اجتهاد أحمـق لا يليق، وحاشاه ﷺ من ذلك، وبطاقة رسـول الله ﷺ في الركن الأول للإسلام: أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

ثم قال: نرجو من سـماحتكم بيان الموقف الشرعي الصحيح من هذا العمل.

وفَّقكم الله ونفع بكم.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

---

(١) رواه الدارقطني في الأقضية (٤٦٠٦)، والحاكم في العلم (٩٣/١)، وسكت عنه هو والذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٩٣٧)، عن أبي هريرة.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١١٠)، ومسـلم في المقدمة (٣)، عن أبي هريرة. وهو حديث متواتر مشهور.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

من أصدق ما قال النَّاس من قبلنا: قول الشاعر العربي:

والليالـي مـن الزمـان حَبالـى مُثقلاتٍ يلـدْنَ كلَّ عجيـبِ[1]!

وهذا الَّذي يسأل عنه الأخ الكريم من عجائب ما ولدته الليالي، ممَّا لا أفهم لـه غرضًا، ولا أفقه لـه معنى، ولا أعرف له فائـدة، إلَّا أنَّه من «تقاليع» الفارغين، الَّذين فرغـت عقولهم من العلم، وقلوبهم من الآلام والآمال، فشُـغلوا بهذه التوافه، الَّتي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من العقل أو النقل برهان.

ما قيمة أن يُصدر إنسـان ما: «صورة جواز» لمحمد ﷺ؟ وما فائدته في الدين أو الدنيا؟ إلَّا ابتغاء الإغراب، والإغراق في الخيال، والبعد عن حقائق الحياة، وهموم النَّاس، ومتاعب الخلق؟

إنّ أقلَّ ما يُقال في هذا: إنه من البـدع المرفوضة في الدين، أو من «التقاليع» المذمومة في الدنيا. ومن المقـرَّر أن كلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

ومَن كان يحبُّ رسـول الله ﷺ، فليعـرِّف النَّاس بسـيرته العاطرة، وليعلِّم النَّاس سـنَّته المطهَّرة، وليدعُ النَّاس إلى رسالته العالمية: رسالة الرحمة للعالمين، والمنَّة على المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) نهاية الأرب (١/١٣٤).

QaradawiBooks.com

لا أن يبتدع هذا الأمر الَّذي تنكره العقول، وتنفر منه الفطر السليمة، الَّتي لم يفسدها اتباع أهواء الَّذين لا يعلمون، ولا التقليد الأعمى للآخرين.

ثم ماذا قدَّم في بيانات هذا الجواز أو هذه البطاقة؟

قدَّم بعض بيانات سطحية معروفة للكبير والصغير، مثل: محمَّد خير خلق الله، وسيد ولد آدم، ولكنَّه قدَّم بيانات أخرى عن محمَّد رسول الله، غير صحيحة ولا ثابتة، مثل قوله: إنه آخر الثلاثمائة والثلاثة عشر من الرسل، وآخر الأنبياء الَّذين بلغ عددهم مائة وعشرين ألفًا، اعتمادًا على أحاديث وردت بذلك، ولكنها أحاديث ضعيفة لا تقوم بها حجَّة.

وحسبنا أنَّ الله تعالى قال في كتابه بعد ذكر عدد من النبيين: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

ولو كان في ذكر عدد الرسل أو الأنبياء الَّذين ليسوا برسل: فائدة دينية يحتاج إليها النَّاس، لذكرها الله في كتابه الَّذي قال الله فيه لنبيه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فشغل النَّاس بمثل هذه الأعداد: مضيعة للوقت والجهد في غير طائل.

والعجيب أنَّ هذا الأخ الَّذي أراد أن يقدِّم للعالم بطاقة تعريف للرسول ﷺ: لم يحسن أن يعرِّف به أدنى تعريف.

QaradawiBooks.com

ولو أنَّه اقتصر على أوصاف الرسول ﷺ المقطوع بها، والمذكورة في القرآن لكان له شيء من القَبول، مثل قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

إلى آخر ما جاء من أوصاف الرسول الكريم في القرآن، وآفاق رسالته.

وقد وضع مبتدع الجواز المزعوم للنبي ﷺ مقابل صفحة الجواز: صفحة أخرى، يبدو أن المقصود منها: الدعوة إلى رسالة محمد، وتعاليم محمد، وكنَّا نتخيَّل أن تشتمل هذه الصفحة على أساسيات الرسالة، والمبادئ العامَّة لعقيدة الإسلام وشريعته وأخلاقه وقِيَمه، والمقاصد الكلية لهذا الدين.

ولكن خاب أملنا، حيث لم نجد فيها دعوة إلى التوحيد، ولا إلى الإيمان بالآخرة، ولا الإيمان بكتب الله ورسله، ولا إلى العبادات الشعائرية الكبرى: من الصَّلاة والزكاة، والصيام والحج، ولا إلى مكارم الأخلاق الَّتي بُعث محمَّد ليتمِّمها، ولا إلى مبادئ العدالة والإخاء والمساواة والحرية، ولا إلى الشرائع المحكمة الَّتي تقيم الموازين القسط بين النَّاس.

QaradawiBooks.com

بل كل ما ذكر في هذه الصفحة هو الوصية بحبِّ آل البيت ﷺ، والاعتماد على أحاديث أكثرها غير صحيح، وذكر هذا الموضوع خاصَّة تفوح منه رائحة طائفية لا نحبُّها، ولا نتمنَّى أن تشيع في المسلمين.

ولا يوجد أحد في المسلمين أيًّا كان مذهبه، لا يحبُّ آل البيت ويترضَّى عنهم، بل كلُّ مَن أحبَّ رسول الله عليه الصَّلاة والسلام: أحبَّ أهل بيته، كما أحبَّ أصحابه، وهذا أمر طبيعي ومعروف: أنَّ مَن أحبَّ إنسانًا أحبَّ كلَّ مَن كان له به صلة وثيقة، من قرابة أو صحبة.

ولهذا لا أرى هذا عملًا نافعًا يمكن للمسلم أن يشغل نفسه به، فضلًا عن أن يقدِّمه للنَّاس، معتبِرًا ذلك من باب تبليغ رسالة محمَّد إلى العالمين. والحقيقة أنه لم يقدِّم أيَّ شيء في مجال التعريف بالرسالة أو بالرسول.

على أنَّه في ذاته أمر مبتدَع لا يكتسب أيَّة مشروعية دينية. وفي الحديث الصحيح المتَّفق عليه، عن عائشة ﵂: «**مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو ردٌّ**»[1]. أي مردود على صاحبه، الَّذي تجاوز حدوده.

والأجدر بأبناء الإسلام، أتباع محمَّد عليه الصَّلاة والسلام: أن يبحثوا عن الاتصال بالعالم عن طريق الآليَّات المعاصرة، من الفضائيات والإنترنت وغيرها، للتعريف برسولهم الكريم ذي الخلق العظيم، والمبعوث برسالة الرحمة ودعوة الحق والخير والنور للعالم، ولتقديم الإسلام الصحيح المتكامل على النهج الوسطي الَّذي يرتبط بالأصول والمقاصد، ويراعي متغيرات العصر ومنجزاته، وما أصدق الحكمة المأثورة: رحم الله امرأً عرَف زمانه واستقامت طريقته.

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٣٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكني لا أوافق الأخ الكريم السائل في تضخيم هذه الإساءة أو هذا التجاوز، وكأنه أنكر المنكرات، أو أكبر الكبائر، أو كأنَّما يقارب الكفر. وهو لا يدخل تحت حديث: «**مَن كذب عليَّ متعمِّدًا، فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»[1]؛ لأنَّه لم ينسب هذا العمل إلى النَّبيِّ ﷺ، حتَّى نتَّهمه بالكذب عليه.

كما أنَّه لا يتعلَّق بالأمور العقائدية الأصولية، كما قال، بل هو يتعلق بأمر فرعي عملي، أعني: من وسائل الدعوة أخطأ فيها الصواب، وابتعد عن سواء الصراط.

فنحن ننكره ونبدِّعه، ولكن لا نبالغ فيه، وفي تكبيره وتهويله، وإنَّما ننظر إليه وَفْق منهجنا الوسطي، الَّذي لا يغلو مع الغالين، ولا يفرِّط مع المفرِّطين. وخير الأمور الوسط.

والحمد لله رب العالمين.

(١) سبق تخريجه صـ٦٣٦.

QaradawiBooks.com

الوصية المكذوبة

س: لقد عثرت على هذه الورقة، وذهلت لما وجدت فيها، فأرجو من سيادتكم إفادتي عمَّا تحتوي هذه الورقة، وهل هي صحيحة أم غير صحيحة؟ الورقة بتوقيع فاعل خير، وهي عبارة عن وصية، قال: إنَّها من الشيخ أحمد حامل مفاتيح حرم الرسول ﷺ، إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وفيها عظات كثيرة للمسلمين، وفي نهايتها يقول: إنَّ هنالك شخص في «بومباي» قد وزع ثلاثين ورقة من هذه الوصية ورزقه الله بـ ٢٥ ألف روبية، كما قام شخص آخر بنشرها ورزقه الله ستة آلاف روبية، وكما أن شخصًا كذَّب هذه الوصية ففقد ابنه في نفس اليوم، يقول: إنه إذا اطَّلع شخص على هذه الوصية ولم ينشرها فإنه سيُصاب بمصيبة كبيرة. فما رأيكم بهذه الوصية؟

وهل هي صحيحة أم غير صحيحة؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

لقد سأل الكثيرون عن هذه الوصية، وهي وصية ليست وليدة اليوم، ولا بنت الأمس، فقد رأيتها منذ عشرات السنين: وهي تُنسب إلى هذا الرجل المزعوم، المُسمَّى الشيخ أحمد حامل مفاتيح الحرم النبوي. وطالما سألنا النَّاس في المدينة وفي الحجاز، عن هذا المدعو الشيخ أحمد، وعن وظيفته، فلم نعثر له على أثر، ولم نسمع عنه خبرًا، ولم يُعرف في وقت من الأوقات هذا الشيخ أحمد، ولا رآه النَّاس في المدينة في يوم من الأيام، ولم يسمعوا هناك هذا الخبر، ولكن جاء من يشيع في بلاد المسلمين مثل هذه الوصايا المحزنة.

هذه الوصية بما فيها ليس لها قيمة ولا اعتبار في نظر الدين. فبعض هذه الوصية ممَّا لا يحتاج إلى رؤيا يراها الشيخ أحمد، ويرى فيها النَّبيّ ﷺ في المنام، فيما زعم، مثل أنَّ الساعة قريبة، وأن القيامة ستقوم، وأنَّها قاب قوسين أو أدنى، فهذا ممَّا لا يحتاج فيه إلى وصية للشيخ أحمد، ولا للشيخ عمر، وأن القرآن قد صرح بذلك وقال: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]. وقال النَّبيُّ ﷺ: «**بُعِثْتُ أنا والساعةَ كهاتين**»[1]. وأشار بسبابته وبإصبعه الوسطى. فلسنا بحاجة إلى من يذكرنا بذلك، وبعض هذه الوصية كخروج النساء سافرات وانحراف النَّاس عن الدين؛ لسنا في حاجة إلى من يذكرنا به أيضًا، فعندنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهما كافيان شافيان مغنيان. وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤٥.

QaradawiBooks.com

إنَّ من يظن أنَّ دين الإسلام بعد أن أتمه الله وأكمله، في حاجة إلى وصية يوصي بها إنسان مجهول، يكون قد شكّ في هذا الدين وفي كماله وفي تمامه. فديننا قد تم، وقد اكتمل، وليس في حاجة إلى وصية من الوصايا. إن هذه الوصية تحمل في طياتها دليل كذبها ودليل تزويرها، فصاحبها يهدد النَّاس ويخوفهم إذا لم ينشروها: أن تصيبهم المصائب، وتحل بهم الكوارث، وأن يموت أبناؤهم، وأن تفقد أموالهم، وهذا ما لم يقل به إنسان حتَّى في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

لم يُؤمر النَّاس أن كل من قرأ القرآن كتبه ونشره، وأن من قرأ صحيح البخاري كتبه ونشره، وإلا حلت به المصائب، فكيف مثل هذه الوصايا التخريفية؟! هذا شيء لا يمكن أن يصدقه عقل مسلم، يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا.

وتقول الوصية الزائفة: إنَّ فلانًا في البلد الفلاني نشر هذه الوصية فرُزق بعشرات الآلاف من الروبيات، هذا كله تخريف وتضليل للمسلمين عن الطريق الصحيح، وعن اتباع السنن والأسباب الَّتي وضع الله عليها نظام هذا الكون، فالرزق له أسبابه، وله طرائقه، وله سننه، أمَّا أن يعتمد النَّاس على مثل هذه الأوهام وعلى مثل هذه الخرافات، فهذا تضليل وانحراف بعقلية المسلمين.

إنَّنا نربأ بالمسلمين أن يصدقوا مثل هذه الخرافة، وأن يظنوا أن من نشر مثل هذه الوصية المكذوبة يختص بشفاعة النَّبيّ ﷺ، كما قال كاتب هذا الكلام الباطل، فإن شفاعة الرسول عليه الصَّلاة والسلام لأهل الكبائر من أمته، كما جاء في الأحاديث الثابتة، وقد

QaradawiBooks.com

قال ﷺ: «**أسعد النَّاس بشـــفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلَّا الله؛ خالصًا من قلبه**»[١].

نسأل الله ﷻ أن يفقّه المســـلمين في أمر دينهم وأن يلهمهم الرشد، وأن يعصمهم من تصديق الخرافات والأوهام والأباطيل.

غير مرخصة للطباعة

(١) سبق تخريجه صـ ٢٠١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الذبح عند سكنى بيت جديد

س: يزعم بعض النَّاس أنه من سكن بيتًا جديدًا، فعليه أن يذبح شاة أو أي ذبيحة أخرى، فإذا لم يفعل سكن الجنُّ منزله، وآذوه. فهل هذا صحيح؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الواقع أنَّ تصوُّرات كثير من النَّاس عن هذا العالم غير المنظور الَّذي هو الجنّ تختلف. فهناك من يغالون في الإثبات، ومن يغالون في النفي.

فقوم ينكرون الجنّ وينفون وجود هذا العالم؛ لأنَّهم لا يؤمنون إلَّا بالمحسوس. وهذا غلو.

وفي مقابلهم قوم يثبتون الجنَّ ويدخلونهم في كل صغيرة وكبيرة، فالجن على رؤوسهم، وعلى عتبات بيوتهم، والجن في الليل، والجن في النهار، والجن في كل مكان. حتَّى يتصور كأن الجنّ هم الَّذين يحكمون العالم.

وهذا أيضًا غلو يتنافى مع الإسلام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإسلام دين وسط، جاء وأقر هذه الحقيقة وهي وجود الجن، وإثبات عالمهم، والأخبار المتواترة عن حضور الجنّ واستحضاره، تنقلها الأجيال بعضها عن بعض، ولا زال إلى الآن. ومعظم القائلين بتحضير الأرواح، تبين أنَّهم يستحضرون الجنّ لا الأرواح، كما ذكر الدارسون لهذه الظاهرة. فالجن موجودون، لا شكّ في ذلك.

أما أن يعتقد النَّاس أنَّهم يملكون هذه السلطة، وذلك التأثير في العالم، حتَّى في سكنى المنزل الجديد، فمن لم يذبح شاة، احتلوا بيته ونغصوا عليه حياته!

هذه العقيدة ما نزل بها وحي، ولا نطق بها دين، وذلك من أمور الغيب لا يصح إصدار حكم فيه ومعرفة عنه، إلَّا عن طريق المعصوم ﷺ. فما لم يرد عنه، ولا أصل له، فلا ينبغي الاعتقاد به، ولا أن يقام له اعتبار في الدين.

وعلى هذا فالقول بوجوب الذبح عند سكني بيت جديد لا أساس له. فالذبائح معروفة في الإسلام، ولها ارتباط بمناسباتٍ معيَّنة، في الهديِ، وفي الأضحية، وفي العقيقة عند ولادة مولود.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العلاج بالتمائم والرقى

س: أنا شاب أبلغ من العمر نحو ٢٧ سنة، وقد تزوجت فتاة، ومرَّ على زواجنا عام، ونحن على أسعد حال، وفجأة عرضت لزوجتي أعراض غريبة، فبعد ذلك الهدوء والسكينة الَّتي كانت من أوصاف بيتنا، انقلب الحال إلى عواصف وزوابع، فامتلأت سماء المنزل بالصراخ والكلام الَّذي لا فائدة منه، حتَّى ولو لأمر تافه، وبدأت أفكر وأفكر، ولكن بدون جدوى، وبعد عناء طويل نصحني أهلي وأقاربي، وألحوا في ذلك بأن أعرضها على «المطوع»، ومن كثرة هذا الإلحاح، لبيت طلب الأهل وعرضتها عليه، وأجابني بقوله: إنَّ في رأسها جنيًّا، وتحتاج إلى قراءة ومحو لمدة خمسة عشر يومًا. وبعد هذه المدة أعمل لها «جامعة» وتعلق في رقبتها. وبدأ عمله على الفور، ومضت المدة المقررة ولم يفلح، بل بقيت كما هي. فما رأيكم في هذه الأشياء، هل لها أصل في الدين، أم أنَّها من أبواب الحيل والتدجيل وعيش المحتالين؟!

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

لقد جاءت الأحاديث تحذر المسلمين من مثل هذه الأمور، وتنهى أن يعتمدوا في علاجهم وتداويهم على مثل هذه التمائم؛ قد سماها الإسلام تمائم، وهي أشياء كانوا يعلقونها على الأولاد ونحو ذلك؛ لتدفع الجنّ أو تدفع العين، أو ما أشبه ذلك، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الرُّقَى والتمائم والتِّوَلة**[1] **شِرْك**»[2].

والرُّقى جمع رُقْية وهي أن يرقي الشخص ويعزم عليه بكلام لا يفهم. فهذه الرُّقى ممنوعة؛ إلَّا ما كان منها مأثورًا عن النَّبيِّ ﷺ، مثل: «**اللهمَّ رب النَّاس، أذهب الباس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[3].

وقد قال العلماء: إنَّ الرُّقى جائزة بثلاثة شروط:

أولًا: أن تكون بذكر الله تعالى وبأسمائه.

وثانيًا: أن تكون باللسان العربي وما يفهم معناه.

وثالثًا: أن يعتقد أنَّها لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

والتمائم الَّتي كانوا يعلقونها، ولا زال كثير من النَّاس يعلقونها، وقد سماها السائل «الجامعة» ويسميها البعض الآخر الحِرْز أو الحِجاب أو ما شابه ذلك. كل هذه نهى عنها الإسلام، وقد جاء رهط من عشرة

(١) التِّولة: بوزن عنبة: لون من السحر تلجأ إليه المرأة تتحبب به إلى زوجها، فيما تزعم.

(٢) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه البخاري في الطب (٥٧٤٢)، وأحمد (١٢٥٣٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

أشخاص يبايعون النَّبيّ ﷺ، فبايع تسعة منهم، وأمسك عن واحد، فلما سُئل في ذلك قال: إن في عضده تميمة. فأدخل الرجل يده فقطعها فبايعه رسول الله ﷺ، وقال: «**من علَّق تميمةً فقد أشرك**»[١]. أي علقها وتعلق بها قلبه. وروى الإمام أحمد، عن عمران بن حصين أنَّ النَّبيَّ ﷺ أبصر في عضد رجل حلقة من صُفْر، فقال: «**ما هذه؟**» ـ منكرًا عليه ـ قال: ألبسها من الواهنة (من مرض أصابه في منكبه)، فقال: «**أما إنَّها لا تزيدك إلَّا وهنًا، انبِذْها عنك؛ فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبدًا**»[٢].

ومن هنا كان الصحابة والتابعون ينكرون هذه التمائم أشد الإنكار حتَّى إن حذيفة رأى رجلًا معلقًا خيطًا من هذا النوع عليه، فقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تَمِيمة من عنق إنسان كان كعدل رقبة[٣]. أي كأنه أعتق رقبة. وعن إبراهيم النخعي ـ من كبار التابعين ـ قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها، من القرآن ومن غير القرآن[٤]. حتَّى التمائم من القرآن. أي إذا علّق آية من القرآن ونحو ذلك. بعض النَّاس رخص فيها وآخرون منعوها، وهو الراجح: أنَّ التمائم كلها لا تجوز؛ لأدلَّة معتبرة:

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه أحمد (٢٠٠٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطب (٣٥٣١)، وابن حبان في الرقى والتمائم (٦٠٨٥)، والحاكم في الطب (٢١٦/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٢٣٩): هذا إسناد حسن. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٩٦)، وصحَّحه في الصحيحة (٢١٩٥)، عن عمران بن حصين.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الطب (٢٣٩٣٩).

(٤) المصدر السابق (٢٣٩٣٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أولًا: لأنَّ الأحاديث الَّتي جاءت بالنهي جـاءت عامة، لم تفرق بين نوع من التمائم وآخر. وحينما أنكر النَّبيُّ ﷺ علـى الرجل التميمة الَّتي يلبسها، لم يقل له: هل فيها قرآن أو لا؟ وإنَّما أنكر التميمة من حيث هي.

وثانيًا: سـدًّا للذريعة، فإنَّ من يعلِّق القرآن يعلِّـق غيره، والذي يراه لا يعرف إن كان هذا قرآنًا أو غير قرآن.

وثالثًا: إنَّ هذا يعرض القرآن للامتهان والابتذال؛ فهو سـيدخل بها الأماكن النجسة، ويقضي حاجته ويستنجي، وقد تصيب الإنسان جنابة، أو المرأة الحيض، وهو لابس هذا الشيء الَّذي فيه آيات القرآن.

لهذا كان الصحيح أن التمائـم كلها ممنوعة، وقد قال ﷺ داعيًا على أصحاب هذه التمائم: «**من علَّق تميمـة، فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق وَدَعة، فلا ودع الله له**»[(١)]. أي لا تركه يعيش في دعة وسكون.

فهذه هي تعاليم الإسـلام. وكان الواجب على هذا الأخ السـائل أن يعرض زوجته حين وجد هذا المرض على طبيب، فإمَّا أن يعالجها، وإمَّا أن يحيلها على طبيب أخص منه بعلاج هذا النوع من الأمراض. فالذي يبدو من هذه الأعراض أنَّها مصابة بمرض عصبي: بالصرع أو نحو ذلك، فلا بدَّ أن تُعرض على الطبيب الَّذي يعالجها، وقد قال ﷺ: «**تداووا عبادَ الله؛ فإنَّ الله تعالى لم يضع داء إلَّا وضع له دواء**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وقال مخرّجوه: حديث حسن. وابن حبان في الرُّقَى والتمائم (٦٠٨٦)، والحاكم في الطـب (٤١٦/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وضعَّفـه الألباني في غاية المرام (٢٩٥)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه أحمد (١٨٤٥٥)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والتِّرْمِذي (٢٠٣٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٤٣٦)، ثلاثتهم في الطب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٠)، عن أسامة بن شريك.

QaradawiBooks.com

وجاء في صحيح البخاري عنه عليه الصَّلاة والسلام: «**إنَّما الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، أو شـــرطة محجم، أو كي بنار**»[1]. فلم يجعل الشفاء في التمائم، ولا في القراءة ولا في نحو ذلـــك، وإنَّما جعلها في الأمور الطبيعية، وهي جوامع الطب، ما يتناول عن طريق الفم، ومثله الآن الإبر ونحوها، وشـــرطة المحجم: العمليات الجراحية، والكـــي، ومثله الآن الجلسات الكهربائية، فكل هذا من الطب الَّذي جاء به الإسلام، والذي شرعه الرسول عليه الصَّلاة والســـلام، وقد تداوى عليه الصَّلاة والسلام واحتجم، وجيء له بالطبيب، وأمر أصحابه وأمته بالتداوي، فالأولى بنا أن نتبع سنة رســـول الله ﷺ، وأن نُعرض عن مثل هذه الأساليب، فإنَّها كما قال الأخ «عيش المحتالين».

ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه رضاه. وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يفقّهنا في ديننا، حتَّى نتعلـــم الطريق القويم، والصراط المســـتقيم. إنه سميع قريب.

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٠٢)، ومسلم في السلام (٢٢٠٥)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حكم الذهاب للعرافين والكهان

س: أنا إنسانة متدينة والحمد لله، وأفقه بعض أمور ديني، وأحرص على ذلك. وأعلم أنَّ الله تعالى حرَّم كل عمل أو تصرُّف يُخِلُّ بعقيدة التوحيد الَّتي أكرمنا الله بها، وقد نهى النَّبيّ ﷺ عن إتيان الكهان والعرافين والمنجِّمين، ومن يدعون معرفة الغيب.

لكن حدث لي أمر غريب؛ طلبتْ منِّي إحدى قريباتي ممَّن أحبُّهن أنْ أرسل لها أشياء طلبتْها منها العرَّافة لتُشفى من مرضها، وفي نظرها أنَّ العرَّافين أطبَّاء يعالجون المرضى، وقريبتي هذه مريضة، وقد أرسلت تطلب منِّي أن أوصل بعض الأشياء للعرَّافة، حيث إنِّي مقيمة في نفس بلد العرافة، وقريبتي تسكن في بلد آخر.

لا أدري ماذا أفعل؟ أريد أن أعرف حكم الدين في هذا الأمر، أنا أعرف أن هذا لا يجوز، ولكن أريد مزيدًا من الإيضاح ليطمئن قلبي.

الجواب:

نسخة مجانية

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الأخت على حق في هذا الأمر، الإسلام جاء يبطل العرافة والكهانة والتنجيم، وادعاء معرفة الغيب، والنبي ﷺ يقول: «**من أتى كاهنًا، أو عرَّافًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمدٍ**»[١]. لأن الَّذي أنزل على محمَّد ﷺ يخالف ذلك، يقول الله تعالى: ﴿**قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥]. الله الَّذي يعلم الغيب: ﴿**وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا**﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿**قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ**﴾ [الأعراف: ١٨٨]. الرسول نفسه لا يعرف الغيب، ﴿**عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ**﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

لكن هؤلاء العرَّافين والكُهَّان والمنجِّمين والرمَّالين (من يضربون الرمل) ومن يفتحون الكتاب أو يقرؤون الكف أو الفنجان، كل هؤلاء يدعون معرفة الغيب، وهم كذَّابون، فلا يعرف أحد منهم الغيب، ويدعون أنَّهم يعالجون المرضى بهذه الأشياء.

والذي يعالج المريض هو الطبيب، الإسلام شرع الطب والدواء، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**ما أنزل الله داءً، إلَّا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[٢]. وقال: «**تداووا عبادَ الله، فإنَّ الله ﷻ لم يضع داء، إلَّا وضع له دواء، غير داء واحد، الهَرَم**»[٣]. فنحن نتداوى، والتداوي عند

(١) سبق تخريجه صـ٥١٦.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٣٠.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٣٠.

QaradawiBooks.com

الطبيب، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. وجاء طبيبان عند النَّبيِّ ﷺ فقال: «**أيُّكما أطَبُّ؟**»[١]. أي: أمهر وأحذق في الطب، يرشدنا إلى أن نختار الطبيب الأحذق والأمهر.

هذا هو الَّذي شرعه الإسلام، ولما سئل النَّبيّ ﷺ عن الأدوية: أرأيت رُقًى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتُقاة نتقيها، هل تردُّ من قدر الله شيئا؟ قال: «**هي من قَدَر الله**»[٢]. الداء من قدر الله، والدواء من قدر الله، فأنتَ تعالج قدَرًا بقدر.

أمَّا التمائم ممَّا يعلقه بعض النَّاس للتحصين أو دفع العين أو ما شابه، فهذا من الشِّرْك، النَّبيُّ ﷺ قال: «**إنَّ الرُّقَى والتمائم والتِّوَلَة شِرْكٌ**»[٣]. والرقى في هذا الحديث هي الَّتي فيها شرك أو استعانة بالجن وما شابه.

وقال ﷺ: «**مَنْ علَّق تميمةً فقد أشرك**»[٤]. والنبيُّ ﷺ أبصر على عضُد رجل حَلْقة فقال: «**ويحَك، ما هذه؟**». قال: من الواهنة. قال: «**أما إنَّها لا تزيدك إلَّا وَهَنًا، انبذْها عنك، فإنك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبدًا**»[٥].

فالإسلام يعتبر هذه الأشياء ضربًا من الشرك، وقد جاء النَّبيُّ ﷺ يحمي حمى التوحيد.

---

(١) رواه مالك (٣٤٧٤) تحقيق الأعظمي. وقال الحافظ في فتح الباري (١٣٤/١٠): مرسل.
(٢) سبق تخريجه صـ ١٥.
(٣) سبق تخريجه صـ٦٤٩.
(٤) سبق تخريجه صـ٦٥٠.
(٥) سبق تخريجه صـ٦٥٠.

QaradawiBooks.com

فلا يجوز للأخت أن تستجيب لقريبتها، ويجب عليها أن تعرِّفها أنَّ هذا أمر محرَّم، وأنَّه لا يجوز استخدام مثل هذه الأشياء، وأن عليها أن تلجأ إلى الأطباء وتستعين بالله.

والإسلام اعترف بالأدوية المادية وبالأدوية الروحية، الأدوية المادية نأخذها من الأطباء المتخصصين، والأدوية الروحية هي الأدعية والرُّقى بكتاب الله أو ما صحَّ عن رسوله، ترقي المريض بقراءة الفاتحة والإخلاص والمعوذات وآية الكرسي، وبما صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ مثل: «**اللهمَّ ربَّ النَّاس، أذهِبِ الباس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[1]. ومثل: «**باسم الله أرقيك، من كلِّ شيء يؤذيك، من شرِّ كلِّ نفس وعين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[2]. هذه أشياء كلُّها جائزة.

فهذه من الأدوية الروحية، بجوار الأدوية المادية، أمَّا استخدام ما يقوله العرافون والكهنة فهذا مرفوض في الإسلام.

وأحبُّ أن أقول للأخت: من أراد أن يعالج نفسه فليعالجها عن طريق العلم والطب والسنن الَّتي أقام الله عليها هذا الكون، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلًا.

(١) رواه البخاري في الطب (٥٧٤٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢١٨٦)، وأحمد (١١٥٣٤)، عن أبي سعيد الخدري.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بناء ضريح ومسجد في أرض مملوكة بغير إذن أصحابها

س: ورد الخبر التالي في جريدة «الأخبار» المصرية، العدد رقم ٦٧٧٤ بتاريخ ١٣ صفر ١٣٩٤هـ الموافق ٧ مارس ١٩٧٤م، الصفحة الخامسة، العامود الأول:

نص الخبر:

ظاهرة غريبة في جنازة شيخ بإحدى قرى دمياط.

ظاهرة غريبة حدثت في قرية الناصرية بدمياط أمس. رفض الأهالي تنفيذ وصية الشيخ محمَّد الجمل الشهير بـ «أبو فراج» بدفنه عند وفاته في مكان يبعد عن مقابر القرية بحوالي ٣ كيلو مترات، ولكنهم عندما قاموا بتشييع جنازته أمس، فوجئوا بالنعش يستدير بحامليه، ويجذبهم إلى مزرعة قمح.

أخطر الأهالي رجال الشرطة، فأسرعت قوة على رأسها مأمور مركز «فارسكور» وحاولوا رفع النعش من مكانه دون جدوى.

اضطر الأهالي إلى إقامة ضريح للشيخ في نفس المكان، وتم دفن الجثمان فيه.

ومما يذكر أنَّ هذا الشيخ يبلغ من العمر ٩٠ سنة. وقد رحل من قريته الأصلية «طهطا» بسوهاج وأقام بقرية الناصرية منذ ٣٠ عامًا.

QaradawiBooks.com

انتهى الخبر المنشور.

أرجو التفضل بالإفتاء كتابة، مبينًا وجهة نظر الدين. وما هو الحكم بالنسبة للزرع الَّذي تلف بفعل المتسببين، ومنهم حاملو النعش. وحكم الضريح الَّـذي أقيم على أرض لا يملكها المتوفـى أو من قاموا بدفنه، وحكم المسجد الَّذي أقامه المتسببون على غير إذن من المالك للأرض. وهل لمالك الأرض أن يزيل الضريح الَّذي بني؟

أرجو التفضل بالإفادة كتابـة، حتَّى تطمئن قلوب مؤمنة بالله، وحتى لا تضيع حقوق على أصحابها.

وفقكم الله وسدد خطاكم.

(م. م. ص)

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لقد كان أهالي القرية على حق حين رفضوا تنفيذ وصية الشيخ بأن يُدفن في مكان ما، على بعد ثلاثة كيلو مترات من البلدة. وذلك لأن هذه الوصية باطلة لا يجوز تنفيذها، لما فيها من مخالفات عديدة للشريعة وللسنَّة.

أما أولًا: فلأنَّه أوصى بأن يُدفن في أرض ليست ملكًا له، وليست مواتًا، ولا موقوفة على الدفن، بل هي مملوكة لبعض النَّاس، الَّذين يسـتخدمونها بالفعل في الزراعة. ولو كان هذا الشيخ على شيء من العلم، ما سمح لنفسه بهذه الوصية الجائرة، الَّتي تتضمن العدوان على ملك الغير بغير حق.

QaradawiBooks.com

وأمـا ثانيًا: فلمـا تحويـه الوصية من نزعـة إلى التميز عن سـائر المسلمين؛ بحيث لم يرضَ الموصي لنفسـه أن يُدفن في مقابر النَّاس، وحرص على أن يدفن بعيـدًا عنهم، في مقبرة مسـتقلة. مع أنَّ الموت سوَّى بين الجميع، فلماذا التمييز في المقابر؟ وهذه النزعة لم تُعرف عند السلف الصالح، من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فقد كانوا يُدفنون مع غيرهم من المسلمين، ولم يُعرف الاتجاه إلى التمييز في المقابر إلَّا بعد شيوع البدع، والانحراف عن هدي السلف.

وأما ثالثًا: فلأنَّه كلف النَّاس أن يحملـوه من القرية إلى هذا المكان القصي، وما كان له أن يجشمهم هذه المشقة بغير مسوغ.

أما ما ذُكر من حكاية النعش واستدارته بحامليه، وجذبهم قهرًا ورغم أنوفهم إلى مزرعة قمح، إلـخ. فهذه حكايات يتناقلهـا العوام عادة في القرى، عندما يمـوت أحد «المشـايخ» الَّذين يعتقـدون بصلاحهم أو ولايتهم، ويعتبرون ذلك دليلًا على أنَّ الميت من أولياء الله الصالحين.

ولا أدري من أين حكموا للميت بذلك، ولم يرد بمثله كتاب ولا سُـنَّة، ولا ثبت عن أحد من الصحابة أو التابعين أن نعشه طار به، أو استدار بحامليه إلى حيث يريد هو ـ أي الميت ـ قسرًا عن حامليه، ولا يسـتطيع أحد أن يزعم أن مشـايخ زماننـا هذا أفضل مـن الصحابة وتابعيهم بإحسان.

وتفسيري لهذه الظاهرة أنَّ وراءها أحد العوامل الآتية:

١ ـ أن يكون هذا عن عمد وقصد من حملة النعش أو أكثرهم، ممَّن لهم صلة بالميت، وثقة به، ويريـدون أن يثبتوا له كرامة، ويروجوا ذلك في النَّاس، ممَّا قد يعود عليهم بعد ذلك بمنافع مادية أو أدبية.

QaradawiBooks.com

٢ ـ وقد لا يكون ذلك عن قصد منهم، وإنَّما فعلوا ذلك مدفوعين إلى حيث أوصى الميت بطريق «الإيحاء» الَّذي لا يخفى على دارس مبلغ تأثيره في النفس والسلوك، حتَّى إنه يحدث أحيانًا تغيرات عضوية ليس لها أدنى سبب إلَّا مجرد الاعتقاد والتوهم، ولا غرو إذا انتقل مثل هذا الإيحاء إلى رجال الشرطة أنفسهم، وبخاصة الجنود الَّذين هم جزء من العامة.

٣ ـ ولا يبعد أن يساعد على ذلك بعض مردة الجنّ والشياطين، الَّذين يريدون أن يُضلِّلوا السطحيِّين من الإنس بمثل هذا العبث، وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية صورًا كثيرة من هذا الجنس[1].

والعجيب أنَّ مثل هذه الحكايات والأساطير لا نسمع بها إلَّا في أوساط معيَّنة، وخاصَّة في القرى. وإلا فلماذا لم نسمع شيئًا من ذلك في المملكة العربية السعودية أو في قطر مثلًا، وقد عشت فيها بضعة عشر عامًا؟!

أمَّا ما أصاب صاحب المزرعة من أضرار، نتيجة لإقامة ضريح في أرضه بغير إذنه، ممَّا سبب إتلاف بعض الزرع القائم، وتعطيل جزء من الأرض عن الزراعة. فمن حقه أن يطالب المتسببين والسلطة معهم؛ بتعويضه عمَّا تلف من قمحه أولًا، وبإزالة آثار هذا الغصب والعدوان على ملكه الشرعي ثانيًا.

ذلك أنَّ القاعدة الشرعيَّة القطعية الَّتي ثبتت بآيات عديدة من القرآن، وبصريح الحديث النبوي، وباستقراء أحكام الشريعة، واتفق عليها أئمَّة المذاهب كافة: أن لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية صـ ١٦٩، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

فلا يجوز لمواطن في دار الإسلام ـ مسلمًا كان أو ذميًّا ـ أن يُضارَّ في نفسه أو ماله بغير حق عليه، ولا ذنب جنته يداه، وإذا حدث ذلك يجب أن يُزال الضرر بقدر الإمكان، وفقًا لقاعدة «الضرر يزال».

ولا يقال: إنَّ إزالة الضرر عن صاحب الأرض لا تتحقَّق إلَّا بضرر آخر وهو إزالة القبر، وإيذاء الميت، وقد قرر الفقهاء أنَّ الضرر لا يزال بالضرر؛ لأنَّنا نقول: إن الفقهاء قرروا أيضًا أن الضرر الأدنى يُحتمل من أجل دفع أو إزالة ضرر أعلى، وكذلك الضرر الخاص يُحتمل من أجل دفع الضرر العام.

وهنا الضرر الواقع على الحي أهم وأعظم من الضرر الواقع على الميت؛ لأنَّ الميت لا يضره أن تُنقل عظامه من مكان إلى آخر، وقد أجازوا نبش القبر لما هو دون ذلك. ولا سيما إذا كان الميت هو المتسبب في ذلك؛ حين أوصى بما لا يحل له، واستباح ملك القبر بغير حق.

على أنَّ هناك ضررًا عامًّا متوقعًا من بقاء مثل هذا الضريح بهذه الصورة، وهو اعتقاد العوام قداسة صاحبه، وإشاعة الخوارق والكرامات عنه، واستغلال ذلك لجذب البسطاء والمخدوعين إلى زيارته والتمسح به، وإيقاد الشموع والسرج عليه، ونذر النذور له، وذبح الذبائح على اسمه، إلى غير ذلك من المنكرات الَّتي لعن النَّبيّ ﷺ فاعليها، واعتبرها ضربًا من الشرك.

ولذا كانت إزالة هذا الضريح الَّذي أُسس بنيانه من أوَّل يوم على غير تقوى من الله ورضوان أمرًا مشروعًا، بل واجبًا لمن فقه عن الله ورسوله مرادهما.

QaradawiBooks.com

وحسبنا في هذا قصة «مسجد الضرار» الَّتي سجلها القرآن الكريم كما سيأتي.

أمّا المسجد الَّذي بُني على الضريح بغير إذن أصحاب الأرض، وبغير حاجة إليه لبعده عن القرية ثلاثة كيلو مترات كما جاء في السؤال، فإن الصَّلاة فيه حرام لوجهين:

الأول: أن الفقهاء أجمعوا على النهي عن الصَّلاة في الأرض المغصوبة ـ نهي تحريم أو كراهة ـ زجرًا للغاصب عن غصبه، وإعلانًا للسخط عليه، بل منهم ـ كالحنابلة والظاهرية ـ من قال ببطلان الصَّلاة في تلك الأرض، لما تقرر عندهم من أن النهي يقتضي الفساد والبطلان. ولحديث: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا، فهو ردٌّ**»[١] أي مردود عليه، غير مقبول منه.

الثاني: أن الأحاديث النبويَّة الصحيحة جاءت تنهى عن اتخاذ المساجد على القبور، وتلعن اليهود والنَّصارى الَّذين اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد[٢]، وتحذر ممَّا صنعوا.

ولهذا قرَّر المحقِّقون أنَّ الطارئ منهما على الآخر يُزال، فإن كان المسجد قد بُني أولًا ثمَّ طرأ عليه القبر أزيل القبر، وإن كان الأمر بالعكس أزيل المسجد الَّذي لم يبن على تقوى من الله ورضوان.

وبهذين الوجهين لم يعد لهذا المسجد حرمة، وشأنه شأن مسجد الضرار الَّذي قصَّ الله علينا قصته في سورة «التوبة» من كتابه العزيز

(١) رواه مسلم في الأقضية (١٧١٨)، وأحمد (٢٥٤٧٢)، عن عائشة.

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «لعن الله اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد». رواه البخاري في الجنائز (١٣٣٠)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وكان أصحاب مسجد الضرار من المنافقين، قد أتوا النَّبيّ ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية، وإنَّا نحبُّ أن تأتينا فتصلي لنا فيه! فقال: إنِّي على جناح سفر، وحال شغل. ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه. فلما نزل بذي أوان ـ موضع في الطريق إلى المدينة من تبوك ـ وجاءه خبر المسجد من السماء، فدعا رجلين من أصحابه، وقال لهما: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه. ففعلَا وأشعلا فيه نارًا، ثمَّ خرجا يشتدَّان حتَّى دخلاه، وفيه أهله. فحرقاه وهدماه فتفرقوا عنه، فأنزل الله فيه ما أنزل من الآيات[1]، وقد ذكر المحقِّق ابن القيِّم فيما يؤخذ من هذه القصَّة أمرين:

أولهما: مشروعية تحريق أماكن المعصية الَّتي يُعصَى الله ورسوله فيها وهدمها. كما حرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار وأمر بهدمه، وهو مسجد

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٦٨/١٤)، والبيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (٢٦٠/٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ. والبغوي في تفسيره (٩٣/٤)، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، نشر دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

يُصلى فيه، ويذكر فيه اسم الله، لما كان بناؤه ضرارًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا ومأوى للمنافقين المحاربين لله ورسوله. وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله: إمَّا بهدم وتحريق، وإمَّا بتغيير صورته وإخراجه عمَّا وضع له.

قال: وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار، فمشاهد الشرك الَّتي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أندادًا من دون الله أحق من ذلك وأوجب، وكذلك محال المعاصي والفسوق كالحانات، وبيوت الخمارين، وأرباب المنكرات، وقد حرَّق عمر بن الخطاب قرية بكاملها يُباع فيها الخمر، وحرق حانوت «رويشد» الثقفي وسمَّاه «فويسقًا».

الثاني: أنَّ الوقف لا يصح على غير بر ولا قربة، كما لا يصح وقف هذا المسجد.

قال: «وعلى هذا فيهدم المسجد إذا بُني على قبر، كما ينبش الميت إذا دفن في المسجد. نص على ذلك الإمام أحمد وغيره. فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر. بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق. فلو وضعا معًا لم يجز، ولا يصح هذا الوقف ولا يجوز، ولا تصح الصَّلاة في هذا المسجد، لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، ولعنه من اتخذ القبر مسجدًا، أو أوقد عليه سراجًا. فهذا دين الإسلام الَّذي بعث الله به رسوله ونبيه، وغربته بين النَّاس كما ترى»[1] اهـ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٥٠٠/٣، ٥٠١)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

فليت شعري إذا كان هذا الحكم في مسجد بُني على قبر على سبيل الوقف أي برضا الواقفين، الَّذين يظنون الثواب فيما فعلوا، وهم جاهلون، فماذا يكون الحكم في مسجد وقبر بنيا في أرض مملوكة للغير بغير إذنه ولا رضاه؟

إنَّنا إذا وجدنا من النَّاس من يجادل في الصورة الأولى، فلن نجد من يجادل في الصورة الأخرى؛ لأنَّها واضحة البطلان. والحق أحق أن يتبع، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. وبالله التوفيق.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حول تحضير الأرواح

س: شُغل النَّاس في بلدنا هذا وفي أيامنا هذه بالأرواح وتحضيرها، وسؤالها عمَّا يخبئه صدر الغد من غيوب، وما استعصى على الأطباء من علاج، وما أعضل على النَّاس من مشكلات. شُغل النَّاس بهذا شغلًا جعل التلاميذ والتلميذات ينصرفون عن الكتب والدروس إلى سِلال القمامة في الفصول يستحضرون الأرواح ويخاطبون المجهول.

وما روج في النَّاس هذه البدعة الجديدة إلَّا صحافتنا البارعة الماهرة، الَّتي تستطيع بقدرة قادر أو بسحر ساحر أن تجعل من الحبَّة قُبَّة، ومن القطِّ جملًا، ومن زُور القول وتافه الأشياء ما يشغل الأفكار والقلوب والألسنة. والمهم أن النَّاس يتجهون إلى الدين وعلمائه يسألونهم الرأي والقول الفصل فيما يرونه أو يسمعونه أو يقرؤونه.

ما هذا الشيء الخفي الَّذي يحرك السلال والأقلام ويخط على الورق إجابات تصيب وتخطئ؟ هل هي أرواح موتى، أم أرواح عفاريت، أم خفة يد وشغل حواة؟ هل يمكن استحضار أرواح الموتى من عالم البرزخ؟!

وهل يجوز سؤالها عن الغيوب؟ وهل يصح لنا تصديق ما تخبر به من غيب؟ وهل يمكنها معرفة الغيب؟

نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

وهل لنا أن نلجأ إلى الأرواح نستوصفها علاج أمراضنا، أو ما استعصى علينا منها؟ نرجو البيان الشافي في ضوء الأدلَّة الشرعيَّة.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا ريب أن النَّاس في حيرة أمام هذه الأسئلة، وهم يسمعون من هذا ما يناقض ذاك، وهم يريدون أن يخرجوا من هذه الحيرة والبلبلة برأي ديني صحيح صريح، يضع الحق في نصابه، ويرد النَّاس إلى الصراط المستقيم.

والذي لا نستطيع أن ننكره، أنَّ هناك أشياء خفية تحضر في جلسات التحضير رآها الكثيرون رأي العين تحرك السلال والأقلام تكتب وتجيب، أحيانًا بالخطأ وأحيانًا بالصواب، وإنكار هذا مكابرة في نظر من شاهدوا تلك الظاهرة، وهرب من مواجهة المشكلة بما يزيد الإشكال.

والذي نعتقده كذلك نحن المؤمنين بالأديان أن في الكون قوى غير منظورة، وعوالم كثيرة غير محسوسة، منها:

١ ـ أرواح الموتى: فعقيدتنا أنَّها باقية بعد الموت، وأنَّها لا تفنى بفناء الجسد، وأنَّها تنعم أو تعذب، وأن القرآن أخبرنا عن الشهداء، أنهم: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. وهذا طبعًا بالنسبة لأرواحهم أمَّا أجسادهم فقد تكون عظامًا نخرة، أو ترابًا مبعثرًا.

QaradawiBooks.com

وقد أخبر النَّبيُّ أنَّ الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه[١].

وقد شرع النَّبيّ ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور، أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقولون: «**السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون ونحن اللاحقون**»[٢]. وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد. قال ابن القيِّم في كتاب «الروح»: «والسلف مجمعون على هذا، وقد توافرت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له، ويستبشر به»[٣].

وهذا بناء على أن الروح ذاتٌ قائمة بنفسها، كما هو مقتضى أصول أهل السُّنَّة، وقد تظاهرت على ذلك أدلة القرآن والسُّنَّة، والآثار والاعتبار، والعقل والفطرة، وأقام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك أكثر من مائة دليل. وقد خاطب الله النفس بالرجوع والدخول والخروج، ودلت النصوص الصريحة على أنَّها تصعد وتنزل، وتقبض وتمسك، وترسل وتنفتح لها أبواب السماء، وتسجد وتتكلم، إلى آخر ما ورد.

٢ ـ الملائكة، وهم خلق نوراني غير محسوس، يقومون بوظائف شتَّى، منها حفظ الإنسان، وكتابة أعماله وتوفي روحه: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]،

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «العبد إذا وُضع في قبره، وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم...». رواه البخاري في الجنائز (١٣٣٨)، ومسلم في الجنة وصفتها (٢٨٧٠)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٤٩)، وأحمد (٨٨٧٨)، عن أبي هريرة.

(٣) الروح لابن القيم صـ ٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]، ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وعالم الملائكة عالم مفطور على طاعة الله، ليس له شهوة تفتنه عن ذكره: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٣ ـ الجن، وهم عالم روحي آخر، ولكنهم مكلفون كالإنسان، ولذلك يوجه القرآن الخطاب إلى الفريقين: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] وفي القرآن سورة كاملة عن الجنّ تحدثوا فيها عن أنفسهم، وعن علاقتهم برجال من الإنس، وأن منهم المسلمين ومنهم القاسطين، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤، ١٥]، والكفرة من هؤلاء الجنّ هم الشياطين، وهم ذرية إبليس وجنوده، وقد قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

إذا عرفنا هذا فمن أي هذه العوالم الثلاثة تلك الأرواح الخفية الَّتي تحرك السلال والأقلام؟!

لا نستطيع أن نقول: إنَّها أرواح الموتى الَّذين كانوا معنا بالأمس، فإن كثيرًا من هذه الأرواح المستحضرة، تدخل فيما لا يعنيها، وتفتي بما لا تعلم وتقول ما لا تعرف، وتكذب في أشياء، وتتطاول على الغيب الَّذي

QaradawiBooks.com

استأثر الله به، وما نظن أرواح الموتى فارغة لهذا العبث، فهي إمَّا في نعيمها أو عذابها، في روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النَّار. والعجيب أنَّنا لم نسمع عن روح واحدة لكافر أو فاجر صدقت النَّاس ما تعانيه من عذاب الله الَّذي أخبر القرآن أنَّها تلقاه بمجرد الموت: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۞ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۞ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۞ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۞ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۞ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۞ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۞ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٩٦].

فهذه منازل الأرواح عقب الموت، وقد صرحت الآية بأن أرواح المكذبين الضالين لها نُزلٌ من حميم وتصليةُ جحيم.

فهل يمكن أن تكون أرواح الكفَّار والملحدين العصاة طليقة من كل قيد؛ بحيث تذهب حيث تشاء وتستجيب لكل من يطلبها لا رقيب عليها ولا حسيب؟!

وفي الصحيحين، أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمر بقتلى بدر من المشركين فأُلقوا في قليب ـ بئر ـ ثمَّ جاء حتَّى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: «**يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسرُّكم أنَّكم أطعتم الله ورسوله، فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا؟**». قال: فقال عمر:

QaradawiBooks.com

يا رسولَ الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيده، ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم**»[(١)].

فإذا كانت هذه الأرواح لا تستطيع مجاوبة النَّبيّ الكريم، وهو أعمق البشر حاسة روحية، وأوصل النَّاس بعوالم الغيب، فكيف بغيره من بني الإنسان؟

وقد استدلَّ بعضهم على جواز استحضار الموتى بقراءة القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

والحق أنَّ في الآية دلالة واضحة على أن تكليم الموتى بالقرآن ممتنع، فقد ورد في سبب نزولها أن مشركي مكة اقترحوا على النَّبيّ تعنتًا أن يسير بقرآنه الجبال عن مكة فتتسع لهم، ويتخذوا فيها البساتين، وأن يفجر بقرآنه الأرض عيونًا وأنهارًا، وأن يتلوه على موتاهم فيخاطبوهم ويخبروهم بصدقه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي لو أن قرآنًا سيرت به الجبال، إلى آخره لكان هذا القرآن. وكلُّنا يعلم أنَّ «لو» تفيد امتناع جوابها لامتناع شرطها.

وإذا كانت هذه الأشياء الخفية الَّتي تحضر أو تستحضر ليست هي أرواح الموتى فإنَّا نعتقد كذلك أنَّها ليست ملائكة، فهي كما قلنا تكذب وتتناقض وتستطيل على الغيب، وتزعم لنفسها أسماء من البشر، وما هكذا تكون الملائكة، بل هم عباد لله مكرمون: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٣٩٧٦)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٧٥)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

لم يبــقَ بعد هذا إلَّا أن تكــون هذه القوى الخفية مــن عامل الجنّ والشــياطين، وفي العقيدة الإســلاميَّة متســع لمثل هذا، فوجود الجنِّ والشياطين حقيقة مقرَّرة، ومع كل إنســان قرينه من الشياطين، كما معه قرينه من الملائكة. وفي الحديث: «**ما من أحدٍ إلَّا وله شــيطان**»[1]. وفي القرآن: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧].

ومن حسن الحظ أنَّ هذا الَّذي نعتقده قد قاله سكرتير جمعية الأهرام الروحية الأستاذ حســن عبد الوهاب الَّذي اســتقال منها، وأعلن توبته ووزع منشورًا يذيع فيه رأيه على النَّاس، وقد نشرته صحيفة الجمهورية في ٢٣ من رمضان ســنة ١٣٧٩هـ، منه هذه الفقــرات: «لقد أزال الله عن قلبي في شــهر رمضان غشــاوة الضلال، وثبت لي أخيــرًا ثبوتًا قاطعًا لا شكَّ فيه أن الشخصيات الَّتي تحضر وتزعم أنَّها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب، ليســت إلَّا شــياطين وقرناء من الجن، يلبسون على النَّاس ما يلبسون، والآن وأنا أودع هذه الحقبة الشقية من عمري، أجدد إسلامي، وأستعيد إيماني، وأودع زملاء أعزاء، لا أحمل لهم في قلبي إلَّا كل عطف وإشــفاق ورثاء، ملحًّا على الله في الدعــاء أن ينير بصيرتهم، وينقذهم من أوحال هذه العقيدة الفاسدة».

ثم ما الغرض الَّذي من أجله تستحضر الأرواح؟ أهو سؤالها عمَّا كان وما يكون من شؤون غيبية؟!

ومن قال: إنَّ الأرواح ـ جنًّا أو ملائكــة وغيرها ـ تطلع على الغيب المطلق وتخبر به؟ والله يقول في شــأن الجنّ مع سليمان: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ

(١) رواه مسلم في صفة القيامة (٢٨١٤)، وأحمد (٣٦٤٨)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، ويقول على لسانهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، ويعلن عن موقف الخلق جميعًا بالنسبة للغيب فيقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ويقول على لسان خاتم الرسل: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وهل هذا الاستنطاق بالغيوب إلَّا من قبيل الكهانة والتكهن، الَّذي أعلن الإسلام الحرب عليه: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فسأله، فصدَّقه بما قال، فقد كفر بما أنزل على محمَّد**»[(١)]، «**ليس منَّا من تَكهَّن أو تُكهِّن له**»[(٢)] إنَّها الكهانة القديمة في زي جديد.

وما يصدق أحيانًا من بعض ما تخبر به تلك الأرواح ليس غيبًا حقيقيا، بل هو غيب نسبي ممَّا يعرفه بعض النَّاس عن بعض، ويعرفه قرناء الإنسان من الجنِّ والإنس. وما أقل ما يصدُق، وما أكثر الكذب والخلط في تلك التنبؤات، ولكن النَّاس عادة ينسون الكذب في ٩٩ مرة، ويتذكرون الصدق مرة واحدة، ولعله صدفة من الصدف.

---

(١) سبق تخريجه صـ٥١٦.

(٢) رواه البزار (٣٥٧٨)، والطبراني (١٦٢/١٨)، وجود إسناد البزار المنذري في الترغيب والترهيب (٤٦٠٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٨٠): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. وقال الألباني في غاية المرام (٢٨٩): حسن لغيره. عن عمران بن حصين.

QaradawiBooks.com

أم أنَّ الغرض من تحضيرها هو العلاج الروحي كما يقال؟!

وندع سكرتير الجمعية الروحية المستقيل يجيب عن هذا فيقول: «أما عن بدعة العلاج الرُّوحي، الَّذي تعلن عنه جمعية الأهرام الروحية بين حين وآخر، فهي عمليَّة إيحاء وهمي، وأنا شخصيًّا أنفقت نصف عمري في هذه العمليَّة، وكنت مريضًا طيلة هذه المدة بأكثر من مرض لازمني إلى اليوم، وكان من الأولى وأنا مؤسس الجمعية وصاحب أكبر مكتبة روحيَّة أن أعالج نفسي، أقولها بكل أسف: لم يحدث شيء من هذا».

إنَّ نبيَّ الإسلام قد اتخذ الأسباب الظاهرة في الوقاية والعلاج، وقال فيما رواه البخاري: «**إنَّما الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، أو شرطة مِحْجَم، أو كيَّة بنار**»[١]. فحصر الشفاء فيما يعرفه النَّاس في زمنه وَفْق السنن المعتادة، وقد احتجم هو، وأمر بالحجامة لغيره، وبعث بطبيب إلى بعض الصحابة، وحارب تعليق التمائم والودع وغيرها، ممَّا يزعم النَّاس أثره الخفي في العافية والشفاء وقال: «**من علَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق ودعة فلا ودع الله له**»[٢]، «**من علَّق تميمةً، فقد أشرك**»[٣].

فما الغرض إذن من وراء هذه الظاهرة وإذاعتها، وشغل النَّاس بها في هذه الآونة، اللهمَّ إلَّا بلبلة الأفكار، واضطراب العقائد، وصرف النَّاس عن الجد باللعب واللهو، والحياة حولنا لا تلهو ولا تلعب؟! ولقد أثبت

(١) سبق تخريجه صـ٦٥٢.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٥١.

(٣) سبق تخريجه صـ٦٥٠.

QaradawiBooks.com

بعض الباحثين أن وراء ظاهرة تحضير الأرواح يد الصهيونية العالمية، الَّتي تستغله لتحقيق أهدافها في دنيا الناس[١].

ربما كان للغرب عذر إذا انشغل بمثل هذه الأشياء ليرفه عن نفسه ويخفف بها غلواء ماديته، فقد أغرقته المادية إلى أذنيه، فلا عليه إذا تسلى بالأرواح وتحضيرها، بعد أن حطّم الذرة وغزا الفضاء.

أمَّا نحن الَّذين نحفر الصخر بأظافرنا لنصل ما انقطع، ونتدارك ما فات، ونلحق بالركب بل نسبقه إن أمكن، فكيف نشغل أنفسنا بمثل هذا العبث، وعندنا من روحانية ديننا، وفلسفة عقائدنا، وخصوبة إيماننا ما يغذي أشواقنا الروحية ويشبع نهمنا الوجداني والفطري، وينير بصائرنا، ويفسر لنا حقيقة الكون والحياة والإنسان!

أمَّا إن كان في هذا الشر من خير، فهو ما تتضمنه هذه الظاهرة من شيء تغص به حلوق الماديين الملحدين، الَّذين ينكرون كل ما لا يحس، ويجحدون ما وراء المادة ولا يذعنون إلَّا لما يدخل المعمل، وما يخضع للمجهر والمخبار، فلا روح ولا جن ولا ملائكة فهل يستطيعون بمقاييسهم المادية أن يفسروا لنا هذه القوى الخفية المجهولة؟! كلَّا، إنَّهم يفرون من ذلك بالسكوت أو المكابرة والإنكار.

أمَّا المؤمنون فهم لا يغمضون أعين قلوبهم عمَّا في الكون من قوى وعوالم منظورة، حدثهم عنها قرآنهم العزيز وصدق الله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٠].

---

(١) راجع: الروحية الحديثة دعوة هدامة للأستاذ الدكتور محمد محمد حسين، ففيه حقائق ومعلومات ذات خطر لا بدَّ أن تُعرف.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ما تكتبه الصحف عن الطوالع: حقيقة، أم خيال؟

س: تخصص كثير من الصحف والمجلات جانبًا منها ـ صفحة أو جزءًا من صفحة ـ تحدث النَّاس فيه عمَّا ينتظرهم في يومهم أو غدهم، من خير أو شر، تحت عنوان «حظك اليوم» أو ماذا تقول الطوالع؟ أو أنت والنجوم، أو نحو ذلك من العناوين.

وهي في العادة تخبر النَّاس بحظوظهم حسب تواريخ ميلادهم، الَّتي تتوزع على البروج المعروفة، وعددها اثنا عشر.

ومن النَّاس من يصدق ما تكتبه هذه الصحف، فيفرحون ويتفاءلون إذا بشرتهم بسرور، ويحزنون ويتشاءمون إذا أنبأتهم بسوء ينتظرهم. وقد تصدق هذه في بعض الأحيان؛ فيزدادون تصديقًا بهذه الطوالع والأخبار، واعتقادًا بصحتها.

وبعض النَّاس يقرؤها لمجرد التسلية، وإن كان لا يصدقها ولا يؤمن بها.

وقد طلبت إليَّ إدارة مدرسة قطر الإعدادية إبداء الرأي في هذا الموضوع وبيان حكم الشَّرع فيه.

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية

(وبعد)

جاء الإسلام ليحرر النَّاس من الأوهام والأباطيل في أي صورة كانت، وفي سبيل ذلك ربط النَّاس بسنة الله تعالى في خلقه، وأمرهم باحترامها ورعايتها، إن هم أرادوا السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

ومن أجل هذا شن الإسلام حملة واسعة على ما أشاعته الجاهليَّة من خرافات وأوهام، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها برهان، وشدد النكير على أصحابها والمتجرين بها في سوق التضليل والاستغلال، للغافلين من العوام وأشباه العوام، الَّذين لا يخلو منهم مجتمع في أي عصر كان.

ومن ذلك: السحر والكهانة، والعرافة والتنجيم، وادعاء معرفة الغيب المستور، بوسائط علوية أو سفلية تخرق حجاب الغيب، وتنبئ عمَّا يكنه صدر الغد المجهول، عن طريق النجوم أو الاتصال بالجن، أو الخط في الرمل، أو غير ذلك من أباطيل الجاهليات: شرقيها، وغربيها.

وحسبنا أن نقرأ بعض آيات القرآن الكريم، وبعض أحاديث النَّبيّ الكريم، لنتبين ضلال هؤلاء الأفاكين.

يقول الله تعالى في سورة النمل: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. فقد نفى عن أهل السماوات والأرض علم الغيب، الَّذي خص به نفسه سبحانه.

وفي سورة الأعراف: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

QaradawiBooks.com

فقد أمر خاتم رسله هنا أن يعلن أنه لا يعلم الغيب المستور، ولهذا يصيبه ما يصيب غيره من البشر، ولو كان في قدرته معرفة الغيوب المكنونة؛ لاستكثر من الخير، وما مسه السوء.

وفي سورة الجنِّ يقول تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧] وحده عالم الغيب، وأنَّه لا يطلع على هذا الغيب أحدًا من خلقه، إلَّا من ارتضى من رسول، وأنَّه يعلمه منه بقدر ما تقتضيه مشيئته وحكمته.

وتقرأ في أحاديث رسول الله ﷺ:

«من أتى عرَّافًا فسأله عن شيءٍ لم تُقبل له صلاةً أربعين ليلة»[(١)].

«من أتى كاهنًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمَّد»[(٢)].

«من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا، يؤمن بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمَّد»[(٣)].

والعرَّاف والكاهن والمنجم؛ كلهم من فصيلة واحدة، وهم الَّذين يدعون معرفة الغيوب والمضرات، عن طريق الجنّ والنجوم وغيرها.

وقد كان لكثير من الأمم اعتقادات في النجوم وتأثيرها في أحداث الكون، حتَّى ألّهها بعضهم وعبدوها من دون الله، أو أشركوها مع الله

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢٢٣٠)، وأحمد (١٦٦٣٨)، عن بعض أزواج النبي ﷺ.

(٢) سبق تخريجه صـ٥١٦.

(٣) رواه أبو داود الطيالسي (٣٨١)، والبزار (١٨٧٣)، وأبو يعلى (٥٤٠٨)، والطبراني في الكبير (٧٦/١٠)، والأوسط (١٤٥٣)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٦١٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤٨)، عن ابن مسعود موقوفًا.

QaradawiBooks.com

تعالى، ومن لم يعبدها صراحة أضفى عليها من التقديس ما يجعلها في حكم المعبود!

ومن بقايا ذلك: الاعتقاد بأن ما يجري في عالمنا الأرضي من أموره، له صلة بتلك النجوم العلوية، إيجابًا أو سلبًا، وأن السعود والنحس، والسرور والحزن، والغلاء والرخص، والسلم والحرب، مرتبطة بحركات الأفلاك وسير النجوم.

وهذا ما يرفضه الإسلام جزمًا، فالنجوم ما هي إلَّا جزء من مخلوقات الله تعالى في هذا الكون العريض، والعلوية والسفلية بالنسبة لها أمور نسبية، وهي كائنات مسخرة لخدمتنا كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

وقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

ومن هنا كان علم «التنجيم» القائم على ادعاء معرفة الغيب علمًا جاهليًّا مرفوضًا في الإسلام، ومعتبرًا من ضروب السحر كما في حديث ابن عبَّاس عن النَّبيِّ ﷺ: «**من اقتبس شُعبة من النجوم، اقتبس شُعبة من السِّحْر، زاد ما زاد**»[1].

(١) رواه أحمد (٢٨٤٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الطب (٣٩٠٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٢٦)، وصححه إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٧١).

QaradawiBooks.com

قال العلماء: والمنهي عنه من علم النجـــوم، هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مســـتقبل الزمان، مثل تغير الأســـعار، ووقوع الحروب ونحو ذلـــك، ويزعمون أنَّهـــم يدركون ذلك بســـير الكواكب واقترانها وافتراقها، وظهورها في بعض الأزمان. وهذا علم استأثر الله به، لا يعلمه أحد غيره. فأما ما يُعرف عن طريق المشـــاهدة من علم النجوم الَّذي يعرف به الزوال وجهة القبلة... إلخ؛ فإنه غير داخل في النهي.

ومثل هذا ما يقوم عليه علم الفلك المبني على الملاحظة والتجربة والقياس. فهذا محمود، وقد كان لعلماء المسلمين فيه اليد الطُّولى.

ومن هنا تكون فكرة ربط حظوظ النَّاس ومـــا يحدث لهم بالطوالع والنجوم حسب تواريخ ميلادهم: فكرة جاهليَّة، لا يؤيدها نقل ولا عقل، ولا تقوم على أســـاس من ديـــن ولا علم. ومن جادل في شـــأنها جادل بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير.

والحقيقة أنَّ وجود هذه الظاهرة وانتشـــارها، واهتمام الصحف بها، وحرص كثير من النَّاس على قراءتها، بـــل تصديقها في بعض الأحيان، ليدل على عدَّة حقائق هامة:

١ ـ وجود فراغ في حياة النَّاس في هذا العصر، ولا أعني بالفراغ فراغ الوقت، بل فراغ الفكر والنفس: الفراغ العقائدي والروحي، والفراغ دائمًا يتطلب ملؤه بـــأي صورة من الصور، ولهذا قيل: من لم يشـــغل نفســـه بالحق، شغلته نفسه بالباطل.

٢ ـ غلبة القلق النفسي وفقدان الشعور بالأمان والسكينة، أعني الأمان الداخلي والسكينة النفسية، وهما سر السعادة. وهذا أمر يسود العالم كله،

QaradawiBooks.com

حتَّى أولئك الَّذين بلغوا أرقى مستويات المعيشة المادية، وسخر لهم العلم أزِمّة الأشياء، يحيون في توتر واضطراب ومخاوف.

٣ ـ وهذا القلق وذاك الفراغ، هما في الواقع نتيجة لفقدان شيء مهم غاية الأهمية في حياة الإنسان، وفي تقرير مصيره، وهذا الشيء هو: الإيمان، فالإيمان هو مصدر الأمن والطمأنينة. وصدق الله إذ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

٤ ـ وأمر آخر وراء هذه الظاهرة، وهو ضعف الوعي الديني السليم، وأعني به الوعي المستمد من الينابيع الصافية للإسلام: من محكم القرآن والسُّنَّة، كما فهمها السلف الصالح، بعيدًا عن الشوائب والبدع والانحرافات. هذا الوعي هو الَّذي تصفو به العقيدة، وتصح العبادة، ويستقيم السلوك، ويستنير العقل، ويشرق القلب، وتتجدد الحياة.

ولو وعى النَّاس وفقهوا أن الغيب لا يعلمه إلَّا الله، وأن نفسًا لا تدري ماذا تكسب غدًا، وأنَّ التهجُّم على ادعاء الغيب ضرب من الكفر، وأن تصديق ذلك ضرب من الضلال، وأنَّ العرَّافين والكهنة والمنجِّمين وأشباههم كذبة مضللون ـ ما نفقت سوق هذا الباطل، ولا وجد من يكتبه أو يقرُّه بين المسلمين، وبالله التوفيق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

التبرُّك بالأحجار شرك

س: في مقام السيد أحمد البدوي بطنطا في مصر، وفي ركن من أركانه، يوجد حجر معلق مثبَّت بالجدار، به أثر قدم غائر، يتمسح النَّاس به ويتبركون، ويطلبون عنده البركات وقضاء الحاجات، حيث يقال: إنَّ هذا الأثر أثر قدم النَّبيّ ﷺ؛ فهل هذا الحجر ثابت حقيقة؟ وهل هذا التبرك جائز شرعًا؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ما أضاع المسلمين إلَّا الإفراط والتفريط، فبعضهم يسرف في الاعتقاد حتَّى يؤمن بالخرافة، ويتبرك بالأحجار والآثار الَّتي لم يشرعها دين، ولم يأذن بها الله، وآخر يُقتِّر في الاعتقاد حتَّى يثير الشبهات حول الحجر الأسود نفسه، غير أن الحق بين الاثنين. فالإسلام قد أبطل التبرك بالأحجار كلها، لم يستثنِ من ذلك إلَّا الحجر الأسود للحكمة الَّتي ذكرناها.

والحجر الموجود في طنطا كسائر الأحجار، ليس هناك تاريخ يثبت

نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

أنَّ هذا الحجر من عهد رسول الله، ولا أن أثر القدم هو أثر قدمه عليه السلام، وليس عند أحد سند بهذا أبدًا.

هذه واحدة. والثانية أنَّ رسول الله ﷺ لم يأمر أمته بالتمسح والتبرك بمواضع أقدامه، وتعظيمها إلى درجة التقديس، وإنَّما كان يحذر من كل ما يشم منه رائحة الغلو في التعظيم، ويوصد كل باب يخشى منه دخول الفتنة، لهذا قال عليه السلام: «**لعن الله اليهود والنَّصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)]. «**لا تتَّخذوا قبري عيدًا**»[(٢)]، «**لا تتَّخذوا قبري وثنًا يُعبَد**»[(٣)]، وكان أصحابه على هديه كذلك. أسرع عمر بقطع شجرة الرضوان الَّتي بايع المؤمنون رسول الله تحتها في الحديبية، وجاء ذكرها في القرآن، قطعها رضي الله عنه حين رأى بعض النَّاس يذهبون إليها متبركين.

إنَّ تقبيل الحجر الأسود أمر تعبدي؛ والأمور التعبدية امتثال محض لله يوقف عندها ولا يقاس عليها غيرها. وما أحسن قول عمر: لولا أنِّي رأيت رسول الله يُقبِّلك ما قَبَّلتُك[(٤)]! وأمَّا استناد بعضهم إلى حديث: «**لو اعتقد أحدُكم في حجر لنفعه**» فإنه استناد إلى باطل صراح، والحديث قال فيه ابن حجر: لا أصل له، وقال ابن تيمية: موضوع [(٥)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٦٢.

(٢) رواه أبو يعلي (٤٦٩)، والضياء في المختارة (٤٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨٤٧): فيه حفص بن إبراهيم الجعفري، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحا، وبقية رجاله ثقات. وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢١/٤)، وقال الألباني في تخريج فضائل الشام صـ ٥٢: صحيح بطرقه وشواهده. عن علي بن أبي طالب.

(٣) رواه مالك (٥٩٣) تحقيق الأعظمي، عن عطاء بن يسار مرسلا. ورواه أحمد (٧٣٥٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. بنحوه عن أبي هريرة.

(٤) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

(٥) انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي (٨٨٣)، تحقيق محمد عثمان الخشت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

الدِّين والصعود إلى القمر

س: يعلن الغربيُّون من أمريكان وروس وغيرهم: أن في استطاعة الإنسان الوصول إلى القمر، عن طريق المركبات الفضائية، ولكن كثيرًا من المتدينين يكذبون هذا الادعاء، ويعتبرونه حديث خرافة، حتَّى إن بعضهم زعم أن هذا ينافي ما جاء به القرآن؛ من أن الله جعل السماء سقفًا محفوظًا، وحفظها من كل شيطان مارد، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أودُّ أن أقول للأخ السائل: إنَّ القرآن الكريم ليس فيه نص صريح يمنع من وصول الإنسان إلى القمر، أو إلى غيره من الأجرام السماوية. كما أنه لا يشتمل على نص للوصول إلى تلك الأجرام، فليس هذا من رسالة الوحي المنزل من عند الله تعالى. كل ما فيه أن الله تعالى حفظ السماء من الشياطين كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨].

QaradawiBooks.com

ومعنى حفظ السماء من الشيطان أنه لا ينالها ولا يدنسها، ولا ينفث فيها من شره ورجسه وغوايته، فالشيطان موكل بهذه الأرض، وبالغاوين من أبناء آدم فيها، أمَّا السماء ـ وهي موضع الطهارة، ودار الملائكة، ورمز السمو والارتفاع، وقبلة دعاء المؤمنين ـ فالشيطان مطرود عنها مطارد، لا ينالها ولا يدنسها؛ إلَّا محاولة منه تُرد كلما أراد استراق ما يدور هناك من أحاديث بين الملائكة؛ ممَّا كلفهم الله به من أمور الكون. فهناك تُقذف بالشهب الثاقبة، الَّتي تقف بالمرصاد لكل شيطان مارد: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠].

ولقد كان مردة الجنّ قبل البعثة المحمدية يمارسون عمليَّة استراق السمع من الملأ الأعلى، وربَّما خطف بعضهم كلمة ونجا بها قبل أن يدركه الشهاب الثاقب، لينزل بها الشيطان إلى وليه من الكهنة والعرافين، فيزيد على الكلمة مائة كلمة.

حتى إذا كانت البعثة المحمدية، فوجئت الجنّ بأنَّ السماء قد حصنت تحصينًا لا عهد لهم به، وملئت بحرس شديد لا ينفذ منه أحد، يرميهم بالشهب فتسقط عليهم وتفتك بهم؛ فلم يعد هناك سبيل أي سبيل إلى استراق السمع، الَّذي كانوا يحاولونه من قبل، على ما كان فيه من مخاطرة.

هذا ما اعترف به مؤمنو الجنّ أنفسهم، كما حكى عنهم كتاب الله إذ قالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨، ٩].

QaradawiBooks.com

أمَّا هذا الحرس ما هو؟ وأين هو؟ وكيف هو؟ فلا نعرف عن ذلك شيئًا؛ لأن المصدر الفذ لهذه المعرفة هو الوحي المعصوم، من كتاب الله وسنة رسوله، فإذا لم يقولا لنا شيئًا عن ذلك، كففنا عن الخوض فيه، واكتفينا بما جاء به النص، ولو علم الله خيرًا لنا في الزيادة والتفصيل لزاد وفصَّل، وإذ لم يفعل فمحاولتنا نحن في هذا الاتجاه عبث، وإضاعة للجهد والوقت، وشغل للعقل البشري بما ليس في طاقته، وليس من اختصاصه، وليس ممَّا يفيد العلم به شيئًا في عمل الإنسان ورسالته في الحياة.

هذا ما جاء في القرآن عن حفظ السماء من مردة الجنّ والشياطين.

أمَّا بنو الإنسان فلم يرد ما يمنع وصولهم إلى السماء ولا ما يفيد وصولهم إليها. فهذا من الشؤون الدنيوية الَّتي تركها الخالق للخلق، وتركها الوحي للعقل، لينظر فيها على ضوء مصلحته، وقد خاطب الله المكلفين بقول: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وليس من الحكمة أن نجزم بمنع شيء لم يأت في الدين نص قطعي يمنعه، وربَّما استطاع العلم غدًا أن يحقِّق هذا الشيء، الَّذي يحلم به علماء الفضاء. وهم الآن قد خطوا خطوات واسعة في هذا السبيل.

ولا ندري ماذا يتمخض عنه الغد، وسبحان من علَّم الإنسان ما لا يعلم[1].

(١) كانت هذه الفتوى قبل صعود الأمريكان إلى القمر بعدة سنوات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حديث النفس

س: قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ألَّا يتنافى ذلك مع قول النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّ الله تجاوز عن أُمَّتي ما حدَّثت به أنفسَها، ما لم تعمل أو تتكلَّم**»(١). وقول النَّبيِّ ﷺ: «**ومن هَمَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها، كتبها اللهُ له عنده حسنةً كاملة**»(٢).

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الله تعالى يقول: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. هذه الآية فهم منها بعض الصحابة أنَّ الإنسان سيحاسب على حديث النفس، فنزل القرآن يصحح لهم الفهم، ويخبرهم أن الله لن يحاسب الإنسان إلَّا على ما اقترفت يداه

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الطلاق (٥٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (١٢٧)، عن أبي هريرة.
(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الرقائق (٦٤٩١)، ومسلم في الإيمان (١٣١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وكسبت، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده، واللفظ له، والترمذي، عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. قال: دخل قلوبَهم منها شيءٌ... فقال النَّبيُّ ﷺ: «**قولوا: سمعنا وأطعنا**». قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال الله: قد فعلت. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: قد فعلت. ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: قد فعلتُ[1].

بيَّن لهم أن لا حرج في مثل الوسوسة وحديث النفس وخواطرها، ما لم تتحوَّل إلى نيَّة وعزم.

أمَّا معنى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾. فقد قال بعض المفسِّرين: إنَّها في كتم الشهادة، وأن كاتم الشهادة ومخفيها في نفسه محاسب. وهذا التفسير باعتبار سياق الآيات، فالآية الَّتي قبلها مباشرة تنهى عن كتمان الشهادة: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. لكن «ما» الموصولة تدلُّ على العموم، ومعنى الآية أن الله سبحانه يعلم السر والعلن، ما ظهر وما بطن، وأنه يعلم حركات النفس، وما تصر عليه، وما تعزمه من فعل، سواء أعلنته أم لم تعلنه، وعلمه تعالى محيط بما ظهر وبما بطن من أعمال النفوس، ويحاسب الإنسان على النيات وما تكسبه القلوب، سواء أخفاه الشخص أم أظهره، فما تكسبه القلوب موضع مؤاخذة ومحاسبة، ولا تعارض بين ذلك وبين العفو عن حديث النفس

(١) سبق تخريجه صـ٣٥٥.

QaradawiBooks.com

والخطرات؛ لأنَّ حديث النفس ليس هو ما تكسبه النفس، ويعزمه القلب، وينويه الشخص، ويصر عليه؛ وإنَّما هو تلك الخواطر النفسيَّة الَّتي تعرض للإنسان فتوجهه نحو الهوى والشهوة؛ فإن سار وراءها حتَّى اعتزمها وأرادها وأصر عليها، ولكن عاقه عائق عن تنفيذها، لا تكون حديث النفس، بل تكون كسب النفس، ولكل نفس ما كسبت، وعليها ما اكتسبت؛ فالمرتبة الأولى وهي تلك الخواطر، ليست موضع مؤاخذة، بل إن التغلب عليها، وكفها بعد مكافحتها موضع ثواب؛ وهذا معنى حديث رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات، ثمَّ بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملة، فإن هو هَمَّ بها فعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة، ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها اللهُ له سيئةً واحدة**»[1]. فالإنسان قد ينوي الفعل الصالح، ولكن لا يفعله لعجزه عنه، من سفر أو مرض أو غير ذلك، فالله ﷻ يثيبه على هذا العمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، أي: بنيَّته؛ لأنَّ الإنسان يحاسب بنيته.

قد يكون الإنسان ممَّن يصوم كل يوم اثنين وخميس، أو يقوم من الليل، ثمَّ يصيبه مرض، فيصير غير قادر على قيام الليل، ولا على صيام النهار، فيكتب له ما كان يعمله صحيحًا مقيمًا، أو كان يقوم الليل ويواظب عليه، ثمَّ في ليلة كان مجهدًا ومتعبًا، وقد جاء من عمله مكدودًا، ثمَّ نام ولم يقم إلَّا لصلاة الصبح، جاء في الحديث أن الله ﷻ

(١) سبق تخريجه صـ٦٨٧.

QaradawiBooks.com

يكتب له مـــا كان ينوي أن يقومه من الليـــل، وكان نومه صدقة عليه من ربه، يقول النَّبيّ ﷺ: «**من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يُصلِّي بالليل، فغلبته عينُه حتَّـــى يصبح، كُتِب له ما نـــوى، وكان نومُه صدقةً عليه من ربِّه**»[(١)]. فهذا النـــوم تصدق الله به عليه، فقد أعجـــزه المرض أو التعب، لكنه أخذ هذا الأجر بنيته، هذا في جانب الخير.

أمَّا في جانب الشـــر، فلو هم به ثـــمَّ تذكر ربه، ووقوفـــه بين يديه، فانتهى عمَّا همَّ به، كتبه الله له حسنة، أمَّا إذا نواه وعزم عليه وصمَّم عليه يكتب عليه سيئة، حتَّى ولو لم يفعله، ولذلك جاء في الحديث الصحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا التقى المسلمان بســـيفيهما، فالقاتلُ والمقتول في النَّار**». قالوا: يا رســـولَ الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنَّه كان حريصًا علـــى قتل صاحبه**»[(٢)]. دخـــل المعركة وهو يريـــد أن يقتل أخاه المسلم، كل واحد منهما يريد قتل الآخر، فواحد منهما سبق الآخر فقتله، فالاثنان في النَّار، القاتل دخل النَّار بفعله، والمقتول دخل النَّار بنيته.

خلاصة القول: أنَّ موضـــع التجاوز هو حديث النفـــس وخطراتها، وموضع الحســـاب هو الإصـــرار والنيات، والاتجاه القلبـــي إلى الأذى والانتقام، فالإنسان لا يحاسب على ما أضمره في نفسه إلَّا إذا تحول إلى نية، وإلى تصميم وعزم على الفعل، في الخير أو في الشرِّ.

---

(١) رواه النسائي في قيام الليل (١٧٨٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٤٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١)، عن أبي الدرداء.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٠٨.

QaradawiBooks.com

من دخل في الإسلام وظل محتفظًا باسمه الأصلي

س: ما حكم المسلم الجديد الَّذي يدخل في الإسلام ويظل محتفظًا باسمه الأصلي، بدعوى أنَّنا غير ملزمين بتغيير الأسماء؟

الجواب:

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ليس من اللازم أن يغير الإنسان اسمه إذا دخل في الإسلام، ما لم يكن في اسمه حرج شرعي، كأن يكون اسمه: «عبد المسيح»، فهذا لا يجوز؛ لأن كل ما عُبِّد لغير الله لا يجوز، فيقال لهذا: غيِّر اسمك؛ لأن فيه مخالفة شرعية.

أما لو كان اسمه: «نمر» أو «أسد» أو ما شابه ذلك، فلا مانع من أن يحتفظ باسمه، والنبي ﷺ لم يغير أسماء أهل الجاهليَّة، أبقاهم على أسمائهم، إلَّا إذا وجد اسمًا ليس لائقًا، ففي صحيح مسلم، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيَّر اسم عاصية، وقال: «**أنت جميلة**»[1]. وقال

(١) رواه مسلم في الآداب (٢١٣٩)، وأحمد (٤٦٨٢).

QaradawiBooks.com

لرجل ما اسمك؟ قال: حَزَن. فقال: «**أنت سهل**»[١]. وحزن أي: صعب، والعرب كانوا يحبُّون الخشونة في الأسماء لأولادهم، لكن الإسلام لا يستحبُّ ذلك.

قال النَّبيُّ ﷺ: «**أحبُّ الأسماء إلى الله ﷻ: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها: حارثٌ وهمَّام، وأقبحها: حرب ومُرَّة**»[٢]. فلو كان شخص اسمه حرب، يُستحبُّ أن يغيِّره إلى سلام أو عبد السلام.

والنبي ﷺ لم يغيِّر إلَّا أسماء قليلة، وأبقى الأسماء على ما كانت عليه، المهم أن يكون الاسم لا يُتأفَّف منه، كما يسمي بعض النَّاس أولادهم بأسماء قبيحة من أجل أن يعيش، يسمى ابنه ـ مثلًا ـ «الشحَّات»، أو «خيشة»، أو كذا، لماذا؟ حتَّى لا يموت، وهذا لا أصل له، فالحياة والموت بيد الله ﷻ، ولكن هذا شيء جرى عند العوام.

فنحن لا نرى بأسًا أن يبقى الشخص المسلم الجديد على اسمه، خاصَّة إذا كان اسمه يدلُّ على صفة حميدة كالصلاح أو الشجاعة، أو السخاء أو الكرم، ولكن إذا كان الاسم شائعًا بين الناس: أنَّه يسمى به غير المسلمين، فيستحبُّ ويحسن أن يغيِّره.

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١٩٠)، عن المسيب بن حزن.

(٢) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي.

نسخة مجانية
غير مرخصة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية



فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢	١٢١، ٣٣٦
﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	٣	٣٣٦
﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	٤	١٧٤، ٣٣٦
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٢٦، ٣٣٦
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٣٣٦
سورة البقرة		
﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	١٥	٩
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٢٩	٥٥٤
﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾	٣٠	٢١٢، ٢٣٨، ٥٤٧، ٥٤٨
﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٣٢	٢٤، ١٩٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ ﴾	٤٠	٢٧٤
﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ ﴾	٤١	٢٥٨، ٢٧٤
﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٤٢	٢٧٤
﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ ﴾	٤٤	٣٢٨
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾	٤٨	١٦٥، ١٧٦، ١٨٥
﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾	٥١	٢٩١
﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾	٥٥	٢٩١
﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	٨٣	٦٢٧
﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا ﴾	٨٥، ٨٦	٢٧٨
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ ﴾	٨٧ ـ ٩٠	٢٧٥
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ﴾	٩١	٢٧٥
﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾	٩٨	٥٣
﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾	٩٩ ـ ١٠١	٢٧٥
﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	١٠٥	٢٨٣، ٢٩٤، ٣٢٠
﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم ﴾	١٠٩	٢٨٤، ٥٦٣
﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾	١١١	١١١، ١٨٧، ٥٥٩
﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾	١١٢	١٧٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾	١١٤	٥٣٧
﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	١٢٠	٢٧٧
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾	١٢١	٢٨٢
﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٣١، ١٣٢	٤٩
﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ ﴾	١٣٤	٤٢٢، ٤٣٦، ٤٤٣، ٤٤٥
﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾	١٣٦	٢٥٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	١٨١، ٥٧٩
﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾	١٤٤	٢٨٥
﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ﴾	١٤٥	٢٨٥
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ ﴾	١٥٥ ـ ١٥٧	٦١٦، ٦١٧
﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾	١٦٧	١٣٨، ١٦٥، ١٨٥
﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾	١٧٧	٢٧٠، ٢٥٧، ٣١٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ﴾	١٧٨	٣٥٢، ٥٠٨
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	١٨٣	٨٥
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾	١٨٥	٨٥، ٢٣٢
﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾	١٨٧	٢١٩
﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾	١٩٠	٧٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾	١٩٣	٧٩
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾	١٩٥	٢٣٠
﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾	١٩٦	٦١٤
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾	٢٠١	٨٨، ٦٠٣
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾	٢١٦	٧٨، ٤٦٠
﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾	٢١٧	١٩٦
﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾	٢٢١	٢٥٠، ٢٩٤، ٣٢٠
﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾	٢٥٣	٥١٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾	٢٥٤	١٦٥، ١٨٥، ١٩٠
﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾	٢٥٥	٨٠، ١٧٤، ١٨٨
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾	٢٥٦	٩٣، ٢٥٨، ٢٩٨، ٥٥٦
﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾	٢٥٧	٢٥٨، ٥١٧
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾	٢٦٠	٤٤
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾	٢٦١	١٩٥
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ﴾	٢٧٥	٢٠٩، ٢١٢، ٢٣٧، ٢٤١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾	٢٧٨، ٢٧٩	٤٨٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾	٢٨٣	٦٨٨
﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾	٢٨٤	٦٨٧، ٦٨٨
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ﴾	٢٨٥	٥٣، ١٩٤، ٢٥٧، ٢٧٠
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾	٢٨٦	١٧٢، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٥٦٣، ٦٠٢، ٦٣٣، ٦٨٨
سورة آل عمران		
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾	٧	٢٦٠
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ﴾	٨	٢٠٨
﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	٤٩
﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ﴾	٢٠	٩٤
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾	٢٣، ٢٤	٢٨٣
﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾	٢٨	٣٩١، ٤١٩، ٤٢٠
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	٣١	١٧٦
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾	٣٢	٣٨٢
﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	٣٦	٢٢٦
﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ﴾	٣٧	٢٢٦
﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾	٤٠	٣٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾	٥٠	٥١
﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	٥٢	٤٩
﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾	٥٤	٨، ٩
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾	٥٩ ـ ٦١	٢٨٤
﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٦٣	٢٨٤
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٢٧، ٩٤، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٨٤
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٦٥	٢٨٤
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾	٦٧	٤٨، ٥٠
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾	٧٠، ٧١	٢٨٤
﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾	٧٥	٢٨٥
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٥	٤٩
﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾	٨٦	٥١٧
﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾	٩٧	٣٩٨
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٨، ٩٩	٢٨٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾	١٠٠	٢٨٥
﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	١٩٨
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	٣٠٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	٢٥٨، ٤٣٩، ٤٥٤
﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ﴾	١١٣، ١١٤	٢٨٣
﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١١٩	٤٦١
﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	١٣٥	٣٥٦
﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾	١٤١	١٣٥
﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾	١٥٤	١٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾	١٥٥	٤٣٠
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾	١٦٤	٦٣٧
﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ ﴾	١٦٧	٥٢١، ٥٢٣
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	١٦٩، ١٧٠	٢٢٣، ٦٦٧
﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	١٧٩	٥٣
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾	١٨٧	٢٨٥، ٤٠٧
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	١٩١	٢٤
﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾	١٩٩	٢٨٣
سورة النساء		
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾	١٠	١٧١، ٤٩٧
﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾	١٤	١٧١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾	٢٤	٢٢٠
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾	٢٨	٦٣٤
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾	٢٩	٢٣٠
﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ ﴾	٣٠	١٧١
﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾	٣١	١٨٢، ٥٢٧
﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾	٣٦	٦٢٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾	٤٠	١٩٥
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾	٤١	١٨١
﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾	٤٣	١١٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾	٤٧	٢٥٨، ٢٧٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	٤٨	١٩٢
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٥١، ٥٢	٢٨٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	٥٨	٥٧٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾	٥٩	١٧٦، ٣٨٢، ٥٣٦
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	٥٠٧
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾	٧٥	٢٩
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ﴾	٧٦	٢١٧، ٣١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	٨٠	١٧٦، ٣٨٢
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا﴾	٨٢	١٨٧، ٢٥٨
﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾	٨٣	٥٦٨
﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾	٨٥	١٦٧
﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾	٨٧	٣٧، ٦١٧
﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا﴾	٩٣	١٣٧، ٣٥٦
﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	١٠٠	٦٨٩
﴿وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾	١٠٢	٢٣١
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾	١١٥	٢٥٣، ٥٦٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾	١١٦	١٩٢، ٥١٢
﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾	١٢٢	٦١٧
﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾	١٢٣، ١٢٤	١٧٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	٤٧٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ﴾	١٣٦	٥٣، ٢٧٠
﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٣٨	٢٧٧
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾	١٣٩	٢٧٧، ٦٠٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾	١٤٤	٢٧٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾	١٤٥	٤٠
﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾	١٤٧	١٣٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ ﴾	١٥٠، ١٥١	٥٦، ٢٧٣، ٢٧٩
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾	١٥٢	٥٣، ٢٧٣
﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ ﴾	١٦٤	٦٣٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا ﴾	١٦٧ ـ ١٦٩	٤١
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾	١٧١	٣٢٦
﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾	١٧٢	٣٢٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾	١٧٤	٧٦
سورة المائدة		
﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	٣	١٦٠، ٤٢٢، ٦٤٣، ٤٨٢
﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾	٥	١٩٦، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٩، ٣٢٣، ٤٨١، ٤٨٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾	٨	٣٠١، ٣٣٣، ٤٧٩
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾	١٣	٣٣٢
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾	١٥	٧٦، ٢٧٤
﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	١٦	٢٧٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾	١٧	٢٨٠
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾	١٨	١٧٦
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	١٩	٢٧٤، ٢٧٩
﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾	٢٤	٤٣٣
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	٦٢١
﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾	٣٧	١٦٥، ١٨٥
﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾	٤٣	٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٩
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾	٤٤	٢٦٤، ٥١٨
﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾	٤٧	٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	٤٨	٥١، ٢٤٩، ٢٦٧، ٢٨٨، ٥٤٢، ٢٦٦
﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾	٤٩، ٥٠	٢٦٦، ٢٨٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	٥١	٢٧٧، ٦٠٦
﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾	٥٢	٢٧٧
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	٥٥	٢٩
﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾	٥٦	٦٠٦
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾	٥٩ ـ ٦١	٢٧٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾	٦٨	٢٤٩، ٢٧٨، ٢٨٨
﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾	٧٢	٢٨٠، ٣٣٧
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾	٧٣	٢٨٠، ٣٣٧
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾	٧٥	٣٢٦
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ ﴾	٨٢	٢٨١
﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾	٩٥	٣٥٦
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٩٨	٤٦، ١٩٩
﴿ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾	١٠٤	٥٥٦
﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ ﴾	١٠٩	٣٩، ٧٥
﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا ﴾	١١٥	٤٢
﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ ﴾	١١٦	٣٩
﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ﴾	١١٧	٣٩
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	١١٨	٣٩، ٣٠١
سورة الأنعام		
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾	٥٩	١٥، ٢٧١، ٦٥٤، ٦٧٣
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾	٨٢	٣١٥، ٥١٨، ٦٨١
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ ﴾	٨٣ ـ ٨٦	٥٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾	٩٥	٨
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾	٩٧	٦٧٩
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾	١٠٢ ـ ١٠٣	٤٣
﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾	١٠٤	٢٥٦
﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	١٠٨	٤٤٧، ٤٥٩، ٥٩٦
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾	١١٤	٢٨٢، ٢٨٧
﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾	١٢١	٤٨٢
﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾	١٢٤	٥٢، ٣٢٧، ٣٨٩
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾	١٢٨	١٣٢، ١٣٨، ١٩١، ٢٢٠
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	١٥٢	٤٧٣
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾	١٦٠	١٩٥
﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾	١٦١	٢٧٧
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	٤٥٩، ٦٠١، ٦١٩
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾	١٦٣	٤٥٩، ٦١٩
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٦٤	١٧٥
سورة الأعراف		
﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾	٣	١٧٦، ٢٨٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ ﴾	١٨	٣٧
﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾	٢٧	٦٦٩
﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾	٣٢	٦٠٢
﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾	٣٤	٢٢٧
﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾	٣٩	٣٦
﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾	٥٣	١٨٩
﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾	٥٩	٣١٠
﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ ﴾	٦٣	٢٧١
﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٦٧ ـ ٦٩	٢٧١
﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا ﴾	٨٥	٣١٠
﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾	٩٩	٤٥
﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ ﴾	١١٦	٢٤١
﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ ﴾	١٢٦	٤٩
﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾	١٥٧	٤٢٩، ٦٠٢، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٩
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	٩٠، ٢٨٦، ٢٧٤
﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾	١٨٠	١٤٧
﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾	١٨٥	٦٨٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ ﴾	١٨٧	١٠٨، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٨، ٢٤٤
﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾	١٨٨	٦٥٤، ٦٧٣، ٦٧٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	١٨٩	٢١٩
سورة الأنفال		
﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾	١٧	٨
﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ ﴾	٤٢	٢٥٥
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾	٥٠	٦٧٠
﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾	٦٢	٢٩، ٣٠٨، ٤٢٩
﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	٦٣	٣٠٨، ٤٢٩
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٧٤	٣٨٤، ٤٢٩، ٤٣٤
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾	٧٥	٤٣٤
سورة التوبة		
﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾	٥	٢٥٠، ٢٩٢
﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	١٨	٥٣٦، ٥٣٩
﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	٢٩	٢٨٥
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾	٣٠	٢٨٠
﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	٢٦٩، ٢٧٧، ٢٨٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	٣٢	٢٧٩، ٣٤٢، ٣٤٣
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٣٣	٩٥، ٢٧٤، ٣٤٣
﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾	٣٦	٧٩، ٩٥
﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾	٤٠	٧٢
﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾	٥١	١٨، ٢٣١
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾	٥٩	٢٩
﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾	٦٢	٣٠
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧١	٦٠٥
﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	٩٥	٣٥
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾	١٠٠	٣٨٤، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٤١
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٣	٨٧
﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	٢٩
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾	١٠٧ ـ ١٠٩	٦٦٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	١١٩	٤٢٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾	١٢٠	١٣٥
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾	١٢٨	٩٥، ٦٣٩
﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾	١٢٩	٩٥

QaradawiBooks.com



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يونس		
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾	٢	٢٧٢
﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾	٣	١٨٨
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	٨	٣٥
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾	١٨	١٧٥، ١٨٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾	٢٣	٤٥٨
﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾	٣٦	٥٥٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٤٤	٣٦
﴿ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾	٥٢	٣٦
﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾	٦١	١٥
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٦٢، ٦٣	١٥٨
﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾	٧٢	٤٩
﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾	٨٤	٤٩
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾	٨٧	٥٣١، ٥٤٠، ٥٤١
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾	٩٩	٣٠٠
﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠١	٦٨٦
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾	١٠٨	٥٥٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾	٦	١١٩
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	١٥ ـ ١٦	٦١٩
﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾	٥٠	٢٦
﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾	٧١ ـ ٧٤	٥٤
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٨٤	٢٦، ٣١٠
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾	٨٨	٤٦٢
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾	١٠٦، ١٠٧	١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٩١
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ﴾	١٠٨	١٣٣، ١٣٩
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ﴾	١١٤	١٨٢
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	١١٨، ١١٩	٣٠٠، ٣٣٢
سورة يوسف		
﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾	٢١	٦١٤
﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ﴾	٤١	٦١٤
﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾	٤٢	٦١٤
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٤٦
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾	١٠٦	٦٥٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾	٦	٤٦
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾	١١	٦٦٨
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٢٨	٦٨١
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾	٣١	٦٧١
سورة إبراهيم		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾	١	٧٦
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾	١٨	١٩٢
﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾	٢٢	٢١٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١
﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾	٣٤	٢١
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾	٤١	١٩٦
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	١١١، ٢٠٤، ٣٢٧
﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾	١٦ ـ ١٨	٦٨٤
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾	٢٩	٥٤٨
﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾	٤٢	٢١٣، ٢٣٨
﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾	٤٧	١٩١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾	٤٨	١٣٨
﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ﴾	٤٩، ٥٠	٤٥، ١٣٦، ١٩٩
﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	٤٦
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾	٨٥	١١١
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٨٦	١١٢
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾	٨٧	١١٢، ١١٩، ١٢١
﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾	٨٨	١١٢، ١٢٢
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٩٢	٣٩
سورة النحل		
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	١	٢٤٦
﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٨	١٤٦
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾	١٢	٦٧٩
﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾	٣٢	٦٦٩
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	٥٦٨
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٤٤	١٧٦، ٢٠٤
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾	٨٩	٦٣٨
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾	٩٧	١٧٢

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾	١٠٦	٣٦٩، ٣٩١، ٤٢٠
﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾	١١١	١٦٤، ١٧٣
﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾	١٢٣	٥٨٤
﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾	١٢٥	٩٤، ٣٢٨
﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾	١٢٦	٨٩، ١٩٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾	١٢٨	٣١٧
سورة الإسراء		
﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾	٣	٣١٦
﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾	١٣ ـ ١٤	٤١
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾	١٥	٢٥٣، ٣٥٧
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾	٢٣	٦٢٧
﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾	٥١	٢٤٦
﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾	٥٧	٤٦
﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾	٥٩	٦٧
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞ﴾	٦٥	٢١٧
﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾	٧٠	٢١٢، ٢٣٨، ٢٩٩
﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾	٧٩	١٦٥، ١٧٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٥٨٩
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾	٨٥	١٤٠، ١٥٩، ٢٢٢
﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾	٩٠ ـ ٩٣	٦٧، ٧٥
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾	١١٠	١٤٧
سورة الكهف		
﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾	٢٥	١١٤
﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	٢٩	٣٠٠
﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	٤٩	٣٦
﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾	٦٢	١٤٢
﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾	٦٣	١٤٢
﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	٦٤	١٤٢
﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾	٦٦، ٦٧	١٤٣
﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾	٦٩	١٤٣
﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾	٧٢، ٧٣	١٤٣
﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾	٧٨، ٧٩	١٤٣
﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾	٨١	١٤٤
﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ ﴾	٨٢	٥٨، ٦٠، ١٤٤
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾	١١٠	٧٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة مريم		
﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾	٥، ٦	٣٩٩
﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ ﴾	٤٩	٥٥
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	٦٤	٥٧٦
سورة طه		
﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾	١٥	١٠٨، ١٠٩، ١١٧
﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾	٢٧، ٢٨	٦٢
﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾	٦٦	٢٤١
﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾	٩١	٥٨٨
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ ﴾	٩٢ ـ ٩٤	٥٩٧
﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ ﴾	٩٧	٥٨٤
﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾	١٠٩	١٧٥، ١٨٨
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾	١١٢	١٧٤
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	١١٤	١٤٠
﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾	١٢١، ١٢٢	٩٠
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	١٣١	١٢٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء		
﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾	١	٢٤٦
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٧	٥٦٨
﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾	٢٠	٦٦٩
﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾	٢٣	٣٦
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾	٢٥	٤٩
﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾	٢٧	١٨٨، ٦٧١
﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾	٢٨	٨٠، ١٨٨
﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾	٣٤	٥٩، ٥٩
﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم﴾	٤١	٥٣
﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾	٤٧	٣٩، ٤١، ٧٩، ١٨٦
﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾	٦٣	٥٨٨
﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾	٧١ ـ ٧٣	٥٥
﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾	١٠٥	٤٠٣، ٥٥٤
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٩٠، ٢١١، ٢٧٣، ٣٣١، ٦٣٧، ٦٣٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	١٠	٣٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ ﴾	١٧	٢٩٥، ٣٢٠، ٤٤٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾	٣٨	٢٥٨
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ ﴾	٤٠	٥٣٧
﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ ﴾	٥٨، ٥٩	٤٢٨
﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾	٦٨، ٦٩	٣٠٠
﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾	٧٥	٥٢
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	٧٨	٦٠٢
سورة المؤمنون		
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾	٧١	٢٢
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾	١٠١	٣٨٩
﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	١٠٢	٤٧٠
سورة النور		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ ﴾	١١	٤٤١
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾	٢٢	٥٠٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا﴾	٢٣ ـ ٢٥	٥٤
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾	٣٠	٨٨
﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾	٣٣	٥٥١
﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾	٣٦	٥٣٦، ٥٤١
﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾	٣٧	٥٣٦
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾	٣٩	١٩٢
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	٥٠٧
﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾	٥٤	٣٨٢، ٩٤
﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	٥٦	٣٨٢
﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾	٦٣	١٧٧
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٢٧٤
﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾	٨	٢٤٢
﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾	٢٣	١٩٢
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾	٢٧ ـ ٢٩	١٩١
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣، ٤٤	٣٣٠
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾	٥٤	٣٠٥، ٣١٩
﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	٥٩	٢٠٦، ٥٦٨

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء		
﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	٨٨، ٨٩	٢٠
﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٩٧ ـ ١٠٢	١٩٠
﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾	١٠٠، ١٠١	١٦٥
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	١٠٥	٢٧٢، ٣٠٩
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٠٦	٣٠٩
﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	١٢٣	٢٧٢، ٣٠٩
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٢٤	٣٠٩
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	١٤١	٢٧٢، ٣٠٩
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٤٢	٣٠٩
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٦٠، ١٦١	٣١٠
﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٧٦، ١٧٧	٣١٠
سورة النمل		
﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾	١٤	٢٥٥
﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾	١٦	٣٩٩
﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾	١٧	٢١٤، ٢٣٩
﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾	٣١	٤٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾	٣٨	١٤٥، ٢١٤، ٢٣٩
﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾	٣٩	١٤٥، ٢١٤، ٢٣٩
﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾	٤٠	١٤٥، ٢١٤، ٢٣٩، ٥١٧
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٦٤	٥٥٩
﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	٦٥	٦٥٤، ٦٧٣، ٦٧٧
﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٩٠	٣٦
سورة القصص		
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾	٥٢، ٥٣	٢٨٢
﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾	٥٥	٤٦٠
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	٥٦	٣٧١
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾	٦٥، ٦٦	٢٧١
﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾	٧٧	٦٠٣
سورة العنكبوت		
﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾	٢٧	٥٥
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾	٤٥	٨٧
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	٢٩٣، ٣٠٧، ٣٢٢، ٣٢٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٤٧	٢٨٢، ٢٨٧
﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾	٥١	٦٧
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾	١ ـ ٥	٢٩٦، ٣٢٢، ٣٣٠
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾	٢١	٢١٩، ٣٠٥
﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾	٤١	١٩٤
سورة لقمان		
﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	٣١٥، ٥١٩
﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾	١٤	٢٩
﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾	١٧	٨٧
﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٠	٢١٣، ٢٣٨، ٥٥٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ ﴾	٣٤	١٢٩، ٢٤٤
سورة السجدة		
﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾	٤	١٦٥
﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾	١١	٦٦٩
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	١٧	٢٣٥
﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾	١٨	٥٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحزاب		
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾	٥	٣٥٦، ٥٣٤
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾	٣٦	٥٠٦
﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	٤٠	٦٣٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	٤٥، ٤٦	٧٦
﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾	٥٨	٤٥٢
﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾	٦٣	٦٤٣
سورة سبأ		
﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ﴾	١٢	٢١٣، ٢٣٨
﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾	١٣	٢١٣، ٢٣٨، ٥٨٧
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾	١٤	٢١٣، ٢٣٨، ٦٧٢
﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾	٢٣	١٧٤، ١٨٨
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	٢٨	٢٧٣
سورة فاطر		
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	١٤	٢٠٦، ٥٦٨، ٦٥٥
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾	١٨	١٧٥
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ﴾	٣٢	٩٠، ١٨٨، ٥٢٦
﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ﴾	٣٣	١٨٨، ٥٢٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ ﴾	٣٦	١٣٨
﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ ﴾	٤٣	١٥٦، ٤٥٨
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾	٤٥	١٩٤
سورة يس		
﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾	٦٥	٤٢
سورة الصافات		
﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾	٦ ـ ١٠	٦٨٥
﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٩٥، ٩٦	٥٨٨
﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ ﴾	١١٢، ١١٣	٥٥
سورة ص		
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦	٣٩، ٥٤٨
﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾	٣٥	١٦٢
﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾	٣٦ ـ ٣٩	٢١٣، ٢٣٨
﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾	٤١	٢٠٩، ٢١٢، ٢٣٧، ٢٤١
﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾	٤٥ ـ ٤٨	٥٥
﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٤، ٨٥	٣٧
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	٨٧	٢٧٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾	٩	٤٦، ٦٢٦
﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾	١٩	١٦٤، ١٨٥
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾	٣٠	٧٥
﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾	٤٣، ٤٤	١٧٤، ١٨٧
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾	٥٣	٤٦، ٩٠، ١٥١، ٥١٢
سورة غافر		
﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾	٣	٤٦
﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾	٧	١٣٦، ١٩٨
﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾	٨	١٩٨
﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ ﴾	٩	١٩٨
﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾	١٦	١٦٤، ١٧٤، ١٨٧
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ ﴾	١٨	٨٠، ١٦٥، ١٨٥، ١٨٩، ٢٠٢
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	٣٥	٢٩
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ ﴾	٤٦	٤١، ٤٢، ٦٧٠
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾	٧٨	٦٣٨

QaradawiBooks.com



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فصلت		
﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	١٩ ـ ٢٣	٤٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾	٣٠	٦٦٩
﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٣٤	١٩٧
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٣٣٦
﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	٤٦	١٧٣
سورة الشورى		
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	١٣	٥٠
﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾	١٥	٣٠١، ٣٣٢، ٤٤٣
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	١٩٤
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	٣٨	٣٨٧، ٥٧٧
﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٤٠	٨٩، ١٩٦
سورة الزخرف		
﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ﴾	٦ ـ ٨	٥٣
﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾	٥٢	٦٢
﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	١٩٠
﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	٧١	٢٣٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾	١٣	٥٥٤
سورة الأحقاف		
﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾	٢٩ ـ ٣١	٢١١
سورة محمد		
﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ ﴾	١٨	٢٤٥
سورة الفتح		
﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾	٩	٦٣٥
﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	١٨	٣٨٤، ٤٢٩، ٤٣٦
﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ ﴾	٢٧	٦١٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾	٢٨	٩٥، ٢٧٤
﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾	٢٩	٣٨٤، ٤٣٠، ٤٣٥
سورة الحجرات		
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾	٩	٣٥٢، ٣٦٤، ٣٦٨، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٥، ٥٢٥
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾	١٠	٣٠٨، ٣٥٢، ٣٦٨، ٥١٥، ٥٢٥، ٥٠٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	١١	١٧٣، ٥٢٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ﴾	١٣	٣٣٨، ٣٨٨
﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾	١٤	٥٢٢
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾	١٥	١٧٣، ٣١٥
سورة ق		
﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾	٢٧	٦٧٢
سورة الذاريات		
﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا ﴾	٤٧	٨
﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾	٤٨	٨
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٢١١
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	٣٨٢
﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾	٢٦	٨٠، ١٨٨
﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ ﴾	٢٨	٥٥٩
﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾	٣٧	٣١٦
﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	٣٩	١٦٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

غير مرخص للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرحمن		
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٦ ـ ٢٧	٦١٧
﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ﴾	٣٣	٦٦٩
﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾	٥٦	٢٢١، ٢٣٤
سورة الواقعة		
﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۞ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾	٣٥ ـ ٣٧	٢٣٥
﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾	٦٤	٨
﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۞ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾	٨٣ ـ ٩٦	٦٧٠
سورة الحديد		
﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	٧	٥٥٢
﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾	١٠	٤٢٩، ٤٤١
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾	١٩	٥٣، ٢٥٧
﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾	٢٠	٤٦، ١٩٩
﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٢١	٢٥٧، ٢٧٠
﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾	٢٢	١٥
سورة المجادلة		
﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٥	٣٦
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢٢	٣٠٥

نسخة مجانية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾	٧	١٧٧
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾	٨	٣٨٤، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٣٩
﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٣٨٤، ٤٣٥، ٤٣٩
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾	١٠	١٩٥، ٤٣١، ٤٣٤
سورة الممتحنة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾	١	٥٠٩
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٨	٢٩٣، ٣٠١، ٣٠٤
﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٩	٢٩٣، ٣٠٤
سورة الصف		
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾	٦	٣٣٨
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٩	٢٧٤
سورة الجمعة		
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾	٢	٦٣٩
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾	١٠	٨٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨	٢٩
﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١١	٢٢٧
سورة التغابن		
﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	٨	٧٦، ٤٠٢
﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	١١	٢٥٨
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	١١	٢٥٨
سورة التحريم		
﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾	٦	٦٦٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٧	٢٩٧
سورة الملك		
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	١٠٣
﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾	٣، ٤	٥٥٨
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾	٥	٦٧٩
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٧٥، ٣١٦، ٦٣٩
﴿ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	٥٢	٩٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحاقة		
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾	٣٨ ـ ٤٠	٦٧٥
سورة المعارج		
﴿حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾	٢٤	٨٣
سورة نوح		
﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	٤	٢٢٧
سورة الجن		
﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾	١، ٢	٢١١
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾	٦	٢١١
﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾	٨، ٩	٦٨٥
﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾	١٠	٦٧٣
﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ﴾	١٤، ١٥	٢١٢، ٦٦٩
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾	٢٦ ـ ٢٧	٦٥٤، ٦٧٨
سورة المدثر		
﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	١٧٣
﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾	٤٠ ـ ٤٤	١٦١، ١٨٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾	٤٥ ـ ٤٧	١٨٩
﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾	٤٨	٨٠، ١٦٥، ١٨٩
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	٥١٧
سورة النبأ		
﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۞ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾	٢١ ـ ٢٣	١٣٢، ١٩٢
سورة الانفطار		
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾	١٠، ١١	٦٦٩
﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾	١٩	١٦٤، ١٧٤، ١٨٥
سورة الطارق		
﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾	٤	٦٦٨
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	٤	٦١٧
سورة الضحى		
﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾	٨	٢٠٧
سورة الشرح		
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٥ ـ ٦	٦١٧

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العلق		
﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	١٤٦
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾	٩ ـ ١٠	٥٤٣
سورة القدر		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾	١ ـ ٥	٢٣٣
سورة البينة		
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾	١	٢٨٥، ٢٩٤، ٣٢٠
﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾	٢	٢٨٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾	٦	٤٠، ٢٨٥، ٢٩٤، ٣٢٠
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾	٧، ٨	١٨٦
سورة الماعون		
﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾	٤	١١٥
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	٥	٨٢
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	١	٢٩٧، ٥٥٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾	٢	٢٩٧
﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾	٦	٤٥٩
سورة الإخلاص		
﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾	١ ـ ٤	٧٩
سورة الفلق		
﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾	٤	٢٤١

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أتاني جبريل فبشّرني: أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا	٥٠٥، ٥١٠
أتاني وفد جن نصيبين	٢١٥
أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟	٣٥٦
أتشفع في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟	١٦٧
أتفرُّ من قدر الله يا أمير المؤمنين	١٦
اجتنبوا السبع الموبقات	٣٥٤
أجعلتني لله عِدلًا أو ندًّا؟	٣٠
أخاف أن يتحدَّث النَّاسُ أنَّ محمدًا يقتل أصحابه	٥٩٤
اختصمت الجنَّة والنَّار إلى ربِّهما	٣٥
اخرج عدو الله	٢١٥
إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتول في النَّار	٥٠٨، ٦٩٠
إذا جمع الله ﷻ الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه	٦٢٠
إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب	٣٥٤
إذا دخل شهر رمضان، فُتِّحت أبواب السماء، وغُلِّقت أبواب جهنم	٢٣٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان	٥٣٦، ٥٣٧
إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم	١٧٨
أذن في أذنَي الحسن حين ولدته فاطمة	٢٧
أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا	٤٧٧
ارفع رأسك يا محمد، وقل يسمع	١٧٨
أسعد النَّاس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه	٢٠١، ٦٤٥
أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ	٧١
أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت	٢٣٥
اعقلها وتوكَّل	١٧
أعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل	٥٣٥
اعملوا؛ فإنِّي لا أغني عنكم من الله شيئًا	١٦٦
أفضل الأعمال الصَّلاة لوقتها	١١٩
أقتلته بعدما قال: لا إله إلَّا الله؟!	٥٠٠
اقرأْ يا ابن حُضَير، اقرأْ يا ابن حُضَيْر. قال: فأشفقت يا رسولَ الله	٢٢٥
الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام	٧١
اللهمَّ اجعل لي في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا	٧٦
اللهمَّ أصلح لي ديني الَّذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي	٦٠٣
اللهم أكثر ماله وولده	٧١
اللهمَّ إن تَهْلِك هذه العصابة لا تُعبدُ في الأرض	٥٩
اللهمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل	٥٥٠
اللهم أنجز لي ما وعدتني	٧١

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ إني عبدك، ابنُ عبدك، ابنُ أمتك، ناصيتي بيدك	١٤٧
اللهمَّ بعلمك الغيب، وقدرتك على الخَلْق	١٤٨
اللهمَّ رب النَّاس، أذهب الباس، اشف وأنت الشافي	٦٤٩، ٦٥٦
اللهم سلط عليه كلبك	٧١
اللهم فقهه في الدين	٧١
أليست نفْسًا؟!	٣٠٠، ٣٣٣
أمُّ القرآن ـ يعني الفاتحة ـ هي السبع المثاني والقرآن العظيم	١٢١
أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاس، حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله	٢٥٩، ٣٤٩، ٣٦١، ٤٩٨، ٥٠١
إنَّ ابني هذا سيِّد، وسيصلح اللهُ به بين فئتين من المسلمين	٧٢
إنَّ الله ﷻ ينشئ في الجنَّة أقوامًا	٣٢
إنَّ الله ﷻ ينشئ في النَّار أقوامًا	٣١
إنَّ الله تجاوز عن أُمَّتي ما حدَّثت به أنفسَها، ما لم تعمل أو تتكلَّم	٦٨٧
إنَّ الله حرم على النَّار من قال لا إله إلَّا الله يبتغي بها وجهَ الله	٥٠٥
إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات، ثمَّ بين ذلك	٦٨٩
إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة	٥١٦
إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان	٣٥٣
إنَّ الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمَّة من يجدِّد لها دينها	٥٦٤، ٥٨٠
إنَّ الله يحبُّ الرِّفق في الأمر كلِّه	٣٣٢
إنَّ الله يلوم على العجْز، ولكنْ عليك بالكَيْس	١٨
أن النَّبيَّ ﷺ سُحِر حتَّى إنَّه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء	٢٤٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ أوَّل ما خلق الله القلم	٧٤
إن دِمَاءَكُم وَأَمْوالكُمْ وأَعْرَاضَكُم حَرَام	٣٧١
أن رجلا فيمن كان قبلكم، راشه الله مالا وولدا	٣٥٦
إنَّ رحمتي سبقت غضبي	١٩٣
إنَّ الرُّقَى والتمائم والتِّوَلَة شِرْكٌ	٦٥٥
إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد	١٥٦
إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك	١٥٠
إنَّ الشيطانَ ذئبُ الإنسان كذئبِ الغنم، يأخذ الشاةَ القاصيةَ والناحية	٥٣٨
إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	٢١٦
أنَّ النَّبيَّ ﷺ همَّ أن يحرق على قوم بيوتهم	٥٤٣
أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة	١٧٨
أنا سيِّد النَّاس يوم القيامة، هل تدرون مم ذاك؟	١٧٩
أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء	٣٥٧
أنت جميلة	٦٩١
أنت سهل	٦٩٢
إنَّك امرؤٌ فيك جاهليَّة	٥٢٠
إنَّك ستأتي قومًا أهل كتاب	٢٥٩
إنَّما أنا رحمةٌ مهداة	٣٣١
إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق	٥٠، ٣١٦
إنَّما الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، أو شرطة محجم، أو كي بنار	٦٥٢، ٦٧٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّما عُمَّار المساجدِ هم أهل الله	٥٣٨
أنه أتى النبي ﷺ فأسلم على أنه لا يصلي إلا صلاتين	٥٠٢
إنَّه شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر	٣٦٧، ٤٣٦
إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة	١٧٨
إني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة	١٧٨
إنِّي قد خلفتُ فيكم ما لن تضلُّوا بعدهما، ما أخذتم بهما	٦٣٦
أول ما خلق الله العقل	٧٤
أيْ ربّ، أليس وعدتني ألَّا تظلمَني؟ قال: بلى	٤١
إياكم والغلوَّ، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ	٤٦٧، ٥٢٩
أيُّكما أطَبُّ؟	٦٥٥
الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر	٢٥٩، ٢٧١
أيها النَّاس، اتقوا هذا الشرْك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل	٦١٩، ٦٢٠
ب	
باسم الله أرقيك، من كلِّ شيء يؤذيك، من شرِّ كلِّ نفس وعين حاسد	٦٥٦
بايعت النَّبيّ ﷺ على ألَّا أَخِرَّ إلَّا قائمًا	٥٠٣
بايعوني على ألَّا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا	٥١٣
بشِّر المشَّائين في الظُّلَم إلى المساجد، بالنُّور التامِّ يوم القيامة	٥٣٨
بُعثتُ أنا والساعةَ كهاتين	٢٤٥، ٦٤٣
بُعِثْتُ بالسيفِ بينَ يدَيِ الساعة	٩٥
بقيت شفاعتي، فيخرج من النَّار قومًا قد امتُحشوا	١٧٢
بينا نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ؛ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد	٥٩٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ت	
تداووا عبادَ الله، فإنَّ الله ﷻ لم يضع داء، إلَّا وضع له دواء	٢٣٠، ٦٥١، ٦٥٤
تركته يا رسولَ الله، كالجمل الأجرب	٥٩١
تفكَّرُوا في آلاء الله، ولا تتفكَّروا في الله	٤٣
تقتُلك الفئةُ الباغية	٧٢، ٥١٥
تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحقِّ	٥١٥
ث	
ثم يُؤذن لي، فأقول ما شاء الله	١٧٨
ج	
جعل الله الرحمة مائة جزء	١٣٥
ح	
حتَّى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله	٥٠١
حديث الإفك	٣٦٧
حديث حنين الجذع	٦٩
الحسنة عندي بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو أزيد	١٩٥
الحمد لله الَّذي ردَّ أمرَه إلى الوَسْوَسة	٦٠٨
خ	
خرج ثلاثة يمشون، فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل	١٤١
خمس صلوات كتبهنَّ الله على العباد في اليوم والليلة	٨١
خير النَّاس قرني، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم	٤٣٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
د	
دخلتِ امرأةٌ النَّار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها	١٧١
درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشدُّ عند الله من ستَّة وثلاثين زَنْية	٤٨٤
دعوةُ المظلوم ـ وإن كان كافرًا ـ ليس دونَها حجابٌ	٣٠١
ذ	
ذلك محْضُ الإيمان. أو: صريح الإيمان	٦٠٨، ٦٠٩
ر	
الرؤيا الصالحة من الله، والحُلُم من الشيطان	٦١٥
س	
سباب المسلم فسوقٌ، وقتالُه كفر	٣٧٠، ٥١٤، ٥٢٥
ستفترق أمَّتي	٣٥٨، ٣٧٩، ٤١٧
السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون ونحن اللاحقون	٦٦٨
سيتصدَّقون ويجاهدون	٥٠٢، ٥٠٤
سيِّدُ الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله	٤٧٤
ش	
شكت امرأة إلى النَّبيِّ ﷺ: أنَّها يصيبها الصرع	٢١٦
ص	
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	١٨٢
صِنفان من أهل النَّار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر	١٧١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ع	
العبد إذا وُضع في قبره	٦٦٨
عُرِضت عليَّ الأممُ، فجعل النَّبيُّ والنبيَّان يمرُّون معهم الرهط	٤٠
ف	
فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك	١٤٢
فحديدته في يده، يتوجَّأ بها في نار جهنَّم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا	١٣٧
فِرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد	١٧
فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه	٧٠
في خمس لا يعلمُهنَّ إلَّا الله	١٢٩
فيشفع النبيُّون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبَّار: بقيت شفاعتي.	٢٠٢
ق	
قام موسى النَّبيّ خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أيّ النَّاس أعلم؟	١٤٢
قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه	٢٣٣
قولوا: سمعنا وأطعنا	٦٨٨
قولوا: ما شاء الله ثمَّ شئتَ	٢٨
ك	
كذلك يوم يبعثه الله مقامًا محمودًا	١٨١
كل بدعة ضلالة	٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٥
كلُّ نبيٍّ قد سأل سؤالًا، أو قال: لكلِّ نبيٍّ دعوة، دعا بها فاستجيب	٢٠٢
كلُّها في النَّار إلَّا واحدة	٤١٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي، وسئل: أي المدينتين تفتح أولا	٧٢
كيف لك بلا إله إلَّا الله يوم القيامة؟!	٥٠٠
ل	
لا تتَّخذوا قبري عيدًا	٦٨٣
لا تخبر بتلعُّبِ الشيطان بك في المنام	٦١٥
لا تدع تمثالًا إلَّا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلَّا سوَّيته	٥٨٥، ٥٩٠
لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٣٥٢، ٥٠٨، ٥١٤، ٥٢٥
لا ترغبوا عن آبائكم، فإنَّه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم	٥١٤
لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة، حتَّى يُسأل عن عمره فيما أفناه	٢٠، ٣٩
لا تسبُّوا أصحابي	٤٤٧
لا تسبُّوا الأموات؛ فإنَّهم أفضوا إلى ما قدَّموا	٤٤٧
لا تسبُّوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر	٤٤٧
لا تسبُّوا الدِّيك؛ فإنَّه يوقظ للصلاة	٤٤٧
لا تسبُّوا الريح؛ فإنَّها من رَوْح الله	٤٤٧
لا تسبُّوا الشيطان، وتعوَّذوا بالله من شرِّه	٤٤٨
لا تَسُبِّي الحمَّى؛ فإنَّها تُذهب خطايا بني آدم	٤٤٧
لا تُطروني كما أطرت النَّصارى عيسى ابن مريم، فإنَّما أنا عبده	٧٥
لا تقولوا: ما شاء الله، وشاء فلان، ولكنْ قولوا: ما شاء الله	٢٨
لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان	٥١٠
لا تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا اليهود	٣١١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تكتبوا عنِّي شيئًا غير القرآن، ومن كتب شيئًا غير القرآن فليمحُه	٢٠٤
لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن النَّاس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا	٦٠٤
لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيكم	٥١٠
لا ضرر، ولا ضرار	٢٣٠، ٥٧٧
لا يبقى على رأس مائة سنة ممَّن هو اليوم على ظهر الأرض أحد	٥٩
لا يحلُّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلَّا الله إلَّا بإحدى ثلاث	٤٥٢
لا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا	٣٢
لا يزال النَّاس يتساءلون، حتَّى يقال: خَلَقَ الله الخلْقَ، فمن خلق اللهَ؟	٦٠٩
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٣٥١
لا يشربُ الخمرَ وهو مؤمن	٥١١
لا يُقتل مسلمٌ بكافر	٢٩٢
لا يُوردَنَّ مُمْرضٌ على مُصِحٍّ	١٧
لتُفتحَنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش	٣٤٤
لتُنْقَضَنَّ عُرى الإسلام عروةً عروة، فأوَّلها نقضًا: الحكم	٥٤٥
لعن الله اليهود والنَّصارى، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٦٦٢، ٦٨٣
لقنوا موتاكم لا إله إلا الله	٢٧
لكلِّ نبيٍّ دعوة، فأريد إن شاء الله، أن أختبئ دعوتي شفاعة لأُمَّتي	٢٠١، ٢٠٢
لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات	٥٤
لو اعتقد أحدُكم في حجر لنفعه	٦٨٣
لو دُعِيتُ إلى مثله في الإسلام لأجبتُ	٣٣١
لو كان لي مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما أحبُّ أن يمرَّ عليَّ ثلاث وعندي منه	٢٠٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لو كان موسى حيًّا ما حلَّ له إلَّا أن يتبعني	٥٤٢
لو لبث أهل النَّار في النَّار عدد رمل عالج؛ لكان لهم يوم يخرجون فيه	١٣٣
لو لم تفعلوا لصلَح. قال: فخرج شِيصًا (أي فسد ولم يثمر)	١٤١
لولا أنِّي رأيت رسول الله يُقبِّلك ما قَبَّلتُك	٦٨٣
لولا قومُك حديثٌ عهدُهم بكفر لأسَّسْتُ البيتَ على قواعد إبراهيم	٥٩٤
ليأتينَّ على جهنَّم زمانٌ تَخْفِق أبوابها، ليس فيها أحد	١٣٣
ليبلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار	٣٤٣
ليس كما فهمتم، إنَّه الشرك، ألم تقرؤوا قول العبد الصالح	٣١٥
ليس منَّا من تَكهَّن أو تُكهِّن له	٦٧٣
م	
ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام	٥٧٦
ما أظنُّ ذلك يغني شيئًا. فبلغهم، فتركوه، فنزلوا عنها	١٤١
ما أنزل الله داء، إلَّا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله	٢٣٠، ٦٥٤
ما دخل الرفق في شيء إلَّا زانه، ولا نُزِعَ من شيء إلَّا شانه	٣٣٢
ما المسؤول عنها بأعلم من السائل	١٢٩، ٢٤٤
ما من أحدٍ إلَّا وله شيطان	٦٧٢
ما من أحد يشهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله	٢٦٨
ما من الأنبياء من نبيٍّ إلَّا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر	٦٧
ما من عبد قال: لا إله إلَّا الله. ثمَّ مات على ذلك إلَّا دخل الجنَّة	٥٠٥
ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان	٦٢٦
ما من نبيٍّ بعثه الله في أمَّة قبلي إلَّا كان له من أُمَّته حواريُّون وأصحاب	٥٢٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما هذه؟ ـ منكرًا عليه ـ قال: ألبسها من الواهنة	٦٥٠
ما يصنع هؤلاء؟. فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيَلْقَح	١٤١
مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي	٢٠٦
المال مالي، والفقراء عيالي والأغنياء وكلائي	٥٥٢
مدينة هرقل تُفتح أولًا	٣٤٤
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمه	٣٠٨، ٣٧٠
مفاتيح الغيب خمسٌ، لا يعلَمها إلَّا الله:	٢٤٤
من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا، يؤمن بما يقول	٦٧٣، ٦٧٨، ٥١٦، ٦٥٤
من أتى عرَّافًا فسأله عن شيءٍ لم تُقبل له صلاةً أربعين ليلة	٦٧٨
من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يُصلِّي بالليل	٦٩٠
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ	٦٣٢، ٦٤٠
من ادعى أبا في الإسلام غير أبيه	٣٥٦
من اقتبس شُعبة من النجوم، اقتبس شُعبة من السِّحْر، زاد ما زاد	٦٧٩
من بدَّل دينه فاقتلوه	٣٦٤
من تردَّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم	٢٢٨
مَن حجَّ ولم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيومَ ولدته أمُّه	٨٧
من حلف بغير الله فقد كفر أو فقد أشرك	٥١٤، ٥١٥
من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله. وليس كذلك؛ إلَّا حار عليه	٣٦٨
من رأى منكم منكرًا فليُغيِّره بيده، فمن لم يستطعْ فبلسانه	٥٢٨
من سمع النداء فلم يأته، فلا صلاة له	٥٣٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَن سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده	٦٣١
من سُئل عن علمٍ فكتمه أُلْجِمَ يومَ القيامة بلجامٍ من نار	٥٣٣
من شهد أن لا إله إلَّا الله، وحدَه لا شريك له	٢٥٩، ٣٤٩، ٥٠٥
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذَنْبه	٢٣٣
من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتَنا	٣٥٨
من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وبقي في بيته	٥٧٨
من علَّق تميمةً فقد أشرك	٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٥، ٦٧٤
من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا، فهو ردٌّ	٦٦٢
من غدا إلى المسجد وراح، أعد الله له نزلًا من الجنَّة كلما غدا أو راح	٥٣٨
من فسَّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ	١١٦
من قال في القرآن برأيه فليتبوَّأ مقعده من النار	١١٦
من قال: لا إله إلَّا الله: مخلصًا دخل الجنة	٢٦٨، ٣٥٠
من قال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه	٣٥٠
من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما	٣٦٨، ٥١٤، ٥١٥، ٥٢٥
مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه	٢٣٣
من قطع سِدْرةً صوَّب الله رأسَه في النار	٦٢٦
من كانت فيه شعبةٌ منهن، كانت فيه شعبة من النفاق حتَّى يَدَعها	٥٢٢
مَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار	٦٣٦، ٦٤١
من مات لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة	٣٥٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من مات ولم يغزُ، ولم يحدِّث نفسه بالغزو	٥٢٠
من يشهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرَّم الله عليه النار	٥٠٦
ن	
نحن أولى بموسى منكم	٥٦
نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة	٣٩٩
هـ	
هل تسمع النداء؟ قال: نعم. قال: لا أجد لك رخصةً	٥٤٣
هلَّا شققتَ عن قلبه؟!	٥٠٠
هلك المتنطِّعون، هلك المتنطِّعون، هلك المتنطِّعون	٤٦٨، ٥٢٩
هو الحالقة، لا تحلق الشَّعْر، ولكن تحلق الدِّين	٤١٩
هي من قدر الله	١٥، ٢٣٠
و	
والَّذي نفْسُ محمَّد بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمَّة يهوديٌّ	٢٦٠
والله لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلَّا أن يتَّبعَني	٥٩
والله، لينزلنَّ ابنُ مريم حكمًا عادلًا، فليكسرنَّ الصليب	٩٨
وإن أصابك شيء، فلا تقلْ: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذان	٢٣١
وإنَّه ينشئ للنَّار من يشاء	٣٦
وترك أشياءَ رحمةً بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها	٥٧٦
ورجل تصدَّق بصدقةٍ، فأخفاها، حتَّى لا تعلم شمالُه ما أنفقت يَمِينه	١١٨، ٦٢١
وقد وجدتموه؟. قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان	٦٠٨
ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه	٨١

QaradawiBooks.com

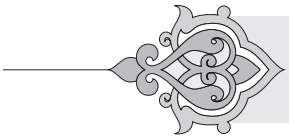
الحديث	رقم الصفحة
ولكن قولوا: اللهمَّ اغفرْ له، اللهمَّ ارحمْه	٥١٠
وما يدريك يا عمر، لعلَّ الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم	٤٤٤
ومن قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة	٢٢٨
ومن هَمَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها، كتبها اللهُ له عنده حسنةً كاملة	٦٨٧
ويحَك، ما هذه؟. قال: من الواهنة. قال: أما إنَّها لا تزيدك إلَّا وَهَنًا	٦٥٥
ويُخرج من النَّار من كان في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان	٥٢٢
ي	
يا أيها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد	٣٣٨
يا بَشِير، لا جهاد، ولا صدقة، فبم تدخل الجنَّة إذن؟!	٥٠٤
يا حنظلة، لو دُمتم على الحال الَّتي تكونون فيها عندية	٨٩
يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسرُّكم أنَّكم أطعتم الله ورسوله	٦٧٠، ٦٧١
يا محمد، ارفع رأسك	١٧٧
يجتمع بعرفة جبريل وميكائيل والخَضِر	٥٨
يجمع الله تبارك وتعالى الناس	١٧٧
يَحْقِر أحدُكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامهم	١٧٠، ٤٦٨
يخرج قوم من النَّار بشفاعة محمَّد ﷺ فيدخلون الجنة	٢٠١
يخرج من النَّار قومٌ بالشفاعة كأنَّهم الثَّعَارِير	٢٠١
يخرج من النَّار من قال: لا إله إلَّا الله. وكان في قلبه من الخير	٥٠٥
يدخل الجنَّة بشفاعة رجلٍ من أُمَّتي أكثر من بني تميم	٢٠١
يَدَع طعامه من أجلي، ويَدَع شرابه من أجلي، ويَدَع زوجته من أجلي	٨٤
يدعون أهل الأوثان، ويقتلون أهل الإسلام	٤٦٨

QaradawiBooks.com

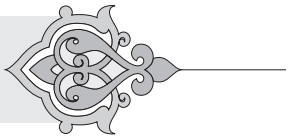
الحديث	رقم الصفحة
يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا	٤٨٢
يشفع الشهيدُ في سبعين من أهل بيته	٢٠١
يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرَهم أو تراقِيَهم	٤٦٩
يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك	٦٢٠
يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان	٥١٧
يلتقي الخضر وإلياس كلَّ عام	٥٨
يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهْم من الرَّمِيَّة	٤٦٦، ٤٦٨

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com



فهرس الموضوعات



• **في العقائد والغيبيات** ٥

❖ **أسماء الله توقيفيَّة أم غير توقيفيَّة؟** ٦

الحالة الأولى: إذا ورد إذنُ الشَّرع بإطلاق الاسم أو الصفة ٧

الحالة الثانية: إذا ورد منعُ الشَّرع من إطلاق الاسم أو الصفة ٩

الحالة الثالثة: إذا لم يرد إذنُ الشَّرع ولا منعُه ٩

الاختلاف في إثبات الأسماء والصِّفات بالحديث الضعيف والقياس ١٠

❖ **حول القضاء والقدر** ١٤

❖ **العدالة الإلهيَّة والتفاضل في الأرزاق** ١٩

❖ **حكم قول: بفضل الله ثمَّ جهود المخلصين** ٢٥

❖ **هل يعذب الله بعض النَّاس بغير ذنب؟** ٣١

❖ **الحساب للنَّاسِ جميعًا** ٣٨

الكفَّار سيدخلون النَّار فلِمَ يحاسبون؟ ٤٠

أمور الغيب فوق إدراك العقل ٤٣

السؤال لمعرفة أمر دينه ٤٤

❖ **تفاؤل المؤمن برحمة الله** ٤٥

غير مرخصة للطباعة

نسخة تجريبية

• **النبوَّات** **٤٧**

❖ **الإسلام قبل بعثة محمَّد ﷺ** ٤٨

❖ **كفر من طعن في نسب إسحاق عليه السلام** ٥٢

❖ **أوهام النَّاس حول الخَضِر عليه السلام** ٥٧

❖ **لُثغة سيدنا موسى عليه السلام** ٦١

❖ **المعجزات النبويَّة بين الغلاة والمقصِّرين** **٦٤**

وخلاصة هذا الرأي ٦٨

فمن الصحيح الثابت ٦٩

❖ **هل النَّبيّ ﷺ أوَّل خلق الله؟** **٧٤**

❖ **الجديد الَّذي جاء به محمَّد ﷺ رد على بابا الفاتيكان** **٧٧**

١ ـ في مجال العقائد ٧٩

٢ ـ في مجال العبادات والشعائر ٨٠

• الصلاة ٨٠

• الزكاة ٨٢

• الصيام ٨٤

• الحج ٨٦

٣ ـ الجديد في الأخلاق ٨٧

أخلاق معلَّلة مفهومة ٨٧

أخلاق وسطية متوازنة ٨٨

أخلاق واقعية ٨٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

٤ ـ الجديد في التشريع ٩٠
هل جاء محمَّد بأشياء شريرة ولا إنسانية؟ ٩٢
❖ **الترابي وإنكار نزول عيسى ابن مريم** **٩٧**
• **السمعيات** **١٠١**
❖ **سر الموت** **١٠٢**
❖ **موعـد قيام الساعة لا يعلمـه إلَّا اللـه الرد على مزاعم رشاد خليفة** **١٠٧**
مزاعم رشاد خليفة حول تحديد موعد نهاية العالم ١٠٨
دعنا الآن نلخص هذه الحقائق القرآنية ١٠٨
علامات على الطريق ١٠٩
خطأ الكاتب في تفسير آية سورة طه ١١٧
ما فهمه الكاتب من آية الأعراف مردود عليه ١١٨
التفسير المبتدع لآية الحجـر ١١٩
تحكمات لا دليل عليها ١٢٢
القصة الَّتي ذكرها البيـضاوي لا يُحتج بها ١٢٣
حساب الجمل لا يقوم على أساس منطقي ١٢٧
مخالفة هذا الرأي لصريح القرآن ١٢٨
دعوى صاحب هذا الرأي أنه علم من القرآن ما لـم يعلمه رسول الله ١٢٨
❖ **أين النَّـار؟! رأي ابن تيمية وابن القيم حول فناء النار** **١٣٠**
خلاصة ما ذكره ابن القيِّم في المسألة **١٣٢**
١. أنَّ الله تعالى أخبر في ثلاث آيات عن النَّار بما يدلُّ على عدم أبديتها ١٣٢
فمن الصحابة **١٣٣**

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ومن التابعين وأئمة السلف **١٣٤**
٢. دلَّ العقل والنقل والفطرة على أنَّ الرب تعالى حكيم رحيم ١٣٥
٣. أخبر الله تعالى أن رحمته وسعت كلَّ شيء ١٣٦
٤. يوضح هذا أن الله لم يخلق الإنسان عبثًا ولم يخلقه ليعذبه ١٣٦
أهل السُّنَّة على أنَّه يجوز تخلف الوعيد ١٣٧

❖ **الولي والنبي وقصة الخضر وموسى** **١٤٠**
نبي الله موسى ارتحل في طلب العلم ١٤٢
لا أحد أعلم بالشريعة ممَّن نزلت عليه ١٤٤
الإنسان بالعلم يقدر على ما لا تقدر عليه الجن ١٤٥

❖ **حكم التوسُّل بالأنبياء والصالحين** **١٤٧**
حكم التوسُّل بذات النبي ١٥٠

❖ **سنن الله وخوارق العادات** **١٥٢**

❖ **ترك الصَّلاة مع المسلمين بزعم أدائها في الكعبة** **١٦٠**

❖ **الشفاعة يوم القيامة وموقف د. مصطفى محمود** **١٦٤**
معنى الشفاعة ١٦٦
أول قضية في الفكر الإسلامي ١٦٩
حقائق لا يجوز الخلاف عليها ١٧٢
الشفاعة الثابتة في الآخرة ١٧٧
الشفاعة العظمى (المقام المحمود) ١٧٧
ونعني بهذه الشفاعة العظمى ١٧٨
الشفاعة للمذنبين ١٨١

غير مرخص للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

موقف د. مصطفى محمود ١٨٣
مرتكزات د. مصطفى محمود في الاستدلال بالنقل والعقل ١٨٤
الآيات الَّتي تنفي الشفاعة ١٨٥
الآيات الَّتي تناقض فكرة الشفاعة ١٨٥
آيات نفي الشفاعة ١٨٦
الشفاعة لأهلها بشرطها ١٨٧
من لهم الشفاعة ١٨٨
من لا شفاعة لهم ١٨٩
آيات عدم الخروج من النار ١٩١
المنطق العقلي للدكتور ١٩٣
العقل وحده لا يغني في مسائل الغيب ١٩٨
التدقيق في دعوى معارضة القرآن ٢٠٠
موقف د. محمود من السُّنَّة ٢٠٣

❖ **هل يتلبس الجنّ بالإنسان؟ ٢٠٩**

❖ **هل يتزوج الجني الإنسية ويتزوج الإنسي الجنية؟ ٢١٨**

❖ **عذاب القبر للروح أم للبدن ٢٢٢**

❖ **لعلها كرامة ٢٢٤**

❖ **المقتول ميت بأجله ٢٢٧**

❖ **دعوى رفع العذاب عمَّن مات في رمضان ٢٣٢**

❖ **هل للمرأة رجال في الجنة، كما للرجل حور عين؟ ٢٣٤**

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **المبالغة في عزو كلِّ شيء للسحر والجن سحر النَّبيِّ ﷺ** ٢٣٦
الإنسان هو مَن سخر الجن ٢٣٨
البعض يعلق إخفاقه على السحر ٢٤٠
تعرض النَّبيّ للسحر ٢٤٢
❖ **كتاب «عمر أُمَّة الإسلام»** **٢٤٣**
❖ **الأديان الكتابية** **٢٤٧**
❖ **موقف الإسلام العقدي من اليهود والنَّصارى كفر اليهود والنَّصارى بدين الإسلام معلوم من الدين بالضرورة** **٢٤٨**
يقول شيخنا شلتوت رَحِمَهُ اللَّهُ: مبيِّنًا الحدَّ الفاصل بين الإيمان والكفر ٢٥٣
حقيقة الإيمان بالغيب ٢٥٦
اتِّباع المتشابهات ٢٦٠
هل تكفي «لا إله إلَّا الله» وحدها؟ ٢٦٧
الإيمان بالرسل ركن أساسي في العقيدة ٢٦٩
رسالة محمَّد للعالمين، ومنهم اليهود والنَّصارى ٢٧٣
دلائل أخرى على كفر أهل الكتاب ٢٧٧
الإيمان لا يتجزأ ٢٧٨
لهذا نكفِّر اليهود والنَّصارى ٢٧٩
النَّصارى أبعد عن ملَّة إبراهيم من اليهود ٢٨٠
تعبير أهل الكتاب لا يدلُّ على الإيمان ٢٨١
خليط من الأغلاط والأوهام ٢٨٦
استدلال بما يدلّ على عكسه ٢٨٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المسيحيون والتثليث ٢٨٩
تحريف الإنجيل وتبعة المسيحيِّين المعاصرين ٢٩٠
موقف الإسلام من أهل الكتاب والمشركين ٢٩٢
الفقه الإسلامي وإباحة الزواج بالكتابيات ٢٩٤
حقائق يجب التنبيه عليها ٢٩٥
كفر أهل الكتاب ليس كفر إلحاد ٢٩٦
مخاطبة اليهود والنَّصارى بأهل الكتاب ٢٩٧
أساس التسامح الإسلامي ٢٩٧
أهم هذه المفاهيم هي ٢٩٩

❖ موقفنا من اليهود والنَّصارى ٣٠٢

موالاة اليهود والنَّصارى ٣٠٤
احترام أديانهم السماوية ٣٠٦
هل المسيحيون إخوان لنا؟ ٣٠٨
هل نحارب اليهود من أجل العقيدة؟ ٣١٠

❖ تعقيب على محاورة الأخ الدكتور محمَّد عبد الله الشباني

حول العلاقة مع أهل الكتاب ٣١٤

التوحيد والأخلاق ٣١٤
معركتنا مع اليهود ٣١٧
هل هناك أصول مشتركة بيننا وبين أهل الكتاب؟ ٣١٩

❖ علاقة المسلمين باليهود ٣٢٣

❖ التقريب بين الأديان ٣٢٥

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المفهوم المرفوض للتقريب ٣٢٥
المفهوم المقبول للتقريب ٣٢٨
الحوار بالتي هي أحسن ٣٢٨
التركيز على القواسم المشتركة ٣٢٩
التعاون لمواجهة الإلحاد والإباحية ٣٣٠
مناصرة قضايا العدل والشعوب المستضعفة ٣٣٠
إشاعة رُوح التسامح لا التعصُّب ٣٣١

❖ **خطر التبشير بالنصرانيَّة ٣٣٤**
تعالى الله عمَّا يقول اليهود والنَّصارى ٣٣٥
المسلمون ليسوا في حاجة إلى التنصير ٣٣٨
احذروا الغزو العقدي ٣٤٠
التنصير في البلاد غير العربية ٣٤١
مبشرات بانتشار الإسلام وانتصاره ٣٤٢

• **الفرق الإسلاميَّة ٣٤٧**

❖ **تكفير أتباع المذاهب والفرق الإسلاميَّة ٣٤٨**
نقول عن كبار الأئمَّة في إنكار التوسُّع في التكفير ٣٥٩
نقول عن الأشاعرة وغيرهم من المتكلِّمين ٣٥٩
آراء الفقهاء ٣٦٢
نُقول عن الحنفية ٣٦٢
نُقول عن المالكية ٣٦٣
نُقول عن الشافعية ٣٦٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نُقول عن الحنابلة ٣٦٦
نُقول عن الزيدية والأئمَّة المستقلين ٣٦٨
❖ **الفرق بين المذهب السُّنِّي والمذهب الشِّيعي الإمامي ٣٧٢**
مكفِّرو الشيعة ٣٧٧
الذين ينظرون إلى الشيعة من خلال مواقفهم السياسية ٣٧٩
فئة الوسط ٣٨١
١ ـ موقفهم من القرآن ٣٨١
٢ ـ موقفهم من السنة ٣٨٢
٣ ـ موقفهم من الصحابة ٣٨٣
٤ ـ إمامة عليٍّ والاثني عشر من ذريته من أصول الإيمان، ومن لم يؤمن بها فهو كافر ٣٨٥
٥ ـ دعوى الوصية النبويَّة لعلي فيها تهوين للأمَّة ٣٨٧
٦ ـ تميُّز فئة معيَّنة على سائر الأمَّة ٣٨٨
٧ ـ انتشار البدع الشركيَّة بين الشيعة ٣٨٩
٨ ـ الشيعة وتشويه التاريخ ٣٩٠
٩ ـ التقيَّة ٣٩٠
رأي كبار علماء الأزهر في الشيعة ٣٩٢
رأي الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصري السابق في الشيعة ٣٩٣
كتاب «كشف الأسرار» للخميني واتهامه للشيخين ٣٩٨
❖ **حقيقة موقفي في مؤتمر الدوحة للتقريب بين المذاهب ٤٠٤**
بين الأكثرية والأقلية ٤٠٩
هل هناك تباعد حتَّى نحتاج إلى تقريب؟ ٤١١
من نصوص الشيعة في الإمامة ٤١١

QaradawiBooks.com

تقريب بين المذاهب أو بين الفرق ٤١٥
مفهوم التقريب الَّذي ننشده ٤١٧
التقريب المنشود: ليس هو الَّذي يقوم على مبدأ «التَّقيَّة» ٤١٩
التقريب المنشود: هو الَّذي يبتعد عن التكفير ٤٢٠
التقريب المنشود: الَّذي يتبنى فكر أهل الوسط ٤٢١
لكي يؤتي التقريب أُكُلَه ٤٢٣
التقريب على المحك ٤٢٥

❖ **فضائل الصحابة** **٤٣٢**

❖ **سبُّ الصحابة** رضي الله عنهم **٤٣٧**

تنبيهات حول سبِّ الصحابة ٤٤٣

❖ **جماعة الأحباش جدال بلا علم وتطاول بلا أدب** **٤٥٥**

تمهيد ٤٥٥
معركة أخوضها على كره ٤٥٩
رسالة الأحباش إلى قناة الجزيرة ومضامينها ٤٦٢
الردُّ على شبهات الأحباش ٤٦٥
دعوى امتداح المتطرفين ٤٦٥
المساهمة في بنك التقوى ٤٧١
مدح سيد قطب والمودودي ٤٧٣
حكم المحكمة في ألمانيا ٤٧٦
حقُّ المعلِّم وحقُّ الوالد ٤٧٧
مدح الشيخ الألباني ٤٧٨

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدجاجة المخنوقة ٤٨٠
الربا أشد من الزنى ٤٨٤

• **قضايا عقدية** **٤٨٩**

❖ **ظاهرة الغلوِّ في التكفير** **٤٩٠**
ظاهرة تحتاج إلى دراسة لأسبابها ٤٩٣
تكفير من يستحق التكفير ٤٩٥
وجوب التفرقة بين النوع والشخص المعيَّن ٤٩٧
خطورة التكفير ٤٩٨
وجوب الرجوع إلى القرآن والسُّنَّة ٤٩٩
الحقيقة أو القاعدة الأولى: بماذا يدخل الإنسان في الإسلام؟ ٥٠٠
القاعدة الثانية: من مات على التوحيد استوجب الجنة ٥٠٤
القاعدة الثالثة: نواقض الإسلام ٥٠٦
القاعدة الرابعة: كبائر المعاصي تنقص الإيمان ولكنها لا تهدمه ٥٠٨
القاعدة الخامسة: ما عدا الشرك تحت إمكان المغفرة ٥١٢
القاعدة السادسة: انقسام الكفر الوارد في النصوص إلى أكبر وأصغر ٥١٤
القاعدة السابعة: اجتماع بعض شعب الإيمان مع شعب الكفر أو النفاق أو الجاهليَّة ٥١٩
القاعدة الثامنة: تفاوت مراتب الأمَّة في الطاعة ٥٢٥
خاتمة ٥٢٩

❖ **شبهات من ترك الصَّلاة في مساجد المسلمين** **٥٣١**
أولًا: ماذا في القرآن؟ ٥٣٦
ثانيًا: ماذا تقول السنة؟ ٥٣٧

QaradawiBooks.com

ثالثًا: شبهة معتزلي المساجد وإبطالها ٥٣٩
ونحن نبيّن خطأه من وجوه ٥٤٠
خاتمة **٥٤٤**
❖ **هل الإنسان خليفة الله في الأرض؟** **٥٤٦**
❖ **أسئلة من إيران حول قضايا عقدية وفكرية حساسة** **٥٥٦**
جواب السؤال الأول **٥٥٨**
التقليد والحرية في أمور العقيدة ٥٥٨
جواب السؤال الثاني **٥٦٤**
مجالات الاجتهاد وحدوده ٥٦٤
فمن هم أهل الاجتهاد؟ ٥٦٦
جواب السؤال الثالث **٥٦٩**
غزو المسلمين لبلاد الكفار ٥٦٩
جواب السؤال الرابع **٥٧١**
مهمة العقل من الشرع ٥٧١
الثابت والمتغير من أحكام الدين ٥٧٣
مجال الثبات والتطور في الفقه ٥٧٥
أسباب المرونة في الشريعة الإسلاميَّة ٥٧٦
❖ **التماثيل البوذية في أفغانستان وهل يجب هدمها فورًا؟** **٥٨٢**
مستندات طالبان في وجوب الهدم ٥٨٤
١ ـ تحريم التماثيل الَّتي يصنعها المسلمون أو تصنع لهم ٥٨٥
٢. فعل إبراهيم وموسى في الأصنام ٥٨٨

QaradawiBooks.com

١ ـ تحطيم النَّبيّ للأصنام يوم الفتح ٥٨٩
٢ ـ حديث طمس التماثيل وتسوية القبور ٥٩٠
قاعدة التدرج ٥٩٢
ضرورة النظر في مآلات الأفعال ونتائجها ٥٩٣
فقه الأولويات ٥٩٧
حقائق يجب أن تُعرف وتوضح ٥٩٨
❖ **تجزؤ الإيمان والمحافظة على الدين في الحياة العصرية** ٦٠١
❖ **موالاة المؤمنين** ٦٠٥
❖ **الرغبة في دفع الوساوس من دلائل الإيمان** ٦٠٧
كثرة القراءة في الدلائل تقوي الإيمان ٦٠٩
❖ **حكم من قال: لا أومن بالأديان** ٦١١
❖ **المنامات المزعجة** ٦١٣
الرُّؤى أنواع ثلاثة حسب المصادر والمنابع ٦١٤
لا تخلو الحياة من الابتلاء ٦١٦
❖ **التخوّف من الرياء** ٦١٨
تجريد النيَّة لله ٦١٩
• **البدع والمحدثات** ٦٢٣
❖ **مفهوم البدعة** ٦٢٤
❖ **تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة** ٦٢٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ حكم ما يسمى «البطاقة المحمدية» ٦٣٥
❖ الوصية المكذوبة ٦٤٢
❖ الذبح عند سكنى بيت جديد ٦٤٦
❖ العلاج بالتمائم والرقى ٦٤٨
❖ حكم الذهاب للعرافين والكهان ٦٥٣
❖ بناء ضريح ومسجد في أرض مملوكة بغير إذن أصحابها ٦٥٧
❖ حول تحضير الأرواح ٦٦٦
❖ ما تكتبه الصحف عن الطوالع: حقيقة، أم خيال؟ ٦٧٦
وتقرأ في أحاديث رسول الله ﷺ ٦٧٨
❖ التبرُّك بالأحجار شرك ٦٨٢
❖ الدِّين والصعود إلى القمر ٦٨٤
❖ حديث النفس ٦٨٧
❖ من دخل في الإسلام وظل محتفظًا باسمه الأصلي ٦٩١
• فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٦٩٥
• فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٧٣٧
• فهرس الموضوعات ٧٥٣

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com